بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية
الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

منهج القرطبي في القراءات وأثرها في تفسيره

رسالة مقدمة لاستكمال درجة الماجستير

إعداد
الطالب/ جمال عبد الله أبو سحلوب

إشراف
الدكتور/ عبد الرحمن الجمل

مناقش داخلي
الدكتور/ وليد العامودي

مناقش داخلي
الدكتور/ زهدي أبونعمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

(إن هذا القرآن يهدي للتي

هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين

يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً)

[الإسراء: 9]

قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم:

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)

[البخاري، ح 5027]

إهـداء

إلى من كانا سبباً في وجودي وسراً من أسرار توفيقي ونجاحي

والديّ الحبيبين حفظهما الله . . .

إلى زوجتي الفاضلة وابني الغالي علاء الدين . . .

إلى إخوتي وأخواتي وأهلي وأصدقائي جميعاً . . .

إلى من سطروا بدمائهم أروع آيات البطولة والفداء إلى أرواح

شهداء فلسطين . . .

إلى كل مسلم عامل لدين الله يبتغي رضاه . . .

أهدي هذا العمل المتواضع الذي أسأل الله تعالى أن تجعله خالصاً

لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين . . .

شكر ٌ وعرفان

استرشاداً بقول الرسول –صلى الله عليه وسلم– " من لم يشكر الناس لم يشكر الله" فإنني أولاً أحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم علي ّ ، ثم أشكر والدي ّ الكريمين حفظهما الله.

ثم إنني أتقدم بالشكر الكبير، والتقدير البالغ إلى أستاذي الجليل فضيلة الدكتور: عبد الرحمن الجمل –حفظه الله– الذي شرفني بقبوله الإشراف على هذا البحث ابتداء ً ، ثم كان لي نعم الموجه والمؤازر بعد ذلك، فما بخل علي ّ بنصحه وا إرشاده، وقابل تقصيري بحلمه وصفحه، وأتحفني بتدقيقه وتصحيحه، حتى وصل بحثي إلى الصورة التي وصل إليه فجزاه الله عني خير الجزاء، كما وأشكر كثيراً أستاذي ّ الفاضلين فضيلة الدكتور: وليد

العامودي، وفضيلة الدكتور: زهدي أبو نعمة، الذين تكرما بقبول مناقشة هذا البحث ولما بذلا من جهد مثمر في نقده وتنقيحه، فأسأله تعالى أن يباركهما ويحسن ثوابهما.

كما وأشكر إخواني المدرسين في مدرسة القرارة فقد كانوا نعم الإخوان وأخص بالذكر الأستاذ مجدي أبو لحية الذي قام بقراءة الرسالة وتنقيحها من حيث اللغة.

والشكر موصول إلى شباب مسجد خالد بن الوليد الذين كانوا يتنافسون في مساعدتي وأخص منهم أخي سلام العبادلة الذي قام بطباعة الرسالة وتنسيقها وا ٍخراجها بأفضل ما يمكن فجزى الله الجميع خيراً .

كما وأشكر كل من قدم نصيحة او توجيهاً او كلمة طيبة او دعوة في ظهر الغيب.

منهج القرطبي في القراءات وأثرها في تفسيره

أولاً : المقــدمـة

الحمد لله الرحمن الذي علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على المعلم الأول النبي العدنان وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين خير الأنام .. وبعد:

فإن الله –عز وجل– قد أنعم علينا بنعم عظيمة لا تعد ولا تحصى فقال تعالى :(﴿r‰ã? bÎr ÏèJpR $« w ŸdÅtéB $dqÝÁøtéB)[1] وإن من أعظم هذه النعم، وأجلّها قدراً، وأبقاها ذكراً، وأرفعها منارة، وأنفعها ثماراً، وأرقها نسيماً، وأرقاها تكريماً، وأعمها فائدة، وأزكاها مائدة .. القرآن الكريم (7 Ï9ºŒ $# Ü=»tGÅ6 ø9$# w |=÷ƒu‘ ¡ Ïmé Ïù)[2].

فلقد أدركت الأجيال عظمة هذا القرآن فوجهت إليه جميع طاقاتها ومنحته من العناية والرعاية ما لم يعرف لكتاب غيره من قبل ومن بعد.

1- النحل: (16).

2- البقرة: (2).

وكان ممن هداهم الله لخدمة كتابه العزيز علماء لا يحصون سخروا حياتهم في خدمته وفهم معانيه وبيان أسراره واستخراج أحكامه، كان من بينهم الإمام العالم الجليل أبو عبد الله محمد القرطبي الذي سخر حياته خدمة لكتاب الله –عز وجل–، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال سفره العظيم وكتابه الشهير (الجامع لأحكام القرآن) الذي كان بحق جامعاً لعلوم متعددة. وكان من بين العلوم التي استعرضها الإمام القرطبي في تفسيره ذلك العلم القيم علم القراءات. وهو علم مستقل بذاته ومن العلوم الضرورية التي لا غنى عنها لطالب العلوم الشرعية وخاصة علم التفسير.

ولأهمية هذا الموضوع وحبي العميق له وتشوقي للخوض في بحره لعلي أنال من جواهره، فإنني بتوفيق الله ورعايته قمت ببيان منهج الإمام القرطبي في القراءات القرآنية التي ذكرها في تفسيره.

ثانياً : أهمية الموضوع وبواعث الاختيار

تكمن أهمية الموضوع في عدة أسباب هي:

- **v** أولاً : أ ن هذه الدراسة تتناول كتاباً يعد من أعظم كتب التفسير وأهمها في الماضي والحاضر. وقد أكثر علماء المسلمين من الثناء والمدح لهذا التفسير العظيم نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر كلام العلامة ابن فرحون حيث قال عنه:
- "هو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً أسقط عنه القصص والتواريخ وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والناسخ والمنسو خ"[1].
- وقال أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي واصفاً كتاب القرطبي " والتفسير الجامع لأحكام القرآن الحاكي مذاهب السلف كلها وما أكثر فوائده"[2].
- قال الحافظ شمس الدين الداودي في كتابه طبقات المفسرين: " أبو عبد الله القرطبي مصنف التفسير المشهور الذي سار به الر كبان"[3].

1– الذهبي–التفسير والمفسرون– نقله عن الديباج المذهب لابن فرحون (317).

2– ابن العماد الحنبلي–شذرات الذهب (335/3).

3– الداود ي–طبقات المفسرين (65/2).

- ثانياً : إن صاحب هذا التفسير إمام جليل عالم متبحر في علوم كثيرة منها تبحره في علوم القراءات وتوجيهها بصورة فريدة تدل على سعة علمه، قال الإمام الذهبي عنه " إمام متقن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفورة فضله"[1].
- ثالثاً : اشتمال هذا التفسير على مادة علمية مفيدة من القراءات عرضاً وتوجيهاً وترجيحاً تستحق الدراسة والبحث.

أما بواعث الاختيار فهي:

- أولاًإنني أحببت علم القراءات وا ٍنني أجد نفسي منشرحاً متشوقاً للاطلاع على هذا العلم وتعلمه وفهمه وا ٍتقانه وا ٍنني لأرجو أن تكون دراستي هذه بداية الطريق للوصول إلى هذا الهدف السامي.
- ثنياً :كذلك اخترت هذا الموضوع لاعتقادي أ ن المشتغلين في هذا العلم قليلون في وطني على الرغم من أهمية هذا العلم وحاجة الناس له وخاصة طلبة العلوم الشرعية.
- ثالثاً : لأن علم القراءات من أكثر علوم القرآن خدمة للتفسير وبيان مراد الله –عز وجل– فاخترت البحث في هذا الموضوع لأزداد علماً بتفسير القرآن لعلي أكون ممن قال عنهم رسول الله–صلى الله عليه وسلم– " خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

لهذه الأسباب عقدت العزم على اختيار هذا الموضوع فأسأل الله القبول والتوفيق.

ثالثاً : أهداف البحث

بيان القراءات التي استعرضها القرطبي في تفسيره.

1. بيان منهج القرطبي في عرض القراءات ونسبتها إلى من قرأ بها.
2. بيان منهجه في توجيه القراءات والاحتجاج لها.

1– السيوطي– طبقات المفسرين (79).

3. إبراز منهجه في الترجيح والاختيار بين القراءات والحكم عليها.
4. توضيح القيمة العلمية للقراءات وأثرها في تفسيره.
5. إبراز شخصية القرطبي وما تميزت به هذه الشخصية.

رابعاً : طبيعة عملي في هذا البحث

يمكن تلخيص ما قمت به في هذا البحث في عدة نقاط:

1. تتبعت المواضع التي تحدث فيها الإمام القرطبي عن القراءات في تفسيره وحصرتها ودرستها دراسة متأنية بتأمل وا ٍمعان نظر وذلك لمعرفة منهجه في عرضه لهذه القراءات.
2. صنفت هذه المواضع حسب مقتضيات البحث وذلك لاستنباط منهجه في القراءات وا ٍظهار ذلك بوضوح وجلاء.
3. بينت منهج القرطبي مدللاً على هذا المنهج بالأمثلة المتعددة من تلك المواضع التي جمعتها من تفسيره معقباً على هذه الأمثلة بما يناسب.
4. قمت بتوثيق القراءات المتواترة التي أوردها الإمام القرطبي وورد ذكرها في البحث من كتب القراءات المتواترة
5. كذلك قمت بتوثيق القراءات الشاذة من الكتب المتخصصة بذلك.
6. وثقت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.
7. خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية مع الحكم عليها من خلال أقوال العلماء.
8. عرفت بالقراء وكثير من الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث.

منهج القرطبي في القراءات وأثرها في تفسيره

التمهيد

ويتكون من:

أولاً : تعريف القراءات القرآنية .

ثانياً : نشأة علم القراءات .

ثالثاً : أركان القراءة الصحيحة .

رابعاً : أنواع القراءات القرآنية .

أولاً : تعريف القراءات القرآنية.

القراءا ت في اللغة:

القراءات جمع قراءة ، والقراءة في اللغة: مشتقة من مقدَتر(َأ) والقراءة مصدر للفعل قرأ،يقالقرأ يقرأ قرآناً وقراءة، فكل منهما مصدر. وهذا اللفظ يستعمل لأكثر من معنى، منها:

1. **الجمع والضم:** أي جمع وضم الشيء إلى بعضه،فقرأ الشيء قُرآناً بالضم أي جمعه وضمه ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها"[1] .
2. **التلاوة:** وهي النطق بالكلمات المكتوبة ، ومنه قولهم: (قرأت الكتاب) أي تلوته ، وسميت التلاوة قراءة لأنها ضم لأصوات الحروف في الذهن لتكوين الكلمات التي ينطق بها[2] .

تعريف القراءات اصطلاحاً :

وقد عرف العلماء القراءات تعريفات متعددة أذكر منها:

1. تعريف الإمام الزركشي[3]:

قال:" القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف ، أو كيفيتها ، من تخفيف وتثقيل وغيرها"[4] .

2. **تعريف ابن الجزري[5]:**قال:"القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[6].

1- الراز ي-مختار الصحاح(249) .

2- انظر :المعجم الوسيط مادة(قرأ)(722/2)،ومعجم ألفاظ القرآن قادَتر(َأ)(197/2)، ابن منظور- لسان العرب قادَتر(َأ)(15/1)، الراغب الأصفهاني-معجم مفردات ألفاظ القرآ ن (445) ، ود . نبيل آل إسماعيل-علم القراءا ت .

3- الزركشي: هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، ولد 745هـ وتوفي 794هـ ، تركي الأصل مصري المولد والوفاة من العلماء الأصوليين في فقه الشافعية ، أديباً فاضلاً ومصنفاً محرراً في عدة فنون كالفقه والحديث والتفسير وأصول الدين . (انظر شذرات الذهب 335/6) .

4- الزركشي-البرهان في علوم القرآن (395/1) .

5- هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري أبو الخير ، شمس الدين العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي ، شيخ الإقراء في زمانه ، ألف في التفسير والحديث والفقه والعربية . (غاية النهاية في طبقات القراء له 247/2) .

6- ابن الجزري-منجد المقرئين(13) .

3. تعريف البنا الدمياطي[1]:

قال:"علم القراءا ت علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين ، والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال ، وغيره من حيث السماع"[2] .

4. تعريف عبد العظيم الزرقاني:

قال:"مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراءة مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم،مع اتفاق الروايات والطرق عنه ، سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها"[3].

من خلال النظر والتدقيق في هذه التعريفات نلاحظ ما يلي:

- إن الزركشي والزرقاني قصرا تعريف القراءات في الألفاظ المختلف فيها دون المتفق عليها بحيث يفهم من تعريفهما أن مواطن الاتفاق لا يُعنى به علم القراءات والأمر ليس كذلك .
- إن تعريف ابن الجزري والبنا الدمياطي تعريف لعلم القراءات أما تعريف الزركشي والزرقاني فللقراءة والقراءات ، ولا يخفى التلازم بين فهم الشيء وفهم العلم الذي يدرسه ويسمى به،ولعل ذلك هو السبب في اقتصارهما في التعريف على أوجه الاختلاف دون الاتفاق
- ويؤخذ على تعريفهما أيضاً إغفالهما قضية العزو والنقل والمشافهة التي توهم أن القارئ يجتهد في القراءات من عند نفسه وليس الأمر كذلك فالعزو في القراءة قضية مهمة جداً ؛ لذلك ركّز عليها الإمام ابن الجزري في تعريفه[4] .
- أما بالنسبة لتعريف البنا الدمياطي فهو تعريف جيد لم يغفل قضية اتفاق العلماء واختلافاتهم، ولم يغفل قضية السماع والمشافهة لكنه تعريف طويل بالمقارنة بتعريف ابن الجزري .

ومن خلال ما سبق يتبين أن أفضل هذه التعريفات من حيث الشمول والدقة والاختصار هو تعريف ابن الجزري حيث إنه تعريف جامع مانع فهو التعريف الذي تميل إليه النفس وتؤيده .

ثانياً : نشأة علم القراءات.

1.عصر النبوة:

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، على قلب الرسول **r** النبي الأمي فكان كلما نزل عليه شيء من القرآن قرأه على أصحابه فرادى ومجتمعين بأحرفه ، فربط علّم بعضهم حرفاً

1- الدمياطي: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي ، شهاب الدين الشهير بالبنا ، ولد ونشأ بدمياط وتوفي بالمدينة سنة 1117هـ . (انظر:معجم المؤلفين 71/2) .

2- الدمياطي-إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر(6) .

3- الزرقاني-مناهل العرفان (412/1) .

4- انظر: د .عبد الرحمن الجمل-منهج الطبري في القراءات (رسالة ماجستير ص3) .

، وعلم آخرين حرفاً آخر ، وربما علم واحداً أكثر من حرف مراعياً في ذلك لهجة الصحابي وقدرته وما يناسبه ، وكان أحياناً يستمع إلى قراءة أصحابه ، وذلك حثاً لهم على الاستماع للقرآن ، واطمئناناً منه على قراءتهم . قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لي النبي r :" (اقرأ علي) قلـ تـ: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (فإني أحب أن أسمعه من غيري) فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً)[1] قال : أمسك ، فإذا عيناه تذرفان"[2] .

وهكذا تلقى الصحابة الكرام القرآن من في ّ الرسول r بأحرفه السبعة التي نزل بها ، وكان بعضهم لا يعلم أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف يقرأ بها . فكان أحدهم إذا سمع أحداً يخالفه في القراءة التي تعلمها وسمعها من الرسول r هرع إلى النبي r شاكياً من اختلاف قراءة صاحبه فيسمع الرسول r من الطرفين ويقول لكل منهما (هكذا أنزلت) فيعلم عندئذ أن للقرآن سبعة أحرف يقرأ بها ، فبعد ذلك لا يعيب أحد على قراءته ، ولا ينكرها عليه لأنها قراءة صحيحة نزل بها الوحي. ومن أمثلة ذلك ما حدث بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما عندما سمعه يقرأ سورة الفرقان على حروف تختلف عما تعلمه من الرسول r فيقول عمر مخبراً عن ذلك:(سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله r فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله r فكدت أساوره[3] في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته[4] بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله r فقلـ تـ: كذبت فإن رسول الله r قد أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله r فقلـ تـ: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله r : (أرسله ، اقرأ يا هشام) فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله r : (كذلك أنزلت) ، ثم قال: (اقرأ يا عمر)فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله r : (كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه)[5]. وهكذا تعلم الصحابة رضوان الله عليهم القرآن الكريم من الرسول rكلٌّ حسب لغته ، وعلموا أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وأنه لا يجوز لأحد أن ينكر على أحد قراءته؛ فكلها صحيحة. وقد أتقن كثير من الصحابة قراءة القرآن وحفظه ، فمنهم من حفظه كاملاً ، ومنهم من حفظ كثيراً منه .

1- النساء: (41) .

2- صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى (فكيف إذا جئنا . . .)(413/2 ، حديث 4582) .

3- أساوره: الإنسان يساور الإنسان إذا تناول رأسه. انظر: ابن منظور-لسان العرب، مادة (سور) (385/4).

4- لببته: لببت الرجل ولببته إذا جعلت في عنقه ثوباً أو غيره وجررته به . انظر: لسان العرب، مادة (لبب) (218/12).

5- صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف(542/2 ، حديث 4992) .

وكان عليه الصلاة والسلام يحث صحابته أن يتعلموا القرآن من إخوانهم الذين أتقنوا قراءة القرآن؛ وذلك لأنه لم يستطع وحده r القيام بتعليم جميع الصحابة الكرام ، وكل من يسلم جديداً ، لانشغاله بأمور متعددة. ومن أقواله التي حث فيها المسلمين على تعلم القرآن وأخذه عمن تعلمه وأتقنه:" خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[1] ، وقوله r عيّناً نفراً بأسمائهم آمراً بالأخذ عنهم: "خذوا القرآن من أربععبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي ّ بن كعب"[2].وقد كان عليه الصلاة والسلام يبعث بعض أصحابه إلى بعض القبائل والبلدان ليعلموا الناس القرآن. وكان كل منهم يعلّم الناس كما تعلم من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فاختلفت قراءة أهل البلاد على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم. وتوفي الرسول r ولم يكن القرآن قد جمع في كتاب واحد .

قال الإمام القرطبي:" كان القرآن في مدة النبي r متفرقاً في صدور الرجال، وقد كتب الناس منه في صحف وفي جريد وفي لِخاف وظرر وفي خزف وغير ذلك. قال الأصمعي:"اللخاف:حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة، والظرر:حجر له حد كحد السكين، والجمع ظرار"[3].

2.عصر أبي بكر الصديق:

وبعد وفاة الرسول r وفي حرب المرتدين كثر القتل بالقراء في يوم اليمامة عندئذ خاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضياع القرآن بضياع حفاظه فأشار على أبي بكر بجمع القرآن. يحكي لنا القرطبي ذلك فيقول:" فلما استحر[4]القتل بالقراء يوم اليمامة في زمن الصديق رضي الله عنه ، وقتل منهم في ذلك اليوم فيما قيل سبعمائة ، أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراء ، كأبي وابن مسعود وزيد،فندبا زيد بن ثابت إلى ذلك ، فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد رضي الله عنه"[5].

ثم إن زيداً يروي لنا قصته عندما كلّفه أبو بكر الصديق بجمع القرآن فيقول: "أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر –رضي الله عنه–: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وا ِني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن، وا ِني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله r ؟ قال عمر: هذا والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك

1– صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (548/2 ، حديث 5027) .

2– صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه (237/2 ،حديث 3808) .

3– القرطبي–الجامع (67/1) .

4– استحر: بمعنى اشتد وكثر . انظر: ابن منظور–لسان العرب ،مادة (حرر) (210/4) .

5– القرطبي–الجامع (67/1) .

، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد:قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله r ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي ّ مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله r ؟ ، قال: هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما–،فتتبعت القرآن أجمعه من والعسب[1] واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة (التوبة) مع أبي خزيمة الأنصاري[2] لم أجدها مع أحد غيره: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم)[3] حتى خاتمة براءة . فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه"[4]. ولما ماتت حفصة ، أخذ الصحيفة عبد الله بن عمر ، فعزم عليه مروان بن الحكم[5] فأخذها منه و شققها ومزقها مخافة أن يكون فيها خلاف ما نسخ عثمان بن عفان فيقع الاختلاف[6]. وهكذا جمع القرآن الكريم في زمن أبي بكر في كتاب واحد خوفاً عليه من الضياع ، وظل الصحابة الكرام يقرؤون القرآن ويعلمونه الناس كما سمعوه من الرسول r وكما تعلموه .

وقد تميز هذا الجمع بعدة مزايا [7]:

1.أن القرآن جُمع بأدق طرق البحث والتحري وأسلم أصول التثبت العلمي حيث الاعتماد على ما كتب بين يدي النبي r ، وعلى ما كان محفوظاً في صدور الرجال. وعدم القبول بشيء مكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله r .

2. الاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته . 3. إجماع الأمة عليه وتواتر ما فيه .

3. عصر عثمان بن عفان وما بعده:

ولما كانت خلافة عثمان ، وتفرق الصحابة في البلدان ، واختلفت قراءة كل بلد على ما أقرأهم الصحابي ، أو الصحابة الذين وصلوا إليهم ليعلموهم القرآن .

فكثر الآخذون عن الصحابة ، ووقع بين أتباعهم شيء من الاختلاف أو التنافس ، وقد راع ذلك حذيفة بن اليمان وأفزعه ما حدث. وقد روى الإمام البخاري في صحيحه" أن حذيفة بن اليمان

1– العسب: جمع عسيب والعسيب: جريد النخل المستقيم ، انظر: لسان العرب ، مادة(عسب) (699/1) .

2– أبو خزيمة الأنصاري: هو أبو خزامة السعدي أحد بني سعد بن الحارث بن هذيم، صحابي جليل روى حديثه الزهري وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجة. (انظر: المزي–تهذيب الكمال في أسماء الرجال 279/33).

3– التوبة: (129) .

4– صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن (540/2 ، حديث 4986) .

5–تابعي جليل، له رو اية عن عمر وعثمان وعلي، وعنه بن المسيب وعلي بن الحسين ومجاهد.(انظر: الطبقات الكبرى 35/5).

6– انظر: مكي–الإبانة (47) .

7– انظر: الزرقاني–مناهل العرفان(253/1) .

قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان[1] مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة ، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك .فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة:" إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا . وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفةٍ أو مصحفٍ أن يحرق"[2] .

ربما يظن البعض أن هذا العمل الذي قام به عثمان كان اجتهاداً منه وحده ، لكن الحقيقة أنه لما قام بهذا العمل الجليل ، جمع الصحابة قبل ذلك وشاورهم فاتفقوا على جمعه وكتابته لتلك المصاحف بما صح وثبت عن النبي r . قال الإمام القرطبي في ذلك:" وكان ذلك من عثمان – رضي الله عنه–بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلّة أهل الإسلام ، وشاورهم في ذلك ، فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبي rواطّراح ما سو اها"[3] .

بل إنه "كتب المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله r كما صرح بذلك غير واحد من أئمة السلف"[4] .

أما عن عدد المصاحف التي كتبها عثمان فقد اختلف العلماء في عددها على أقوال كثيرة:

1– قيل إنها أربعة مصاحف وممن قال بذلك القرطبي[5] وأبو عمرو الداني وغيرهما[6] .

2– وقيل خمسة ، قال بذلك القاضي أحمد بن عمر الحموي[7،8] والسيوطي وابن حجر .

3– وقيل ستة ، قال بذلك الزرقاني وبعض العلماء[9] .

4– وقيل سبعة ، قال بذلك أبو حاتم السجستاني ومكي بن أبي طالب[10] .

1– أرمينية وأذربيجان:بلدتان معروفتان شمال العراق، وهما من بلدان الاتحاد السوفيتي سابقاً (معجم البلدان 129/1 ، 142) .

2– صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن (540/2 ، حديث 4986) .

3– القرطبي–الجامع (70/1) .

4– ابن الجزري–النشر (14/1) .

5– القرطبي–الجامع (71/1) .

6– انظر: الزركشي–البرهان في علوم القرآن (302/1) .

7– الحموي–القواعد والإشارات في أصول القراءات (32) .

8– هو أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي، من شيوخه عبد الوهاب السبكي، له مؤلفات منها الناسخ والمنسوخ، قتل سنة 791هـ. (انظر: بن تغري بردي–النجوم الزاهرة 382/11).

9– انظر: الزرقاني–مناهل العرفان(403) .

10– انظر: مكي بن أبي طالب–الإبانة (49) .

5- وقيل ثمانية ، قال بذلك ابن الجزري[1] .

إن كثرة الأقوال في هذه المسألة يدل على أنه ليس هناك رأي أكيد وجازم والذي أراه في هذه المسألة أن المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار أكثر من خمسة مصاحف وذلك أن الهدف من نسخ تلك المصاحف هو القضاء على الاختلاف والفتنة ، وذلك لا يتم إلا بإرسال مصحف إلى كل مصر من الأمصار الرئيسية في الدولة الإسلامية وهي طبعاً أكثر من خمسة أمصار. إن عثمان رضي الله عنه بهذا العمل العظيم قد جمع المسلمين ووحد كلمتهم وجنبهم الاختلاف والشقاق والمراء في كتاب الله عز وجل. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام، **هل اشتملت المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة أم أنها اقتصرت على حرف واحد؟ وللعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال:**

الأول:أن المصاحف العثمانية كتبت على حرف واحد وتركت باقي الأحرف مخافة الاختلاف.

وقد قال بهذا القول الإمام الطبري والطحاوي[2] وابن حبان وآخرون.

وقال ابن تيمية:" إنه قول جمهور العلماء من السلف والأئمة... إن الأحاديث والآثار المستفيضة تدل على هذا القول"[3]. وقد أطال الإمام الطبري في تأييد رأيه لكننا نكتفي ببعض ما قال من أجل الاختصار، قال: " لا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق عليهم الناصح لهم دون ما عداه من الأحرف السبعة"[4] .

الثاني: أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة، وهو قول جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين وممن قال بذلك القاضي أبي بكر الباقلاني[5].

واحتج أصحاب هذا القول بأنه لا يجوز للأمة أن تهمل شيئاً من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها ، وأن الصحابة الكرام أجمعوا على نسخ المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر الصديق وأجمعوا على ترك ما سواها[6] .

الثالث: أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة ، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي **r** على جبريل متضمنة لها.

وعلى هذا القول جمهور السلف والخلف ، وممن قال بذلك مكي ابن أبي طالب وأبو عباس

1- انظر: ابن الجزري-النشر(14) .

2- الطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي ، أبو جعفر فقيه ، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر ، توفي سنة 321هـ بالقاهرة . من تصانيفه شرح معاني الآثار . (انظر: لسان الميزان 274/1) .

3- مجموع فتاوى ابن تيمية (359/13) .

4- الطبري-جامع البيان (62/1) .

5- أبو بكر الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلاني المتكلم على مذهب الأشعري من أهل البصرة وله مصنفات كثيرة توفي سنة 403هـ . (انظر: شذرات الذهب 169/3) .

6- ابن الجزري-النشر في القراءات العشر (31/1) .

المقرئ[1] وابن الجزري حيث قال:" وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وا بدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعه عليه ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن ، وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي r إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط"[2].

واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة:

1. إن الخلافات المتواترة عن القراء والباقية في المصاحف العثمانية من أوضح الأدلة على وجود بعض الأحرف السبعة فيها .
2. وجود قراءات قرآنية صحيحة السند عن الصحابة مما لا يحتمله الرسم دليل على أنها من الأحرف التي نسخت في العرضة الأخيرة ، فلا تحل القراءة بها بعد الإجماع على رسم المصحف الإمام[3].
3. عدم وجود أي دليل يدل على أن سيدنا عثمان أمربإلغاء ستة حروف وا بقاء حرف واحد بل إنه نسخ المصاحف، وكان فيها من الاختلاف الصحيح المتواتر عن الرسول r [4].

وتعليقاً على هذه الأقوال نقول: إنه يمكن الرد على القول الأول بما يلي:

1. إن ما استدل به أصحاب القول الثالث هو رد وا ضعاف لهذا الرأي.
2. إن إزالة الاختلاف والشقاق بين المسلمين لا يشترط لها بقاء حرف واحد بل يكفي بقاء مرجع متفق عليه يرجع إليه عند الخلاف وهو الرسم الذي حصل عليه الإجماع ، فما وافقه وكان مسنداً إلى رسول الله r عن الثقات ، ولم يخالف لغة العرب فهو قرآن مقبول ، وما عداه لا يقبل .
3. إن قول عثمان "إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم"[5] قول منصب على الاختلاف في الرسم والكتابة لا على النطق والتلاوة بدليل كلمة "فاكتبوه" .

وأما الرد على القول الثاني القائل باشتمال المصاحف على جميع الأحرف هو ما يلي:

1. وجود قراءات صح نقلها أنها مما كان يتلى قرآناً، وأجمعت الأمة بعد صنيع عثمان وا جماع الصحابة على عدم جواز القراءة بها لمخالفتها الرسم ، أكبر دليل على أن من الأحرف ما نسخ بالعرضة الأخيرة.

1- أبو العباس: أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي ، نحوي مقرئ مفسر توفي بعد 430هـ . (انظر: غاية النهاية 92/1) .

2- ابن الجزري-النشر (14/1) .

3- انظر: مكي بن أبي طالب- الإبانة (21) ، ابن الجزري-النشر (31/1) .

4- انظر: الزرقاني-مناهل العرفان (258/1) ، عدنان زرزور-علوم القرآ ن (96) .

5- صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن بلسان قريش والعرب (539/2 ،حديث 4984) .

قال ابن الجزري مؤكداً لهذا الكلام:" إذا قلنا أن المصاحف العثمانية محتوية على جميع الأحرف السبعة التي أنزلها الله تعالى كان ما خالف الرسم يقطع بأنه ليس من الأحرف السبعة وهذا قول محظور لأن كثيراً مما خالف الرسم قد صح عن الصحابة رضي الله عنهم وعن النبي r "[1].

إن الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة وإنما كان ذلك جائزاً لهم مرخصاً فيه وقد جُعل إليهم الاختيار في أي حرف اختاروه فلما رأى الصحابة أن الأمة معرضة للاختلاف كتبوا المصاحف على لفظ لغة قريش والعرضة الأخيرة وما صح عن النبي r مما استفاض وتواتر وجردوا المصاحف عن النقط والشكل لتحتمله صورة ما بقي من الأحرف السبعة[2] .

الرأي الراجح:

والرأي الراجح والأصوب هو القول الثالث والذي عليه جمهور العلماء وهو الرأي السالم من الاعتراضات وما ذكر من أدلة يكفي لبيان صحة هذا الرأي وترجيحه على غيره .

وتأكيد على ترجيح هذا الرأي نذكر كلام مكي بن أبي طالب حيث قال:" إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم ، وصحت روايتها عن الأئمة ، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووافق اللفظ بها خط المصحف ، مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه واطُرح ما سواه مما يخالف خطه ، فقرئ بذلك لموافقة الخط ، لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه وبعث بها إلى الأمصار وجمع المسلمين عليها ومنع من القراءة ما يخالف خطها"[3].

وقد تميز جمع عثمان للمصاحف بعدة مزايا أهمها[4]:

- الاقتصار على ما ثبت بالتواتر دون ما روي بطريق الآحاد .
- إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقر في العرضة الأخيرة .
- كتابته بلغة قريش غالباً لأنه نزل بلسانهم .
- جرد من كل ما ليس قرآن كالتفاسير التي كتبها الصحابة في مصاحفهم .
- جرد من النقط والشكل مما فسح المجال لقراءته بما يحتمله من الحروف السبعة .

خلاصة في كتابة القرآن وجمعه:

نستطيع القول بأن كتابة القرآن الكريم وجمعه مرَّت بثلاث مراحل.

أما المرحلة الأولى: فكانت في عهد النبي r حيث أمر بكتابته وكان عبارة عن كتابة الآيات

1- ابن الجزري-منجد المقرئين (28) .

2- انظر: منجد المقرئين (28) .

3- مكي بن أبي طالب-الإبانة عن معاني القراءات(22) .

4- انظر: الزرقاني-مناهل العرفان (260/1) .

وترتيبها في مكانها الخاص من سورها ، ولكن هذه الكتابة كانت مفرقة في أماكن متعددة غير مجتمعة في مكان واحد. وكان الهدف من هذه الكتابة وذلك الجمع المبالغة في تسجيل القرآن وتقيده ، وزيادة في التوثيق والضبط وحتى تظاهر الكتابة الحفظ ، ويعاضد التسجيل السطور ما أودعه الله في الصدور[1].

أما المرحلة الثانية: فكانت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث أمر بكتابته وجمعه في مصحف واحد مرتب الآيات مقتصراً فيه على ما لم تنسخ تلاوته مستوثقاً له بالتواتر والإجماع ، وكان الهدف من ذلك الجمع الخوف على ضياع القرآن بموت الحفاظ والقرّاء بعد أن استشهد كثير منهم في المعارك .

أما المرحلة الثالثة: فكانت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث أمر بكتابته في مصحف ثم في مصاحف متعددة وكان الهدف من ذلك الخوف على المسلمين من التفرق والاختلاف في قراءة القرآن فجمع بذلك كلمتهم ووحد صفهم .

وقد بعث بهذه المصاحف إلى الآفاق وأرسل مع كل مصحف قارئاً يقرئ الناس ويعلمهم فكان الناس يقرؤون بما تعلموا دون مخالفة المصحف الذي بعث إليهم وكانت قراءاتهم مختلفة من بلد إلى بلد باختلاف الصحابة الذين علموهم بما تلقوا عن الرسول r ، فاختلف بذلك أخذ التابعين عنهم ، وأخذ تابعي التابعين حتى تصدى للقراءة والإقراء رجالٌ عظماء سخروا حياتهم وجهدهم لهذا العمل العظيموقد اشتهر من بين هؤلاء القرّاء سبعة بل عشرة وهم الذين أجمع المسلمون على ثقتهم وتجردهم للاعتناء بالقرآن الكريم والإقراء وقد كتب الله لهم القبول في الأرض حتى كانت قراءاتهم هي المتواترة المقبولة وأصبح ما دونها اليوم يعتبر شاذ غير مقبول حيث إنه لم يبلغ درجة التواتر . وهؤلاء القراء هم نافع[2]وابن كثير[3] وأبو عمرو[4] وابن عامر[5] وعاصم[6] وحمزة[7] والكسائي[8] وهم السبعة ويلحق بهم أبو جعفر[9] ويعقوب[10] وخلف[11] .

ولكن السؤال المهم في هذا المقام **ما سرُّ اشتهار السبعة دون غيرهم؟**

1- انظر الزرقاني-مناهل العرفان (262/1) .

2- نافع: بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم . ت 169هـ . (غاية النهاية 330/2) .

3- ابن كثير: عبد الله بن كثير بن المطلب أبو معبد ت120هـ . (غاية النهاية443/1) .

4- أبو عمرو: زبان بن العلاء بن عمار بن العريان ت154هـ . (غاية النهاية443/1) .

5- ابن عامر: الأمير عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة ت118هـ .(غاية النهاية423/1) .

6- عاصم: الإمام عاصم بن بهدلة أبي النجود ت129هـ . (غاية النهاية346/1) .

7- حمزة: بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل أبو عمارة ت156هـ . (غاية النهاية361/1) .

8- الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن ت189هـ . (غاية النهاية535/1) .

9- أبو جعفر: يزيد بن القعقاع أبو جعفر المخزومي ت130هـ . (غاية النهاية382/2) .

10- يعقوب: بن إسحاق بن زيد بن عبد الله أبو محمد . ت205هـ . (غاية النهاية386/2) .

11- خلف: بن هشام بن ثعلب بن خلف أبو محمد البزار البغدادي ت229هـ . (غاية النهاية272/1) .

ويجيب عن هذا السؤال الإمام مكي بن أبي طالب فيقول: " أن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد كثيراً في الاختلاف ، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات ، التي توافق المصحف ، على ما يسهل حفظه ، وتنضبط القراءة به ، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدين ، وكمال العلم ، قد طال عمره ، واشتهر أمره بالثقة ، وأجمع أهل مصره على عدالته ، فيما نقل ، وثقته فيما قرأ وروى ، وعلمه بما يقرأ.فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم ، فأفردوا من كل مصر وجَّه إليه عثمان مصحفاً ، إماماً هذه صفته ، وقراءته على مصحف ذلك المصر ، فكان أبو عمرو من أهل البصرة ، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها ، والكسائي من أهل العراق، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام ، ونافع من أهل المدينة.."[1].

ومن خلال ما قاله الإمام مكي وغيره يمكن أن نعدد أسباب اشتهار هؤلاء السبعة بما يلي:

1- فعل الإمام ابن مجاهد[2] بالاقتصار عليهم دون غيرهم في كتابة "السبعة" ، وتابعه الكثير ممن جاء بعده ، مع أنه لم يرد حصر التواتر في هؤلاء السبعة وإنما خصهم لكونهم أشهر وأعظم القرّاء في زمانهم وبلادهم.

2- إن أغلبهم كانوا من التابعين الذين أدركوا الصحابة وأخذوا عنهم القراءة .

3- إنهم كانوا من أمصار العلم والمعرفة الرئيسية التي انبثق منها علم النبوة وحضارة الإسلام.

4- إنهم كانوا من المعمرين مما أتاح لهم أن يعلموا الناس زمناً طويلاً ساعد على شهرتهم .

5- إنهم كانوا جميعاً في الورع والعلم والاستقامة بالمكان الأسمى[3].

هذا عن سر اشتهار السبعة ولكن **ما السر في التقيد بهذا العدد دون زيادة أو نقص؟**

وللعلماء في هذه المسألة أقوال هي:

1- قيل إنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل القرآن بها وهي سبعة ، على أنه لو جعلها أكثر من ذلك لم يمنع لأن عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من ذلك بكثير .

2- وقيل إنه جعل عدد القراء على عدد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار .

3- و قيل إن اختياره للسبعة لم يكن لأحد السببين السابقين و إنما كان عن غير قصد و لا عمد " ذلك أنه أخذ على نفسه أن لا يروي إلا عن من اشتهر بالضبط والأمانة وطول العمر في

1- مكي بن أبي طالب-الإبانة (63) .

2- ابن مجاهد: أحمد بن موسى أبو بكر بن مجاهد ، شيخ الصنعة وأول من سبع السبعة ، قرأ على عبد الرحمن بن عبدوس وقنبل وعنه أحمد الخلال والفارسي والحسن المطوعي وعبد الله الأنطاكي . (طبقات القراء 139/1 ، تذكرة الحفاظ 820) .

3- انظر: عبد الحليم قابة-القراءات القرآنية (192) .

ملازمة القراءة واتفاق الآراء على الأخذ عنه والتلقي منه ، فلم يتم له ما أراده إلا عن هؤلاء السبعة وحدهم"[1] .

والرأي الراجح عندي أن ابن مجاهد جعل القراءات سبعة على عدد الأحرف التي نزل القرآن بها وذلك تبركاً وعلى عدد المصاحف العثمانية غالباً . فاختياره لهذا العدد كان عن قصد وعلم ولم يكن كما قال البعض عن غير قصد ولا عمد ، وليس أدل على ذلك من أنه أثبت الكسائي في موضع يعقوب[2] عند تأليفه كتاب "السبعة" فلو أن العدد عنده غير مقصود لأضاف الكسائي دون رفع يعقوب الذي أجمع العلماء على ثقته وورعه وأنه لا يقل قدراً عن السبعة .

وممن قال بهذا الرأي مكي بن أبي طالب وابن الجزري[3] حيث قال:" قلت والذي قاله الأئمة إن ابن مجاهد لم يجعل القراء الذين في كتابه سبعة دون أن لا يكونوا أكثر أو أقل إلا تأسياً بعدة المصاحف التي وجهت إلى الأمصار من عثمان رضي الله عنه ، وتبركاً بقوله **r** (أنزل القرآن على سبعة أحرف) .

وقد سبق ابن مجاهد في جمع القراءات في كتاب خاص عدد من العلماء كان أولهم وأكثرهم شهرة الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام[4] حيث كان أول إمام معتبر جمع القراءات وقد جعل القراء خمسة وعشرين قارئاً كما صرح بذلك ابن الجزري فقال: "فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة"[5].

وقد كثرت التآليف بعد ابن مجاهد كثرة يعسر حصرها نذكر من أهمها.

من تابعه على السبعة:

1- التيسير ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني[6] .

2- حرز الأماني ، للشاطبي وهي منظومة لكتاب التيسير تسهيلاً لحفظه وتعليمه وقد بسط الله لها القبول وأصبح أمر الإقراء مرتبطاً بها ، فأغنت عن غيرها .

من زاد القراءات إلى عشرة متواترة:

1- الدرة المضيئة في القراءات الثلاثة المرضية ، لابن الجزري .

2- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري .

1- الزرقاني- مناهل العرفان (417/1) .

2- انظر: النشر (36/1) ، منجد المقرئين (72) .

3- انظر: مكي-الإبانة (66) ، ابن الجزري-منجد المقرئين (73) .

4- أبو عبيد: هو القاسم بن سلام ، الحافظ المجتهد ، صاحب التصانيف توفي (224هـ) . (انظر: طبقات القراء 17/2) .

5- ابن الجزري- النشر (33/1) .

6- أبو عمرو الداني: عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم القرطبي الإمام العلم المعروف في زمانه بابن الصيرفي . ولد (371هـ) وتوفي (444هـ) . (انظر: معرفة القراء الكبار 395/1) .

3-طيبة النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، وهي منظومة لكتاب النشر ، اقتفى أثر الشاطبي في منظومته "حرز الأماني" .

وقد أصبحت هذه الكتب الخمسة مرجع القراء في مشارق الأرض ومغاربها.

وهكذا وصلت إلينا هذه القراءات الصحيحة المتواترة وغيرها بما بذله علماء المسلمين من الجهد العظيم بتوفيق الله ورعايته وحفظه لكتابه الكريم حيث تكفل بذلك فقال عز وجل "إنا نحن نزلنا الذكر وا إنا له لحافظون"[1] .

ثالثاً : أركان القراءة الصحيحة .

بعد أن تعرفنا على نشأة علم القراءات ، وعلمنا أن كثيراً من القراء قد اشتهر أمرهم ، وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم وا إتقانهم ، جاء بعدهم قراء اختلفت صفاتهم ، فكان منهم المتقن ، والمقصر ، وكثر بينهم الاختلاف فقام علماء الأمة الذين سخرهم الله لحفظ دينه وقرآنه ، فوضعوا ميزاناً دقيقاً من أجل تمييز الحق من الباطل ، وقد كان لهذا الميزان ثلاثة أركان لبيان القراءة الصحيحة ، وهي:

1. أن تكون القراءة موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً .
2. أن تكون موافقة اللغة العربية ولو بوجه .
3. أن تكون صحيحة السند أو متواترة عن رسول الله r .

ومتى اختل ركن من هذه الأركان أطلق عليها شاذة أو ضعيفة أو باطلة .

قال الإمام مكي وهو يتحدث عن أنواع القراءات " جميع ما روي من القراءات على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به اليوم ، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال ، وهي:

1. أن ينقل عن الثقات إلى النبي r .
2. ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعاً .
3. ويكون موافقاً لخط المصحف ، فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاثة قرئ به وقطع على مغيبه وصحته وصدقه"[2] .

وقال الإمام ابن الجزري:" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين"[3] .

1- الحجر:(9) .

2- مكي بن أبي طالب-الإبانة (39) .

3- ابن الجزري-النشر (15/1) .

وقال في طيبته:

فكل ما وافق وجه نحو و كان للرسم احتمالاً يحوي
و صح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان
و حيثما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه في السبعة[1] .

بيان وتفصيل هذه الأركان:

الركن الأول: موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً :

لقد أجمع علماء المسلمين سلفاً وخلفاً على هذا الشرط ، ولم يخالفهم في ذلك إمام معتبر حيث إن الصحابة الكرام أجمعوا على ما فعله عثمان– رضي الله عنه– من جمع الناس على المصاحف التي كتبها ، وترك وحرق ما سواها.

قال الإمام القرطبي:" وكان ذلك من عثمان –رضي الله عنه– بعد أن جمع المهاجرين والأنصار ، وجلّة أهل الإسلام ، وشاورهم في ذلك ، فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبي ﷺ واطّراح ما سواها ، واستصوبوا رأيه ، وكان رأياً سديداً موفقاً . – رحمة الله عليه وعليهم أجمعين–"[2].

فالتزم المسلمون بعد ذلك برسم المصاحف العثمانية وتركوا قراءات صحيحة كان يقرأ بها حفاظاً على وحدة المسلمين والتزاماً بما فعله أميرهم الأمين ، وإنما اشترط موافقة أحد المصاحف العثمانية لأن المصاحف العثمانية قد وجد فيها بعض الاختلافات من زيادة ونقصان تواترت القراءة بها .

قال القرطبي موضحاً ذلك:" وما وجد بين هؤلاء القراء السبعة من الاختلاف في حروف يزيدها بعضهم وينقصها بعضهم ، فذلك لأن كلاً منهم اعتمد على ما بلغه في مصحفه ورواه ، إذ قد كان عثمان كتب تلك المواضع في بعض النسخ ولم يكتبها فيبعض إشعاراً بأن كل ذلك صحيح ، وأن القراءة بكل منها جائزة"[3] .

فكل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو خالف الباقي تكون صحيحة مثال ذلك:

1– قراءة ابن عامر"وقالوا اتخذ الله ولداً "[4] بغير واو[5]وقراءته أيضاً "بالزبر وبالكتاب المنير"[6] بزيادة الباء في الاسمين وذلك ثابت في المصحف الشامي[7] .

1– ابن الجزري–طيبة النشر في القراءات العشر (32) .
2– القرطبي–الجامع (70/1) .
3– المرجع السابق (71/1) .
4– البقرة: (116) .
5– انظر: ابن الجزري– النشر (16/1) .
6– آل عمران: (184) .
7– انظر: ابن الجزري-النشر (16/1) .

2- قراءة ابن كثير" جنات تجري من تحتها الأنهار"[1] بزيادة (من) فإن ذلك ثابت في المصحف المكي[2]. فهذه القراءات كلها صحيحة لأنها موافقة لأحد المصاحف العثمانية ، فلو لم تكن هذه الاختلافات موجودة في بعض المصاحف العثمانية لكانت القراءة بها شاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه.

ومعنى (ولو تقديراً): أنه يكفي في القراءة أن توافق رسم المصحف ، ولو موافقة غير صريحة ، نحو (ملك يوم الدين)[3] حيث رسمت في المصحف بحذف الألف من كلمة (مالك)، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً كما كتبه (لِ لك الناس)[4] وقراءة الألف تحتمله تقديراً كما كتبه(لِ لكَ المُ لْكِ)[5]فتكون الألف حذفت اختصاراً .

وبقي في هذا الركن ملاحظة وهي أن مخالفة صريح الرسم في الأمور اليسيرة مثل حرف مدغم أو مبدل أو محذوف أو إثبات الياءات الزوائد وحذفها نحو(تسألني) في سورة الكهف أو نحو ذلك لا يُعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة .[6]

وقد اتفق العلماء على هذا الشرط الهام لتسلم القراءات من الشذوذ الحاصل من مخالفة ما أجمع عليه الصحابة الكرام ومن بعدهم وقد أكد الإمام مكي بن أبي طالب هذا المعنى فقال: "إ ن الذ ي في أيدينا من القرآن هو ما في مصحف عثمان الذي أجمع المسلمون عليه ، وأخذناه بإجماع يقطع على صحة مغيبه وصدقه ، والذي في أيدينا من القراءات هو ما وافق خط ذلك المصحف من القراءات التي نزل بها القرآن ، فهو من الإجماع أيضاً وسقط العمل بالقراءات التي تخالف خط المصحف ، فكأنها منسوخة بالإجماع على خط المصحف"[7] .

الركن الثاني: موافقة العربية ولو بوجه:

وحيث إن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين كان من الطبيعي أن يكون من أركان القراءة الصحيحة أن تكون موافقة وجهاً سائغاً من وجوه النحو سواء كان هذا فصيحاً أو أفصح ، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح- وهذا هو الركن الثالث المهم-وقد وجدنا قراءات متواترة للقراء العشرة أنكرها بعض النحاة ، ولكن لم يعتبر إنكارهم ولم يضر؛ لأن أئمة العلماء من السلف والخلف أجمعوا على

1- التوبة: (100) .

2- انظر: ابن الجزري-النشر (16/1) .

3- الفاتحة: (3) .

4- الناس: (2)

5- آل عمران: (26) .

6- انظر: ابن الجزري-النشر (17/1-18) .

7- انظر: مكي-الإبانة (31) .

قبول تلك القراءات لأنها صحيحة من جهة السند –بداية– ولها وجه في العربية قد يكون خفي هذا الوجه على من أنكر تلك القراءة ، وخفي عليه أيضاً تواتر تلك القراءة وأنه لا يجوز ردها[1] .

ومن أمثلة هذه القراءات:

– إسكان "بارئْكم"[2] عند أبي عمرو. قال أبو عمرو الداني في كتابه (جامع البيان) بعد ذكره هذه الآية ، وحكايته إنكار سيبويه الإسكان أصح في النقل ، وأكثر في الأداء ، وهو الذي أختارُه، وآخذ به... وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل ، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها"[3] .

ومن خلال هذا المثال وغيره نلاحظ أن هذا الركن قد انطبق تمام الانطباق على ما استقر عند الأئمة من قراءات نتعبد الله بها ونتقرب إليه بتلاوة القرآن عليها وهي القراءات العشر المشهورة.

وخلاصة الكلام في هذا الركن أن علماء النحو إنما استمدوا قواعده من كتاب الله تعالى وكلام رسوله وكلام العرب ، فإذا ثبتت قرآنية القراءة بالرواية المتواترة كانت القراءة هي الحكم على علماء النحو وما قعَّدوا من قواعد؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها[4].

الركن الثالث: أن تكون القراءة صحيحة السند ، أو متواترة عن رسول الله ﷺ .

وقد اتفق العلماء في الركنين السابقين لكنهم اختلفوا في هذا الركن إلى فريقين .

الأول: اكتفى بصحة السند مع الشهرة عند الأئمة، وألا تكون القراءة معدودة عندهم من الغلط أو الشذوذ. وممن قال بذلك مكي بن أبي طالب[5]، وأبو عمرو الداني[6]، وابن الجزري وغيرهم. قال مكي:"إنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا أن ما صح سنده واستقام وجهه في العربية، ووافق لفظه خط المصحف، فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون ألفاً، مفترقين أو مجتمعين ، فهذا الأصل الذي بُني عليه من قبول القراءات عن سبعة أو سبعة آلاف"[7].

1– انظر: ابن الجزري-النشر (15/1) .

2– البقرة: (54) .

3– ابن الجزري-النشر (16/1) .

4– انظر:النشر (16/1) ، مناهل العرفان (422/1) ، القراءات القرآنية (160) .

5– مكي بن أبي طالب: أبو محمد القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي ، إمام علامة محقق عارف أستاذ الإقراء ، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة بالقيروان ، رحل كثيراً في طلب العلم وألف عدداً من المؤلفات منها: التبصرة في القراءات ، ومشكل إعراب القرآن ، والإبانة وغيرها ، توفي في ثاني المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (انظر: غاية النهاية 309/2) .

6– أبو عمرو الداني: عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي مولاهم القرطبي المعروف في زمانه بابن الصيرفي ، الإمام العلامة الحافظ شيخ مشايخ المقرئين ،ولد سنة 371هـ ، له مؤلفات كثيرة منها: جامع البيان في القراءات السبع ،والتيسير المشهور وكتاب المقنع ، وغيرها الكثير ، توفي بدانية بالأندلس يوم الإثنين منتصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة (انظر:غاية النهاية 50/1).

7– مكي–الإبانة (67) .

فكلامه هذا واضح وصريح باكتفائه بصحة السند مع الركنين الآخرين لقبول القراءة .

وقال ابن الجزري: في معرض شرحه للأركان الثلاثة:" وقولنا (وصح سندها) فإنما نعني به أنه يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذا حتى تنتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم"[1] .

ونلاحظ من كلام ابن الجزري أنه لم يكتف بصحة السند فقط بل أضاف إليها أن تكون مشهورة عن الأئمة الثقاة، وأن لا تكون معدودة من الغلط أو مما شذ. وبهذه الشروط التي أضافها إلى صحة السند ، لم يبق فرق كبير بين قول الفريقين حيث إن الشهرة قريبة من التواتر ، وبإضافة الركنين الأولين إلى الشهرة تكاد تكون مساوية للتواتر في إفادة العلم القاطع بأنها قراءة صحيحة مقبولة[2]. ثم إن ابن الجزري يوضح السبب المهم الذي جعله يجنح عن القول بشرط التواتر إلى القول بصحة السند حيث يقول:"إذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف، انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم، ولقد كنت أجنح إلى هذا القول ثم ظهر فساده ، وموافقة أئمة السلف والخلف"[3]. فهذا الكلام مقنع يجب أن يكون له اعتبار في المسألة وهو رأي وجيه .

الثاني: لم يكتف بصحة السند وإنما اشترط التواتر مع الشرطين الآخرين لإثبات قرآنية القراءة وممن قال بذلك الإمام علي النوري الصفاقسي[4] ، والإمام أبو القاسم النويري[5] ، وكثير من الفقهاء والمحدثين والقراء. قال الإمام الصفاقسي: " مذهب الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء ، أن التواتر شرط في صحة القراءة ، ولا يثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية"ثم ذكر رأي مكي وابن الجزري وعلق عليه بقوله: "وهذا قول محدث لا يعول عليه ويؤدي إلى تسوية غير القرآن بالقرآن"[6] .

وقال أبو القاسم النويري: " عدم اشتراط التواتر قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم"[7] .

الرأي الراجح:

1- ابن الجزري- النشر (18/1) [وقد سبقت ترجمته] .

2- انظر: الزرقاني-مناهل العرفان (427/1) .

3- ابن الجزري-النشر (18/1) .

4- الصفاقسي: علي بن محمد النوري الصفاقسي أبو الحسن ، مقرئ من فقهاء المالكية ، رحل إلى المشرق وعاد ، من كتبه (تنبيه الغافلين ط) توفي عام (1118هـ) . (انظر: ترتيب الأعلام على الأعوام 615/2) .

5- أبو القاسم النويري: محمد بن محمد بن محمد ، محب الدين النويري ، فقيه مالكي عالم بالقراءات ، ولد في مصر وأقام في غزة والقدس ودمشق وتوفي بمكة 857هـ . له مؤلفات أهمها (شرح طيبة النشر في القراءات العشر) . (انظر: الأعلام 48/7) (الضوء اللامع 246/9) .

6- الصفاقسي-غيث النفع في القراءات السبع (6) .

7- البنا الدمياطي-إتحاف فضلاء البشر (8) .

إن القول باشتراط التواتر بقبول القراءة وا ٍثبات قرآنيتها قول يتماشى مع القواعد المنطقية، وينسجم مع ما يترتب على القول به من أحكام الشريعة الإسلامية فضلاً عن أنه قول جمهور أهل العلم سلفاً وخلفاً .ولكن يجب أن لا ننسى أن عدم اشتراط التواتر لا يستلزم قبول أي قراءة صح نقلها لأنه أضيف لهذا الشرط الشهرة والاستفاضة مع الركنين الآخرين مما يكسب القراءة قوة القطع بها ويصيرها في حكم المتواتر. فآل الأمر –على القولين– إلى حال لا يترتب عليه أي خلاف يذكر ، فأصبح الخلاف كأنه لفظي ،لأن الأمر استقر على قبول القراءات العشر ، سواء أقلنا بتواترها جملة وتفصيلاً ، أم قلنا إن بعض ما فيها لم يصل إلى درجة التواتر ذلك أنها تلقيت بالقبول وحصل عليها الإجماع[1].

رابعاً : أنواع القراءات.

يمكن لنا أن نقسم القراءات حسب التسلسل الزمني لها ، حيث إن كل فترة مرت بها القراءات كان لها تقسيم معين ، ويمكن لنا أن نبدأ بالقرن الرابع الهجري وتحديداً في بدايته وذلك بعد ابن مجاهد مسبع السبعة ، حيث إن كثيراً من العلماء تابع ابن مجاهد على ذلك ، ومنهم من خالفه فزاد إلى العشرة ، واتفقت الأمة بعد ذلك على صحة العشرة وقبولها ومن العلماء من زاد على العشرة لكنه لم يكتب لتلك القراءات القبول والشهرة لدى الأمة فكان ما زاد على العشرة يعد من القراءات الشاذة وذلك إلى عصرنا .

وفي ذلك الوقت اشتهرت القراءات السبع شهرة عظيمة وأصبح يطلق على ما دونها من القراءات شاذة رغم أن بعضها صحيح كما علمنا .

وقد بيَّن ابن جنّي[2] ذلك حيث قال عن القراءات: "ضربين:ضربلاًجتمع عليه أكثر قُر ّاء الأمصار ، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد كتابه الموسوم بقراءات السبعة ، وهو بشهرته غانٍ عن تحديده .وضرباً تعدَّى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً ، أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة المتقدم ذكرها إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه"[3]. ونعتقد أن هذا التقسيم هو **التقسيم الأول** للقراءات بعد تدوينها والتأليف فيها وتسبيعها. حيث:

القسم الأول: القراءات الصحيحة التي أجمع عليها أكثر القراء، وهي قراءات الأئمة السبعة.

القسم الثاني: القراءات الشاذة ، وهي ما عدا القراءات السبع المتواترة .

1– انظر: عبد الحليم قابة– القراءات القرآنية (169) ، وانظر: الزرقاني–مناهل العرفان (429/1) .

2– ابن جني: عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح أديب نحوي ، صرفي ، لغوي ، مشارك في بعض العلوم ولد قبل سنة 330هـ ، سكن بغداد وتوفي بها ، له تصانيف كثيرة منها: سر الصناعة وأسرار البلاغة ، والكافي في شرح كتاب القوافي للأخفش ، وشرح كتاب الشواذ لابن مجاهد في القراءات وسماه المحتسب . (معجم المؤلفين 251/3) .

3– ابن جني–المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات (32/1) .

مع ملاحظة أمر مهم، وهو أن التسمية – في ذلك الوقت – لما زاد على السبعة بأنه شاذ إنما أريد به ما شذ عن السبعة، لا أن ّ ما زاد عليها اعتبر ضعيف الإسناد أو أنه لا تجوز القراءة به؛ وذلك أن بعض القراءات غير السبعة قد تكون في مرتبة مساوية للقراءات السبع في ذلك الوقت.

يقول مكي بن أبي طالب في هذا المعنى " وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة ، وأجل ّ قدراً من هؤلاء السبعة"[1] .

التقسيم الثاني: وهو تقسيم مكي بن أبي طالب للقراءات:

وقد قسم القراءات من حيث القبول والقراءة بها وعدمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما هو مقبول ويقرأ به وهو ما اجتمع فيه ثلاثة شروط .

1- أن ينقل عن الثقاة إلى النبي **r** .

2-ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعاً .

3-ويكون موافقاً لخط المصحف .

فإذا اجتمعت فيه هذه الشروط الثلاثة كانت القراءة مقبولة يقرأ بها .

القسم الثاني: ما يقبل ولا يقرأ به . وهو ما صح نقله عن الآحاد وصح وجهه في العربية ، وخالف لفظه خط المصحف . وسببا عدم القراءة به هما:

1- أنه مخالف لخط المصحف المجمع عليه .

2- أنه أخذ بأخبار الآحاد ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الآحاد .

القسم الثالث: ما لا يقبل ولا يقرأ به ، وهو ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية ، وا ٍن وافق خط المصحف[2] .

ذكر الإمام مكي هذه الأقسام دون التمثيل لكل قسم طلباً للاختصار ، فجاء الإمام ابن الجزري فمثل لكل نوع من هذه الأنواع في كتابه النشر في القراءات العشر[3] .

التقسيم الثالث: وهو تقسيم ابن الجزر ي للقراءا ت:

بين ابن الجزري أن القراءات الصحيحة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط كذا إلى منتهاه ، ووافق العربية والرسم. وبين أن هذا القسم ينقسم إلى ضربين: **الأول:** ما استفاض نقله وتلقاه الأئمة بالقبول كما انفرد به بعض الرواة، وبعض الكتب المعتبرة، أو كمراتب القراء في المد ونحو ذلك، وهذا الضرب يلحق بالقراءة المتواترة وا ٍن لم يبلغ مبلغها.

1- مكي-الإبانة (26) .

2- انظر: مكي-الإبانة (39-40) .

3- انظر: ابن الجزري-النشر (19/1) .

الثاني: ما لم تتلقه الأمة بالقبول ولم يستفض وقد أجاز بعض العلماء القراءة والصلاة به لكن ما أفتى به أكثر العلماء عدم جواز القراءة والصلاةبما وراء القراءات العشر.

القسم الثاني: ما وافق العربية وصح سنده وخالف الرسم. مثل ما كان من زيادة أو نقص أو إبدال كلمة بأخرى مما جاء عن بعض الصحابة فهذه القراءة تسمى شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه وا ٍن كان سندها صحيح ، فلا تجوز القراءة ولا الصلاة بها[1] .

ومن خلال هذا التقسيم يمكن القول إن القراءات عن ابن الجزري تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: القراءات المتواترة وهي العشرة .

الثاني: القراءات الصحيحة الجامعة لأركان القراءة الصحيحة ولكن مع عدم الاستفاضة وعدم تلقي الأمة لها بالقبول .

ويمكن اعتبار القراءات الأربعة التي بعد العشرة مثالاً لهذا القسم[2] .

وهي قراءة 1–الحسن البصري[3] ، 2– وابن محيصن[4] ، 3–واليزيدي[5] ، 4–والأعمش[6] .

الثالث: القراءات الشاذة: وهي ما صح سندها ، ووافقت العربية وخالفت المصحف .

وقد مثل لها بما كان من زيادة وا ٍبدال كلمة بأخرى مما صح سنده عن الصحابة .

التقسيم الرابع: وهو تقسيم الإمام جلال الدين السيوطي للقراءات: وقد قسم القراءات القرآنية إلى ستة أقسام:

الأول: المتواتر: وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه ، وهو ما يقرأ به .

الثاني: المشهور: وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ووافق العربية والرسم واشتهر عند القراء .وهذا يقرأ به أيضاً .

الثالث: الآحاد: وهو ما صح سنده ، وخالف الرسم ، أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار الكبير. وهذا لا يقرأ به .

1– انظر: ابن الجزري–منجد المقرئين (24) .

2– انظر: د .عبد الرحمن الجمل: (منهج الطبري في القراءات) (23) .

3– الحسن البصري: هو الإمام الحسن ابن أبي الحسن يسار ، أبو سعيد البصري ، تابعي جليل (ت110هـ) ، روى القراءة عنه شجاع بن أبي نصر البلخي ، والدوري الذي روى عن الكسائي .(انظر: سير أعلام النبلاء 563/4) .

4– ابن محيصن: هو الإمام محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي المكي (ت 123هـ) ، روى عنه البزي راوي ابن كثير وروى عنه كذلك أبي الحسن بن شنبوذ . (انظر: غاية النهاية 167/2) .

5– اليزيدي: هو الإمام يحيى بن مبارك بن المغيرة أبو محمد اليزيدي . (ت202هـ) روى عنه سليمان بن الحكم وأحمد بن فرح . (انظر: غاية النهاية 375/2) .

6– الأعمش: هو الإمام سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي (ت148هـ) وروى عنه الحسن بن سعيد المطوعي وأبو الفرج الشنبوذي الشطر ي . (انظر: غاية النهاية 315/1) .

الرابع: الشاذ: وهو ما لم يصح سنده . ومثاله قراءة (لَكَ يوم الدين)[1] بصيغة الماضي . وهذا لا يقرأ به .

الخامس: الموضوع: هي القراءة المكذوبة المنسوبة إلى قائلها افتراء كالقراءة المنسوبة إلى أبي حنيفة زوراً – ومنها (يخشى الله من عباده العلماء)[2] برفع الله ( ) ونصب العلماء ( ) . وهذا النوع لا يعد قراءة وإنما سمِّي قراءة نسبة إلى راويه[3] .

السادس: المدرج: وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير وهذا النوع أيضاً لا يعد قراءة كسابقه[4] .

وخلاصة القول في أنواع القراءات:

أن القراءات في عصرنا الحاضر تنقسم إلى قسمين أساسيين:

الأول: القراءات الصحيحة التي يقرأ بها وهي القراءات العشرة المتواترة على الصحيح من أقوال العلماء[5] .

الثاني: القراءات الشاذة بأنواعها المتعددة التي سبق ذكرها والتي فقدت أحد شروط القراءة الصحيحة ، وهي ما دون القراءات العشرةفهذا النوع من القراءات لا تجوز القراءة بها وإنما يمكن الاحتجاج بها في الفقه واللغة والنحو والمعنى وغير ذلك. وتأكيداً على ما تقدم من كلام نذكر قول الإمام الدمياطي الشهير بالبنّا للاستئناس به حيث يقول: " وقد أجمع الأصوليون والفقهاء وغيرهم على أن الشاذ ليس بقرآن لعدم صدق الحد عليه ، والجمهور على تحريم القراءة به ، وإنه إن قرأ به غير معتقد أنه قرآن ولا يوهم أحداً ذلك بل لما فيه من الأحكام الشرعية عند من يحتج به أو الأحكام الأدبية ، فلا كلام في جواز قراءته وعليه يحمل من قرأ بها من المتقدمين ، قالوا وكذا يجوز تدوينه في الكتب والتكلم على ما فيه وأجمعوا على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على العشرة المشهورة"[6] .

وهكذا نكون قد تعرفنا على أنواع القراءات منذ نشأتها حتى عصرنا الحاضر .

هذا والله أعلم

1- الفاتحة: (3) .

2- فاطر: (28) .

3- انظر: د .نبيل محمد إسماعيل- علم القراءا ت (45) .

4- انظر: السيوطي-الإتقان في علوم القرآن (168/1) .

5- انظر: ابن الجزري-النشر (41/1) ، وعلي الصفاقسي-غيث النفع (7) .

6- الدمياطي الشهير بالبنا-إتحاف فضلاء البشر (8) .

الفصل الأول

القرطبي ترجمته وحياته العلمية وعصره وأثر ذلك فيه

وفيه ثلاثة مباحث:

1. **المبحث الأول:ترجمته.**
   - **أ- المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه ولقبه.**
   - **ب- المطلب الثاني: مولده ونشأته.**
   - **ج- المطلب الثالث: وفاته.**
2. **المبحث الثاني: حياته العلمية.**
   - **أ- المطلب الأول: رحلاته في طلب العلم.**
   - **ب- المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.**
   - **ج- المطلب الثالث: آثاره العلمية.**
3. **المبحث الثالث: عصر القرطبي.**
   - **أ- المطلب الأول: الحالة السياسية والاجتماعية.**
   - **ب- المطلب الثاني: الحالة العلمية.**

المبحث الأول

ترجمة[1]
الإمام القرطبي

المطلب الأول
اسمه وكنيته ونسبه ولقبه

اسمه: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَ ْح -بفتح الفاء وا إسكان الراء والحاء المهملة -.

كنيته: أبو عبد الله.

نسبه ولقبه: الأنصاري، الخزرجي[2]، الأندلسي، القرطبي المفسِّر.

المطلب الثاني
مولده ونشأته

ولد الإمام القرطبي بقرطبة في عصر الموحدين بالأندلس، ولم تشر المر اجع التاريخية إلى السنة التي ولد فيها.

ومن خلال البحث يمكن القول إن ولادته كانت في العقد الأخير من القرن السادس الهجري أو في بداية القرن السابع الهجري وهو الأرجح.

أما عن نشأته فلم تتحدث كذلك الكتب التي ترجمت للقرطبي عن نشأته وحياته إلا الشيء اليسير، وربما يرجع ذلك إلى أن القرطبي لم يتكلم عن حياته رغم مؤلفاته الكثيرة وربما لأن

1- إذا أردت المزيد، انظر: ترجمته

- شذرات الذهب (335/5)
- نفح الطيب (345/2)
- معجم المؤلفين (239/8)
- طبقات المفسرين(945/2)
- كشف الظنون (422/1)
- الوافي بالوفيات (122/2)
- الأعلام (322/5)
- طبقات المفسرين للسيوطي (79)
- التفسير والمفسرون (493/2)
- القرطبي ومنهجه في التفسير (6)

2- ينسب إلى الخزارجة الذين سكنوا الأندلس،وينسب الخزرج إلى سعد بن عبادة صاحب رسول الله r. انظر (نفح الطيب 136/1)

القرطبي لم يكن من أسرة عريقة في العلم أو الجاه أو السلطان لذلك ظل مجهولاً .

ويمكن القول إن القرطبي نشأ في كنف أبيه ورعايته، وقد كان أبوه يشتغل بالزراعة، ولما بلغ من العمر سن التعليم تعلم العربية والشعر إلى جانب تعلمه القرآن الكريم وهذه الطريقة في التعليم انفرد بها أهل الأندلس وهم في هذا يخالفون كثير من الأمصار الإسلامية الأخرى حيث يتعلم الصبيان القرآن وحده أولاً دون سائر العلوم[1]. وقد واصل القرطبي تعليمه متنقلاً بين حلقات العلم والعلماء في قرطبة التي كانت يومئذ مجمع العلوم والمعارف ومقصد الطلاب.

و نطلع على شيء من حياته وهو في مرحلة تلقي العلم فيما يخبرنا به القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى:(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)[2].

قال في المسألة الخامسة:" العدو إذا صبَّح قوماً في منزلهم ولم يعلموا به فقتل منهم فهل يكون حكمه حكم قتيل المعترك، أو حكم سائر الموتى؟ وهذه المسألة نزلت عندنا بقرطبة أعادها الله: أغار العدو – قصمه الله – صبيحة الثالث من رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وستمائة والناس في أجرانهم على غفلة، فقتل وأسر، وكان من جملة من قتل والدي رحمه الله، فسألت شيخنا المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بأبي حجة فقال، غسِّله وصل عليه، فإن أباك لم يقتل في المعترك بين الصفين ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع ابن أبي ّ فقال إن حكمه حكم القتلى في المعترك. ثم سألت قاضي الجماعة أبا الحسن علي بن قطرال وحوله جماعة من الفقهاء فقالوا: غسله وكفنه وصل عليه، ففعلت. ثم بعد ذلك وقفت على المسألة في (التبصرة) وغيرها، ولو كان ذلك قبل ذلك ما غسلته، وكنت دفنته بدمه وثيابه "[3].

ويمكن أن نستنتج من هذه القصة أموراً عديدة وهي:

– أن القرطبي كان في ذلك التاريخ وهو سنة 627 هـ يتلقى العلم ويطلبه على أيدي علماء أجلاء كبار، وأنه لم يكن قد استكمل دراسته حيث كان يسأل ويستفتي.

– أن القرطبي كان ذو عزيمة قوية يشق طريق العلم ويسير في دروبه دون كلل أو ملل فها هو يسأل في المسألة الواحدة أكثر من شيخ جليل ويطالع الكتب ليحصل على العلم الكامل والجواب الشافي لما يسأل عنه حتى اهتدى إلى ما هداه الله إليه.

– أن القرطبي يشير إلى بعض شيوخه الذين تتلمذ عليهم في الأندلس.

– أن هذه الحادثة نستأنس بها على ما قلناه عن مولد القرطبي وأنه ولد في بداية القرن السابع.

– ولقد كانت قرطبة حاضرة الأندلس في ذلك الوقت حيث حلقات العلم منتشرة بجميع المدن

1– انظر: ابن خلدون –المقدمة (536).

2– آل عمران: (169).

3– القرطبي– الجامع (282/4).

الأندلسية وكانت المساجد أماكن هذه الحلقات بالإضافة إلى المدارس والمكتبات التي أنشأها الأندلسيون في كل مكان[1].

وقد استفاد القرطبي من هذا الجو العلمي حيث العلماء الكبار والمدارس والمكتبات العامرة بالكتب فنشأ نشأة علمية شاملة حيث الثقافة التي كانت شائعة بالأندلس في ذلك العصر، وفي أكثر عصور المسلمين هناك متنوعة، حيث العلوم الدينية، وعلوم اللغة والنحو والتاريخ والأدب، واستمر القرطبي في ذلك الجو العلمي حتى وصل إلى درجة عالية من الثقافة والعلم والدين والورع حتى قدم إلى مصر[2]، في وقت لم تشر كتب التاريخ والتراجم إلى تحديده.

ومما يساعدنا في معرفة ذلك الوقت على وجه التقريب لا التحديد، ما حكاه القرطبي عن نفسه في تفسيره عند قوله تعالى﴿ إذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾[3]. قال: " قلت: ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس بحصن منثور من أعمال قرطبة مثل هذا. وذلك أني هربت أمام العدو وانحزت إلى ناحية عنه، فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان وأنا في فضاء من الأرض قاعد ليس يسترني عنهما شيء، وأنا أقرأ أول سورة يس وغير ذلك من القرآن، فعبرا عليَّ ثم رجعا من حيث جاءا وأحدهما يقول للآخر هذا دَيْ بِلُه، يعنون شيطاناً . وأعمى الله عز وجل أبصارهم فلم يروني، والحمد لله حمداً كثيراً على ذلك "[4].

ويمكن أن نستنتج من هذا الكلام أن ذلك الحصن الذي أشار إليه القرطبي هو أحد الحصون التي تقع حول قرطبة والتي استولى عليها النصارى الأسبان وذلك ليسهل عليهم إسقاط قرطبة.

ولعل هذا الحصن سقط مع تلك الحصون سنة 632هـ تقريباً، ولما سقطت قرطبة سنة 633هـ غادرها أهلها وكان القرطبي واحداً منهم، وقد قدم إلى الإسكندرية بعد خروجه من الأندلس.

ويمكن القول أن القرطبي قدم إلى الإسكندرية قبل سنة 648هـ، حيث إنه تتلمذ على الإمام المحدث ابن رواج الذي كانت وفاته في 18 ذي الحجة سنة 648هـ كما تذكر المراجع التاريخية[5].

ولقد تلقى القرطبي العلم في الإسكندرية على علماء أجلاء برزوا في نواح متعددة من فقه وحديث وتفسير وقراءات ولغة، فانعكس ذلك على شخصيته وما أنتجه من مؤلفات قيمة.

1- انظر: المقري-نفح الطيب (7/2).

2- القصبي زلط -القرطبي ومنهجه في التفسير (18).

3- الإسراء:(45).

4- القرطبي-الجامع (275/10).

5- انظر: ابن العماد الحنبلي-شذرات الذهب (242/5).

ثم انتقل إلى القاهرة قاصداً الصعيد حيث إن القاهرة تقع في طريقه، وفي القاهرة مكث فترة ليلتقي ببعض شيوخها وعلمائها ثم انتقل إلى منية بني خصيب[1] واستقر بها إلى أن انتقل إلى الدار الآخرة.

المطلب الثالث

وفاته

لقد استقر القرطبي في آخر حياته في منية بني خصيب ولعل اختياره لها هو أنها الأكثر أمناً في مصر في ذلك الوقت خلافاً لحال الإسكندرية وما حولها حيث مباغتة الصليبيين لها بين الفينة والأخرى،ومن القاهرة عاصمة مصر حيث الخلافات الدائمة على الملك والسلطان.

ولقد توفي ر حمة الله عليه بمنية بني خصيب بعد عمر معمور بالعبادة والتصنيف مشغول بما يعنيه من أمور الآخرة في ليلة الإثنين التاسع من شوال سنة 671هـ وقبره معروف (بالمنيا) بشرق النيل، وقد تم بناء مسجد كبير يحمل اسم القرطبي سنة 1971م بالمنيا، يضم هذا المسجد ضريحاً نقلت رفات القرطبي إليه من الضريح القديم[2].

1- (منية بني خصيب) مدينة كبيرة حسنة، كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى تسمى الآن المنيا. (انظر: معجم البلدان 253/5).

2- انظر: الداود يـطبقات المفسرين (945/2)، القصبي زلط-منهج القرطبي(30)، المقري- نفح الطيب(345/2)

المبحث الثاني

حياته العلمية

المطلب الأول: رحلاته في طلب العلم.

لقد ولد القرطبي ونشأ في قرطبة –كما أسلفنا– مدينة العلم والعلماء، ومصدر الإشعاع والنور وكان لذلك الأثر العظيم على حياته العلمية، وقد تنقل بين حلقات العلم والعلماء منذ نعومة أظفاره، طالباً للعلم بعزيمة قوية وا رادة لا تعرف الملل. وفي قصة استشهاد والده التي ذكرنا [1] خير دليل على تلك العزيمة القوية في طلب العلم، وأنه كان على اتصال وثيق بعلماء عصره الكبار، يأخذ عنهم العلم ويستفتيهم فيما يصعب عليه من مسائل في أمور دينه ودنياه.

وأما عن رحلاته في طلب العلم فلم تسعفنا المصادر التاريخية عن رحلات علمية كانت له غير رحيله من مسقط رأسه قرطبة إلى بلده الثاني مصر والتي فيها عاش بقية حياته.

ولقد كانت للقرطبي محطات علمية في مصر قبل وصوله إلى مستقره الأخير في منية بني خصيب.

وأهم هذه المحطات[2]:

–الإسكندرية: حيث إنها البوابة الشمالية والميناء البحري لكل من قصد مصر من الأندلسيين وغيرهم ممن يأتي من جهة الشمال.

وقد تلقى القرطبي في الإسكندرية–محطته الأولى– أنواعاً من العلوم الإسلامية على أيدي علماء أجلاء عظماء مثل (ابن رواج)[3]والذي كان من أئمة الحديث والفقه، قال عنه الذهبي "كان فقيهاً فطناً ديناً متواضعاً صحيح السماع انقطع بموته شيء كثير".[4] ومنهم (أبو العباس القرطبي)[5].

وبعد فترة من الزمن انتقل إلى القاهرة محطته الثانية.

–القاهرة: وحيث إن القاهرة في طريق من يأتي من الإسكندرية يقصد الصعيد، وقد كانت عاصمة مصر وموطن كثير من العلماء فقد التقى القرطبي ببعض علمائها مثل " ابن الجميزي" و"البكري"[6] فأخذ العلم عنهم وعن غيرهم ثم رحل عن القاهرة.

1– انظر: فيما سبق مبحث مولده ونشأته.

2– انظر: عدنان الكحلوت– الأحاديث الواردة في الجامع لأحكام القرآن، رسالة دكتوراة ص(9).

3– " ابن رواج " ستأتي ترجمته في مبحث "شيوخه".

4– الذهبي– سير أعلام النبلاء (237/23).

5– " أبو العباس القرطبي " ستأتي ترجمته في مبحث " شيوخه ".

6– انظر: ترجمتهما في مبحث "شيوخه".

–الفيوم: حيث ثبت [1] أن القرطبي رافق الشيخ شهاب الدين القرافي في سفر إلى الفيوم سنة 684هـ ومن هذا السفر نستنتج أن القرطبي التقى ببعض العلماء في الفيوم وتلقى عليهم العلم ومن هؤلاء العلماء صاحبه في السفر الشيخ القرافي حيث إنه كان عالماً بارعاً في الفقه والأصول وغيرها، ولا بد أن القرطبي قد استفاد من علمه وفقهه.

–منية بني خصيب: وكانت هذه المدينة –كما سبق – المحطة الأخيرة في حياة القرطبي.

وكانت هذه الفترة التي عاشها في منية بني خصيب هي فترة العطاء والإنتاج عند القرطبي بعد أن بلغ مبلغاً عظيماً في العلم، فقد كان موسوعة في علوم كثيرة مثل الفقه والتفسير والعربية والقراءات وغيرها.

وقد كانت كتبه التي ألفها خير دليلوشاهد على سعة علمه وتبحره وا إمامته وكثرة اطلاعه، ووفورة عقله.[2] رحمه الله رحمة واسعة، ونفعنا الله بعلمه.

المطلب الثاني

شيوخه وتلاميذه

لقد تتلمذ الإمام القرطبي – رحمه الله– على شيوخ كبار في الأندلس موطنه الأول، ثم التقى بشيوخ في مصر تلقى عليهم العلم، وقد استفاد من علمهم، وأفادهم من علمه؛ حيث إنه وصل إلى مصر وهو على درجة كبيرة من العلم.

أولاً : شيوخه: أ– في الأندلس:

[1] أبو جعفر أحمد بن محمد بن القيسي القرطبي المعروف بأبي حجة: [3]

من أهل قرطبة، ولما سقطت قرطبة في أيدي النصارى سنة 633هـ انتقل إلى (إشبيلية)[4] ومكث بها حيناً ثم اتجه إلى (ميورقة)[5] فأسرته الروم، و امتحن بالتعذيب وتوفي على أثر ذلك بميورقة سنة 643هـ.كان عالماً بالعربية وعلوم القرآن وتصدر لإقراء القرآن، وله مؤلفات

عديدة منها: مختصر التبصرة في القراءات، وتسديد اللسان لذكر أنواع البيان، وتفهيم القلوب آيات علام الغيوب. وقد ذكره القرطبي في تفسيره في مواضع عديدة.[6]

[2] أبو سليمان، ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع ابن أبي[1].

1– انظر: الصفدي– الوافي بالوفيات (122/2).

2– انظر: السيوطي– طبقات المفسرين(79).

3– انظر: ترجمته ابن الآبار –التكملة لكتاب الصلة (108/1)، والأعلام للزركلي (219/1).

4– (إشبيلية): بكسر الهمزة وسكون الشين وكسر الباء، مدينة عظيمة بالأندلس غربي قرطبة. (انظر: معجم البلدان 232/1).

5– (ميورقة): بالفتح والضم وسكون الواو والراء، جزيرة في شرق الأندلس. (انظر: معجم البلدان 285/5).

6– انظر: القرطبي–الجامع (282/4، 369/5)

ابن قرطبة وقاضيها، كان رجلاً صالحاً، عدلاً في أحكامه، نبيه القدر، خرج من قرطبة لما استولى عليها الروم سنة 633هـ فنزل إشبيلية وبها توفي[2].

[3] أبو عامر، يحيى ابن عامر بن أحمد بن منيع الأشعري[3].

من أهل قرطبة، وقد ذكره القرطبي في تفسيره، عند الآية الخامسة والأربعين بعد المائتين من سورة البقرة حيث قال:" أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام المحدث القاضي أبو عامر يحيى بن عامر بن أحمد بن منيع الأشعري نسباً ومذهباً بقر طبة أعادها الله، في ربيع الآخر عام ثمانية وعشرين وستمائة قراءة مني عليه..."[4].

ونستنتج من كلام القرطبي أنه تلقى العلم على هذا الشيخ بقرطبة مع تحديد دقيق لتاريخ التلقي، وأن له رواية عن هذا الشيخ في سبب نزول هذه الآية متصلة إلى النبي **r** .

[4] أبو الحسن، علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري القرطبي "ابن قطرال".

ولد سنة 563هـ، قال الذهبي:" ولي قضاء أبزة فأسره العدو لما أخذوها سنة 609هـ، ثم تخلص، وولي قضاء شاطبة وخطبتها، ثم سبتة، ثم قضاء فاس، وكان من رجال الكمال علماً وعملاً يشارك في عدة فنون ويمتاز بالبلاغة".

قال ابن الآبار "مات في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وستمائة. عاش ثمانياً وثمانين سنة، وهو أحد أعلام زمانه "[5]. وقد ذكره القرطبي في تفسيره[6].

ب- شيوخه بمصر:

[1] "ابن رواج": أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح بن أبي الحسن القرشي الإسكندراني (554-648هـ) من علماء الإسكندرية وأئمتها في الحديث والفقه.

قال الذهبي: "الشيخ الإمام المحدث مسند الإسكندرية رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن رواج واسمه ظافر بن علي بن فتوح الأزدي الإسكندراني المالكي، ولد سنة 554هـ. ..كتب لنفسه فأكثر عن السلفي وسمع من أبي الطاهر بن عوف. .وكان فقيهاً فطناً ديناً متواضعاً صحيح السماع انقطع بموته شيء كثير وكانت وفاته سنة 648هـ، 18 ذ ي القعدة"[7].

[2] "ابن الجميزي": العالم الجليل بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم بن أحمد بن علي اللخمي المصري الشافعي كان عالماً كبيراً بالقراءات و الحديث والفقه وكانت له

1- المرجع نفسه(282/4)، انظر ابن آبار-التكملة(260/1).

2- انظر: ابن آبار-التكملة(67/1).

3- القرطبي- الجامع (234/3).

4- المرجع نفسه(234/3).

5- انظر: ترجمته ابن آبار- التكملة (191/3)، شذرات الذهب (438/7).

6- القرطبي- الجامع(282/4).

7- انظر: ترجمته الذهبي- سير أعلام النبلاء (237/23).

رحلات علمية التقى فيها بكثير من العلماء وأخذ عنهم فقرأ القراءات العشر على ابن عصرون عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي توفي سنة 570هـ، ودرس عليه الفقه،وأخذ عنه الوسيط والوجيز للواحدي، وكان ذلك بالشام، ثم عاد إلى وطنه مصر. ولقد امتدحه كثير من العلماء وأثنوا عليه. قال الإمام الذهبي: تلقى الحديث على أكابر العلماء المحدثين وفضلائهم،وأنه شيخ الديار المصرية، وأنه مسدد الفتاوى وافر الجلالة مسند زمانه.

وامتدحه الإمام السبكي فقال:" كان الفقيه بهاء الدين خطيب الجامع بالقاهرة، ومدرس الديار المصرية، وشيخها ورئيس العلماء بها، درس وأفتى دهراً، وكان كبير القدر، رفيع الجاه وافر الحرمة، معظماً عند الخاصة والعامة". وأثنى عليه أستاذه ابن عصرون وألبسه الطيلسان تشريفاً له على أقرانه. توفي يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وأربعين وستمائة[1].

[3] أبو العباس: ضياء الدين أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي.

ولد بقرطبة سنة 578هـ، وتتلمذ على شيوخها، ثم قدم الإسكندرية وأقام بها وتتلمذ على شيوخها، ثم بعد ذلك تولى تدريس الحديث والفقه فانتفع الناس بعلمه الواسع وكانت له شهرة عظيمة في زمانه وقد مدحه كثير من العلماء فقال المقري في نفح الطيب:" كان بارعاً في الفقه والعربية، عارفاً بالحديث"[2]. وقال ابن العماد في الشذرات:" وكان من كبار الأئمة"[3].

وقال ابن كثير في البداية والنهاية "الفقيه المالكي، المحدث المدرس بالإسكندرية، ولد بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وسمع الكثير هناك، واختصر الصحيحين وشرح صحيح مسلم المسمى بالمفهم، وفيه أشياء حسنة مفيدة"[4]. وقد تلقى الإمام القرطبي من أبي العباس العلم الغزير ونقل عنه الكثير في كتابه التفسير[5]، وكان ذلك في الإسكندرية. توفي أبو العباس في الرابع من ذي القعدة سنة 656هـ[6].

[4] "القرافي": أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي البهنسي المصري المالكي:وقد رافق هذا الشيخ الإمام القرطبي في سفره إلى الفيوم بمصر، ولا بد أن كلاً منهما قد سمع من الآخر واستفاد من علمه.وقد كان القرافي عالماً بالفقه والأصول والعلوم العقلية وله عدة مؤلفات منها كتاب القواعد، وكتاب الذخيرة في الفقه المالكي، وكتاب المنجيات والموبقات في الأدعية.توفي سنة684هـ[7].

1- انظر: ترجمته ابن الجزري- غاية النهاية (583/1)، شذرات الذهب (425/7).

2- المقري-نفح الطيب (615/2).

3- ابن العماد-الشذرات (473/7).

4- ابن كثير-البداية والنهاية (213/13).

5- القرطبي-الجامع (18/4، 22).

6- انظر: ترجمته النجوم الزاهرة (64/7)، سير الأعلام (323/23).

7- انظر: الوافي بالوفيات (122/2)، الأعلام للزركلي (95/1).

[5] أبو محمد: عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي الإسكندراني.
ولد سنة 563هـ وتوفي 638هـ. وقد ذكره الإمام القرطبي في تفسيره في مواطن عدة، منها عند تفسير الآية 135 من سورة آل عمران، حيث قال القرطبي:" وقد تأول كثير من الناس فيما ذكر شيخنا أبو محمد عبد المعطي الإسكندراني رضي الله عنه، أن الإمام المحاسبي رحمه الله، يرى أن التوبة من أجناس المعاصي لا تصح، وا ٍن الندم على جملتها لا يكفي بل لا بد أن يتوب من كل فعل بجارحته وكل عقد بقلبه على التعيين"[1].

[6] أبو الحسن: علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي.
هذا الشيخ تفرد بذكره المقري في نفح الطيب، عندما عده من شيوخ القرطبي حيث قال:" وحدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي"[2].

[7] الحسن البكري: الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك القرشي التميمي النيسابوري ثم الدمشقي أبو علي صدر الدين البكري. ولد بدمشق سنة 574هـ، وقد كان كثير الرحلات طلباً للعلم، حتى أُطلق عليه "الرحال". كان له اشتغال بالتأريخ وقد شرع في عمل ذيل لتاريخ ابن عساكر. قال عنه الذهبي عندما ترجم له:" الشيخ الإمام المحدث المفيد الرحال"[3].
وقال "ليس هو بالقوي، ضعفه عمر بن الحاجب فقال:كان إماماً عالماً لسناً فصيحاً، مليح الشكل، أحد الرحالين، إلا أنه كان كثير الدعاوى". أصيب بالفالج في أخريات حياته، وكان قد صلح حاله، فتحول إلى مصر ومات بها في ذي الحجة سنة 656هـ[4]. وقد قرأ وتعلم القرطبي على الشيخ البكري في مصر كما صرح القرطبي بذلك عند تفسيره لسورة الصافات الآيات 180–182 حيث قال القرطبي:" قرأت على الشيخ الإمام المحدث الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك البكري بالجزيرة قبالة المنصورة من الديار المصرية..." ومن خلال هذا الكلام وما بعده نعلم أن للقرطبي رواية عن هذا الشيخ إلى رسول الله **r** حيث إن الرسول **r** كان يقول هذه الآيات في آخر صلاته أو حين ينصرف".[5]

ثانياً : تلاميذه:

إن كتب الرجال والتراجم لم تحفظ لنا عن تلاميذ القرطبي شيئاً يناسب قدر القرطبي وعلمه وشهرته الكبيرة. فقد ذكر الداودي في كتابه طبقات المفسرين وكذلك السيوطي أن ممن روى عن القرطبي ولده. فقال الداودي:" روى عنه ولده شهاب الدين أحمد".[6]

1– القرطبي– الجامع (255/4).
2– المقري– نفح الطيب (345/2).
3– انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (326/23)، تذكرة الحفاظ (1444/4).
4– انظر: المرجعين السابقين (522/23)، (1444/4).
5– القرطبي– الجامع (136/15).
6– الداود ي– طبقات المفسرين (945/2).

وقال السيوطي في طبقات المفسرين:" روى عنه بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد".[1]

وقد ذكر المقري في نفح الطيب تلامذة للقرطبي يدافعون عنه دون ذكر أسمائهم حيث قال:" وفي تاريخ الكتبي حقه ما نصه:كان شيخاً فاضلاً وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة إطلاعه ووفور علمه" وغضب بعض تلامذة القرطبي من ترجمة "الكتبي" له وعلق عليها بقوله:" قد أجحف المصنف في ترجمته جداً، وكان متفنناً متبحراً في العلم". وحاول بعض التلامذة أن يدافع عن الكتبي بأن الذهبي قد وفاه حقه في تاريخ الإسلام وأنه لا داعي لمهاجمة الكتبي فقال:" مشاحة شيخنا للمصنف في هذه العبارة ما لها فائدة؛ فإن الذهبي قال في تاريخ الإسلام:" العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الإمام القرطبي إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله".

ولكن ذلك الدفاع لم يعجب تلميذاً ثالثاً فانتقد الذهبي والكتبي معاً ورد ذلك الدفاع فقال:" إذا كان الذهبي ترجمه بما ذكرت وهو والله فوق ذلك فكيف تقول أن مشاحَّة شيخك لا فائدة فيها وتسيء الأدب معه وتقول أن كلامه لا فائدة فيه فالله يستر عليك"[2].

إن هذا الكلام يدل على أن للقرطبي تلاميذ كثر أخذوا عنه وانتفعوا بعلمه وعرفوا قدره فدافعوا عنه ولكن للأسف لم تذكر أسماؤهم وهذا لا ينقص من قدر وعظمة الإمام القرطبي فمؤلفاته وخاصة الجامع خير شاهد على عظمة هذا الشيخ وجلالة قدره.

المطلب الثالث

آثاره العلمية

لقد ترك الإمام القرطبي ميراثاً عظيماً حيث ميراث الأنبياء والعلماء ليس المال والمتاع وا ٍنما هو العلم، وذلك من خلال كتبه القيمة التي ألفها فنفع الله بها المسلمين.

ومن هذه المؤلفات ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط، ومنها ما هو موجود ومنها ما هو مفقود لم نعرفه إلا من خلال إشارة الإمام القرطبي له في كتابه التفسير أو غيره من الكتب الموجودة المطبوعة.

1- السيوطي- طبقات المفسرين (79).

2- المقري- نفح الطيب(346/2).

ومن مؤلفاته:

[1] كتابه العظيم "الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان".

وهو أعظم كتاب ألفه، بل من أفضل كتب التفسير عموماً كما ذكر كثير من العلماء.

حيث قال عنه أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي "والتفسير الجامع لأحكام القرآن الحاكي مذاهب السلف كلها وما أكثر فوائده"[1].

وقال الداودي:" أبو عبد الله القرطبي مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان"[2].

وقال ابن فرحون صاحب الديباج المذهب" من أجَ َل ّ التفاسير وأعظمها نفعاً ..."[3]. وقد طبع الكتاب مراراً مع عناية العلماء به على مر العصور.

[2] التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.

وهو كتاب قيم ذكر فيه أحوال الموتى وأحوال الآخرة وذكر الجنة والنار، وما يتعلق بالمسيح الدجال والدابة، ويأجوج ومأجوج، وغير ذلك من أحداث آخر الزمان وعلامات الساعة مع ذكر المواعظ المفيدة. وهو كتاب مطبوع أكثر من طبعة وقد اعتنى به العلماء طباعة وتحقيقاً واختصاراً . حيث ذكر صاحب(كشف الظنون) أن بعض العلماء قد اختصر هذا الكتاب وذكر عدداً منهم[4]. وللكتاب نسخ مخطوطة في عدة أماكن منها سورية وا يران[5].

[3] قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة.

وهو كتاب جليل حيث مدحه ابن فرحون فقال:" لم أقف على تأليف أحسن منه في بابه".[6]

وقد بين الإمام القرطبي السبب الذي حمله على تأليف هذا الكتاب حيث إنه بعد أن ذكر أن جماعة من العلماء جمعوا في فضل الكفاف والقناعة وذم المسألة وغير ذلك قال:" فرأيت أن أجمع في ذلك كتاباً يكون جامعاً مهذباً، كتاباً مقرباً يزيد على معانيها– أي الكتب السابقة – ويربو على ما فيها جعلته أربعين باباً "[7]. وتوجد مخطوطة هذا الكتاب في دار الكتب المصرية، تحت رمز مجاميع مصطفى فاضل على ميكروفيلم برقم (5339) المأخوذ عن الأصل المخطوط الموجود برقم (218) تحت الرمز السابق وتوجد نسخة خطية كذلك في برلين تحت رقم (8787)

1– ابن العماد الحنبلي– شذرات الذهب(335/5).

2– الداود ي– طبقات المفسرين(65/2).

3– الذهبي– التفسير والمفسرون(494/2).

4– انظر: حاجي خليفة– كشف الظنون(275/1).

5– انظر: القرطبي– التذكرة(8)– تحقيق خالد بن محمد بن عثمان.

6– الداود ي– طبقات المفسرين(945/2).

7– القرطبي– قمع الحرص(15).

ونسخة بمكتبة "الفاتح" باستنبول برقم (2737).[1] والكتاب مطبوع ويوجد في مكتبتي المتواضعة نسخة منه.

[4] التذكار في أفضل الأذكار.

وهو كتاب مفيد مطبوع، وقد قسَّمه القرطبي إلى أربعين باباً في فضل القرآن الكريم وقارئه والعامل به، حيث قال في مقدمة الكتاب:«استخرت الله سبحانه في ذلك وسألته التيسير علي ّ في ذلك، فيسر لي تخريج أربعين باباً في فضل كتابه العزيز وقارئه ومستمعه والعامل به وسميته (التذكار في أفضل الأذكار)[2].

[5] الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

وقد ذكر القرطبي هذا الكتاب في تفسيره في أكثر من موضع فمثلاً ذكره في مقدمة تفسيره في مسألة جمع القرآن[3]. وقد ذكر هذا الكتاب ونسبه إلى القرطبي صاحب كشف الظنون[4].

[6] شرح التقصي في الحديث النبوي.

والتقصي اختصار لكتاب التمهيد لابن عبد البر، قام القرطبي بشرحه[5].

[7] التقريب لكتاب التمهيد. مخطوط في مجلدين في خزانة القرويين بفاس رقم(117/80)[6].

[8] أرجوزة.

جمع فيها القرطبي أسماء النبي **r**. قال المقر يء:" شرح الأرجوزة الشيخ أبو الحسن: علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير القلصاوي المتوفى 891هـ"[7].

وقال صاحب (كشف الظنون) "شرحها فذكر فيها ما زاد على الثلاثمائة"[8].

[9] المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس.

هذا الكتاب ذكره القرطبي في تفسيره لسورة البقرة الآية الثالثة في المسألة السابعة عشرة، والآية الثالثة بعد المائتين من نفس السورة في المسألة الثامنة[9].

[10] منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد.

ذكره القرطبي في تفسيره لسورة (ص) الآية (44) عند المسألة السابعة[10].

1- انظر: القصبي محمود زلط – القرطبي ومنهجه في التفسير(48).

2- انظر: كشف الظنون(383/1).

3- القرطبي- الجامع(73/1).

4- حاجي خليفة- كشف الظنون(15/2).

5- انظر: المقري- نفح الطيب(211/2)، هدية العارفين(129/2).

6- انظر: الزركلي- الأعلام (322/5).

7- انظر: المقري- نفح الطيب(693/2).

8- حاجي خليفة- كشف الظنون(62/1).

9- القرطبي- الجامع(191/1)، (3/ 12).

10- المرجع نفسه (206/15).

[11]الإعلام بما في دين النصارى وا ٍظهار محاسن الإسلام.

ذكره محقق كتاب "الجامع لأحكام القرآن" في مقدمة التفسير.[1] وكذلك محقق كتاب "التذكرة" في مقدمة الكتاب[2].

[12] المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح.

وهو كتاب لغوي اختصر فيه القرطبي كتاب "الأفعال" لأبي القاسم علي بن جعفر بن القعقاع، ت (515)هـ وكتاب "الصحاح" للجوهري[3].

[13] الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز.

ذكره القرطبي في كتابه "التذكار في أفضل الأذكار".

[14] رسالة في ألقاب الحديث. توجد بمكتبة في الجزائر برقم 377[4].

[15] الأقضية.

ذكره محقق كتاب تفسير القرطبي في المقدمة[5]. وذكره محقق كتاب التذكرة في المقدمة[6].

[16] اللمع اللؤلؤية في شرح العشرينات النبوية.

وقد أشار إليه القرطبي في تفسيره لسورة الإسراء الآية الرابعة والأربعين[7].

[17] عذاب القبر ونعيمه.

وهو كتاب مطبوع يوجد في مكتبة الجامعة الإسلامية– بغزة.

[18] يوم الفزع الأكبر.

وهو كذلك مطبوع وموجود في مكتبة الجامعة الإسلامية– بغزة.

المبحث الثالث

عصر القرطبي

المطلب الأول

الحالة السياسية والاجتماعية

لقد عاش الإمام القرطبي– رحمه الله– نصف حياته الأولى في قرطبة حاضرة الأندلس حتى سقطت في أيدي الصليبيين عام633هـ، فرحل عنها، ثم أتى إلى مصر واستقر بها حتى

1– المرجع نفسه (8/1).

2– القرطبي– التذكرة(7).

3– القصبي محمود زلط– القرطبي ومنهاجه في التفسير(48).

4– انظر: المرجع نفسه (48).

5– القرطبي– الجامع (8/1).

6– القرطبي– التذكرة(7).

7– القرطبي– الجامع(272/10).

توفي سنة 671هـ. لذلك سيكون الحديث عن الحياة السياسية والاجتماعية في الأندلس ثم في مصر زمن القرطبي.

أولاً : الحياة السياسية والاجتماعية في الأندلس:

ولد الإمام القرطبي ونشأ وعاش في الأندلس في ظل دولة الموحدين التي أسسها محمد بن عبد الله بن تومرت المتوفى 522هـ. والذي جاء بعده عبد المؤمن بن علي الذي واصل انتصاراته الحربية حتى أسقط دولة المرابطين، واحتل عاصمتهم (مراكش) سنة 451هـ وانتقل بعد ذلك إلى الأندلس فورث المرابطين هناك كما ورثهم في المغرب إلى أن توفي سنة 558هـ. وبقي الأمر في أبنائه حتى تولى الخلافة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمنصور، وقد كانت قواعد الأندلس الإسلامية قد خضعت معظمها لحكم الموحدين ودخل أهلها في طاعتهم[1]. وقد اشتبك الموحدون في كثير من المعارك الحربية مع الممالك النصرانية المجاورة للأندلس، وكان ملوكها يحاولون دائماً بين الحين والآخر الانقضاض على الدولة الإسلامية الموحدية من أطر افها. وكان من أشهر المعارك التي وقعت بين الموحدين والنصارى معركة "الأرك" وذلك عندما عزم الخليفة المنصور على مواصلة الجهاد وأعد لذلك جيوشاً عظيمة جاء بها إلى الأندلس في شهر جمادى الثاني من سنة 591هـ، وبعد أن أمضى أسبوعين في إشبيلية توجه إلى قرطبة، ونظم جيوشه فيها ثم سار بها لمواجهة الجيوش القشتالية المرابطة شمال قرطبة، والتي قادها (ألفونسو الثامن) لملاقاة جيوش المنصور، ووقعت المعركة أمام حصن (الأرك) في شهر شعبان، وانهزمت الجيوش القشتالية شر هزيمة، وفر (ألفونسو) واستولى المسلمون على الأرك، ثم عاد المنصور منتصواً إلى إشبيلية حاضرة الأندلس في ذلك الزمن[2]. وفي سنة 593هـ، أرسل ملك قشتالة إلى المنصور يطلب السلم والمهادنة، فقبل المنصور أن يهادنه لمدة عشر سنوات، ثم عاد المنصور إلى (مراكش) في شهر شعبان سنة 594هـ، وتوفي في ربيع الأول سنة 595هـ، ثم بويع لابن المنصور أبو عبد الله محمد الملقب بالناصر وكان له من العمر سبعة عشر عاماً ، ولما قارب الناصر الثلاثين من عمره عزم على الخروج للجهاد في الأندلس، فسار على رأس جيشه إلى إشبيلية في أواخر سنة 607هـ، واتجه منها إلى قرطبة، وقد نجحت الجيوش الموحدية في هذه المعركة واستطاعت الاستيلاء على بعض الممالك النصرانية، وعاد الناصر إلى إشبيلية ظافراً .وقد كان هذا الانتصار وغيره من الانتصارات حافزاً لملوك الأندلس ورجال الدين فيها من مضاعفة الجهود التي كانوا يقومون بها، منذ انتصار المسلمين في موقعة " الأرك" قبل سبع عشرة سنة. وكان " ألفونسو" الثامن شريد موقعة الأرك يتوق إلى

1- انظر: أحمد فكري- قرطبة في العصر الإسلامي(142).

2- ذكر المؤرخون هذه المعركة باسم آخر هو" الزلاقة ". (انظر: البداية والنهاية 10/13).

الانتقام، ويحاول أن يغسل العار والخزي الذي لحقه وجنوده، فكان اتحاد المسيحية الصليبية ضد الإسلام، ومن ثم إعداد حملة صليبية واسعة من الأندلس وفرنسا وبلاد أوربا، وتحركت تلك الجيوش الجرارة سنة 609هـ. والتقت بجيوش المسلمين الموحدية بقيادة الخليفة الناصر عند موقع يسمى " العقاب " وكانت الدائرة فيها على المسلمين، فقتل منهم خلق كثير، وتمزقت الجيوش الموحدية ولم تقم لها قائمة بعد ذلك، وعرفت هذه المعركة "بالعقاب"، واستطاع الناصر النجاة من هذه المعركة لكنه مات هماً وغماً من آثار هذه النكبة، في شهر شعبان سنة 610هـ[1].

ولقد كان لهذه الهزيمة أثر كبير في الإسراع بالدولة الموحدية إلى التفكك والانهيار[2]؛ حيث تعاقب على كرسي الخلافة خلفاء ضعف وصغار، واشتد التنازع والصراع بين الأمراء وشاع الإضطراب في أنحاء الدولة وعمت الفوضى وقامت الثورات، ولم تمض سوى بضع وعشرون سنة على موقعة "العقاب" حتى سقطت قرطبة؛ حيث استغل النصارى ضعف الدولة الموحدية وتنازع أمرائها، فأخذوا ينهشون الدولة الموحدية من أطرافها ونواحيها حتى تساقطت الممالك الأندلسية تباعاً . حتى سقطت قرطبة في يوم الأحد، الثالث والعشرين من شهر شوال، سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وغادرها في ذلك اليوم معظم أهلها بنسائهم وأطفالهم وتفرقوا فيما تبقى بأيدي المسلمين من مناطق الأندلس[3]. وكان من بين أهلها الإمام القرطبي– رحمه الله– حيث رحل عن وطنه، واستقر في مصر، وقد صور الإمام القرطبي ما آلت إليه الأحوال في قرطبة مع ذكر السبب الذي أدى إلى ذلك، فقال في المسألة الثالثة عند قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)[4]. قال:" المعنى: عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في أنكم تَغلِبون، وتظفرون، وتغنمون، وتؤجرون، ومن مات مات شهيداً، وعسى أن تحبوا الدعة، وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تُغلَبون، وتذلون، ويذهب أمركم. قل ت: وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد وأي بلاد؟أسر وقتل وسبى، واسترق، فإنا لله وا إنا إليه راجعون، ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته"[5].

وأما عن الأحوال الاجتماعية في الأندلس:

فقد كانت قرطبة حاضرة الأندلس في العهد الإسلامي، ولكن في عهد الموحدين تنازلت قرطبة عن مكانتها السياسية لإشبيلية، وأصبحت إشبيلية على هذا النحو حاضرة الموحدين في

1– انظر: أحمد فكري– قرطبة في العصر الإسلامي(147).

2– انظر: السيد سالم– قرطبة حاضرة الأندلس(151).

3– انظر: أحمد فكري– قرطبة في العصر الإسلامي (151).

4– البقرة:(216).

5– القرطبي– الجامع (43/3).

الأندلس، ومع ذلك فقد ظلت قرطبة تحتفظ بمكانتها الأدبية والروحية باعتبارها القاعدة الأولى لدولة الإسلام في الأندلس ولكونها تضم المسجد الجامع أعظم المساجد الجامعة في بلاد المغرب والأندلس[1].

أما عن أهل قرطبة وأحوالهم، فقد كانت الطبقة السائدة في قرطبة قبل الفتح الإسلامي قوطاً مسيحيين، فلما دخلها العرب والبربر أصبحت خليطاً من الأجناس والأديان في بداية الأمر ثم صارت مدينة عربية إسلامية، حيث إن معظم العرب الوافدين قد استقروا بها.

وأما بالنسبةللبربر فقد كان عددهم قليلاً جداً، وقد اندمجوا مع العرب وصاروا منهم، وأصبح الجميع عرباً يفتخرون بالانتساب إلى قرطبة.

وبالنسبة القوط الذين بقوا في قرطبة بعد الفتح فقد استعربوا ودخل كثير منهم في الإسلام، عن رغبة لا عن رهبة، حباً في الإسلام، ولأنهم وجدوا فيه المنقذ من الذل والعبودية التي كانوا يعيشونها في عهد الحكم القوطي وقد كانوا يسمون "المسالمة" أو "المولّدون" وكانوا يسمون أنفسهم بأسماء عربية. وكان العر ب و"المولّدون" يمثلون الفئة الغالبة لأهل قرطبة.

وأما النصارى الذين لم يدخلوا في الإسلام فقد عاشوا في أمن وأمان واحترام في قرطبة، وكانوا يسمون العجم، أو المعاهدين، أو المستعربين، وكانوا يعرفون اللغة العربية ويتكلمونها، وكانوا مندمجين في الحياة العامة اندماجاً يصعب معه تمييزهم عن العرب، وقد أثرى كثير منهم وأبدى معظمهم الولاء لمدينتهم. وكان يفرض عليهم الجزية باعتبارهم معاهدين، وكانت قيمتها قليلة. وكان لهم مسؤول وقاضي، يسمى قاضي النصارى، أو قاضي العجم، وكان لهم كنائس في قرطبة.

وكان يعيش في قرطبة فئة قليلة من اليهود، وكانوا يشتهرون بتجارة الرقيق ونفائس السبي والسلب، وكانوا يعيشون حياة هنيئة، وكان لهم قاضٍ ، وبيع للعبادة، وقد تعلموا اللغة العربية حديثاً وكتابةً مع احتفاظهم باللغة اللاتينية[2].

وقد كان أهل قرطبة ينقسمون من الناحية الاجتماعية إلى طبقتين، طبقة الخاصة وطبقة العامة، أما طبقة الخاصة فكانوا من سلالة العرب الفاتحين وأنصارهم، وكان من هؤلاء يختار الخليفة الوزراء والأمراء وكبار أهل الخدمة، ومنهم نشأت كبرى البيوت في قرطبة، وكان ينسب إلى الطبقة الخاصة أو يلتحق بهم ما يعرف بالطبقة الوسطى، وهي طبقة تتكون من التجار الذين كانوا يعتبرون أقل مرتبة من طبقة أهل الخدمة وأرباب الوظائف لكنهم كانوا أحياناً أكثر ثراء وأوسع عيشاً . وكانت كذلك فئة الموالي تنسب إلى طبقة الخاصة حيث كان الخليفة أو الأمير

1- انظر: قرطبة حاضرة الخلافة(150/1).

2- انظر: أحمد فكري- قرطبة في العصر الإسلامي(246).

يعتق الغلمان العبيد فيصبحون في عداد الموالي، وكانت من الغلمان كذلك طبقة ممتازة تسمى الفتيان أو الفتيان الكبار. وكذلك كانت طبقة ممتازة من الجواري الأرقاء اللاتي كانت تكتظ بهن بيوت قرطبة و اللاتي كن موضع تنافس وجهائها، وقد تحرر الكثيرات منهن وأصبحن "أمهات أولاد" وجميعهن كن ينسبن إلى الطبقة الخاصة.

أما الطبقة العامة، فكانت تشمل معظم أهل قرطبة وكانت تتكون من أرباب الصناعات والعمال والخدم، وكانت تضم كذلك الفئة التي يسميها الرواة "الغوغاء"وكثيراً ما كان هؤلاء يميلون إلى الشغب وا ٍثارة القلاقل[1].

أما عن فضائل أهل قرطبة فقد كانت ظاهرة التدين أهم طابع في سلوكهم، تشهد بذلك أولاً : كثرة المساجد في قرطبة، وثانياً : تمكن عقيدة الجهاد في قلوبهم، فقد كانت قرطبة مركز الجهاد وانطلاق الجيوش الإسلامية ضد المسيحية في الأندلس وا ٍذا كانت ظاهرة التدين ظاهرة عامة، فقد كانت ظاهرة المجون ظاهرة خاصة تقتصر على أصحاب الغنى والقصور، فكانت مجالس الطرب والشرب والغناء فيها مشهورة وكانت ظاهرة الترف والنعيم زاهية في قرطبة حتى وصف أهلها بأنهم أهل ذكاء وجمال، ومرح وترف، ووصفوا كذلك بأنهم أعلام البلاد، وأعيان العباد، ذكروا بصحة المذهب، وطيب المكسب، وحسن الزي في الملابس والمركب، وعلو الهمة في المجالس والمراتب، وجميل التخصص في المطاعم والمشارب[2].

وكانت قرطبة في عصر الموحدين، محل إعجاب الأمراء والخلفاء، فقد بنوا فيها قصور ومباني عظيمة، وقد وصفها الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وكان قد عاش بها فترة قبل أن يتولى الخلافة بقوله:"إن ملوك بني أمية حين اتخذوها حضرة ملكهم لعلى بصيرة؛ الديار الكثيرة المنفسحة، والشوارع المتسعة، والمباني الضخمة، والنهر الجاري، والهواء المعتدل والخارج النضر، والمحرث العظيم، والشعراء الكافية، والتوسط بين
شرق الأندلس وغربها"[3].

وقد حافظت قرطبة على مكانتها بين سائر المدن الأندلسية ثقافة وعلماً وعمارة وتقاليد، فكانت منارة للمتعلمين والمتأدبين حتى سقطت في أيدي النصارى الصليبيين سنة 633هـ.

هكذا كانت الأحوال السياسية والاجتماعية في قرطبة زمن الإمام القرطبي – رحمه الله –.

ثانياً :الحالة السياسية والاجتماعية في مصر.

أما عن الأحوال السياسية والاجتماعية في مصر فلم تختلف كثيراً عنها في الأندلس، فقد جاء القرطبي إلى مصر في عهد الدولة الأيوبية التي أسسها الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة

1- أحمد فكري- قرطبة في العصر الإسلامي (251).

2- انظر: أحمد فكري- قرطبة في العصر الإسلامي(253).

3- انظر: أحمد فكري-قرطبة حاضرة الأندلس (227/2).

(564هـ) قائد حطين وهازم الصليبيين في حملتهم الثالثة سنة 583هـ[1]. وتوفي البطل صلاح الدين سنة589هـ بعد حياة حافلة بالجهاد والدفاع عن حرمات المسلمين.

وقد تتابع بعده الأمراء من البيت الأيوبي، فقادوا حملات الجهاد ضد الصليبيين في مصر والشام، ونجحوا أيضاً، وفشلوا أحيانا، في صد هجمات الصليبيين وا يقاف زحفهم، وذلك بسبب تفرق هؤلاء الأمراء، واختلافهم على الإمارة والسلطان. لدرجة تآمر بعضهم على بعض، فمثلاً قام الملك العادل سيف الدين عم صلاح الدين بخلع حفيد صلاح الدين، وهو المنصور محمد بن العزيز عماد الدين بن صلاح الدين،واستلم السلطة في مصر سنة597هـ. وبقي في السلطة حتى سنة 615هـ، وفي تلك السنة استولى الصليبيون على دمياط قبل وفاته من تلك السنة[2]. وهكذا ظلت الحملات الصليبية بين مد وجزر في ذلك العصر حتى كان آخر حملة لهم على يد لويس التاسع ملك فرنسا في عهد الملك الصالح (نجم الدين أيوب 636-647هـ) وقد توفي في تلك السنة بعد أن أعد عدته وجهز جيشه وعسكر بالمنصورة فتولى مكانه ابنه الملك المعظم "توران شاه" بعد أن استقدمته زوجة أبيه "شجرة الدر"، فقاتل الصليبيين وانتصر عليهم، وأسر ملك فرنسا لويس التاسع، وقُتل أخوه روبرت. ولم يطلق سراح "لويس التاسع" إلا بعد أن أفدى نفسه بمبلغ من المال، وبعد أن أمليت الشروط على الصليبيين فوافقوا عليها، وانسحبوا إلى عكا ثم انسحب لويس التاسع إلى فرنسا عام 652هـ من غير رجعة.

وعن هذه المعركة قال ابن كثيروفي ثالث المحرم يوم الأربعاء، كان كر ّ المعظم "توران شاه" للفرنج على ثغر دمياط، فقتل منهم ثلاثين ألفاً، وقيل مائة ألف، وغنموا شيئاً كثيراً، ولله الحمد، ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا، وكان فيمن أسر ملك الفرنسيين وأخوه"[3].وبعد انتصار "توران شاه" في معركة المنصورة على الصليبيين، اختلف مع زوجة أبيه "شجرة الدر" فتآمرت عليه مع بعض المماليك وتم اغتياله في التاسع من محرم سنة 648هـ.

وبموته انتهت الدولة الأيوبية في مصر وخلفتها دولة المماليك[4].

وفي ظل دولة المماليك ابتليت الأمة الإسلامية بالتتار، وهم أمم وثنية جاهلة كانت تعيش على البداوة في بلاد الصين إلى أن قويت شوكتهم وبدأوا يهددون العالم والحضارة الإنسانية، وقد سقطت حاضرة الخلافة الإسلامية بغداد في أيديهم عام 656هـ[5]. وكانت مصر في ذلك الوقت تحت حكم السلطان "سيف الدين قطز" الذي أعد العدة وسار بجيشه إلى الشام لقتال التتار قبل

1- انظر: محمود شاكر- التاريخ الإسلامي(333/6).

2- المرجع نفسه (323/6)، البداية والنهاية(83/13).

3- البداية والنهاية (178/13).

4- انظر:محمود شاكر- التاريخ الإسلامي(338/6).

5- انظر: ابن كثير- البداية والنهاية(200/13).

أن يصلوا إلى مصر، والتقى الجمعان في "عين جالوت" تلك المعركة الشهيرة التي نصر الله فيها المسلمين وهزم التتار شر هزيمة وقد نجَّى الله المسلمين من شر التتار وفسادهم[1]. ولم يمض وقت طويل على انتصار المسلمين بقيادة سيف الدين قطز حتى تآمر عليه أحد مماليكه وهو "الظاهر بيبرس" حتى قتله في العام نفسه 658هـ. ولم يكن الحال في دولة المماليك بأحسن منه في الدولة الأيوبية حيث التنازع والخلاف بين الأمراء والملوك، فلم يأتي ملك إلى الحكم إلا باغتيال سابقه أو بخلعه[2]. وفي حكم الظاهر بيبرس توفي شيخنا الإمام القرطبي سنة 671هـ، حيث إن حكم الظاهر بيبرس بقي إلى أن توفي عام 676هـ[3].

وقد عبر الإمام القرطبي – رحمه الله– عما يجري في بلاد المسلمين – في ذلك الوقت– من تنازع وخلاف عند تفسير قوله تعالى "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض"[4].

"قلت: ولعمر الله لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالفتن فتظاهر بعضنا على بعض ليت بالمسلمين بل بالكافرين حتى تركنا إخواننا أذلاء صاغرين، يجري عليهم حكم المشركين، فلا حول ولا قوة إلا بالله"[5].

المطلب الثاني

الحالة العلمية

أولاً: في الأندلس

لقد نشطت الحركة العلمية بقرطبة في عصر الموحدين –عصر القرطبي رحمه الله– وما سبقه نشاطاً لا مثيل له، حتى غدت قرطبة قاعدة العلوم ومركز الآداب، وأصبح اسمها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلم، بل أصبح العلم من معالمها البارزة التي يتفاخر بها أبناء قرطبة.

ويعبر الفقيه المفسر أبو محمد عبد الحق بن غالب، المشهور "بابن عطية" المتوفى 546هـ، عن ذلك بهذين البيتين:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة ... وهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ... والعلم أكبر شيء وهو رابعها[6]

1- المرجع نفسه (13-220).

2- انظر: التاريخ الإسلامي (35/7).

3- انظر: التاريخ الإسلامي (35/7).

4- البقرة:(85).

5- القرطبي- الجامع(26/2).

6- انظر: أحمد فكري-قرطبة حاضرة الأندلس(159/2).

ولقد أكثر العلماء في مدح قرطبة ووصفها بمدينة العلم والعلماء، فقيل:" كانت منتهى الغاية، ومركز الراية وأم القرى، وقرارة أولي الفضل والتقى، ووطن أولي العلم والنهى، وقلب الإقليم وينبوع متفجر العلوم، وقبة الإسلام وحضرة الأنام، ودار صواب العقول، وبستان ثمرة الخواطر، وبحر درر القرائح، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض، وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر، وبها أنشئت التآليف الرائقة،وصنفت التصانيف الفائقة، والسبب في تبريز القوم حديثاً وقديماً على من سواهم، أن أفقهم القرطبي لم يشتمل قط إلا على البحث والطلب لأنواع العلم والأدب"[1]. ومما ساعد على ازدهار الحياة العلمية في الأندلس، أن (محمد بن تومرت) مؤسس الدولة الموحدية كان من أقطاب علماء عصره، فحث الناس على التعليم بقوة وحماسة، وحملهم على دراسة مؤلفاته وغيرها من العلوم النافعة. وقد تابع الخلفاء بعده هذا الجهد، فوضع عبد المؤمن بن علي نظاماً للتعليم إجباري يقوم على أنه يجب على كل من انضوى تحت راية الموحدين أن يتعلم الضروري من العقائد، وما يتعلق بالصلاة، وقد جعله حتماً لازماً على كل مكلف، كما أكد على العوام حفظ الفاتحة وما تيسر من القرآن، وأمر العلماء تعليم الناس ذلك، وزيادة في الاهتمام كان هو يشرف بنفسه أحياناً على هذا النوع من التعليم[2].

ولقد كان عبد المؤمن مؤثراً لأهل العلم، محباً لهم، محسناً إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى السكن بجواره وبحضرته، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم، والإعظام لهم[3].

ومما ساعد على نمو الحركة العلمية في الأندلس وازدهارها كثرة الكتب والمكتبات حيث كان الحكام من الموحدين ومن سبقهم من بني أمية يحبون جمع الكتب واقتنائها ويفتخرون بذلك فكانوا أشد اعتناء بخزائن الكتب، وصار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة، حتى إن الرئيس فيهم الذي لا تكون عنده معرفة، يحتمل في أن تكون في بيته خزانة كتب، وينتخب فيها، ليس إلا لأن يقال فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به"[4]وا ن من مظاهر الازدهار العلمي في قرطبة – في عصر الموحدين– بناء المساجد بصورة لم يسبق لها مثيل فقد بلغ عدد مساجد قرطبة في عصرهم ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثين مسجد[5]. ومع أن بناء المساجد لم يكن يهدف بالدرجة الأولى إلى إيجاد مكان للتعليم، بقدر ما هو مكان للعبادة، لكن المسجد كان أكبر مؤسسة تعليمية في

1– انظر: المرجع نفسه (160/2).

2– انظر: د.محمد عبد الحميد عيسى– تاريخ التعليم في الأندلس(177).

3– انظر: المراكشي– المعجب في تلخيص أخبار المغرب (293).

4– المقري– نفح الطيب(462/1).

5– نفس المرجع(78/2).

الإسلام، فكان لبناء المساجد في الأندلس والتشجيع عليها قد دفع بالتعليم في ذلك الوقت خطوات واسعة إلى الأمام[1].

لم تقتصر النهضة العلمية في قرطبة على العلوم الإسلامية فقط، بل كانت قرطبة منارة للعلم بكل ألوانه، وقد شهد عصر الموحدين انطلاقاً وتقدماً في علوم متعددة مثل الطب والكيمياء والهندسة والفلسفة والشعر. قال الدكتور السيد عبد العزيز سالم: أما عصر الموحدين فهو العصر الذهبي لعلم الطب إذ نبغ فيه كثير من الأطباء في الأندلس. وقال: وقد اشتغل أهل الأندلس بالكيمياء واشتهر منهم أبو القاسم مسلمة بن أحمد الجريطي المتوفى 398هـ شيخ الأندلس في علم الكيمياء في عهد بني أمية. وقال: يعد عصر الموحدين العصر الذي تقدمت فيه علوم الهندسة والآلات العجيبة. وقال: وازدهرت الفلسفة في عصر الموحدين– وعلى الأخص في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن–ازدهاراً منقطع النظير، وبرز فيها فيلسوفان من أشهر مفكري الأندلس، وأعظم فلاسفة الإسلام هما: ابن طفيل، وابن رشد[2].

وقال المؤرخ الألماني يوسف أشباخ:" وأما في الكيمياء– وهي في الواقع علم ندين به كله إلى العر ب – فقد قام الأطباء والعلماء الطبيعيون الأندلسيون باكتشافات هامة...كذلك يدين العالم في الرياضيات بكثير من الفضل للعلماء العرب والأندلسيين، وقد كان علم الجبر أهم ما اكتشفوا في هذا الميدان"[3].

وقال:" كذلك وضع مسلمو الغرب في تلك العصور مؤلفات قيمة في علم الجغرافيا وأهم هذه المؤلفات هو الكتاب الضخم الذي وضعه الشريف الإدريسي أبو عبد الله بن محمد السبتي الذي عاش من(492– 570هـ)، وقد وضع الإدريسي مؤلفه في صقلية سنة 548هـ بعنوان (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)"[4].

في هذا الجو العلمي الذي اتسمت به قرطبة، والنزعات العلمية التي اتسم بها خلفاء الموحدين، وتلك المؤلفات والمكتبات التي غمرت الأندلس، فشجعت العلماء، وروجت سوق العلم، في هذا الجو نهضت العلوم الدينية وازدهرت كالفقه والحديث والتفسير والقراءات وعلوم اللغة والعلوم الأخرى، وقد كان لهذا كله أثر كبير في التكوين العلمي للإمام القرطبي– رحمه الله– في الأندلس.

ثانياً : الحالة العلمية في مصر:

1– د.محمد عبد الحميد عيسى– تاريخ التعليم في الأندلس(207).

2– د.السيد عبد العزيز سالم– في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس(285– 291).

3– يوسف أشباخ– تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (259).

4– يوسف أشباخ– تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (260).

ذكر ت– فيما سبق– أن الإمام القرطبي وصل إلى مصر في عصر الأيوبيين وعاصر الفترة الأخيرة من حكمهم، وعاصر انتقال السلطة من أيديهم إلى المماليك، وبقي في مصر حتى توفي– رحمه الله– في خلافة السلطان "الظاهر بيبرس".

وعند الحديث عن الحياة العلمية في عصر الأيوبيين والمماليك، نجد أن هناك تشابهاً كبيراً بين هذه الحالة والحالة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين. ولعل الأسباب التي أدت إلى ازدهار الحركة العلمية في الأندلس تتفق أو تقترب من الأسباب التي أدت إلى ازدهارها في مصر. فمما ساعد على ازدهار الحركة العلمية في مصر في وجود حكام وأمراء متعلمين يحبون العلم والعلماء ويجلونهم ويكرمونهم، فقد كان الناصر صلاح الدين الأيوبي يحب العلوم الدينية، وكان يصطحب أولاده ويذهب لسماع الدروس من أفواه الأئمة المشهورين ويتنقل بهم في البلاد لهذا الغرض[1]. ومن مآثره وهي كثيرة أنه أمر بهدم دار المعونة، وهي مكان يحبس فيه من أراد الحاكم حبسه، وبنى مكانها مدرسة للشافعية وأزال ما كان فيها من الظلم، وبنى دار العدل مدرسة للشافعية أيضاً، وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة وأقام قاضياً شافعياً في مصر[2]. وقد سار الحكام بعد صلاح الدين على نهجه فقد كانوا متعلمين يحبون العلم والعلماء ويعملون على نشر العلم.

فكان الملك الكامل محمد بن العادل أبو بكر بن أيوب (615–635هـ)عالماً ذكياً جيد الفهم يحب العلماء ويسألهم أسئلة عميقة تدل على ذكائه، وله كلام جيد على صحيح مسلم[3]. وقد أنشأ مدرسة جعل فيها داراً للكتب ولها قيم يشرف عليها.

وقد كان أخوه الأشرف موسى بن العادل قد بنى دار الحديث الأشرفية وجامع التوبة وجامع جراح، وتوفي في نفس السنة التي توفي بعده فيها أخوه الكامل 635هـ[4]. وقد كان الأخوان يتنافسان في إكرام العلماء وتقريبهم، وقد ذكر ابن كثير في ذلك قصة ذكر فيها أن الكامل قدم على أخيه الأشرف وقد كان ذلك بدمشق، فجعل الأشرف يذكر الكامل محاسن الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى اليونيني (572–658هـ)، فأعجب الكامل بهذا الشيخ وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية فأرسله الأشرف سريعاً إلى بعلبك، وقال للكامل: إنه لا يؤثر ببعلبك شيئاً، فأرسل إليه الكامل ذهباً ومالاً كثيراً[5]. فهذه القصة تدل على حب أمراء الأيوبيين للعلم والعلماء والتنافس في إكرامهم والاستئثار بهم.

1– انظر: شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي الشافعي–الروضتين في أخبار الدولتين(219/2).

2– انظر: ابن الأثير (الكامل 216/7).

3– انظر: ابن كثير–البداية والنهاية (149/13).

4– انظر: ابن كثير–البداية والنهاية (146/13).

5– انظر: المرجع السابق (228/13).

وكان من العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في عهد الأيوبيين والمماليك بناء المدارس الكثيرة، فلقد أكثر الأيوبيون من بناء المدارس للقضاء على التشيع ومحاربة آثاره وا ٍعادة الحرية للعلماء الدارسين الذين كانوا يحاربون على أيدي الفاطميين الذين نشروا المذهب الشيعي في زمانهم[1].

ولقد سار حكام المماليك على نهج الأيوبيين في نشر العلم وا ٍنشاء المدارس فأسس الظاهر بيبرس المدرسة الظاهرية سنة660هـ، وأخذ يقرب إليه النابغين في كل علم، وكان يميل إلى التاريخ ويقول: سماع التاريخ أعظم من التجارب[2].

ومما ساعد أيضاً على ازدهار الحياة العلمية في مصر توافد العلماء من العراق بعد سقوط الخلافة هناك على يد المغول سنة 656هـ، وتوافد العلماء من الأندلس من قبل على أيدي الصليبيين حيث سقطت قرطبة سنة 633هـ، وقد كان من بين العلماء المهاجرين إلى مصر شيخنا القرطبي. وقد أحدث هؤلاء العلماء حركة علمية قوية، عملت على انتشار العلوم المتنوعة من تفسير وحديث وفقه ولغة وأدب وتاريخ وغيرها مما ظهر واضحاً في شخصية الإمام القرطبي وعلمه المتنوع ومؤلفاته النافعة.

هكذا كانت الحياة العلمية في الأندلس ومصر مزدهرة متطورة متألقة رغم سوء الأحوال السياسية التي كانت سائدة في كلا البلدين، فلم تؤثر تلك الأحوال على الحياة العلمية.

وفي ذلك عبرة عظيمة لنا نحن المسلمين اليوم حيث نعيش أحوالاً سياسية صعبة، فيجب ألا تؤثر هذه الأحوال على حياتنا العلمية وا ٍنما يجب أن نصبر ونصابر من أجل الوصول إلى ازدهار حياتنا العلمية ورفعتها.

1- انظر: القرطبي ومنهجه في التفسير (85).

2- انظر: النجوم الزاهرة (7/108-110).

الفصل الثاني

القراءات في تفسير القرطبي .

وفيه خمس مباحث .

1. **المبحث الأول: قضايا القراءات في مقدمة تفسيره .**
2. **المبحث الثاني: أنواع القراءات التي استعرضها في تفسيره وفيه مطلبان:**
   - **أ- المطلب الأول: ذكره القراءات المتواترة .**
   - **ب- المطلب الثاني: ذكره القراءات غير المتواترة .**
3. **المبحث الثالث: نسبة القراء إلى قرائها ورواتها .**
   - **أ- المطلب الأول: ذكره القراءة منسوبة إلى صاحبها باسمه .**
   - **ب- المطلب الثاني: ذكره القراءة منسوبة إلى أهل البلد .**
   - **ج- المطلب الثالث: ذكره القراءة دون نسبتها إلى أحد مثل قوله (قرئ) .**
   - **د- المطلب الرابع: ذكره القراءة منسوبة إلى (الجماعة أو الجمهور أو العامة) .**
4. **المبحث الرابع: الترجيح والاختيار في القراءات عند القرطبي .**
5. **المبحث الخامس: منهجه في توجيه القراءات .**

وفيه ثلاثة مطالب:

- **أ- المطلب الأول: توجيه القراءة بالقرآن أو بأحاديث نبوية .**
- **ب- المطلب الثاني: توجيه القراءة بالشعر أو النحو .**
- **ج- المطلب الثالث: توجيه القراءة ببيان معناها أو بيان أصلها في اللغة .**

الفصل الثاني

القراءات في تفسير القرطبي

المبحث الأول

قضايا القراءات في مقدمة تفسيره

ذكر الإمام القرطبي –رحمه الله– عدداً من القضايا الهامة المتعلقة بالقراءات في مقدمة تفسيره الجامع لأحكام القرآن ، جعلته في مطالب ثلاث .

المطلب الأول: معنى نزول القرآن على سبعة أحرف .

المطلب الثاني: علاقة القراءات بالأحرف السبعة .

المطلب الثالث: سبب كتابة عثمان –رضي الله عنه– المصاحف ، والرد على من طعن أو خالف مصحفه .

المطلب الأول

معنى نزول القرآن على سبعة أحرف

ذكر الإمام القرطبي هذا الموضوع تحت عنوان: (معنى قول النبيﷺ "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه")[1] . ذكر الإمام القرطبي تحت هذا العنوان أحاديث نبوية متفرقة في سياق كلامه عن معنى الأحرف السبعة . سأذكرها مرتبة أولاً ، ثم أذكر أقوال العلماء في معنى الأحرف السبعة مع الرأي الراجح ثانياً .

أولاً: ما ذكره الإمام القرطبي من أحاديث الأحرف السبعة.

الحديث الأول:

روى مسلم عن أبي بن كعب: أن النبيﷺ كان عند أضاة بني غفار[2] فأتاه جبريل –عليه السلام– فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال:" أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك" . ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال:" أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك" . ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال:"أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك" . ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيّما حرف قرءوا عليه ، فقد أصابوا"[3].

1– الحديث تقدم تخريجه صفحة (3).

2– الأضاة: بوزن الحصاة: الغدير ، قال ابن سيده: الأضاة: الماء المستنقع من سيل أو غيره ، والجمع أضوات .
انظر: ابن منظور– لسان العرب مادة (أضا) (157/1) .

3– صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (389،ح821) .

الحديث الثاني:

روى الترمذي عنه قال: لقي رسول اللهﷺ جبريل فقال:" يا جبريل إني بعثت إلى أمة أمية منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لا يقرأ كتاباً قط ، فقال لي: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف"[1].

الحديث الثالث:

روى الإمام أحمد وغيره حديث أبي بكرة قال: جاء جبريل إلى النبيﷺ فقال اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده ، فقال: اقرأ على حرفين ، فقال ميكائيل استزده ، حتى بلغ إلى سبعة أحرف ، فقال: اقرأ فكلٌ شافٍ كافٍ إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة ، على نحو هَلُمَ وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجِّل[2] .

الحديث الرابع:

روى أبو داود عن أبي قال: قال لي رسول اللهﷺ :" يا أبي إني أقرئت القرآن فقيل لي على حرف أو حرفين فقال المَلَك الذي معي: قل على حرفين فقيل لي: على حرفين أو ثلاث فقال الملك الذي معي قل على ثلاث حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شافٍ كافٍ، إن قلت: سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب"[3].

الحديث الخامس:

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول اللهﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول اللهﷺ فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول اللهﷺ ، فقلت: كذبت فإن رسول اللهﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول اللهﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول اللهﷺ :"أرسله اقرأ يا هشام" فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول اللهﷺ :" كذلك أنزلت" ثم قال:" اقرأ يا عمر"، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول اللهﷺ :" كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه"[4].

1- سنن الترمذي ، كتاب القراءات ، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف (178/5 ، ح 2944) حديث حسن صحيح .

2- مسند أحمد (56/5 ،ح 2372) ، سنن أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (640/2 رقم 1477) ، صحيح سنن النسائي ، كتاب الافتتاح ، باب جامع ما جاء في القرآن (203/1 ، ح 902) صحيح .

3- صحيح سنن أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (406/1 ، ح 1477) صحيح .

4- انظر: صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (542/2 ، ح 4992) ، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (388 ، ح818) .

الحديث السادس:

روى مسلم عن أبي بن كعب قال:" كنت في المسجد فدخل رجل يصلي ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول اللهﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما النبيﷺ فقرأا ، فحسَّن النبيﷺ شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى النبيﷺ ما قد غشيني ، ضرب في صدري ففضت عرقاً ، وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقاً[1] ، فقال لي:" يا أبي أُرسل إليّ أقرأ القرآن على حرفٍ فرددت إليه أن هون على أمتي فردّ إليّ الثانية: اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوّن على أمتي فرد إليّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل رَدّة رددتُكَها مسألة تسألنيها ، فقلت: اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليومٍ يرغب إليّ فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام"[2].

هذه هي الأحاديث الستة التي ذكرها الإمام القرطبي في هذا الباب ، وهذه الأحاديث وغيرها مما وجد في كتب السنة أحاديث صحيحة وصلت إلى درجة التواتر المعنوي بمجموعها ، كما ثبت ذلك عن كثير من علماء المسلمين .

قال الإمام ابن الجزري –رحمه الله– " وقد نص الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام –رحمه الله– أن هذا الحديث تواتر عن النبيﷺ، قلت: وقد تتبعت طرق الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك فروياه من حديث عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم بن حزام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عباس ، وأبي سعيد الخدري ، وحذيفة بن اليمان ، وأبي بكرة ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وعمر بن أبي سلمة ، وأبي جهيم ، وأبي طلحة الأنصاري ، وأم أيوب الأنصارية رضي الله عنهم . وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده الكبير أن عثمان بن عفان قال يوماً وهو على المنبر: (أذكر أن رجلاً سمع النبيﷺ قال:" إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ" لما قام ، فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول اللهﷺ قال:" أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف" فقال عثمان رضي الله عنه : وأنا أشهد معهم)[3]. فهذه الرواية تدل على تواتر حديث الأحرف السبعة ، إذ شهد على ذلك جمع من الصحابة لا يمكن تواطؤهم على الكذب أنهم سمعوا ذلك من رسول اللهﷺ .

ثانياً: أقوال العلماء في المراد بالأحرف السبعة .

1– فرقاً: "(الفَرَقُ) الخوف وقد فَرِقَ منه من باب طرِب" . (الرازي–مختار الصحاح 238) .

2– صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (389 ، ح 820) .

3– ابن الجزري– النشر في القراءات العشر (24/1) ، انظر: الحافظ إسماعيل التميمي–مسند أبو يعلى الموصلي–تحقيق حسين سليم أسد (82/9 ، ح5149) إسناده صحيح .

قال الإمام القرطبي :" وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً، ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي[1] ، نذكر منها في هذا الكتاب خمسة أقوال"[2] .

القول الأول: وهو الذي عليه أكثر أهل العلم كسفيان بن عيينة[3] ، وعبد الله بن وهب[4]والطبري والطحاوي وغيرهم: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة، نحو أقبل، وتعال، وهلم .

واستدل أصحاب هذا القول بالحديث الثالث والرابع –السابقين– واستدلوا كذلك بما رواه ابن عباس عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: (للذين آمنوا انظرونا)[5]: للذين آمنوا أمهلونا ، للذين آمنوا أخرونا ، للذين آمنوا ارقبونا . واستدلوا كذلك بما روي عن أبي أنه كان يقرأ: (كلما أضاء لهم مشوا فيه)[6]: مروا فيه ، سعوا فيه.

قال الزهري[7]:" إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال ولا حرام" .

وقال الطحاوي:إنما كانت السعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم ، فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلىغيرها من اللغات إلا بمشقة عظيمة ، فوسّع لهم في اختلاف الألفاظ إذ كان المعنى متفقاً ، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب ، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله فلم يسعهم حينئذ أن يقرؤوا بخلافها[8].

وقال ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كان في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد[9].

1– أبو حاتم: محمد بن حبان البستي، من مشاهير المحدثين في عصره ، له تآليف كثيرة منها كتاب الصحيح ، وكتاب التفسير ، توفي 354هـ . (انظر: الذهبي– تذكرة الحفاظ 920/3) .

2– القرطبي– الجامع (59/1) .

3– سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون ، أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي ، الأعور الإمام المشهور ، محدث الحرم المكي ، مفسر فقيه له تفسير القرآن . توفي 198هـ . (انظر: سير أعلام النبلاء 454/8) .

4– عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء المصري أبو محمد: من أئمة فقهاء المالكية ، جمع بين الفقه والحديث والعبادة ، صحب الإمام مالك بن أنس ، وكان حافظاً ثقةً مجتهداً ، من كتبه تفسير القرآن ت197هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء 223/9) .

5– الحديد: (13) .

6– البقرة: (20) .

7– الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب ، أبو بكر الزهري ، أول من دون الحديث ، أحد التابعين الفقهاء الأعلام بالمدينة (ت124هـ) (انظر: تذكرة الحفاظ 102/1) .

8– انظر: ابن عبد البر– التمهيد(8 /294)– تحقيق محمد فلاح (1400هـ–1980م) .

9– المرجع نفسه (294/8).

وقال القاضي ابن الطيب : إذا ثبتت هذه الرواية –يقصد الحديث الرابع– حمل على أن هذا كان مطلقاً ثم نسخ ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا اسماً لله تعالى في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالف.

القول الثاني: أنها سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلّها ، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن. ذهب إلى هذا القول أبو عبيد القاسم بن سلام وابن عطية.

قال أبو عبيد[1]: وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض ، وقال أن عثمان قال للصحابة حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف ، ما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش ، فإنما نزل بلغتهم ، وذكر أن ابن عباس قال: نزل القرآن بلغة الكعبين، كعب قريش وكعب خزاعة، قيل وكيف ذلك؟ قال:لأن الدار واحدة ، قال أبو عبيد: يعني أن خزاعة جيران قريش فأخذوا بلغتهم.

قال القاضي ابن الطيب ، وابن عبد البر[2]: معنى قول عثمان: نزل بلسان قريش ، يريد معظمه وأكثره ، أي في الأغلب ، إذ فيه كلمات وحروف هي خلاف لغة قريش من تحقيق الهمزات ونحوها ، وقريش لا تهمز.

قال ابن عطية: معنى قول النبي"أنزل على سبعة أحرف". أي فيه عبارة سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن ، فعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ، ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك حسب الأفصح والأوجز في اللفظ.

القول الثالث: أن هذه اللغات السبعة إنما تكون في مضر ، واحتجوا بقول عثمان: نزل القرآن بلغة مضر ، وقالوا: جائز أن يكون منها لقريش ، ومنها لكنانة ، ومنها لأسد ، ومنها لهذيل ، ومنها لتميم ، ومنها لضبّة ، ومنها لقيس ، قالوا: هذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب ، وقد كان ابن مسعود يحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر.

وأنكر آخرون أن تكون السبعة كلها من مضر ، وقالوا: في مضر شواذ لا يجوز أن يقرأ القرآن بها ، مثل كشكشة قيس وتمتمة تميم ، فأما كشكشة قيس فإنهم يجعلون كاف المؤنث شيناً ، فيقولون في: (جعل ربك تحتك سرياً)[3] : جعل ربش تحتش سرياً ، وأما تمتمة تميم فيقولون في الناس:النات ، وفي أكياس: أكيات. قالوا: وهذه لغات يرغب عن القرآن بها، ولا يحفظ عن السلف فيها شيء .

1– انظر:ابن عبد البر–الاستذكار(36/8)–تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي .

2– انظر:ابن عبد البر– التمهيد(280/8) .

3– مريم:(24) .

القول الرابع: أنها سبعة أوجه للاختلاف في القراءة ، ومن أصحاب هذا القول ، القاضي ابن الطيب قال: تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعاً: منها: ما تتغير حركته ، ولا يزول معناه ولا صورته مثل: (هن أطهر لكم)[1] ، وأطهَرَ ، (ويضيقُ صدري)[2] ويضيقَ ، ومنها: ما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب ، مثل: (ربنا باعِد بين أسفارنا)[3] وباعَدَ . ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف ، مثل : (ننشزها)[4] وننشرها . ومنها: ما تتغير صورته ويبقى معناه: (كالعهن المنفوش)[5] وكالصوف المنفوش . ومنها ما تتغير صورته ومعناه ، مثل: (وطلح منضود)[6] وطلع منضود . ومنها: بالتقديم والتأخير كقوله: (وجاءت سكرة الموت بالحق)[7] وجاءت سكرة الحق بالموت . ومنها بالزيادة والنقصان ، مثل قوله: تسع وتسعون نعجة أنثى ، وقوله: وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين، وقوله: فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم.

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة معاني كتاب الله تعالى ، وهي أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، وقصص ومجادلة وأمثال. قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن هذا لا يسمى أحرفاً، وأيضاً فالإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال ، ولا في تغيير شيء من المعاني.

وأدرج الإمام القرطبي تحت هذا القول –الخامس– قولاً سادساً حيث قال:" وقد قيل: إن المراد بقوله عليه السلام:" أنزل القرآن على سبعة أحرف" القراءات السبع التي قرأ بها القراء السبع لأنها كلها صحت عن رسول اللهﷺ وهذا ليس بشيء لظهور بطلانه على ما يأتي"[8] .

هذه هي الأقوال التي ذكرها الإمام القرطبي في معنى الأحرف السبعة .

مناقشة هذه الأقوال:

أما القول الأول: والذي عليه أكثر أهل العلم –كما ذكر الإمام القرطبي– فإنه رأي وجيه وهو أقرب الأقوال إلى الصواب ، وهو الرأي الذي رجحه القرطبي مع أنه لم يصرح بذلك ولكن جعله أول الأقوال ثم التصريح بأنه الذي عليه أكثر أهل العلم دليل على أن الإمام القرطبي يرجحه والله أعلم. ومع وجاهة هذا الرأي وجلالة القائلين به إلا أن عليه بعض الملاحظات منها:

1– هود:(78) .

2– الشعراء: (13).

3– سبأ: (19).

4– البقرة: (159).

5– القارعة: (5).

6– الواقعة: (29).

7– ق: (19).

8– القرطبي–الجامع (63/1) .

– إن أصحاب هذا الرأي قصروا الأحرف السبعة فقط على المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة، مع أن الأحرف السبعة أوسع وأشمل من هذا المعنى المحدود .

– إن ما استدلوا به من حديث النبيﷺ من قبيل ضرب المثل وليس الحصر ، المثل على أحد وجوه الاختلاف لا كلها ، فلو كان الأمر كما يقولون ، فنقول لهم: فأين تذهبون بتلك الوجوه الأخرى الباقية إلى اليوم من القراءات المتواترة؟

– ومنها[1] : إن أصحاب هذا القول اضطروا بسبب قولهم هذا إلى القول بأن الباقي من الأحرف السبع هو حرف واحد أما الأحرف الست الأخرى فقد ذهبت ولم يعد لها وجود، وأن الإباحة بالأحرف السبع كانت لفترة محدودة لضرورة دعت إلى ذلك فلما انتهت الضرورة ارتفع الحكم. ونسوا أو تناسوا تلك الوجوه المتنوعة الأخرى التي يقرأ بها . وكان كلامهم هذا بدون دليل يستدلون به ، إنما اجتهادٌ منهم .

– ومنها: أن تغير كلمة مكان كلمة ليس فيه من التسهيل على الأمة كثيراً ، إنما الأمر الذي يصعب التحول عنه هو الاختلاف في الأداء وكيفية النطق بالألفاظ ، فالعربي الذي اعتاد لسانه على النطق بتسهيل الهمز أو الإمالة يصعب عليه التحول عما اعتاده إلى غير ذلك فكيف نقصر اختلاف الأحرف على نوع واحد هو تغير كلمة مكان كلمة فقط[2] .

أما القول الثاني: القائل بأن الأحرف سبع لغات متفرقة في القرآن ، وأن ذلك لا يمنع أن بعضه نزل بسبعة أحرف لا كله . فهو رأي جيد ولكن عليه بعض الملاحظات:

– يمكن القول بأن الجزء الأول من هذا القول صحيح أي أن الأحرف السبع هي سبع لغات . ولكن الجزء الثاني من هذا القول قد جانب الصواب ، حيث إن القول بأن الأحرف السبع متفرقة في القرآن يقتضي أن يكون القرآن أبعاضاً ، منه ما هو بلغة قريش ومنه ما هو بلغة هذيل وهكذا . ولا شك أن ذلك غير محقق لحكمة التيسير التي من أجلها نزل القرآن الكريم بسبعة أحرف[3] . فهذا القول يستلزم أن كل شخص لا يمكنه أن يقرأ إلا البعض الذي نزل بلغته دون البعض الآخر وهذا غير صحيح. وهذا القول مخالف لما روي عن النبيﷺ وصحابته مما سبق ذكره من أحاديث مثل حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم حيث إن كلاً منهما قرأ بسورة الفرقان بقراءة مخالفة للآخر وكلاهما قرشيان وقد صوب الرسولﷺ كلاً منهما .

وبهذا يظهر أن الأحرف السبع إنما هي تعدد وجوه قراءة القرآن الكريم وتلاوته لا أن أجزاءه تتألف من لغات سبعة .

1– انظر: الزرقاني– مناهل العرفان (179/1) .

2– انظر: د .عبد الرحمن الجمل–منهج الطبري في التفسير (71) وما بعدها .

3– انظر: الزرقاني– مناهل العرفان (181/1) .

أما القول الثالث: فهو مشابه للقول الثاني لكنه حدد السبع لغات أنها من قبائل مضر خاصة وأنها متفرقة في القرآن. ويرد على هذا الرأي بما رد على القول الثاني؛ ويضاف إلى ذلك ما ذكر الإمام القرطبي من الرد على هذا القول حيث بين أن العلماء أنكروا أن تكون اللغات السبعة كلها من مضر، وقالوا: في مضر شواذ لا يجوز أن يقرأ القرآن بها. ورد آخر: هو أنه لا دليل على تحديد هذه القبائل أنها من مضر فلا حاجة لهذا التحديد ولا داعي له .

أما القول الرابع: وهو قول القاضي ابن الطيب إن وجوه الاختلاف في القراءة سبعة أوجه لا تخرج القراءات عنها مهما كثرت وتنوعت في الكلمة الواحدة .

ويشابه هذا القول أقوال علماء أجلاء لم يذكرهم القرطبي رأيت أن أذكرهم لأن كلامهم مهم .

والعلماء هم ابن قتيبة وابن الجزري وأبو الفضل الرازي ، وكل عالم من هؤلاء ذكر سبعة أوجه تختلف عن صاحبه اختلافاً طفيفاً .

أما ابن قتيبة[1] فقال: إن المراد بالأحرف السبع ، الأوجه التي يقع بها التغاير وهي سبعة:

أولها: ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته،مثل: (ولا يضارُّ كاتب)[2]بفتح الراء وضمها.

وثانيها: ما يتغير بالفعل مثل: (بَعَّدَ ، وباعِدْ)[3] بلفظ الماضي والطلب .

ثالثها: ما يتغير باللفظ مثل: (نُنْشِرُهَا ونُنْشِزُهَا)[4] بالراء المهملة والزاي المعجمة .

رابعها: ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل: (طلحٍ منضود)[5] ، "وطلعٍ منضود" .

خامسها: ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل: (وجاءت سكرة الموت بالحق)[6] ، "وجاءت سكرة الحق بالموت" .

سادسها: ما يتغير بالزيادة والنقصان مثل: (وما خلق الذكر والأنثى)[7] ، "والذكر والأنثى" بنقص لفظ "وما خلق" .

سابعها: ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى مثل: (كالعهن المنفوش)[8] ، (كالصوف المنفوس)[9] .

أما ابن الجزري فيقول: تتبعت صحيح القراءات وشاذها وضعيفها ومنكرها ، فإذا هي يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها .

1- ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري اللغوي النحوي توفي سنة 276هـ.
انظر: الداودي-طبقات المفسرين (251/1).

2- البقرة: (282) .

3- سبأ: (19) .

4- البقرة: (259) .

5- الواقعة: (29) .

6- ق: (19) .

7- الليل: (3) .

8- القارعة: (5) .

9- انظر: الزرقاني- مناهل العرفان (158/1) .

1. وذلك إما في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو "البُخل" بأربعة أوجه ، و"يحسب" بوجهين .
2. أو بتغيير في المعنى فقط نحو (فتلقى آدم من ربه كلمات)[1] برفع لفظ آدم ونصب لفظ كلمات وبالعكس .
3. وإما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو تَبْلُو–تَتْلُوا .
4. وعكس ذلك نحو "بصطة ، وبسطة" ونحو "الصراط ، والسراط" .
5. أو بتغييرهما نحو" فامضوا ، فاسعوا" .
6. وإما في التقديم والتأخير نحو "فَيَقْتُلُون ويُقتلون" بفتح ياء المضارعة مع بناء الفعل للفاعل في إحدى الكلمتين ، وبضمها مع بناء الفعل للمفعول في الكلمة الأخرى .
7. أو في الزيادة والنقصان نحو "أوصى ووصى" فهذه السبعة لا يخرج الاختلاف عنها[2] .

أما الرازي فقال: الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف:

الأول: اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية ، وجمع وتذكير وتأنيث .

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماضي ومضارع وأمر .

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب .

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة .

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير .

السادس: الاختلاف بالإبدال .

السابع: اختلاف اللغات –اللهجات– كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك[3] .

يلاحظ من هذه الأقوال أنه لا فرق بينها إلا الاختلاف في طرق التتبع والاستقصاء ، والمتفحص لهذه الآراء يجد أن أدقها وأقربها للصواب رأي الإمام الرازي ، ومما يؤكد ذلك أن الرازي ذكر وجهاً من وجوه الاختلاف لم ينوه إليه أحد من العلماء الثلاثة. فهو فضلاً عن أنه دمج وجوههم السبعة في وجوه ستة بطريقة رائعة دقيقة،نجده عقد الوجه السابع لاختلاف اللهجات، كالفتح والإمالة والتفخيم والترقيق ونحو ذلك. فهذا الوجه مهم جداً حتى إن بعض العلماء جعل الوجوه السبعة منحصرة في اللهجات لا غير –كما علمنا– فتخفيف الله على الأمة بنزول القرآن على سبعة أحرف لا يتحقق إلا بملاحظة الاختلاف في هذه اللهجات .

وهذه الأقوال على وجاهتها إلا أن عليها –بمجموعها– بعض الملاحظات:

1– البقرة: (37) .

2– ابن الجزري–النشر (28/1) .

3– انظر: الزرقاني–مناهل العرفان (155/1) ، ابن الجزري–النشر (28/1) .

– أن الاختلاف الحاصل بين أصحاب هذه الآراء يدل على أنه يمكن الزيادة على سبعة أوجه ، فيخالف ذلك صريح الأحاديث النبوية الشريفة التي حددت الأحرف بأنها سبعة .

– كذلك فإن الاختلاف الحاصل يدلل على أن أصحاب هذه الأقوال لم يستندوا إلى دليل أكيد على ما ذهبوا إليه بأنه الأحرف السبع التي قصدها الرسولﷺ هي أوجه الاختلاف التي ذكروها .

– أن بعض هؤلاء العلماء اعتمد في تحديد الوجوه على قراءات شاذة ، وهي لا تعد من القرآن باتفاق العلماء ولا يصح الاعتماد عليها في تحديد معنى الأحرف السبع، وذلك أن الاعتماد عليها يجعلها داخلة ضمن الأحرف السبع وهذا غير صحيح .

– ثم إن الوجوه التي حددها بعضهم كابن قتيبة لا يدركها ويقف عليها إلا البارعون في القراءة والكتابة فكيف يكون فيه تيسير على الأميين .

– ثم إن الأوجه التي ذكروها وفسروا بها الأحرف السبع لا يمكن أن يكون كل منها بمفرده وجهاً مستقلاً يقرأ عليه القرآن[1] .

أما القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبع معاني كتاب الله تعالى ، وهي أمر ونهي ووعد ووعيد وقصص ومجادلة وأمثال .

ويشبه هذا القول أقوالاً كثيرة ذكرها العلماء[2] نذكر منها على سبيل المثال:

1. قالوا: إنها محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص .
2. قالوا:إنها المطلق والمقيد والعام والخاص والنص والمؤول والناسخ والمنسوخ والاستثناء .

وقد رد القرطبي على هذا القول بقوله:" قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن هذا لا يسمى أحرفاً، وأيضاً فالإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال ، ولا في تغيير شيء من المعاني. وذكر القاضي ابن الطيب حديثاً عن النبيﷺ ثم قال: ولكن ليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها ، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة"[3] .

ولعل الحديث الذي أشار إليه القرطبي هو حديث رواه ابن مسعود مرفوعاً[4] قال:" كان الكتاب الأول نزل من باب واحد على وجه واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه واعتبروا بأمثاله وآمنوا بمتشابهه" . وقولوا: (آمنا به كل من عند ربنا)[5] .

1– انظر: د .عبد الرحمن الجمل– منهج الطبري في القراءات (93) .

2– انظر: السيوطي–الإتقان (107/1) ، الزرقاني–مناهل العرفان (183/1) .

3– القرطبي–الجامع (63/1) .

4– انظر: ابن عبد البر–التمهيد (275/8) ضعيف .

5– آل عمران: (7) .

قال ابن عبد البر: وهو حديث عند أهل العلم لا يثبت ، وهو مجمع على ضعفه[1] .
وقال أيضاً: قد ردَّه قوم من أهل النظر ، ومن أوّله بهذا –يعني بالأحرف السبعة التي يقرأ بها– فهو فاسد لأنه لا يجوز أن يكون القرآن يقرأ على أنه حلال كله ، أو أمثال كله[2] .
فهذا القول باطل واضح البطلان حيث إن العلماء أجمعوا على بطلانه وبعده عن الصواب .
وبعد مناقشة هذه الأقوال فقد حان الوقت لبيان الرأي الراجح والذي تميل إليه النفس .

الرأي الراجح: في معنى الأحرف السبع:

إن الأحرف السبع التي قصدها الرسولﷺ هي سبع لغات من أفصح وأشهر لغات العرب بما فيها من نواحي الاختلاف الغير محددة والتي منها اختلاف الألفاظ مع اتفاق المعنى نحو هلم وأقبل وتعال ، ومنها الاختلاف في تحقيق الهمز وتسهيله ، والفتح والإمالة والإظهار والإدغام والتفخيم والترقيق وغيره مما يصعب على من اعتاد لسانه عليها أن يتحول عنها ، والتي منها أوجه الاختلاف الصحيحة التي عدها الإمام الرازي ومن شابهه دون تحديد لتلك الأوجه بأنها سبعة مثل اختلاف وجوه الإعراب واختلاف تصريف الأفعال إلى غير ذلك من وجوه القراءات الصحيحة المتواترة .
وهذا الرأي الذي اخترته يشمل رأي أصحاب القول الأول مع إضافة وجوه الاختلاف الكثيرة التي ذكرها أصحاب القول الرابع مع عدم التحديد بأنها سبعة أوجه. وكذلك فإن هذا الرأي قريب من القول الثاني والثالث حيث القول بأنها سبع لغات من لغات العرب ولكن دون أن نحدد هذه اللغات . ومما يؤكد هذا القول، قول الإمام ابن الجوزي[3] –رحمه الله– حيث قال:"والذي نراه أن التعيين من اللغات على شيء بعينه لا يصح لنا سنده ، ولا يثبت عند جهابذة النقل طريقه ، بل نقول: نزل القرآن على سبع لغات فصيحة من لغات العرب"[4] .
ومن خلال هذا الكلام يمكن القول أن الرأي الذي اخترته هو خلاصة الآراء المتعددة من أقوال العلماء باستخلاص ما صح منها وترك ما جانب الصواب ، ووضع ذلك القول في قالب جميل كان هو الرأي الراجح والله أعلم .
وقد قال بمثل هذا القول أو قريباً منه شيخي وأستاذي الدكتور عبد الرحمن الجمل–حفظه الله– في رسالته منهج الطبري في القراءات والتي أفدت منها كثيراً[5] .

1– الزركشي–البرهان (275/1) ، انظر: ابن عبد البر–التمهيد (275/8) ، الاستذكار–له (35/8) .
2– المرجع السابق .
3– ابن الجوزي: هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التميمي البكري أبو الفرج ، مؤرخ ، حافظ ، محدث ، مفسر ، واعظ ، فقيه من علماء الحنابلة له مصنفات كثيرة نافعة بلغت نحو ثلاثمائة . (انظر: طبقات المفسرين 275/1) .
4– ابن الجوزي–فنون الأفنان (56) .
5– د .عبد الرحمن الجمل–منهج الطبري في القراءات (94) .

ويزيدني طمأنينة لذلك قول الإمام مكي بن أبي طالب –رحمه الله– حيث قال:" أن الله عز وجل لم يجعل على عباده حرجا في دينهم ولا ضيق عليهم فيما افترض عليهم، وكانت لغات من أنزل عليهم القران مختلفة، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على ردّه إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف، ومؤونة شديدة، فيسَّر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات مفترقات في القرآن بمعان متفقة ومختلفة، ليقرأ كل قوم على لغتهم وعلى ما يسهل عليهم من لغة غيرهم، وعلى ما جرت به عادتهم، فقوم جرت عادتهم بالهمز، وقوم بالتخفيف ، وقوم بالفتح وقوم بالإمالة . وكذلك الإعراب واختلافه في لغاتهم ، والحركات واختلافها في لغاتهم وغير ذلك ، فتفصَّح كل قوم ، وقرءوا على طبعهم ولغتهم ولغة من قرب منهم ، وكان ذلك رفقاً عظيماً بهم ، وتيسيراً كثيراً لهم"[1] .

المطلب الثاني

صلة القراءات بالأحرف السبعة

ذكر الإمام القرطبي تحت القول الخامس في معنى الأحرف السبعة قولاً سادساً حيث قال:" وقد قيل: إن المراد بقوله عليه السلام:"أنزل القرآن على سبعة أحرف" القراءات السبع التي قرأ بها القراء السبعة ، لأنها كلها صحت عن رسول اللهﷺ وهذا ليس بشيء لظهور بطلانه على ما يأتي"[2]. ومن خلال هذا الكلام نعلم أن الإمام القرطبي يحكم على هذا القول بكل وضوح وصراحة بأنه قول باطل ثم يؤكد على ذلك حيث يبين أن كثيراً من العلماء قال إن هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها،وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة ، وهو الذي جمع عليه عثمان المصاحف. وبهذا يظهر أن الإمام القرطبي قائل أو مؤيد للرأي القائل أن القراءات السبعة راجعة إلى حرف واحد من الأحرف السبع.وهذا الرأي قال به الإمام أبو بكر بن الطيب والإمام ابن جرير الطبري وغيرهما وهو أحد آراء أربعة في هذه المسألة[3]وهي: **القول الأول:** أن القراءات السبعة هي الأحرف السبع التي نزل القرآن بها.

والقائلون بهذا الرأي هم العامة من الناس وبعض العلماء منهم أبو الحسن علي بن محمد الخازن صاحب تفسير الخازن ، ت641هـ[4] ، وسليمان الجمل في حاشيته على الجلالين، توفي 204 هـ[5].

1– مكي بن أبي طالب– الإبانة (59) .

2– القرطبي–الجامع (63/1) .

3– انظر: د . عبد الرحمن الجمل–منهج الطبري في القراءات (107) .

4– الخازن: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (11/1) .

5– سليمان الجمل–الفتوحات الإلهية (4/1) .

والذي جعلهم يقولون بهذا القول هو الالتباس الذي وقع عندهم في عدد الأحرف السبع والقراءات السبعة حيث إن ابن مجاهد رحمه الله عندما اختار القراء جعلهم سبعة وكان ذلك سبب التباس عند العامة ، وهذا ما قال به كثير من العلماء منهم مكي بن أبي طالب وأحمد بن عمار المهدوي ، وابن تيمية ، وابن الجزري وغيرهم ، يقول ابن الجزري في ذلك:" إنما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا "أنزل القرآن على سبعة أحرف" وسمعوا قراءات السبعة فظنوا أن هذه السبعة هي تلك المشار إليها ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء وخطئوه في ذلك وقالوا إلا اقتصر على دون هذا العدد أو زاده أو بين مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة"[1]. ومن خلال هذا الكلام وغيره يظهر بكل وضوح

بطلان هذا القول كما صرح بذلك القرطبي وغيره.

ويترتب على هذا القول الخاطئ أمور خطيرة ، يلخصها الإمام مكي بن أبي طالب في قوله:" فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأبو عمرو أحد الأحرف السبع التي نص النبيﷺ عليها ، فذلك منه غلط عظيم ، لأن فيه إبطال أن يكون ترك العمل بشيء من الأحرف السبع ، وأن يكون عثمان ما أفاد فائدة بما صنع من حمل الناس على مصحف واحد وحرف واحد ، ويجب منه أن يكون ما لم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكاً ، إذ قد استولى على السبعة أحرف عنده ، فما خرج عن قراءتهم فليس من السبعة عنده. ويجب من هذا القول أن تترك القراءة لما روي عن أئمة هؤلاء السبعة من التابعين والصحابة مما يوافق المصحف ما لم يقرأ به هؤلاء السبعة، ويجب منه أن لا تروى قراءة عن ثامن فما فوق لأن هؤلاء السبعة عند معتقد هذا القول، قد أحاطت قراءتهم بالأحرف السبعة"[2].

القول الثاني: إن القراءات السبعة وغيرها مما صح وثبت كلها ليست إلا حرفاً واحداً من الأحرف السبع التي نزل القرآن بها ، وهو الحرف الذي كتب عليه عثمان المصاحف .

وذهب إلى هذا القول الإمام الطبري والداودي[3] وابن أبي صفرة[4] والإمام القرطبي حيث قال:

"قال كثير من علمائنا كالداودي وابن أبي صفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها ، إنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف"[5] .

1- ابن الجزري-النشر (35/1) .

2- مكي بن أبي طالب-الإبانة (25) .

3- الداودي: هو عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود الداودي أبو الحسن فقيه ومحدث .

(انظر: معجم المؤلفين 192/5) .

4- ابن صفرة: هو محمد بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة ، فاضل ، توفي قبل سنة 420هـ، كتب شرح اختصار ملخص القابس.

(انظر: معجم المؤلفين 234/8) .

5- القرطبي-الجامع (63/1 ، 64) .

وهذا الرأي مع جلالة القائلين به إلا أنه لا يتفق وواقع الاختلاف بين القراءات المتواترة والتي مرجعها اختلاف لغات العرب في كيفية النطق بالكلمات فلا يمكن أن يكون الاختلاف الكثير بين هذه القراءات كله يرجع إلى حرف واحد .

القول الثالث: أن القراءات الثابتة سواء العشرة وغيرها هي بمجموعها الأحرف السبعة .

وذهب إلى هذا القول طائفة من أهل الكلام والقراء وغيرهم[1] . ودليلهم هو أنه لا يجوز للأمة ترك شيء من الأحرف السبعة وإلا تكون الأمة جميعها عصاة مخطئين في ترك ما تركوا من باقي الأحرف ، ولا يكون ذلك لأن الأمة معصومة من أن تجتمع على ضلالة .

وهذا القول جانَبَ الصواب حيث إنه لا يجعل لما صنعه عثمان أي فائدة لمنع اختلاف المسلمين . وأي فائدة من إحراقه المصاحف المخالفة لمصحفه. يؤكد الإمام ابن الجزري على بعد هذا القول عن الصواب بقوله بعد ذكر هذا القول:" وأنت ترى ما في هذا القول ، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأُول قِل من كثر ونزر من بحر فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين وذلك أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة وغيرهم كانوا أمماً لا تحصى ، وطوائف لا تستقصى ، والذين أخذوا عنهم أيضاً أكثر وهلم جر"[2].

القول الرابع: إن القراءات التي نقرأ بها اليوم جزء من الأحرف السبع لا كلها ولا حرف منها. وذهب إلى هذا القول الإمام أحمد بن عمار المهدوي ومكي بن أبي طالب وابن الجزري وغيرهم[3]. قال الإمام مكي بن أبي طالب:" أن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم ، وصحت روايتها عن الأئمة ، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووافق اللفظ بها خط المصحف ، مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه واطرح ما سواه مما خالف خطه... فالمصحف كتب على حرف واحد ، وخطه محتمل لأكثر من حرف إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً، فذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية"[4].

وقال ابن الجزري:" والذي لا شك فيه أن قراءة الأئمة السبعة ، والعشرة والثلاثة عشر وما وراء ذلك بعض الأحرف السبعة من غير تعيين"[5].

هذه هي الأقوال الأربعة في هذه المسألة .

1- انظر: ابن الجزري-النشر (33/1 ، 38) .

2- ابن الجزري-النشر (33/1) .

3- انظر: مكي بن أبي طالب-الإبانة (22 ،24) ، النشر (35/1) .

4- مكي بن أبي طالب- الإبانة (22 ، 24) .

5- ابن الجزري-منجد المقرئين (57) .

و**الرأي الراجح** والذي تميل إليه النفس هو الرأي الرابع القائل إن القراءات جزء من الأحرف السبع لا كلها ولا حرف منها فهذا رأي مقنع ومنطقي وأدلة وأقوال أصحابه واضحة جليّة لا يستطيع أحد أن يعارضها فهو أقرب الآراء إلى الصواب ، وإلى معنى التيسير ورفع الحرج من القول بأنها ترجع إلى حرف واحد .

المطلب الثالث

سبب كتابة عثمان –رضي الله عنه– المصاحف والرد على من طعن أو خالف مصحفه

تكلم الإمام القرطبي عن هذا الموضوع تحت عنوان: " باب ذكر جمع القرآن وسبب كتب عثمان المصاحف و إحراق ما سواها وذكر من حفظ القرآن من الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبيﷺ " .

هذا الموضوع تحدثت عنه في التمهيد بالتفصيل لذلك سأقوم بتلخيص ما ذكره القرطبي تحت هذا العنوان دون توسع حتى لا يكون تكراراً في هذا الموضوع .

أولاً: بين القرطبي تحت هذا العنوان سبب جمع أبي بكر الصديق للقرآن الكريم حيث أشار عليه عمر بن الخطاب بجمع القرآن مخافة أن يضيع بموت القرّاء وذلك بعد موقعة اليمامة والتي قتل فيها عدد كبير من الصحابة الكرام . ووافق أبو بكر على رأي عمر ثم أمر زيد بن ثابت بجمع القرآن حيث قال له: إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول اللهﷺ فتتبع القرآن فاجمعه" . ونفّذ زيد بن ثابت ما طلب منه على أكمل وجه .

ثم بين الإمام القرطبي الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان للمصحف حيث قال:" فإن قيل: فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه ، وقد سبقه أبو بكر إلى ذلك وفرغ منه ، قيل له: إن عثمان –رضي الله عنه– لم يقصد بما صنع جمع الناس على تأليف المصحف ، ألا ترى كيف أرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك . وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءات بسبب تفرق الصحابة في البلدان واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبثهم ، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة رضي الله عنه ، حيث أخبر عثمان بما وقع بين المسلمين من اختلاف في قراءة القرآن وقال لعثمان أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى .

وبعد أن ذكر القرطبي هذا الكلام قال:" قلت وفي هذا أول دليل على بطلان من قال: إن المراد بالأحرف السبعة قراءات القراء السبعة لأن الحق لا يختلف فيه"[1] .

1– القرطبي–الجامع لأحكام القرآن (69/1) .

نلاحظ أن القرطبي يؤكد على بطلان هذا الرأي بعد أن أبطله سابقاً .

ولما سمع عثمان كلام حذيفة بن اليمان جمع المسلمين وقال: ما ترون في المصاحف؟ فإن الناس قد اختلفوا في القراءة حتى إن الرجل ليقول: قراءتي خير من قراءتك ، وقراءتي أفضل من قراءتك . وهذا شبيه بالكفر ، قال الحاضرون: ما الرأي عندك يا أمير المؤمنين؟ قال الرأي عندي أن يجتمع الناس على قراءة ، فإنكم إذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً ، قال الحاضرون: الرأي رأيك يا أمير المؤمنين ، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[1] . وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار و جِلّة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك ، فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبيﷺ واطّراح ما سواها ، واستصوبوا رأيه وكان رأياً سديداً موفقاً ، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين[2] .

ثانياً: ثم بين القرطبي سبب اختيار زيد بن ثابت لكتابة المصحف وترك عبد الله بن مسعود فذكر حديثاً أخرجه الترمذي أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف ، وقال: يا معشر المسلمين ، أعزل عن نسخ المصاحف ويتولاه رجل ، والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر –يريد زيد بن ثابت– ولذلك قال ابن مسعود: يا أهل العراق ، اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها ، فإن الله عز وجل يقول:" ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة"[3] ، فالقوا الله بالمصاحف"[4] .

قال أبو بكر الأنباري: ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن ، وعبد الله أفضل من زيد ، وأقدم في الإسلام ، وأكثر سوابق ، وأعظم فضائل ، إلا أن زيداً كان أحفظ للقرآن من عبد الله ، إذ وعاه كله ورسول اللهﷺ حي والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول اللهﷺ نيف وسبعون سورة ، ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسولﷺ ، فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول اللهﷺ حي أولى بجمع المصحف وأحق بالإيثار والاختيار.

1– صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن (541/2 ، ح4987) .

2– القرطبي–الجامع (70/1) .

3– آل عمران: (161) .

4– أخرجه الترمذي–كتاب التفسير ،(183/5 ،ح3104) ، حديث حسن صحيح (تحقيق بشار عواد معروف) .

وقال يزيد بن هارون: لا خلاف بين المسلمين في أن عبد الله بن مسعود مات وهو لا يحفظ القرآن كله. قال الإمام القرطبي بعد هذا الكلام:" قلت: هذا فيه نظر وسيأتي"[1]. ثم ذكر أحاديث في فضل عبد الله بن مسعود منها قول الرسولﷺ " إن عبد الله يقرأ القرآن غضاً كما أنزل"[2]. وقولهﷺ :" خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة"[3]. ثم قال القرطبي:" قلت هذه الأخبار تدل على أن عبد الله جمع القرآن في حياة رسول اللهﷺ خلاف ما تقدم والله أعلم" .

ثم عاد فذكر كلام أبي بكر الأنباري السابق الذي فيه أن عبد الله بن مسعود قرأ من في رسول اللهﷺ اثنتين وسبعين سورة –أو ثلاث وسبعين– وقرأ عليه من البقرة إلى قوله: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)[4] . وأنه تعلم بقية القرآن من مُجَمِّع بن جارية الأنصاري . ثم قال القرطبي" قلت إن صح هذا صح الإجماع الذي ذكره يزيد بن هارون–السابق– ولذلك لم يذكره القاضي أبو بكر بن الطيب مع من جمع القرآن وحفظه في حياة النبيﷺ "[5] .

ثم قال القرطبي: قال أبو بكر الأنباري: حدثني إبراهيم بن موسى الخوارزمي حدثنا يوسف بن موسى حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا زهير بن أبي إسحق قال: سألت الأسود ما كان عبد الله يصنع بسورة الأعراف؟ فقال: ما كان يعلمها حتى قدم الكوفة" .

ثم قال أبو بكر: والحديث الذي حدثناه إبراهيم بن موسى حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عمر بن هارون الخرساني عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن كعب القرظي قال:" كان ممن ختم القرآن ورسول اللهﷺ حيّ عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود"[6] . حديث ليس ليس بصحيح عند أهل العلم ، إنما هو مقصور على محمد بن كعب ، فهو مقطوع لا يؤخذ به ولا يعول عليه .

قال القرطبي:" قلت: قوله عليه السلام:" خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد..." يدل على صحته ، ومما يبين لك ذلك أن أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق كل منهم عزا قراءته التي اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول اللهﷺ لم يستثن من جملة القرآن شيئاً ، فأسند عاصم قراءته إلى علي وابن مسعود ، وأسند ابن كثير قراءته إلى أبي ، وكذلك أبو

1– القرطبي–الجامع (71/1) .

2– أخرجه أحمد في مسنده (38/1) ، وابن ماجة في المقدمة في فضائل عبد الله بن مسعود (49/1) .(صححه الألباني– صحيح سنن ابن ماجة 63/1) .

3– صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب أبي بن كعب (236/2 ح 3808) .

4– البقرة: (222) .

5– القرطبي–الجامع (75/1) .

6– لم اجده بعد البحث الطويل .

عمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أبي ، وأما عبد الله بن عامر فإنه أسند قراءته إلى عثمان ، وهؤلاء كلهم يقولون: قرأنا على رسول اللهﷺ وأسانيد هذه القراءات متصلة ورجالها ثقات"[1] .

مناقشة كلام القرطبي في هذه المسألة هل حفظ ابن مسعود القرآن كاملاً في حياة الرسولﷺ؟

لقد ذكر القرطبي أقوال وأدلة القائلين بأن عبد الله بن مسعود لم يحفظ القرآن كله في حياة الرسولﷺ وإنما أكمل حفظه بعد وفاته عليه الصلاة والسلام .

ثم ذكر أدلة استدل بها على أن عبد الله بن مسعود حفظ القرآن كاملاً في حياة الرسولﷺ .

أقول: إن الإمام القرطبي عالم منصف وموضوعي غير متعصب لرأيه يظهر ذلك جلياً في هذه المسألة وغيرها من المسائل الأخرى ، فمع أنه يرجح ويميل إلى القول بأن عبد الله بن مسعود حفظ القرآن كاملاً في زمن النبوة إلا أنه يأتي بأقوال الطرف الآخر وأدلتهم ويعقب عليها بقوله:" إن صح هذا صح الإجماع– على عدم حفظ عبد الله للقرآن في زمن النبوة–" .

ثم يأتي بحديث يؤيد رأيه لكنه يبين أن ذلك الحديث ليس بصحيح عند أهل العلم .

فكل ذلك يدل على إنصافه ونزاهته وموضوعيته وعدم تعصبه لرأيه .

أما بالنسبة لما استدل به على أن عبد الله حفظ القرآن كاملاً في زمن النبوة ، فيرد عليه أن الحديث "خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد..." ليس فيه دليل صريح على رأيه وإنما يستدل بالحديث أن عبد الله كان قارئاً ماهراً حسن الصوت ، فمن أراد أن يتعلم تلاوة القرآن فليتعلمها من عبد الله . فلا يشترط لحسن التلاوة حفظ القرآن كاملاً .

وأما الدليل الآخر الذي استدل به وهو أن عاصماً أسند قراءته إلى علي بن أبي طالب وابن مسعود فليس بحجة لأن عاصم لم يسند القراءة لعبد الله بن مسعود وحده وإنما أشرك معه علي بن أبي طالب .

ومن جانب آخر يمكن القول إن التابعين الذين أخذوا القراءة عن عبد الله بن مسعود أخذوها بعد أن أكمل حفظ القرآن كاملاً بعد موت الرسولﷺ؛ لأن عبد الله بن مسعود أكمل بقية القرآن من مُجَمِّع بن جارية الأنصاري–كما ذكر سابقاً– .

والرأي الراجح في المسألة: فإن النفس تميل إلى الرأي القائل بأن عبد الله بن مسعود لم يكمل حفظ القرآن كاملاً في حياة الرسولﷺ لأن الأدلة السابقة تؤيد هذا القول بالإضافة إلى أقوال كثير من العلماء والتي منها قول مكي بن أبي طالب قال:" لم يختلف في أن ابن مسعود لم يكن على عهد النبيﷺ جمع القرآن كله بل قال: إني جمعت منه على عهد النبي بضعاً وسبعين سورة ، وتلقيت من في رسول اللهﷺ سبعين سورة"[2] .

ومن الأدلة المؤكدة لهذا الرأي:

1– القرطبي–الجامع (76/1) .

2– مكي بن أبي طالب–الإبانة (71) ، صحيح البخاري–كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي (543/2 ، ح5000).

1. فعل أبي بكر وعثمان حيث إنهما لم يكلفا عبد الله بن مسعود وإنما كلفا زيد بن ثابت ، وقد بين العلماء سبب ذلك بأن عبد الله بن مسعود لم يحفظ القرآن كله .

2. لم يذكر العلماء عبد الله بن مسعود فيمن جمع القرآن في عهد النبيﷺ –كما سيأتي في المسألة التالية– فهذا وغيره يؤكد بكل وضوح على صحة هذا القول والله أعلم .

ثالثاً: مسألة: من حفظ القرآن من الصحابة في زمن النبيﷺ .

ذكر الإمام القرطبي حديثين رواهما البخاري في هذا الموضوع:

الحديث الأول: عن أنس ابن مالك قال: جمع القرآن على عهد النبيﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد"[1] .

الحديث الثاني: عن أنس قال: "مات النبيﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد وأبو زيد قال: ونحن ورثناه"[2] . وفي رواية قال: "مات أبو زيد ولم يترك عقباً وكان بدرياً واسم أبي زيد سعيد بن عبيد" .

ثم قال القرطبي قال أبو بكر بن الطيب: لا تدل هذه الآثار على أن القرآن لم يحفظه في حياة النبيﷺ ولم يجمعه غير أربعة من الأنصار كما قال أنس ، فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان وعلي وتميم الداري وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو بن العاص .

فقول أنس يحتمل: أنه لم يجمع القرآن وأخذه تلقيناً من فِي رسول اللهﷺ غير تلك الجماعة فإن أكثرهم أخذ بعضه عنه وبعضه عن غيره وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبيﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام ، وإعظام الرسولﷺ لهم .

قال القرطبي:" قلت: لم يذكر أبو بكر بن الطيب عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما فيما رأيت وهما ممن جمع القرآن"[3] .

هذا ما قاله القرطبي فيمن جمع القرآن في حياة النبيﷺ .

مناقشة كلام القرطبي:

نلاحظ أن الإمام القرطبي ذكر حديثين صحيحين ثم أتى بكلام العلامة أبو بكر بن الطيب ملخصاً ، حيث أتى بخلاصة ما قاله . فقد ذكر صاحب الإتقان ثمانية أقوال في تفسير هذين الحديثين لأبي بكر، وعلق الإمام ابن حجر على هذه الأقوال فقال:" وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف"[4] ثم ذكر –ابن حجر– تفسيراً وجيهاً حيث قال:" وقد ظهر لي احتمال آخر، وهو أن المراد

1– صحيح البخاري–كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي (544/2– ح 5003) ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار (1294– ح 2465) .

2– صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي (544/2– ح 5004) .

3– القرطبي–الجامع (74/1) .

4– انظر السيوطي–الإتقان في علوم القرآن (156/1).

إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط، فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين؛ لأنه قال ذلك في معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج. كما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقال الأوس: منا أربعة: من اهتز له العرش سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته رجلين خزيمة بن أبي ثابت، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومن حمته الدبر عاصم بن أبي ثابت، فقال الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم ، فذكرهم"[1] .

وخلاصة الكلام أن الذين جمعوا القرآن الكريم في زمن النبيﷺ كثير يشهد لذلك.

1. قتل سبعون من الأنصار يوم بئر معونة كانوا يسمَّون القرّاء.
2. كثرة القرّاء الذين قتلوا يوم اليمامة.

فكيف يمكن الإحاطة بأنه لم يكمل القرآن سوى أربعة ، والصحابة متفرقون في البلاد، وقد سمى الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام القرّاء من الصحابة في أول كتاب القراءات له، فسمى عدداً كثيراً[2].

رابعاً: مسألة الرد على من طعن في القرآن وخالف مصحف عثمان بالزيادة والنقصان .

قال الإمام القرطبي تحت هذا العنوان معرفاً القرآن الكريم: " لا خلاف بين الأمة ولا بين أئمة أهل السنة أن القرآن اسم لكلام الله تعالى الذي جاء به محمدﷺ معجزة له ، وأنه محفوظ في الصدور ، مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف ، معلومة على الاضطرار سوره وآياته ، مبرأة من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته ، فلا يحتاج في تعريفه بحد ولا في حصره بعد ، فمن ادعى زيادة عليه أو نقصاناً منه فقد أبطل الإجماع"[3] .

ثم بين أن بعض الناس زاغ عن الملة وهجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة ، ادّعى

– أن المصحف الذي جمعه عثمان لا يشتمل على جميع القرآن إذ كان قد أسقط عنه خمسمائة حرف منها " والعصر ونوائب الدهر" أسقط "ونوائب الدهر" .

– وأن عثمان والصحابة الكرام زادوا في القرآن ما ليس فيه فقرأ هذا المفتري "الله الواحد الصمد" فأسقط من القرآن "قل هو" وغير لفظ "أحد" وادعى أن هذا هو الصواب ، والذي عليه الناس هو الباطل .

– وادعى أن المصحف الذي في أيدينا اشتمل على تصحيف حروف مفسدة مغيّرة منها قوله تعالى "وكان عند الله وجيهاً"[4] قال والصواب "وكان عبداً لله وجيهاً".

1– محمد بن عبد الله النيسابوري–المستدرك على الصحيحين (91/4)حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه رقم(6977).

2– انظر: الزركشي–البرهان (306/1) .

3– القرطبي–الجامع (67/1) .

4– الأحزاب: (69) .

–وادعى أن عثمان لما أسند جمع القرآن إلى زيد بن ثابت لم يصب لأن عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب كانا أولى بذلك من زيد .

–وادعى أنه يجوز مخالفة مصحف عثمان مُستَدِلاً باختلاف القراءات ، وما ثبت في مصاحف الصحابة من الزيادات .

فرد عليه الإمام القرطبي بأقوال العلماء رداً جميلاً مخرساً لكل لسان كائد للإسلام حاقد على الدين ، حيث بين أن ما يروى من الحروف التي تخالف المصحف الذي عليه الإجماع من الحروف التي يعرف أسانيدها الخاصة دون العامة مثل ما نقل عن ابن عباس "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج" . وغيرها ، لم ينقلها أهل العلم على أن الصلاة بها تحل ولا أنها معارضة بها مصحف عثمان ، لأنها حروف لو جحدها جاحد أنها من القرآن لم يكن كافراً ؛ والقرآن الذي جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر بعضه منكر كان كافراً ، حكمه حكم المرتد يستتاب ؛ فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

وقد بين القرطبي من قبل حكم القراءة الشاذة بما روي عن الصحابة والتابعين بعد أن بين حكم القراءة بالقراءات السبع فقال:" قال ابن عطية: ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة وبها يصلى لأنها ثبتت بالإجماع ، وأما شاذ القراءات فلا يصلى به، لأنه لم يجمع الناس عليه، أما ما يؤثر عن أبي السمّال[1] ومن قارنه فإنه لا يوثق به"[2].

قال القرطبي:" وقال غيره: أما شاذ القراءة عن المصاحف المتواترة فليس بقرآن ولايعمل بها على أنها منه ، وأحسن محاملها أن تكون بيان تأويل مذهب من نسبت إليه كقراءة ابن مسعود:"فصيام ثلاثة أيام متتابعات". فأما لو صرح الرواي بسماعها من رسول الله ﷺفاختلف العلماء في العمل بذلك على قولين:النفي والإثبات،وجه النفي أن الرواي لم يروه في معرض الخبر بل في معرض القرآن،ولم يثبت فلا يثبت.والوجه الثانى:أنه وإن لم يثبت كونه قرآناً فقد

ثبت كونه سنة، وذلك يوجب العمل به كسائر أخبار الآحاد"[3]. ثم بين القرطبي أن قوله تعالى:

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[4]دلالة على كفر من قال بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير.

وفى قوله تعالى(ألر كتاب أحكمت آياته)[5] دلالة على بدعة ذلك الإنسان المفتري وخروجه إلى الكفر، لأن معنى (أحكمت آياته): منع الخلق من القدرة على أن يزيدوا فيها، أو ينقصوا منها أو

1– أبو السمّال: قعنب بن أبي قعنب أبي السمال بفتح السين وتشديد الميم ، العدوي البصري ، له اختيار في القراءة شاذة عن العامة رواه عنه سعيد بن أوس (انظر: غاية النهاية 27/2) .

2– القرطبي–الجامع (64/1) .

3– القرطبي–الجامع (64/1).

4– الحجر: (9) .

5– هود: (1) .

يعارضوها بمثلها. ثم جاء بدليل عقلى لإبطال قول من قال بالزيادة أو النقصان في القرآن. فقال: يقال لهذا الإنسان ومن ينتحل نصرته: أخبرونا عن القرآن الذي نقرؤه ولا نعرف نحن ولا من كان قبلنا من أسلافنا سواه ، هل هو مشتمل على جميع القرآن من أوله إلى آخره ، صحيح الألفاظ والمعاني عارٍ عن الفساد والخلل؟ أم هو واقع على بعض القرآن ، والبعض الآخر غائب عنا كما غاب عن أسلافنا والمتقدمين من أهل ملتنا؟ فإن أجابوا بأن القرآن الذي معنا مشتمل على جميع القرآن لا يسقط منه شيء ، صحيح اللفظ والمعاني ، سليمها من كل زلل وخلل، فقد قضوا على أنفسهم بالكفر حين زادوا فيه "فليس له اليوم هاهنا حميم وليس له شراب إلا من غسلين من عين تجري من تحت الجحيم".فأي زيادة في القرآن أوضح من هذه، وكيف تخلط بالقرآن وقد حرسه الله منها ومنع كل مفتر ومبطل من أن يلحق بها مثلها[1].

ثم أتى بدليل آخر يبطل تلك الزيادة التي زادها المفترون في الآية التي سبق ذكرها حيث إن الزيادة كانت في إبدال كلمة "طعام" بكلمة "شراب" مع زيادة "من عين تجري من تحت الجحيم" وبهذه الزيادة يفسد معنى الآية لأن الآية التالية هي (لا يأكله إلا الخاطئون)[2] . فكيف يؤكل الشراب ، فهذا تناقض يفسد بعضه بعضاً لأن الشراب لا يؤكل ولا تقول العرب أكلت الماء .

وفي نهاية حديثه قال الإمام القرطبي" وحسبك بهذا كله رداً لقوله ، وخزياً لمقاله ، وما يؤثر عن الصحابة والتابعين أنهم قرءوا بكذا وكذا إنما ذلك على جهة البيان والتفسير لا أن ذلك قرآن يتلى ، وكذلك ما نسخ لفظه وحكمه أو لفظه دون حكمه ليس بقرآن"[3] .

نلاحظ في هذه المسألة أن الإمام القرطبي بدأ بتعريف القرآن الكريم تعريفاً جامعاً مانعاً ، ثم ذكر الافتراءات التي افتراها بعض المفترين الحاقدين ، ورد عليها بكلام واضح صحيح مستشهداً بأقوال العلماء، وبما آتاه الله من عقل راجح وحجة قوية أبطل الباطل وأحق الحق .

ومما يؤكد صواب كلام القرطبي قول العلامة أبو عبيد القاسم بن سلام حيث قال:" ونحكم بالكفر على الجاحد لهذا الذي بين اللوحين خاصة وهو ما ثبت في الإمام الذي نسخه عثمان بإجماع من المهاجرين والأنصار ، وإسقاط لما سواه ثم أطبقت عليه الأمة فلم يختلف في شيء منه يعرفه جاهلهم كما يعرفه عالمهم ، وتوارثه القرون بعضها عن بعض ، ويتعلمه الولدان في المكتب ، وكانت هذه إحدى مناقب عثمان العظام ، وقد كان بعض أهل الزيغ طعن فيه ثم تبين للناس ضلالهم في ذلك"[4] .

1- انظر: القرطبي-الجامع (101/1) .

2- الحاقة: (37) .

3- القرطبي-الجامع (102/1) .

4- أبو عبيد القاسم بن سلام-فضائل القرآن (194) .

وقال أيضاً " فهذه الحروف وأشباه لها كثير قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك ، فكيف إذا روي عن لباب أصحاب محمدﷺ ثم صار في نفس القراءة ، فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى"[1].

وقال مكي بن أبي طالب بعد أن ذكر أمثلة على قراءات مروية عن الصحابة والتابعين مخالفة لخط المصحف "لا يجوز اليوم لأحد أن يقرأ به ، لأنه إنما نقل إلينا بخبر الواحد عن الواحد ، ولا يُقطع على صحة ذلك ، ولا على غيبه وهو مخالف لخط المصحف الذي عليه الإجماع فخط المصحف أولى لأنه يقين ، والخبر غير يقين ، ولا يحسن أن ينتقل عن اليقين إلى غير اليقين"[2] .

هذه هي القضايا الهامة المتعلقة بالقراءات التي ذكرها الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره .

المبحث الثاني

أنواع القراءات التي استعرضها القرطبي في تفسيره

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القراءات المتواترة .

المطلب الثاني: القراءات غير المتواترة .

لقد اهتم الإمام القرطبي –رحمه الله– بذكر القراءات القرآنية بأنواعها المختلفة في تفسيره سواء في ذلك المتواترة منها، أو المشهورة التي يُقرأ بها ، أو الضعيفة الشاذة التي لا يقرأ بها. وقد

1– المرجع السابق (195) .

2– مكي بن أبي طالب–الإبانة عن معاني القراءات (97) .

استعرض –رحمه الله– أوجه القراءات الواردة في معظم ألفاظ القرآن الكريم ولم يفته إلا القليل من القراءات في بعض المواضع. فقد ذكر القراءات السبعة المتواترة، والثلاثة المشهورة المستفيضة المتواترة على الرأي الراجح ، والتي تلقتها الأمة بالقبول، وذكر كذلك قراءات آحاد صحيحة لم تبلغ حد التواتر فلم تكتب لها الشهرة مثل قراءة ابن محيصن والأعمش والحسن البصري واليزيدي ، وذكر قراءات شاذة ضعيفة ، وذكر ما وافق منها رسم المصحف وما خالفه أحياناً. وذكر قراءات مروية عن الصحابة الكرام ، وعن مصاحفهم ، وقراءات مروية عن التابعين ، وقراءات مروية عن أئمة القراء المشهورين وغيرهم ناسباً كل قراءة لمن قرأ بها غالباً. لكنه لم يتعرض إلا في مواضع قليلة للاختلافات الحاصلة بين القراء في هيئات النطق كالفتح والإمالة وتحقيق الهمزة وتسهيلها والتفخيم والترقيق ، وغير ذلك مما يطلق عليه في اصطلاح علماء القراءات (الأصول) .

المطلب الأول

القراءات المتواترة

تعريفها:

التواتر في اللغة: التتابع ، ومتواترة هي متتابعة ، ومنه قوله تعالى "ثم أرسلنا رسلنا تترا"[1] أي واحداً بعد واحد ، وقولهم: جاءت الخيل تترا أي جاءت متقطعة[2] .

والتواتر في الاصطلاح:"القراءة التي نقلها جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه"[3] .

وأما عن تحديد القراءات المتواترة فإن الأمة قد أجمعت على أن القراءات المروية عن القراء السبع المشهورين (نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي)متواترة. وأن القراءات الثلاثة المروية عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع وخلف ويعقوب الحضرمي هي كذلك قراءات مشهورة متواترة على الرأي الراجح الصحيح تلقتها الأمة بالقبول ، ومن لم يقل بتواترها قال هي مشهورة مستفيضة متلقاة لدى الأمة بالقبول ، وقد أفتى بذلك كثير من العلماء منهم العلامة شيخ الشافعية أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي وابنه العلامة قاضي القضاة أبو نصر عبد الوهاب ، والإمام ابن الجزري وغيرهم .

وقد سئل ابن الإمام السبكي أبو نصر عبد الوهاب عن قوله في كتاب "جمع الجوامع" في الأصول: "والسبع المتواترة" مع قوله "والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ" .

1– المؤمنون: (44) .

2– انظر: ابن منظور–لسان العرب ، مادة (وتر)(207/15) .

3– انظر: السيوطي–الإتقان (168/1) .

والسؤال هو: إذا كانت العشرة متواترة فلم لا قلتم والعشر متواترة بدل قولكم والسبع؟ فأجاب أما كوننا لم نذكر العشر بدل السبع مع ادعائنا تواترها فلأن السبع لم يختلف في تواترها وقد ذكرنا أولاً موضع الإجماع ثم عطفنا عليه موضع الخلاف ، على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة في غاية السقوط ولا يصح القول به عمن يعتبر قوله في الدين"[1] .

وقد سأله الإمام ابن الجزري كذلك بقوله:" ما تقول السادة العلماء أئمة الدين في القراءات العشرة التي يقرأ بها اليوم هل هي متواترة أو غير متواترة ، وهل كلما انفرد به واحد من العشرة بحرف من الحروف متواترة أم لا ، وإذا كانت متواترة فما يجب على من جحدها أو حرفاً منها؟ قال الإمام ابن الجزري: فأجابني ومن خطه نقلت: الحمد لله ، القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة ، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول اللهﷺ لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل وليس تواتر شيء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات بل هي متواترة عند كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ولو كان مع ذلك عامياً جلفاً لا يحفظ من القرآن حرفاً ، ولهذا تقرير طويل وبرهان عريض لا يسع هذه الورقة شرحه وحظ كل مسلم وحقه أن يدين لله تعالى ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين لا يتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شيء منه والله أعلم . كتبه عبد الوهاب بن السبكي الشافعي[2] .

منهج الإمام القرطبي في القراءات المتواترة:

أولاً: رأي الإمام القرطبي في القراءات المتواترة هل هي السبعة أم العشرة؟

يقول الإمام القرطبي:" والقراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ، ليست هي الأحرف السبعة... وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة مما رووه ورأوه من القراءات وكتبوا في ذلك مصنفات ، فاستمر الإجماع على الصواب ، وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب . وعلى هذا الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون كالقاضي أبي بكر بن الطيب والطبري وغيرهما . قال ابن عطية: ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة وبها يصلى لأنها ثبتت بالإجماع ، وأما شاذ القراءات فلا يصلى به لأنه لم يجمع الناس عليه"[3]. وقال أيضاً عند عرضه لأقوال العلماء في مسألة البسملة هل هي آية من الفاتحة؟ قال:" والصحيح من هذه الأقوال قول مالك ، لأن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد إنما طريقة التواتر القطعي الذي لا يختلف فيه"[4] .

1- انظر: ابن الجزري-النشر (42/1) .

2- المرجع نفسه (42/1) .

3- القرطبي-الجامع (64/1) .

4- المرجع نفسه (109/1) .

ومن هذا الكلام نستنتج أن الإمام القرطبي يقول بتواتر القراءات السبعة دون العشرة حيث إن القراءات الثلاثة المكملة ليس الإجماع على تواترها كالإجماع على تواتر السبعة. فالقرطبي كما صرَّح لا يأخذ إلا بما تواتر قطعاً دون خلاف. ومما يؤكد أن الإمام القرطبي ملتزم بهذا الرأي، منهجه الذي اتبعه في ذكر القراءات المتواترة وغير المتواترة، وقد تمثل ذلك فيما يلي:

أ- أنه لا يذكر القراءات الثلاثة المكملة للعشرة في مواطن كثيرة .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] .

قال: (وخَرَّقوا) قراءة نافع بالتشديد على التكثير وقرأ الباقون بالتخفيف على التقليل[2] .

ففي هذا المثال ذكر أن القراءة الأولى قرأ بها نافع مع أن أبا جعفر قد قرأ بها كذلك[3] . فالقرطبي عندما قال الباقون قصد بالباقين القراء السبعة لأنه لو قصد العشرة لذكر في القراءة الأولى أبا جعفر .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

قال:" وفي درست سبع قراءات . قرأ أبو عمرو وابن كثير (دارست) بالألف بين الدال والراء، كفاعلت، وهي قراءة علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وأهل مكة. قال ابن عباس معنى (دارست) تاليت. وقرأ ابن عامر (دَرَستْ) بفتح السين وإسكان التاء من غير ألف، كخرجت. وهي قراءة الحسن . وقرأ الباقون (درسْتَ) كخرجت"[5] .

ففي هذا المثال ذكر ثلاث قراءات متواترة ولم يذكر قراءة يعقوب حيث إنه قرأ بقراءة ابن عامر[6] .

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[7] .

1- الأنعام: (100) .

2- انظر: القرطبي-الجامع (55/7) .

3- انظر: أبو عمرو الداني-التيسير في القراءات السبع (87) ، محمد راجح-القراءات العشر (140) .

4- الأنعام: (105) .

5- القرطبي-الجامع (60/7) .

6- انظر: ابن الجزري-النشر (196/2) .

7- الأعراف: (138) .

قال:" وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف والباقون بضمها"[1] .

ففي هذا المثال لم يذكر القرطبي خلف ، أحد القراء الثلاثة حيث إنه قرأ بقراءة حمزة والكسائي[2] .

فهذه الأمثلة وغيرها تدل على أن الإمام القرطبي ترك ذكر القراءات الثلاثة المكملة للعشرة في مواطن متعددة ، وفي ذلك دلالة على أنه لا يعتبرها من القراءات المتواترة التي يجب ذكرها مع القراءات السبعة المتواترة . هذا الكلام لا يعني أن الإمام القرطبي ترك هذه القراءات بالكلية ، بل إنه ذكرها في مواطن متعددة ووجهها وبين معانيها ، وكان يأتي بها مستقلة عن غيرها أحياناً ، ويذكرها مع القراءات الأخرى أحياناً .

وهذه بعض الأمثلة:

فعند تفسير قوله تعالى:﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[3] .

قال القرطبي:" وروي عن النبيﷺ أنه قرأ (فبذلك فلتفرحوا) بالتاء[4] ، وهي قراءة يزيد بن القعقاع ويعقوب وغيرهما"[5] .

وعند تفسير قوله تعالى:﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾[6] .

قال:"وقرأ يزيد بن القعقاع(أنه يبدأ الخلق)تكون(أن) في وضع نصب،أي وعدكم أنه يبدأ الخلق، ويجوز أن يكون التقدير لأنه يبدأ الخلق،كما يقال: لبيك أن الحمد والنعمة لك. والكسر أجود"[7].

ففي هذا المثال ذكر قراءة يزيد بن القعقاع ووجهها بالنحو وبين معناها ثم رجح القراءة التي عليها القراء جميعاً وهي قراءة الكسر (إن) لأنها أجود .

وعند تفسير قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[8].

1- القرطبي-الجامع (261/7) .

2- انظر: عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (149) .

3- يونس: (58) .

4- انظر: ابن الجزري-النشر (214/2).

5- القرطبي-الجامع (326/8) .

6- يونس: (4) .

7- القرطبي-الجامع (287/8).

8- يونس: (5) .

قال الإمام القرطبي:" وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب (يفصل) بالياء ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله من قبله (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) وبعده (وما خلق الله في السموات والأرض) فيكون متبوعاً له"[1] .

وفي هذا المثال جمع القرطبي أحد القراء الثلاث وهو يعقوب مع القراء السبع حيث إنهم اشتركوا في تلك القراءة .

ب-يحكم على بعض القراءات الثلاثة أحياناً بالشذوذ أو الضعف وهذا أمر خطير .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى :﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2].

قال:" وقراءة عاصم الجحدري[3] (ليُحكم بين الناس) على ما لم يسمّ فاعله ، وهي قراءة شاذة لأنه تقدم ذكر الكتاب"[4]. يلاحظ أن الإمام القرطبي حكم على هذه القراءة بالشذوذ مع أنها قراءة عشرية لأبي جعفر[5] ، فالقرطبي من ناحية لم يذكر أن القراءة لأبي جعفر ، ومن ناحية أخرى حكم عليها بالشذوذ الأمر الذي يشي بعدم اهتمامه بهذه القراءة .

ومثال آخر: فعند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾[6] .

قال القرطبي:" (نسقيكم) قراءة أهل المدينة وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (بفتح النون) من سقى يسقي ، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم (بضم النون) من أسقى يسقي ، وهي قراءة الكوفيين وأهل مكة... وقرأت فرقة (تسقيكم) بالتاء وهي ضعيفة"[7] .

ونلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر القراءات المتواترة في هذه الكلمة ثم قال:" وقرأت فرقة (تسقيكم) وهي ضعيفة" مع أن الذي قرأ بهذه القراءة هو أبو جعفر ، فهي إحدى القراءات العشر

1- القرطبي-الجامع (289/8).

2- البقرة: (213).

3- عاصم الجحدري: هو ابن الحجاج ويكنى أبا المُجَشِّر البصري ، يقال له: عاصم بن أبي الصباح ، قرأ القرآن على نصر بن عاصم عاصم والحسن البصري وغيرهما ، تصدر للإقراء ، فقرأ عليه هارون الأعور ، وسلام القارئ ، له شواذ ومناكير ، توفي سنة ثمان وعشرين ومائة .(انظر: معرفة القراء الكبار 210/1) .

4- القرطبي-الجامع (36/3) .

5- انظر: ابن الجزري-النشر (171/2) .

6- النحل: (66) .

7- القرطبي-الجامع (130/10) .

المتواترة[1]، لكن الإمام القرطبي ذكرها متأخرة عن القراءات المتواترة، ولم يذكر صاحبها ، وحكم عليها بالضعف فكل هذا يقوي الاستنتاج بأن الإمام القرطبي لا يقول بتواتر القراءات الثلاثة كقوله بتواتر السبعة .

ثانياً: القراءات المتواترة في تفسيره .

لقد ذكر الإمام القرطبي القراءات المتواترة في تفسيره فلم يفته منها إلا القليل وقد اهتم بها اهتماماً بالغاً ، ولقد ظهر ذلك جلياً في تفسيره في مواطن كثيرة وفيما يلي طرفاً منها :

– بيان الترجيح والاختيار لهذه القراءات على غيرها .

– بيان من قرأ بها من القرّاء السبع وغيرهم من الصحابة والتابعين. أو سُمعت من الرسولﷺ فرواها أحد الصحابة وصرَّح بسماعها منه .

– بيان ذكر الراوي عن أحد السبعة ، أو اختلاف القراءة عن أحد القرّاء .

– من خلال وصفه لهذه القراءات بأوصاف متعددة مثل قوله: قراءة الجمهور أو الجماعة أو العامة وغير ذلك من الأوصاف الدالة على العناية البالغة لدى الإمام القرطبي لهذه القراءات .

لكنه أحياناً كان يذكر قراءات منسوبة إلى القراء السبعة وإن كانت غير متواترة .

–وكان أحياناً يذكر الاختلاف في لفظ الكلمة دون أن يبين أنها قراءة مع كونها قراءة متواترة .

ومن الأمثلة على ما ذُكر الآتي: ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2].

قال القرطبي:" قرأ حمزة وحفص (البرَّ) بالنصب لأن (ليس) من أخوات كان . يقع بعدها المعرفتان فتجعل أيهما شئت الاسم أو الخبر ، فلما وقع بعد (ليس) (البر) نصبه ، وجعل (أن تولوا) الاسم ، وكان المصدر أولى بأن يكون اسماً لأنه لا يتنكر ، والبر قد يتنكر والفعل أقوى في التعريف . وقرأ الباقون (البرُّ) بالرفع على أنه اسم ليس وخبره (أن تولوا) تقديره: ليس البر توليكم وجوهكم ، وعلى الأول ليس توليتكم وجوهكم البر ، كقوله (ما كان حجتهم إلا أن قالوا) ويقوي قراءة الرفع أن الثاني معه الباء إجماعاً في قوله (وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها) ولا يجوز فيه الرفع فحمل الأول على الثاني أولى من مخالفته له ، وكذلك هو في مصحف أبي

1– انظر: عبد الفتاح القاضي–البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (225) .

2– البقرة: (177) .

بالباء (ليس البر بأن تولوا)[1] وكذلك في مصحف ابن مسعود أيضاً ، وعليه أكثر القراء والقراءتان حسنتان"[2]. أرأيت كيف وجَّه القرطبي القراءتين بالنحو والقرآن والمعنى؟ وكيف رجح إحداهما على الأخرى بدلالة السياق ، وما عليه مصحف أبي وابن مسعود وما عليه أكثر القراء ، مع الحكم أن القراءتين حسنتان؟ إنها الروعة والإتقان .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[3] .

قال:" قرأ ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومسروق وأبو وائل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن كثير وحمزة والكسائي (لتركبَنَّ) بفتح الباء خطاباً للنبيﷺ أي لتركبن يا محمد حالاً بعد حال ، قاله ابن عباس والشعبي:لتركبن يا محمد سماء بعد سماء، ودرجة بعد درجة،ورتبة بعد رتبة في القرابة من الله...وقيل:أي لتركبن أيها الإنسان حال بعد حال من كونك نطفة ثم علقة ثم حياً وميتاً وغنياً وفقيراً...وقرأ الباقون(لتركبُن) بضم الباء خطاباً للناس واختاره أبو عبيد وأبو حاتم،قال:لأن المعنى بالناس أشبه منه بالنبيﷺ لما ذكر قبل هذه الآية"[4].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر من قرأ بالقراءة الأولى من الصحابة والتابعين والقراء السبعة ، ثم وجه تلك القراءة ببيان معناها ، ثم ذكر قراءة متواترة ثانية وبين معناها وأنها اختيار أبي عبيد وأبي حاتم باعتبار المعنى والسياق .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[5] .

قال:" وقراءة العامة بفتح الكاف من (كَتَبَ) ونصب النون من (الإيمان) بمعنى كتب الله وهو الأجود ، لقوله تعالى: (وأيدهم بروح منه) وقرأ أبو العالية وزر بن حبيش والمفضل عن عاصم (كُتِبَ) على ما لم يسم فاعله (الإيمان) برفع النون"[6] .

ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءتين الأولى متواترة[1] ، والثانية شاذة[2] ، ورجح المتواتر منها على على الشاذ بقوله: (وهو الأجود) لاعتبار السياق .

1- القرطبي-الجامع (243/2) .

2- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (11) .

3- الإنشقاق: (19) .

4- القرطبي-الجامع (266/19) .

5- المجادلة: (22) .

6- القرطبي-الجامع (293/17) .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3] .

قال:" عن معاذ بن جبل قال: أقرأنا رسول اللهﷺ (هل يستطيع ربك) قال معاذ: وسمعت النبيﷺ مراراً يقرأ بالتاء (هل تستطيع ربك)"[4] .

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة رواها صحابي جليل هو معاذ بن جبل سمعها من النبيﷺ والقراءتان متواترتان[5] قرأ بالتاء الكسائي ، والباقون بالياء .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[6] .

قال:" وقرأ ورش وحده (وقلنا لهم لا تعدَّوا في السبت) بفتح العين من عدا يعدو عدواً وعدواناً وعداءً ، أي باقتناص الحيتان ، والأصل فيه تعتدوا أدغمت التاء في الدال"[7] .

ونلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر رواية ورش عن نافع ثم وجه هذه القراءة بالصرف والمعنى مع بيان أصل الكلمة ، وهذا يدل على الدقة والفهم العميق والاهتمام بالقراءة .

ومن أمثلة ذلك ما ذكر عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[8]. قال:"وقراءة الجمهور:(سبأ)بالصرف.وابن كثير وأبو عمرو:(سبأ)بفتح الهمزة وترك الصرف"[9].

وفي هذا المثال وصف القرطبي القراءة المتواترة بأنها قراءة الجمهور وذكر أن الكلمة تصرف أي تنون . وقراءة ابن كثير وأبو عمرو بدون تنوين وهي متواترة[10] .

فهذه الشذرات من الأمثلة تشي بمدى اهتمام القرطبي بالقراءات المتواترة وكيف أنه يذكرها بأساليب متعددة . ولنا عود بمزيد من التوضيح والتفصيل في المباحث الآتية .

1- القراءة متواترة لم يختلف فيها أحد من القراء العشرة . (انظر:النشر 288/2) .

2- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (154) .

3- المائدة: (112) .

4- القرطبي-الجامع (343/6) .

5- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (395) .

6- النساء: (154) .

7- القرطبي-الجامع (11/6) .

8- النمل: (22) .

9- القرطبي-الجامع (190/13) .

10- انظر: علي الصفاقسي-غيث النفع في القراءات السبع (210) .

أما بالنسبة لما وقع فيه الإمام القرطبي من سهو أو خطأ عند ذكره للقراءات المتواترة فكان أحياناً يذكر قراءات منسوبة إلى القراء السبعة أو العشرة لكنها غير متواترة حيث إنها غير موثقة في كتب القراءات المتواترة .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[1]. قال:" وقرأ ابن عامر (فيكونَ) بالنصب وهو إشارة إلى سرعة الحساب والبعث"[2] . فهذه القراءة التي ذكرها القرطبي لم ترو عن ابن عامر ولم يقرأ بها أحد من القراء العشرة[3] . فهي قراءة شاذة[4] .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [5] .

قال القرطبي:" وقرأ عاصم من رواية أبي بكر بن عياش (لمن تبعك منهم) بكسر اللام"[6] .

فهذه القراءة لم يقرأ بها عاصم ولا غيره من القراء العشرة[7] . وإنما هي قراءة شاذة[8] .

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾[9].

قال:" وروي عن أبي عمرو (يُخْلَدْ) بضم الياء من تحت وفتح اللام . قال أبو علي: وهو غلط من جهة الرواية"[10] .

فهذه القراءة التي ذكرها القرطبي عن أبي عمرو شاذة[11] ، فأبو عمرو قرأ (يَخلُد) بفتح الياء وضم اللام[12]. ولكن القرطبي في هذا المثال الوحيد بيَّن نقلاً عن أبي عمرو أن حكم هذه القراءة غلط من جهة الرواية أما باقي الأمثلة من هذا النوع فلم يحكم على روايتها وإنما ذكرها بدون حكم –

1- الأنعام: (73) .
2- القرطبي-الجامع (23/7) .
3- انظر: ابن الجزري-النشر (195/2) .
4- انظر: ابن خالويه-في شواذ القرآن (38) .
5- الأعراف: (18) .
6- القرطبي-الجامع (171/7) .
7- انظر: ابن الجزري-النشر (201/2) .
8- انظر: ابن خالويه-في شواذ القرآن (42) .
9- الفرقان: (69) .
10- القرطبي-الجامع (82/13) .
11- انظر: ابن خالويه-في شواذ القرآن (105) .
12- انظر: ابن الجزري-النشر (251/2) .

كما مرَّ معنا– . فمن وقف على تلك الأمثلة وأشباهها دون الرجوع إلى كتب القراءات المتواترة يظن أنها قراءات متواترة وليس الأمر كذلك ، فإنها في حقيقة الأمر قراءات شاذة .

أما ما ذكره الإمام القرطبي من الاختلاف في اللفظة القرآنية دون بيان أنها قراءة قرآنية وإنما يبين أنها لغة أو أصلها في اللغة .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

قال:" (أبلغكم) بالتشديد من التبليغ ، وبالتخفيف من الإبلاغ . وقيل هما بمعنى واحد لغتان ، مثل كرّمه وأكرمه"[2] .

ففي هذا المثال ذكر القرطبي أن كلمة (أبلغكم) بالتشديد وبالتخفيف لغتان دون الإشارة إلى أنهما قراءتان متواترتان فقد قرأ بالتخفيف أبو عمرو وبالتشديد الباقون"[3] .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[4].

قال:" والأصل (كيدوني) حذفت الياء لأن الكسرة تدل عليها وكذا (فلا تنظرون)"[5] .

ففي هذا المثال بين القرطبي أن أصل الكلمة (كيدوني) بالياء . دون بيان أنها قراءة متواترة حيث قرأ بها أبو عمرو وأبو جعفر بالياء وصلاً ، ويعقوب وهشام وصلاً ووقفاً ، والباقون بدون ياء وصلاً ووقفاً[6] .

وأحياناً يكون القرطبي غير دقيق في نسبة القراءة المتواترة إلى أصحابها وهذا نادراً جداً .

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[7] .

1– الأعراف: (62) .

2– القرطبي–الجامع (226/7) .

3– انظر: ابن خلف الأنصاري–الإقناع في القراءات السبع (402) .

4– الأعراف: (195) .

5– القرطبي–الجامع (327/7) .

6– انظر: محمد راجح–القراءات العشر (175) ، الإقناع (404) .

7– المائدة: (97) .

قال:" وقرأ ابن عامر وعاصم (قيماً)"[1] .

والصحيح أن الذي قرأ بهذه القراءة هو ابن عامر فقط[2] .

وتعقيباً على ما ذكر من الأمثلة ، فإن الإمام القرطبي على ما اتصف به من علم واسع وإتقان وعناية بالقراءات المتواترة وغيرها إلا أنه إنسان غير معصوم من الخطأ أو السهو . فما ذكرناه لا ينفي ما وصف به هذا العالم الجليل من تبحر في العلم وإتقان ودقة ، وذلك لأن ما ذكرناه من ترك القرطبي لذكر بعض القراءات المتواترة ، أو ذكره لقراءات عن السبعة القراء وهي غير متواترة أو عدم دقته في نسبة القراءة إلى أصحابها ، فإن ذلك قليل ونادر جداً بالنسبة لما ذكره من قراءات وإجادته وتفننه في ذكرها وتوجيهها وبيان أثرها .

ثالثاً: موقف القرطبي من القراءات المتواترة التي ردها بعض النحاة .

كان الإمام القرطبي في سياق ذكره للقراءات وتوجيهها يذكر أقوالاً للنحاة يصفون بها بعض القراءات المتواترة بأنها لحن أو ضعيفة أو غير جائزة في العربية ، وكان القرطبي من هذه الأقوال على أحد موقفين:

الأول: موقف سلبي يكون فيه القرطبي متأثراً بأقوال النحاة مؤيداً لهم فيما يقولون مقلداً لهم أحياناً ، أو أنه يذكر أقوالهم المضعفة للقراءة دون رد منه .

الثاني: موقف إيجابي رائع يدافع فيه عن القراءة ويرد كلام النحاة مستدلاً بذلك من أقوال العلماء وأقوال النحاة وهذا هو موقفه في الغالب .

وهذه بعض الأمثلة على ذلك .

الموقف الأول: الموقف السلبي .

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾[3].

قال: وقرأ سائر أهل الكوفة (أرجه) بإسكان الهاء . ثم قال: وكسر الهاء على الاتباع ، ويجوز ضمها على الأصل ، وإسكانها لحن لا يجوز إلا في شذوذ من الشعر[4] .

يتضح من هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءات متواترة في كلمة (أرجه) وبين أن سائر أهل الكوفة قرأوا بإسكان الهاء ، ثم وصف هذه القراءة بأنها لحن لا يجوز إلا في شذوذ الشعر مع علمه أنها قراءة متواترة قرأ بها عاصم وحمزة[5]. وهذا أمر خطير وقع فيه الإمام القرطبي متأثراً

1- القرطبي-الجامع (306/6) .

2- انظر: ابن الجزري-النشر (192/2) .

3- الأعراف: (111) .

4- انظر: القرطبي-الجامع (247/7) .

5- انظر: النشار-المكرر في القراءات السبع (133) .

بالنحاة ، وكان الأولى الابتعاد عنه وتجنبه ، لأنه لا يجوز أن نصف قراءة متواترة بهذا الوصف إطلاقاً .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴾[1] .

قال القرطبي: وقرأ ابن عامر (أشْدُدْ) بقطع الألف (وأُشركْهُ) أي أنا يا رب (في أمري) قال النحاس[2]: جعلوا الفعلين في موضع جزم جواباً لقوله: (اجعل لي وزيراً) وهذه القراءة شاذة بعيدة[3] .

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة قرأ بها ابن عامر فهو يعلم أنها متواترة ثم ذكر كلام النحاس ببعد هذه القراءة وشذوذها دون أن يرد بكلمة واحدة .

فهذا الموقف السلبي ليس هو الموقف الحقيقي الذي يغلب على القرطبي كما سيظهر فيما يأتي.

الموقف الثاني: الموقف الإيجابي .

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾[4].

قال:" وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة (يحسبن) بالياء والباقون بالتاء[5] على أن يكون الفعل ضمير الفاعل . و(الذين كفروا) مفعول أول و(سبقوا) مفعول ثاني . وأما قراءة الياء فزعم جماعة من النحويين منهم أبو حاتم أن هذا لحن لا تحل القراءة به ولا تسع لمن عرف الإعراب أو عُرّفه . قال أبو حاتم: لأنه لم يأت لـ(يحسبن) بمفعول وهو يحتاج إلى مفعولين . قال النحاس: وهذا تحامل شديد ، والقراءة تجوز ويكون المعنى: ولا يحسبن من خلفهم الذين كفروا سبقوا ؛ فيكون الضمير يعود على ما تقدم ، إلا أن القراءة بالتاء أبين . المهدوي: ومن قرأ بالياء احتمل أن يكون في الفعل ضمير النبيﷺ ويكون (الذين كفروا سبقوا) المفعولين ، ويجوز أن يكون (الذين كفروا) فاعلاً ، والمفعول الأول محذوف ، والمعنى: ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا . مكي: ويجوز أن يضمر مع سبقوا أن ، فيسد مسد المفعولين والتقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا . فهو مثل (أحسب الناس أن يتركوا)[6] في سد أن مسد مفعولين"[7] .

1- طه: (31) .

2- النحاس: هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس المصري المفسر النحوي ، توفي سنة (338هـ) . (انظر: سير أعلام النبلاء 401/15 ، طبقات المفسرين 78/1)

3- انظر: القرطبي-الجامع (205/11) .

4- الأنفال: (59) .

5- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (405) .

6- العنكبوت: (2) .

7- القرطبي-الجامع (37/8) .

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي رد على قول أبي حاتم بأن القراءة لحن بثلاثة ردود الأول للنحاس وهو نحوي ومفسر ، والمهدوي ومكي بن أبي طالب من علماء الإسلام . وهذا يدل على موافقة القرطبي لهؤلاء العلماء الثلاثة في موقفهم ودفاعه عن القراءات بما يستطيع .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1] .

قال القرطبي: وقرأ إبراهيم النخعي وقتادة والأعمش وحمزة (والأرحامِ) بالخفض . وقد تكلم النحويون في ذلك . فأما البصريون فقال رؤساؤهم: هو لحن لا تحل القراءة به . وأما الكوفيون فقالوا: هو قبيح . ثم قال: قال سيبويه[2]: لم يعطف على المضمر المخفوض ؛ لأنه بمنزلة التنوين ، والتنوين لا يعطف عليه ، وقال جماعة: هو معطوف على المكنى ؛فإنهم كانوا يتساءلون بها ، يقول الرجل: سألتك بالله والرحم ؛ هكذا فسره الحسن والنخعي ومجاهد ، وهو الصحيح في المسألة على ما يأتي . وضعفه أقوام منهم الزجاج[3] ، وقالوا: يقبح عطف الاسم الظاهر على المضمر في الخفض إلا بإظهار الخافض ؛ كقوله (فخسفنا به وبداره الأرض)[4] ويقبح (مررت به وزيد) ثم قال – أي القرطبي– قال أبو علي: ذلك ضعيف في القياس. وبعد ذكر القرطبي لأقوال النحاة قال: قلت: هذا ما وقفت عليه من القول لعلماء اللسان في منع قراءة (والأرحامِ) بالخفض. واختاره ابن عطية ، ورده الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري[5] ، واختار العطف فقال: ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين ؛ لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القرَّاء ثبتت عن النبيﷺ تواتراً يعرفه أهل الصنعة ، وإذا ثبت شيء عن النبيﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبيﷺ واستقبح ما قرأ به ، وهذا مقام محذور ، ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو ؛ فإن العربية تتلقى من النبيﷺ ولا يشك أحد في فصاحته[6]. ثم قال القشيري أيضاً: وقد قيل هذا إقسام إقسام بالرحم ، أي اتقوا الله وحق الرحم ؛ كما تقول: افعل كذا وحق أبيك . وقد جاء في التنزيل: (والنجم ، والطور ، والتين ، لعمرك) وهذا تكلف. قلت– أي القرطبي– لا تكلف فيه فإنه لا يبعد

1– النساء: (1) .

2– سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو البشر ، المعروف بسيبويه الفارسي ثم البصري ، توفي سنة (180هـ) . (انظر: سير أعلام النبلاء 351/8) .

3– الزجاج: هو إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحق الزجاج ، له تآليف كثيرة منها العروض ، توفي سنة (311هـ).
(انظر: البداية والنهاية 159/11) .

4– القصص: (81) .

5– القشيري: هو عبد الرحيم بن عبد الكريم ، أبو هوازن ، أبو نصر القشيري ، واعظ من علماء نيسابور ، كان فصيحاً جريئاً ، حدث حدث ببغداد فحدثت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية ، توفي سنة (514هـ) . (انظر: سير أعلام النبلاء 424/19) .

6– انظر: القرطبي–الجامع (8/5، 9) .

أن يكون (والأرحام) من هذا القبيل، فيكون أقسم بها كما أقسم بمخلوقاته الدالة على وحدانيته وقدرته تأكيداً لها حتى قرنها بنفسه والله أعلم. ولله أن يقسم بما شاء ويبيح ما يشاء ، فلا يبعد أن يكون قسماً . والعرب تقسم بالرحم[1].

ففي هذا المثال يلاحظ أن القرطبي قد استعرض أقوال النحاة في منع قراءة (والأرحامِ) بالخفض وصَحَّحَ في ثنايا عرضه العطف على الضمير وقوى ذلك بما نقله عن القشيري ، ورد رفض القشيري لمن خَرَّج قراءة الخفض على أساس أنها إقسام بالرحم ، وارتضى أن تخرج القراءة على ذلك. وبهذا يكون القرطبي قد دافع عن القراءة المتواترة رغم السيل العارم من أقوال النحاة في معارضتها وتضعيفها ، فلم يوافقهم إلى ما ذهبوا إليه بل عارضهم ووقف مدافعاً عن القراءة .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2] .

قال القرطبي:" وقرأ أهل المدينة وعاصم (شركاً) على التوحيد . وأبو عمرو وسائر أهل الكوفة بالجمع ، على مثل فُعلاء ، جمع شريك . وأنكر الأخفش سعيد[3] القراءة الأولى ، وهي صحيحة على حذف المضاف أي جعلا له ذا شرك مثل (واسأل القرية)[4] . فيرجع المعنى إلى أنهم جعلوا له شركاء"[5] .

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي لم يسكت بعد كلام الأخفش وإنما رد عليه وبين أن القراءة صحيحة مستدلاً بالنحو وبالقرآن ، مع بيان أن معنى القراءة الأولى يرجع إلى القراءة الثانية . فهذا موقف رائع من القرطبي في الدفاع عن القراءة المتواترة .

ومنه ما ذكره عند قوله تعالى:﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6].

قال القرطبي:" قرأ الجمهور (أيه) بفتح الهاء . وقرأ ابن عامر بضمها ، ووجهه أن تجعل الهاء من نفس الكلمة ، فيكون إعراب المنادى فيها . وضعف أبو عمرو ذلك جداً وقال: آخر الاسم هو الياء الثانية من (أي) فالمضموم ينبغي أن يكون آخر الاسم ، ولو جاز ضم الهاء هاهنا لاقترانها بالكلمة في كلام طويل . والصحيح أنه إذا ثبت عن النبيﷺ قراءة فليس إلا اعتقاد الصحة في اللغة ، فإن القرآن هو الحجة .

1- المرجع نفسه(9/5) .

2- الأعراف: (190) .

3- الأخفش: سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط ، أحد الأخافش الثلاثة المشهورين ، سكن البصرة ، قرأ النحو على سيبويه وكان أسن منه ، توفي 215هـ . (انظر: بغية الوعاة 590/1) .

4- يوسف: (82) .

5- القرطبي-الجامع (323/7) .

6- النور: (31) .

وأنشد الفراء:

يا أيه القلب اللجوج النفس أفق عن البيض الحسان اللعس

واللعس لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلاً ، وذلك يستلمح ؛ يقال: شفة لعساء ، وفتية ونسوة لُعْس"[1] .

ونلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي دافع عن القراءة المتواترة بقوة حيث بين أن القراءة إذا ثبتت عن النبيﷺ فليس إلا اعتقاد الصحة في اللغة ، ثم استدل بالشعر وهو ديوان العرب ، فأكد أن القراءة الصحيحة الثابتة هي الأصل الذي يرجع إليه في النحو وغيره .

وهذا الموقف هو الذي اتصف به القرطبي وأكد عليه سواء بالأصالة عن نفسه أو نقلاً عن العلماء الأجلاء المدافعين عن القراءات القرآنية .

الخلاصة:

يتضح مما سبق أن الإمام القرطبي دافع عن القراءات المتواترة وردّ هجمات النحويين ، ولم يرتض مسلكهم في الغالب ، حيث إنه تأثر بهم في بعض المواقف النادرة . ولكن موقفه الثابت والذي اتَّسم به هو الدفاع عن القراءة لأنها الأساس . فالمنهج الصحيح هو اعتبار القراءات المتواترة هي الأساس وأن ما ثبت منها دليل على جوازه في العربية وليس العكس (لأن القراءة سنة متبعة)[2] . وقد أثبت القرطبي ذلك في أكثر من موضع في تفسيره[3] .

وليس معنى هذا أنه تجوز القراءة بما لا يسوغ في العربية ، بل إنما المعنى أن النحاة لم يحيطوا بكل ما ورد عن العرب ، فكان الأولى ألا يردوا قراءة ، وأن يلتمسوا تأويلها وتخريجها اعتداداً بمن رواها من الأئمة وأن يقولوا كما قال أبو عمرو بن العلاء:" ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله ، ولو جاءكم لجاءكم علم وافر وشعر كثير"[4] .

المطلب الثاني

القراءات غير المتواترة

والقراءات غير المتواترة تعني الشاذة .

تعريفها في اللغة والاصطلاح:

1- القرطبي-الجامع (241/12) .

2- انظر: ابن الجزري-النشر (21/1) .

3- انظر: القرطبي-الجامع (346/14) .

4- انظر: د .قصبي زلط-القرطبي ومنهجه في التفسير (235) .

لغة: الشذوذ مشتق من مادة (شذذ) وهو الانفراد والندرة ، وما جاء على خلاف الأصل ، ومنه قولهم: شذ الرجل أي انفرد عن أصحابه ، وقولهم: شذ عنهم أي انفرد عن الجمهور[1] .

اصطلاحاً: كل قراءة خالفت القراءات العشر فهي قراءة شاذة .

قال ابن الجزري:" قلت والصحيح أن ما وراء العشرة فهو الشاذ وما يقابل الصحيح إلا الفاسد"[2].

ويندرج تحت مسمى القراءات غير المتواترة –كما ذكر في التمهيد– الآحاد وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر ، والشاذ وهو الذي لم يصح سنده ، وكذلك الموضوع الذي افتراه بعض المفترين ، وكذا المدرج وهو الذي زيد في القراءات على وجه التفسير[3] ، أو وجد في بعض مصاحف الصحابة.ولقد اشتمل تفسير الإمام القرطبي على كل هذه الأنواع. فكان القرطبي يذكرها ضمن ما يذكره من قراءات ، ويقوم ببيان معناها وتوجيهها .

- فهو أحياناً يوجهها ويبين أنها لغة من لغات العرب ولهجاتهم .
- وأحياناً يقوي بها وجهاً إعرابياً في قراءة صحيحة .
- ومرة يردُّ معنى القراءة الشاذة إلى القراءة المتواترة .
- وفي أخرى يقوي القراءة المتواترة بما جاء في القراءة الشاذة .
- وأحياناً يقوي بعض آراء المفسرين أو يرفضها بما جاء في القراءة الشاذة .
- وتارة كان يردُّ القراءة الشاذة ويرفض الاستدلال بها لضعفها وفساد معناها .

وهكذا جعل القرطبي من القراءات الشاذة مادة تخدم التفسير وتزيده إثراءاً وروعةً .

وفيما يلي طرفاً من الأمثلة على ما ذكرنا:

أولاً: أنواع القراءات غير المتواترة التي ذكرها القرطبي في تفسيره .

مثال: على القراءات الآحاد وهي قراءة القراء الأربعة: ابن محيصن والأعمش والحسن البصري واليزيدي. ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا **يَسۡتَحۡيِۦٓ** أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[4] .

1- انظر: ابن منظور –لسان العرب ، مادة (شذذ) (61/7) .

2- ابن الجزري–النشر (42/1) .

3- انظر: السيوطي–الإتقان في علوم القرآن (168/1) .

4- البقرة: (26) .

قال القرطبي:" وقرأ ابن محيصن بكسر الحاء وياء واحدة ساكنة ، وروي عن ابن كثير ، وهي لغة تميم وبكر بن وائل ، نقلت فيها حركة الياء الأولى إلى الحاء فسكنت ، ثم استثقلت الضمة الثانية فسكنت ، فحذفت إحداهما للالتقاء"[1] .

ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءة آحاد[2] لأحد القراء الأربعة عشر وهو ابن محيصن ، ووجه قراءته بأنها لغة تميم وبكر ثم وجهها بالصرف .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]. قال:" وقرأ الحسن (راعناً) منونة . وقال: أي هجراً من القول ، وهو مصدر ونصبه بالقول ؛ أي لا تقولوا رُعُونة"[4] .

ففي هذا المثال ذكر قراءة آحاد[5] للحسن البصري وبين معناها ووجهها بالنحو .

ومما ذكره القرطبي في تفسير هذه الآية:" وقرأ الأعمش وغيره (أنْظرنا) بقطع الألف وكسر الظاء ، بمعنى أخرنا وأمهلنا حتى نفهم عنك ونتلقى منك ؛ قال الشاعر:

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا"[6] .

ففي هذا المثال ذكر قراءة الأعمش أحد الأربعة عشر وبين معناها ووجهها بالشعر .

ومن الأمثلة على القراءة الشاذة ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[7] .

قال:" وقرئ في الشواذ (من أنفَسِهم) بفتح الفاء يعني من أشرفهم ؛ لأنه من بني هاشم ، وبنو هاشم أفضل من قريش ، وقريش أفضل من العرب والعرب أفضل من غيرهم"[8] .

وفي هذا المثال ذكر القرطبي قراءة شاذة[9] ، صرّح بشذوذها ، ووجهها ببيان معناها .

وهذا مثال على قراءة أبي السمّال وقد صرّح القرطبي في مقدمته[10] أن قراءته شاذة .

1- القرطبي-الجامع (260/1) .

2- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (4) .

3- البقرة: (104) .

4- القرطبي-الجامع (64/2) .

5- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (9) .

6- القرطبي-الجامع (65/2) .

7- آل عمران: (164) .

8- القرطبي-الجامع (274/4) .

9- انظر: ابن خالويه-مختصر شواذ القرآن (23) .

10- انظر: القرطبي-الجامع (64/1) .

وعند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

قال القرطبي:" وقرأ ابن محيصن (فمن اطُّرَّ) بإدغام الضاد في الطاء . وأبو السمال (فمن اضطِر) بكسر الطاء . وأصله اضطرر فلما أدغمت نقلت حركة الراء إلى الطاء"[2] .

ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءة لابن محيصن أحد القراء الأربعة عشر ، وقراءة لأبي السمّال ووجهها ببيان أصلها والقراءتان شاذتان[3] .

ومن الأمثلة على القراءة التفسيرية ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾[4] .

قال القرطبي:" وقراءة ابن مسعود (على قلب كل متكبر) فهذه قراءة على التفسير والإضافة"[5].

ففي هذه القراءة تقديم وتأخير عن القراءة المتواترة فبين القرطبي أن ذلك تفسيرٌ للآية حيث صرح بذلك وهي قراءة شاذة[6] .

ومن الأمثلة على قراءة أحد مصاحف الصحابة ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾[7] .

قال القرطبي:" وفي مصحف عبد الله بن مسعود (وما يعبدون من دون الله) قال قتادة هذا تفسيرها"[8] .

ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءة عن مصحف عبد الله بن مسعود فيها إبدال كلمة (إلا) بكلمة (من دون) وقد بين قتادة أن ذلك تفسير لها .

ومن الأمثلة على قراءة موضوعة ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[9] .

1- البقرة: (173) .

2- القرطبي-الجامع (230/2) .

3- انظر: ابن خالويه-في شواذ القرآن (11) .

4- غافر: (35) .

5- القرطبي-الجامع (300/15) .

6- انظر: ابن خالويه-في شواذ القرآن (133) .

7- الكهف: (16) .

8- القرطبي-الجامع (375/10) .

9- الإخلاص: (3) .

قال القرطبي:" وقد أسقط من هذه السورة من أبعده الله وأخزاه ، وجعل النار مقامه ومثواه ، وقرأ (الله الواحد الصمد) في الصلاة والناس يسمعون ، فأسقط (قل هو) وزعم أنه ليس من القرآن . وغيّر لفظ (أحد) وادعى أن هذا هو الصواب ، والذي عليه الناس هو الباطل والمحال فأبطل معنى الآية"[1] .

ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءة موضوعة لواحد ممن حقدوا على دين الله فأرادوا تحريف كتابه بمثل هذه التفاهات ، فأبطل الله كيدهم بحفظ كتابه الكريم . وهذا النوع من القراءات قد أهمله القرطبي إلا بعض الأمثلة المعدودة لبيان تفاهة تلك القراءات وبطلانها . فهي في الحقيقة ليست قراءات ؛ وإنما أطلق عليها ذلك مجازاً من أجل التحذير منها وبيان بطلانها .

ثانياً:استغلال الإمام القرطبي القراءات غير المتواترة لخدمة التفسير وإثرائه. ومن صور ذلك:

1. تقوية وجه إعرابي لقراءة متواترة بما ورد في قراءة شاذة:

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى :﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[2] .

قال القرطبي:" قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالنصب عطفاً على (أن يؤتيه) . ويقويه أن اليهود قالت للنبيﷺ : أتريد أن نتخذك يا محمد رباً؟ فقال الله تعالى:" ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة – إلى قوله: ولا يأمركم" . وفيه ضمير البشر ، أي لا يأمركم البشر يعني عيسى وعزير . وقرأ الباقون بالرفع على الاستئناف والقطع من الكلام الأول ، وفيه ضمير اسم الله عز وجل أي ولا يأمركم الله أن تتخذوا . ويقوي هذه القراءة أن في مصحف عبد الله (ولن يأمركم) فهو يدل على الاستئناف"[3]. ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءتين متواترين[4] ، ووجههما بالنحو وبين أن الأولى بالنصب عطفاً . والثانية بالرفع على الاستئناف والقطع ، ثم قوى هذا الوجه من الإعراب للقراءة الثانية بقراءة شاذة دالة على الاستئناف .

2. تأييده للقراءة المتواترة بما جاء في قراءة شاذة:

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله عز وجل:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾[5]. قال القرطبي:" وقرأ ابن محيصن (ويَشْهَدُ اللهُ

1- القرطبي-الجامع (243/20) .

2- آل عمران: (80) .

3- القرطبي-الجامع (131/4) .

4- انظر: ابن خلف-الإقناع (388) .

5- البقرة: (204) .

على ما في قلبه) بفتح الياء والهاء في (يشهد) ، (اللهُ) بالرفع ، والمعنى يعجبك قوله ، والله يعلم سره خلاف ما قال . دليله قوله: (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)[1] . وقراءة ابن عباس (والله يشهد على ما في قلبه) ، وقراءة الجماعة أبلغ في الذم ؛ لأنه قوى على نفسه التزام الكلام الحسن ، ثم ظهر ما في بطنه خلافه . وقراءة أبي وابن مسعود (ويستشهد الله على ما في قلبه) وهي حجة لقراءة الجماعة"[2]. ففي هذا المثال ذكر القرطبي أحد القراء الأربعة عشر وهو ابن محيصن ، وبين معنى قراءته ووجهها بالقرآن وبقراءة ابن عباس ، ثم رجح قراءة الجماعة لأنها أبلغ في الذم ، ثم أتى بقراءة لابن مسعود وأبي بن كعب وهي قراءة شاذة[3] ليقوي بها قراءة الجماعة بقوله وهي حجة لقراءة الجماعة .

3. **رد معنى القراءة الشاذة إلى القراءة المتواترة أحياناً:** ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[4] .

قال الإمام القرطبي:" برفع (تسأل) وهي قراءة الجمهور ويكون في موضع الحال بعطفه على (بشيراً ونذيراً).والمعنى:إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً غير مسئول...وقرأ ابن مسعود (ولن تسأل) . وقرأ أبي (وما تسأل) ومعناهما موافق لقراءة الجمهور نفى أن يكون مسئولاً عنهم"[5] .

ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءة الجمهور وبين معناها ثم ذكر قراءتين شاذتين[6] لابن مسعود وأبيّ، وبين أن معنى قراءتهما موافقة لقراءة الجمهور.

4. **تقوية أحد آراء المفسرين بما جاء في قراءة شاذة أحياناً:** ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾[7] .

قال القرطبي في تفسير(هؤلاء بناتي):" وقد اختلف في قوله: (هؤلاء بناتي) فقيل: كان له ثلاث بنات من صلبه . وقيل : بنتان ، زيتا وزعوراء ، فقيل: كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه . وقيل ندبهم في هذه الحالة إلى النكاح ، وكانت سنتهم جواز نكاح الكافر المؤمنة ؛ وقد كان هذا في أول الإسلام جائز ثم نسخ ، فزوج رسول اللهﷺ بنتين له من عتبة بن أبي لهب ، والأخرى من أبي العاص بن الربيع قبل الوحي ، وكانا كافرين. وقالت فرقة –منهم

1- المنافقون: (1) .

2- القرطبي–الجامع (131/4) .

3- انظر: ابن خالويه–في شواذ القرآن (13) .

4- البقرة: (119) .

5- القرطبي–الجامع (100/2) .

6- انظر: ابن خالويه–في شواذ القرآن (9) .

7- هود: (78) .

مجاهد وسعيد بن جبير– أشار بقوله: (بناتي) إلى النساء جملة ، إذ نبي القوم أب لهم ؛ يقوي هذا أن في قراءة ابن مسعود: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)"[1]. ففي هذا المثال ذكر القرطبي آراء العلماء في تفسير (هن بناتي) ثم ذكر قراءة شاذة[2] قوى بها أحد آراء المفسرين .

5. ذكر القراءة الشاذة ليبين شذوذها وفساد معناها أحياناً:

فمن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3]. قال القرطبي:" وقرأ عمرو بن فائد[4]: (إيَاك) بكسر الهمزة وتخفيف الياء ، وذلك أنه كره تضعيف الياء لثقلها وكون الكسرة قبلها . وهذه قراءة مرغوب عنها ، فإن المعنى يصير: شمسك نعبد وضوءك ، وإياه الشمس (بكسر الهمزة): ضوءها وقد تفتح"[5].

ففي هذا المثال رفض القرطبي القراءة الشاذة[6] لفساد معناها ، فاعتقاد معناها يؤدي إلى الكفر.

هذه هي أنواع القراءات التي استعرضها الإمام القرطبي ، علمنا منهجه فيها وموقفه منها، واستخدامه لها في خدمة التفسير وإثرائه .

1– القرطبي–الجامع (79/9) .

2– انظر: ابن خالويه–في شواذ القرآن (119) .

3– الفاتحة: (5) .

4– عمرو بن فائد: أبو علي الأسواري التميمي ، معتزلي قدري ، من القراء القصاص ، من أهل البصرة . كان منقطعاً إلى أميرها محمد بن سليمان ، أخذ عن عمرو بن عبيد ، كان متروك الحديث ليس بثقة قال ابن حجر: مات بعد المائتين بيسير .
(انظر: الأعلام 83/5 ، لسان الميزان 372/4) .

5– القرطبي–الجامع (162/1) .

6– انظر: ابن خالويه–في شواذ القرآن (1) .

المبحث الثالث

نسبة القراءات إلى قرائها ورواتها

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: ذكره القراءة منسوبة إلى صاحبها باسمه.

المطلب الثاني: ذكره القراءة دون نسبتها إلى أحد.

المطلب الثالث: ذكره القراءة منسوبة إلى أهل البلد.

المطلب الرابع: ذكره القراءة منسوبة إلى (الجماعة أو الجمهور أو العامة).

المطلب الأول

ذكره القراءة منسوبة إلى صاحبها باسمه

كان القرطبي –رحمه الله– عندما يذكر القراءات في تفسيره ينسب هذه القراءات إلى قائلها في الغالب، وهذا الأمر دليل واضح على تمكن هذا العالم الجليل في علم القراءات؛ لأن نسبة القراءة إلى صاحبها ليست بالأمر السهل، حيث يحتاج ذلك إلى الحفظ والفهم والدقة والإتقان، ومع وجود القراءات الكثيرة في تفسيره إلا أن القراءات غير المنسوبة إلى قُرَّائها قليلة بالنسبة للعدد الكبير من تلك القراءات.

وقد كان إمامنا القرطبي –رحمه الله– ينسب القراءة إلى القراء السبعة والعشرة والأربعة عشر، وكان ينسب القراءة إلى قرّاء آخرين غير مشهورين. وكان أحياناً ينسب القراءة إلى الرسولﷺ وإلى بعض الصحابة الكرام أو إلى مصاحفهم، وإلى التابعين، وكان أحياناً ينسب القراءة إلى الرواة عن القراء السبعة أو غيرهم.

وهذه بعض الأمثلة على ما ذكر.

1. نسبة القراءة إلى القراء السبعة.

ومثال ذلك قوله عند تفسيره لقول الله عز وجل:﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلا ﴾[1].

قال:"وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (القُسطاس) بضم القاف، وحمزة وحفص عن عاصم بكسر القاف وهما لغتان"[2].

ففي هذا المثال ذكر الإمام القرطبي القراء السبعة جميعهم[3].

1– الإسراء: (35).

2– القرطبي–الجامع لأحكام القرآن (262/10).

3– انظر: ابن الجزري–النشر (230/2).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي:" وقرأ حفص وحمزة والكسائي (جِمالة) وبقية السبعة (جمالات)"[2].

وفي هذا المثال ذكر السبعة، ثلاثة بأسمائهم والآخرين هم بقية السبعة كما قال[3].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4].

قال الإمام القرطبي:"قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر (قَدْرُهُ)[5] بسكون الدال في الموضعين. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بفتح الدال فيهما"[6].

2. نسبة القراءة إلى القرّاء العشرة.

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[7].

قال الإمام القرطبي:" قرأ الحسن وأبو عمرو ويعقوب وحفص وحمزة والكسائي وخلف[8] (تفقهون) بالتاء لتأنيث الفاعل. الباقون بالياء"[9].

ففي هذا المثال ذكر الحسن وهو تابعي وأبو عمرو وحفص وحمزة والكسائي من السبعة ويعقوب وخلف من العشرة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾[10].

1- المرسلات: (33).

2- القرطبي-الجامع (159/19).

3- انظر: ابن الجزري-النشر (297/2).

4- البقرة: (236).

5- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (38)، وابن خلف الأنصاري-الإقناع (380).

6- القرطبي-الجامع (201/3).

7- الإسراء: (44).

8- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (286)، حيث اختلاف القراءة في (تسبح) وليس في (تفقهون).

9- القرطبي-الجامع (273/10).

10- يونس: (4).

قال الإمام القرطبي:" وقرأ يزيد بن القعقاع[1] (أنه يبدأ الخلق) تكون (أن) في موضع نصب، أي وعدكم أنه يبدأ الخلق"[2].ففي هذا المثال ذكر أحد القراء العشرة وحده وهو يزيد بن القعقاع.

ومثاله ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[3].

قال القرطبي:" (من حُلِيّهم) هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً (من حِلِيّهم) بكسر الحاء. وقرأ يعقوب[4] (من حَلْيِهم) بفتح الحاء والتخفيف"[5].

3. نسبة القراءة إلى الرواة عن القرّاء العشرة.

ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[6].

قال:" وقرأ عمر بن عبد العزيز[7] وقتادة[8] وابن كثير وابن محيصن والسدي[9] وروح[10] عن يعقوب ورويس[11] والسوسي (أرنا) بسكون الراء في القرآن"[12].

ومثال ذلك أيضاً ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّى ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[13].

1- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (208)، عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (174).

2- القرطبي-الجامع (277/8).

3- الأعراف: (148).

4- انظر: ابن الجزري-النشر (204/2).

5- القرطبي-الجامع (371/7).

6- البقرة: (128).

7- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين أبو حفص الأموي القرشي، كان إماماً فقيهاً مجتهداً عارفاً بالسنن كبير الشأن حجة حافظاً توفي في رجب سنة 101هـ وله أربعين سنة (انظر: تذكرة الحفاظ 89/1).

8- قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب السدوسي البصري، الأعمى، المفسر، أحد الأئمة في حروف القرآن وله اختيار، توفي سنة 117هـ. (انظر: غاية النهاية 25/2).

9- السدى: هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذئب السدى الكبير، أبا محمد، صاحب التفسير، قيل أعلم بالقرآن من الشعبي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، روى عن أنس بن مالك، ورأى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- ثقة مأمون، روى عنه الثوري وغيره، توفي سنة 127هـ. (انظر: الأنساب 238/3).

10- روح: بن عبد المؤمن الإمام أبو الحسن البصري صاحب يعقوب، كان متقناً مجوداً، روى عنه البخاري في صحيحه، ذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة 233هـ قبلها أو بعدها. (انظر: معرفة القراء الكبار 428/1).

11- رويس: محمد بن المتوكل الإمام أبو محمد اللؤلؤي رويس، المقرئ صاحب يعقوب، تصدر للإقراء، توفي بالبصرة سنة 238هـ. (انظر: معرفة القراء الكبار 428/1).

12- القرطبي-الجامع (133/2).

13- التوبة: (49).

قال:" وروى ورش عن نافع (ومنهم من يقول اوذن لي) خفف الهمزة"[1].

ومثال ذلك أيضاً ما ذكره عند قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

قال:" وقرأ ابن كثير[3] وأبو عمرو وحفص ويعقوب (يفصل) بالتاء"[4].

ففي هذا المثال ذكر القرطبي بعضاً من القرّاء العشرة وبينهم حفص الراوي عن عاصم.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[5].

قال:" وقرأ ورش[6] وحده (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) بفتح العين من عدا يعدو عدواً وعدواناً وعداءً"[7].

4. نسبة القراءة إلى القراء الأربعة عشر.

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾[8].

قال:" قرأ حمزة والكسائي وخلف ويحيى والأعمش (تروا)[9] على أن الخطاب لجميع الناس، الباقون الباقون بالياء خبراً عن الذين يمكرون السيئات، وهو الاختيار"[10]. ففي هذا المثال ذكر حمزة والكسائي من السبعة، وخلف من العشرة، ويحيى والأعمش من الأربعة عشر.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾[11].

1- القرطبي-الجامع (147/8).

2- يونس: (5).

3- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (407)، وابن الجزري-النشر (212/2).

4- القرطبي-الجامع (289/8).

5- النساء: (154).

6- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (393).

7- القرطبي-الجامع (10/6).

8- النحل: (48).

9- انظر: البنا-إتحاف فضلاء البشر (351) والقراءة متواترة.

10- القرطبي-الجامع (117/10).

11- الكهف: (44).

قال:" (وخير عقباً) قرأ عاصم والأعمش وحمزة ويحيى (عُقْباً)[1] ساكنة القاف، الباقون بضمها، وهما بمعنى واحد، هو خير عاقبة لمن رجاه وآمن به"[2].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[3].

قال:" قرأ الحسن والأعمش (عالم)[4] بالخفض على البدل من الهاء التي في (له)"[5].

ففي هذا المثال ذكر اثنين من القراء الأربعة عشر هما الحسن البصري والأعمش.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴾[6].قال:" وقرأ اليزيدي وابن السميقع[7] (ننحيك)[8] بالحاء من التنحية، حكاها علقمة عن ابن مسعود، أي تكون على ناحية من البحر"[9].

البحر"[9].

ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر أحد القرّاء الأربعة عشر وهو اليزيدي وذكر ابن السميقع وقراءته غالباً شاذة.

5. **قراءات لقرَّاء غير مشهورين.** مثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[10]. قال:" وقرأ هارون الأعور[11] (بمسيطر) بفتح الطاء و(المسيطرون) وهي لغة تميم.

1- انظر: البنا-إتحاف فضلاء البشر (367) والقراءة متواترة.

2- القرطبي-الجامع (421/10).

3- الأنعام: (73).

4- القراءة غير موجودة في (إتحاف فضلاء البشر) ، وغير موجودة في الشواذ لابن جني، لكنها موجودة في شواذ القرآن، ابن خالويه(38).

5- القرطبي-الجامع (25/7).

6- يونس: (92).

7- ابن السميقع: هو أبو عبد الله محمد بن السميفع بالفاء -لكنها عند القرطبي بالقاف- له قراءة معروفة، فيها ما ينكر ويشذ، قيل: إنه إنه قرأ على نافع ابن أبي نعيم، وغيره، توفي سنة 213، وقيل 215. (انظر: معرفة القراء الكبار 355/1).

8- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (58).

9- القرطبي-الجامع (349/8).

10- الغاشية: (22).

11- هارون الأعور: هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور العتكي البصري الأزدي مولاهم علامة صدوق له قراءة معروفة روى القراءة عن عبد الله ابن كثير وابن محيصن وغيرهما، مات قبل المائتين. (غاية النهاية 348/2).

وفي الصحاح: المسيطر والمصيطر: المسلط على الشيء، ليشرف عليه، ويتعهد أحواله، ويكتب عمله، وأصله من السطر"[1].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾[2].

قال الإمام القرطبي:" (ومعارج) يعنى الدرج، قاله ابن عباس، وهو قول الجمهور، واحدها معراج، والمعراج السُّلَّم، ومنه ليلة المعراج، والجمع معاريج مثل مفاتح ومفاتيح، لغتان (ومعاريج) قرأ أبو رجاء العطاردي[3] وطلحة بن مصرف[4]، وهي المراقي والسلاليم"[5].

6. قراءات منسوبة إلى الرسولﷺ.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾[6].

قال الإمام القرطبي:" وقرأ النبيﷺ (إلا أُنُثاً)[7] جمع أنيث، كغدير وغدر، وحكى الطبري أنه جمع إناث كثمار وثمر"[8].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" ﴾[9].

قال الإمام القرطبي:" وعن معاذ بن جبل قال: أقرأنا النبيﷺ (هل يستطيع ربك)[10]، قال معاذ: وسمعت النبيﷺ مراراً يقرأ بالتاء (هل تستطيع ربك) قال الزجاج: المعنى هل تستدعي طاعة ربك فيما تسأله. وقيل: هل تستطيع أن تدعو ربك أو تسأله، والمعنى متقارب"[11].

1- القرطبي-الجامع (39/20).

2- الزخرف: (33).

3- أبو رجاء: عمران بن تيم ويقال ابن ملحان أبو رجاء العطاردي البصري التابعي الكبير، أسلم في حياة الرسولﷺ ولم يره، وعرض وعرض القراءة على ابن عباس، ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة وتوفي سنة خمس ومائة. (غاية النهاية 604/1).

4- طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب أبو محمد الهمداني الكوفي تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه، أقرأ أهل الكوفة، أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش وهو أقرأ منه توفي سنة اثنا عشر ومائة. (غاية النهاية 343/1).

5- القرطبي-الجامع (83/16).

6- النساء: (117).

7- انظر: ابن جني-المحتسب (199/1).

8- القرطبي-الجامع (386/5).

9- المائدة: (112).

10- القراءة متواترة قرأ بها الكسائي، انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع في القراءات السبع (395).

11- القرطبي-الجامع (343/6).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي:" وروي عن النبيﷺ أنه قرأ (فبذلك فلتفرحوا) بالتاء، وهي قراءة يزيد بن القعقاع[2] ويعقوب وغيرهما"[3].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[4].

قال الإمام القرطبي:" وقرأ ابن الزبير (يمحق) بضم الياء وكسر الحاء مشددة (يُربِّي) بفتح الراء وتشديد الباء ورويت عن النبيﷺ كذلك"[5].

7. قراءات منسوبة إلى الصحابة –رضي الله عنهم–.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[6].

قال الإمام القرطبي –رحمه الله–:" قرأ عمر بن الخطاب وابن الزبير –رضي الله عنهما– (صراط من أنعمت عليهم)[7] "[8] وقال "قرأ عمر بن الخطاب وأبي بن كعب (غير المغضوب عليهم وغير وغير الضالين)، وروي عنهما في الراء النصب والخفض في الحرفين"[9].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ

1– يونس: (58).

2– قال ابن الجزري "قروى رويس بالخطاب وهي قراءة أبي رويناهما مسندة إلى النبيﷺ، انظر ابن الجزري–النشر (214/2).

3– القرطبي–الجامع (326/8).

4– البقرة: (276).

5– القرطبي–الجامع (362/3).

6– الفاتحة: (7).

7– انظر: ابن خالويه–مختصر في شواذ القرآن (1).

8– القرطبي–الجامع (166/1).

9– المرجع نفسه (168/1).

وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾[1].

قال القرطبي:" وقرأ ابن مسعود (ثومها)[2] بالثاء المثلثة، وروي ذلك عن ابن عباس"[3].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[4].

قال القرطبي:" وقرأ علي وزيد بن ثابت وأبي وابن مسعود (لتصيبن)[5] بلا ألف. قال المهدوي: من من قرأ (لتصيبن) جاز أن يكون مقصوراً من (لا تصيبن) حذفت الألف كما حذفت من (ما) وهي أخت (لا) في نحو أم والله لأفعلن، وشبهه. ويجوز أن تكون مخالفةً لقراءة الجماعة فيكون المعنى أنها تصيب الظالم خاصة"[6].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾[7].

قال القرطبي:" وقرأ عمر وعثمان وعلي (الصّعقة)[8] وهي قراءة ابن محيصن في جميع القرآن"[9].

هذه الأمثلة لقراءاتٍ منسوبةٍ إلى بعض الصحابة –رضي الله عنهم– وهي قليلة في تفسير القرطبي وغالباً ما تكون هذه القراءات شاذةً.

8. قراءات منسوبة إلى المصاحف أو الحرف الذي قرأ به الصحابي.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾[10]. قال الإمام القرطبي:" وفي مصحف ابن مسعود (ووصى)[1] وهي قراءة أصحابه وقراءة ابن عباس أيضاً وعلي وغيرهما"[2].

1- البقرة: (61).

2- انظر: ابن جني- المحتسب (88/1).

3- القرطبي–الجامع (429/1).

4- الأنفال: (25).

5- انظر: ابن جني–المحتسب (277/1).

6- القرطبي–الجامع (376/7).

7- البقرة: (55).

8- انظر: ابن خالويه–مختصر في شواذ القرآن (5).

9- القرطبي–الجامع (410/1).

10- الإسراء: (23).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾[3].

قال القرطبي:" قرأ الجمهور (مذبذبين) بضم الميم وفتح الذالين. وقرأ ابن عباس بكسر الذال الثانية، وفي حرف أبي (متذبذبين)[4] "[5].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾[6].

قال القرطبي:" (فلا كفران لسعيه) أي لا جحود لعمله أي لا يضيع جزاؤه ولا يغطى والكفر ضده الإيمان والكفر أيضاً جحود النعمة، وهو ضد الشكر. وقد كفره كفوراً وكفراناً. وفي حرف ابن مسعود (فلا كفر لسعيه)[7] "[8]. ويلاحظ في هذه الأمثلة أن الإمام القرطبي يذكر مصاحف الصحابة أحياناً ويذكر أحرفهم أحياناً أخرى.

9. قراءات منسوبة إلى بعض التابعين.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[9].

قال القرطبي:"وروي عن مالك بن دينار[10]أنه قرأ (ولا تبتغوا من دونه أولياء)[11]أي ولا تطلبوا"[12].

ومثال ذلك عند قوله تعالي:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[13].

1- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (75).

2- القرطبي-الجامع (242/10).

3- النساء: (143).

4- انظر: ابن عطية-المحرر الوجيز (269/4) والقراءة شاذة.

5- القرطبي-الجامع (421/5).

6- الأنبياء: (94).

7- انظر: النحاس-إعراب القرآن(79/3)، وأبو حيان-البحر المحيط (338/6).

8- القرطبي-الجامع (357/11)-.

9- الأعراف: (3).

10- مالك بن دينار: أبو يحيى البصري، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، سمع أنس بن مالك، كان يكتب المصاحف بالأجرة وكان أحفظ الناس للقرآن، مات سنة127هـ. (انظر: غاية النهاية 36/2).

11- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (42).

12- القرطبي-الجامع (158/7).

13- الأعراف: (40).

قال:" وسَمُّ الخياط: ثقب الإبرة عن ابن عباس وغيره. وكل ثقب لطيف في البدن يسمى سَماً وسُماً وجمعه سُموم وجمع السُم القاتل سمام. وقرأ ابن سيرين[1] (في سُم)[2] بضم السين"[3].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4]. قال:" وقرأ مجاهد[5] ومالك بن دينار (تشمت) بالنصب في التاء وفتح الميم، (الأعداء)[6]بالرفع. والمعنى لا تفعل بي ما تشمت من أجله الأعداء؛ أي لا يكون ذلك منهم منهم لفعل تفعله أنت بي، وعن مجاهد أيضاً (تَشْمَت)بالفتح فيهما(الأعداء)بالنصبِ"[7].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾[8].

قال الإمام القرطبي:" قرأ ابن وثّاب[9] والنخعي[10] (تقسطوا)[11] بفتح التاء من قسط على تقدير زيادة (لا) كأنه قال: وإن خفتم أن تجوروا"[12].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴾[13].

1- ابن سيرين: هو محمد بن سيرين بن أبي عمرة البصري، أبو بكر، مولى أنس بن مالك، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، توفي توفي سنة 120هـ. (انظر: غاية النهاية 151/2).

2- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن(43).

3- القرطبي-الجامع (201/7).

4- الأعراف: (150).

5- مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المكي أحد أعلام التابعين والأئمة المفسرين، قرأ على ابن عباس بضعاً وعشرين ختمة، ومن جملتها جملتها سأله عن كل آية فيم كانت، توفي سنة 103هـ، وقيل سنة أربع، وقيل سنة اثنين. (انظر: غاية النهاية 41/2).

6- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (46).

7- القرطبي-الجامع (277/7).

8- النساء: (3).

9- يحيى بن وثاب: الأسدي مولاهم الكوفي، تابعي ثقة كبير من العباد الأعلام، روي عن ابن عمر وابن عباس، كان مقرئ أهل الكوفة في زمانه، مات سنة 103هـ. (انظر: غاية النهاية 380/2 ، معرفة القراء الكبار 159/1).

10- النخعي: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، التابعي الإمام الصالح، الكوفي، توفي سنة 96هـ. (انظر: غاية النهاية 29/1، سير أعلام النبلاء 520/4).

11- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (24).

12- القرطبي-الجامع (17/5).

13- الإنشقاق: (19).

قال:" قرأ ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبو العالية[1] ومسروق[2] وأبو وائل[3] ومجاهد

والنخعي والشعبي[4] وابن كثير وحمزة والكسائي (لتركبن)[5] بفتح الباء خطاب للنبيﷺ "[6].

هكذا رأينا أن شيخنا الإمام القرطبي لم يترك قراءة إلا ونسبها إلى صاحبها في الغالب وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حفظه وإتقانه وتمكنه في هذا العلم –علم القراءات– .

يلاحظ في هذا المبحث أن القراءات التي ذكرها الإمام القرطبي منسوبة إلى الرسولﷺ أو إلى الصحابة ومصاحفهم أو التابعين كان أغلبها قراءات شاذة وكان قليلاً منها متواتراً موافقاً لما قرأ به القراء العشرة.

المطلب الثاني

ذكره القراءة دون نسبتها إلى أحد

ذكر في المطلب السابق أن القرطبي –رحمه الله– كان في الغالب ينسب القراءات إلى أصحابها لكنه كان أحياناً يذكر قراءات دون نسبتها إلى أحد. وذلك كقوله قرئ بكذا، أو حكي كذا، أو قرأت فرقة أو جماعة أو طائفة أو قرأ قوم، أو قرأ بعضهم. والإمام القرطبي عندما يأتي بهذه الصيغ فغالباً ما تكون القراءة شاذة، إلا أنه أحياناً يقول (قرئ) وتكون القراءة متواترة.وهذه بعض الأمثلة على ما ذكر.

ذكره (قرئ) لقراءات شاذة:

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾[7].

قال القرطبي:" وقرئ (إلا رمزاً)[1] بفتح الميم و(رمزاً)[2] بضمها وضم الراء، الواحدة رمزة"[3].

1– أبو العالية: الرياحي، رفيع بن مهران البصري الفقيه المقرئ، رأى أبا بكر وقرأ القرآن على أبيّ، روى عنه قتادة وأبو عمرو بن العلاء والربيع بن أنس، مات سنة 93هـ. (انظر: تذكرة الحفاظ 50/1).

2– مسروق بن الأجدع الإمام أبو عائشة الهمداني الكوفي الفقيه أحد الأعلام، أخذ عن ابن مسعود وأبي وعلي، وأخذ عنه إبراهيم والشعبي، توفي سنة 63هـ. (انظر: تذكرة الحفاظ 40/1).

3– أبو وائل: شقيق بن سلمة الأزدي الكوفي شيخ الكوفة وعالمها مخضرم جليل، روى عن عمرو عثمان وعلي وابن مسعود، وروى عنه الأعمش ومنصور، توفي سنة 82هـ. (انظر: تذكرة الحفاظ 48/1).

4– الشعبي: علامة التابعين أبو عمرو عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي من شعب همدان، ولد في خلافة عمر سنة 17هـ، كان إماماً حافظاً فقيهاً متفنناً ثبتاً متقن. (انظر: تذكرة الحفاظ 63/1).

5– انظر: محمد راجح–القراءات العشر المتواترة (589).

6– القرطبي–الجامع (266/19).

7– آل عمران: (41).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[4].

قال:" وقرئ (فما وهنوا وما ضعفوا)[5] بإسكان الهاء والعين"[6].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴾[7].

قال:" وقرئ (مهدا)[8] ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوّم عليه"[9].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[10].قال الإمام القرطبي:" وقرئ (للذين آلوا)[11] يقال: آلى يؤلي إيلاء، وتألى تألياً، وائتلى ائتلاء، أي حلف؛ ومنه (ولا يأتل أولو الفضل منكم)[12] "[13].

ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة شاذة بصيغة (قرئ) ووجهها بالصرف.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عن تفسير قوله تعالى:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[14].

قال الإمام القرطبي:" وقرئ (وعلى أسماعهم)[15] ويحتمل أن يكون المعنى وعلى مواضع سمعهم لأن السمع لا يختم وإنما يختم موضع السمع، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه"[16].

1. ذكره (قرئ) لقراءات متواترة:

1- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (20).

2- المرجع السابق.

3- القرطبي-الجامع (87/4).

4- آل عمران: (146).

5- القراءة شاذة، انظر أبو حيان-البحر المحيط (73/3)، ابن عطية-المحرر الوجيز (362/3).

6- القرطبي-الجامع (242/4).

7- النبأ: (6).

8- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (167).

9- القرطبي-الجامع (165/19).

10- البقرة: (226).

11- لم تثبت هذه القراءة في كتب القراءات المتواترة. انظر: البنا-إتحاف فضلاء البشر (203).

12- النور: (22).

13- القرطبي-الجامع (106/3).

14- البقرة: (7).

15- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (2).

16- القرطبي-الجامع (208/1).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [1].

قال الإمام القرطبي:" وقرئت بالرفع[2]، أي فواحدة فيها كفاية أو كافية. وقال الكسائي: فواحدة تقنع تقنع وقرئت بالنصب بإضمار فعل أي فانكحوا واحدة"[3].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[4].

قال الإمام القرطبي:" وقرئ بالياء والتاء (سبيل) برفع اللام ونصبها وقراءة التاء خطاب للنبيﷺ أي ولتستبين يا محمد سبيل المجرمين"[5]. والقراءتان متواترتان قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بكر بالياء على التذكير، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث أو الخطاب[6].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[7].

قال:" وقرئ (غرفة) بفتح الغين وهي مصدر، ولم يقل اغترافة؛ لأن معنى الغرفة والاغتراف واحد. و الغَرْفة المرة الواحدة، وقرئ (غُرْفة) بضم الغين وهي الشيء المغترف. قال بعض المفسرين: الغَرْفة بالكف الواحد والغُرفة بالكفين. وقال بعضهم: كلاهما لغتان بمعنى واحد"[8].

والقراءتان متواترتان (قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو بفتح الغين. وقرأ الباقون بضمها"[9].

1- النساء: (3).

2- قرأ بالرفع أبو جعفر وبالنصب الباقون. (انظر: النشر 186/2).

3- القرطبي-الجامع (25/5).

4- الأنعام: (55).

5- القرطبي-الجامع (410/6).

6- انظر: ابن الجزري-النشر (194/2).

7- البقرة: (249).

8- القرطبي-الجامع (250/3).

9- انظر: ابن الجزري-النشر (73/2).

2. ذكر القرطبي للفظة (قرأت فرقة، جماعة، طائفة أو قرأ قوم، قرأ بعضهم، حُكي).

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

قال الإمام القرطبي:" وقرأت طائفة (ومن يقاتل) (فليقاتل) بسكون لام الأمر. وقرأت فرقة (فليقاتل) بكسر لام الأمر"[2].

ويلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر لفظة (طائفة) للقراءة الأولى، ولفظة (فرقة) للقراءة الثانية والقراءتان شاذتان[3].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[4].

قال الإمام القرطبي:" وقرأت فرقة: (لمسَّاكين) بتشديد السين واختلف في ذلك فقيل: هم ملاحوا السفينة، وذلك أنَّ المسَّاك هو الذي يمسك رجل السفينة، وكل الخدمة تصلح لإمساكه فسمي الجميع مسَّاكين. وقالت فرقة: أراد بالمسَّاكين دبغة المُسوك وهي الجلود واحدها مسك"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر لفظة (فرقة) لمن قرأ بالقراءة المذكورة وهي شاذة[6]، وذكر وذكر لفظة (فرقة) لمن فسر تلك القراءة بدبغة الجلود.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[7].

قال الإمام القرطبي:" وقد قرأ جماعة: (فإنك أنت الغفور الرحيم) وليست من المصحف ذكره القاضي عياض[8] في كتاب الشفا"[9].

وفي هذا المثال ذكر القرطبي قراءة منسوبة إلى جماعة مجهولة وحكم على تلك القراءة بالشذوذ وذلك بأنها ليست من المصحف ثم بيّن أن القاضي عياض ذكرها في كتاب الشفا.

1- النساء: (74).

2- القرطبي-الجامع (278/5).

3- انظر: لم توجد القراءتان في المحتسب لابن جني ولا في مختصر شواذ القرآن لابن خالويه.

4- الكهف: (79).

5- القرطبي-الجامع (38/11).

6- انظر: ابن عطية في المحرر الوجيز (434/10)، أبو حيان في البحر المحيط (153/6).

7- المائدة: (118).

8- القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السَّبتي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، صنف التصانيف المفيدة توفي سنة 544هـ بمراكش. (وفيات الأعيان 511/3).

9- القرطبي-الجامع (354/6).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي:" وقرأ قوم (فصرهن) بضم الصاد وشد الراء المفتوحة، كأنه يقول فشدهن، ومنه صُرَّة الدنانير، وقرأ قوم (فصِرَّهن) بكسر الصاد وشد الراء المفتوحة ومعناه صيِّحهن، من قولك: صرّ الباب والقلم إذا صوت"[2].

ويلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءتين شاذتين[3] كل منهما منسوبة لقوم مجهولين.

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

قال القرطبي:" وقال أبو عمرو الداني: وقرأ بعضهم (مائة) بالنصب على تقدير أنبتت مائة حبة. قلت–أي القرطبي– وقال يعقوب الحضرمي: وقرأ بعضهم (في كل سنبلة مائةَ حبة) على: أنبتت مائة حبة، وكذلك قرأ بعضهم (وللذين كفروا بربهم عذابَ جهنم) على (وأعتدنا لهم عذاب السعير) وأعتدنا للذين كفروا عذاب جهنم"[5].

ويلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءات شاذة[6] بصيغة (قرأ بعضهم).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[7].

قال الإمام القرطبي:" قراءة العامة بكسر الميم لالتقاء الساكنين. وقرأ أبو السمّال بضم الميم إتباعاً لضمة القاف. وحكى الفتح لخفته"[8].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة هي قراءة العامة بكسر الميم، ثم ذكر قراءة شاذة لأبي السمّال[9] بضم الميم، ثم ذكر قراءة شاذة بالفتح[10] على صيغة حُكي.

1- البقرة: (260).

2- القرطبي–الجامع (302/3).

3- قرأ بالأولى عكرمة وبالثانية ابن عباس. انظر: مختصر في شواذ القرآن(16).

4- البقرة: (261).

5- القرطبي–الجامع (304/3).

6- انظر: ابن خالويه–مختصر في شواذ القرآن (16).

7- المزمل: (2).

8- القرطبي–الجامع (34/19).

9- انظر: ابن خالويه–مختصر في شواذ القرآن (164).

10- المرجع السابق.

هكذا رأينا أن الإمام القرطبي ذكر قراءات بألفاظ متعددة لا تدل على معين سواء أكان شخصاً أم جماعةً. ونؤكد أن هذه الألفاظ التي ذكرها نادرة جداً في تفسيره حيث إنه في الغالب كان ينسب القراءات إلى أصحابها.

ويلاحظ من الأمثلة السابقة وغيرها أن أغلب القراءات التي لم تنسب لقائلها قراءات شاذة. ولسبب شذوذها وقلة القائلين بها وعدم شهرتهم لم يكن الاهتمام بها كبيراً، فكانت هذه القراءات تذكر دون نسبتها لأحد معين وكان الاهتمام منصباً على القراءات المتواترة.

المطلب الثالث

ذكره قراءات منسوبة إلى أهل البلد

كان الإمام القرطبي –رحمه الله– كثيراً ما ينسب القراءة إلى أهل البلد الذين قرءوا بها والبلاد المشهورة التي اشتهر فيها القرّاء هي: المدينة المنورة ومكة والكوفة والبصرة والشام، وإذا أردنا أن نُوزِّع القرّاء العشر على هذه البلاد فإن نافع وأبو جعفر كانا في المدينة المنورة وابن كثير في مكة، وابن عامر في الشام، وأبو عمرو بن العلاء ويعقوب بالبصرة، وعاصم وحمزة والكسائي في الكوفة[1] وكذلك خلف. ولما كان الإمام القرطبي –رحمه الله– يذكر قراءة هذه البلاد البلاد كان يقصد هؤلاء القرّاء، وكان نادراً ما يصرح بذلك، وأما في الغالب فلا يصرح. والقراءات التي يذكرها منسوبة لأهل البلد غالباً ما تكون قراءات متواترة إلا أنها في حالات نادرة تكون شاذة. ولما كان الإمام القرطبي ينسب القراءة إلى أهل البلد كانت نسبته دقيقة في الغالب وأحياناً تكون غير دقيقة. وكان القرطبي أحياناً يقول (مصاحف مكة ومصاحف الكوفة). وكان في حالات نادرة يقول (أهل العراق) ،(أهل الحجاز)، (الجمهور من أهل المدينة ومكة). هذا ملخص واضح عن منهج القرطبي في ذكره قراءات منسوبة إلى أهل البلد وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

تصريح الإمام القرطبي بقرّاء أهل الكوفة وهو نادر ما يقع.

فعند تفسير قوله تعالى:﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

قال الإمام القرطبي:" (قال الكافرون إن هذا لسحر مبين) قرأ ابن محيصن وابن كثير والكوفيون عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش (لساحر)[3] نعتاً لرسول اللهﷺ وقرأ الباقون (لسحر) نعتاً

1– انظر: ابن الجزري–النشر (15/1).

2– يونس: (2).

3– القراءتان متواترتان. انظر: محمد راجح–القراءات العشر المتواترة(208)، ابن خلف الأنصاري–الإقناع (407).

للقرآن"[1]. ويلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي صرح أن الكوفيين هم عاصم وحمزة والكسائي من السبعة وخلف من العشرة والأعمش من الأربعة عشر.

تصريح القرطبي إن الحرميين هما نافع وابن كثير وهو نادر لأنه اصطلاح مختصر يكثر استعماله في كتب القراءات.

فعند قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[2].

قال الإمام القرطبي:" واختلف القراء في قراءة (وإن كلاً لما)[3] فقرأ أهل الحرمين – نافع وابن كثير – وأبو بكر معهم (وإن كلاً لما) بالتخفيف على أنها (إن) المخففة من الثقيلة معملة"[4].

ويلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي صرح إن الحرميين هما نافع وابن كثير أما باقي الأمثلة فإنه يقول (الحرميان) أو (أهل الحرمين) دون تصريح بذكرهما.

قلت: القراءات التي نسبها الإمام القرطبي إلى أهل البلد كانت متواترة في الغالب إلا في بعض الأمثلة فإنها كانت شاذة. فما ذكر من الأمثلة السابقة قراءات متواترة وما سنذكره فيما بعد، أما القراءات غير المتواترة التي نسبت إلى أهل البلد فهي.

فعند تفسير قول الله عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[5].

قال: وذُكر أن البصريين قرأوا: (وعباد الطاغوت) جمع عابد أيضاً، كقائم وقيام ويجوز أن يكون جمع عَبْد[6]. ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة للبصريين، وهي شاذة[7].

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[8].

قال الإمام القرطبي:" (عَدْواً) أي جهلاً واعتداءً. وروي عن أهل مكة أنهم قرءوا (عُدُواً) بضم العين والدال وتشديد الواو، وهي قراءة الحسن وأبي رجاء وقتادة، وهي راجعة إلى القراءة الأولى،

1- القرطبي–الجامع (286/8).

2- هود: (111).

3- انظر: محمد راجح–القراءات العشر المتواترة (234)، ابن خلف الأنصاري–الإقناع (410).

4- القرطبي–الجامع (108/9).

5- المائدة: (60).

6- انظر: القرطبي–الجامع (224/6).

7- انظر: ابن خالويه–مختصر في شواذ القرآن. قال ابن خالويه:" عبَّاد الطاغوت أبو وافد" (23).

8- الأنعام: (108).

وهما جميعاً بمعنى الظلم. وقرأ أهل مكة أيضاً (عَدُوّاً) بفتح العين وضم الدال بمعنى عدو. وهو واحد يؤدي عن جمع؛ كما قال: (فإنهم عدو لي إلا رب العالمين)[1]، وقال تعالى: (هم العدو)[2] وهو منصوب على المصدر أو على المفعول من أجله"[3].

ويلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي نسب قراءتين لأهل مكة، الأولى (عُدُواً) وهي قراءة ليعقوب فهي قراءة عشرية متواترة، لكنها ليست لابن كثير الذي يمثل أهل مكة، ولا لغيره من القراء العشرة عدا يعقوب[4]. أما القراءة الثانية (عَدُواً) فهي قراءة شاذة[5].

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾[6].

قال الإمام القرطبي:" وروي عن بعض المكيين (جَدْر) (بفتح الجيم وإسكان الدال) وهي لغة في الجدار. ويجوز أن يكون معناه من وراء نخيلهم وشجرهم؛ يقال أجدر النخل إذا طلعت رؤوسه في أول الربيع. والجِدْر: نبتٌ واحدته جِدْرة"[7].

ويلاحظ في هذا المثال والمثالين السابقين أن أسلوب القرطبي في نسبته القراءة لأهل البلد يختلف عن أسلوبه في الأمثلة التي تكون فيها القراءة متواترة حيث إنه في هذا المثال جاء بصيغة (رُوي) ثم إنه قال(بعض المكيين) ولم يقل (عن أهل مكة)، وكذلك في المثال السابق قال (روي)، وفي المثال السابق له قال (ذكر محبوب) فهذا الأسلوب يُوحي بضعف القراءة وشذوذها. والأمر كذلك فالقراءة في هذا المثال شاذة[8] لم يروها أحد من القراء العشرة.

وعند تفسير قوله تعالى:﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[9].

قال الإمام القرطبي:" وروى إسماعيل[10] عن أهل مكة (يخرج من بين الصلب)[11] بضم اللام، ورويت عن عيسى الثقفي[1] حكاه المهدوي وقال: من جعل المني يخرج من بين صلب الرجل

1- الشعراء: (77).

2- المنافقون: (4).

3- القرطبي-الجامع (63/7).

4- انظر: محمد راجح-القراءات العشر (141)، وابن الجزري-النشر (196/2).

5- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن. قال: (فيسبوا الله عَدُوًّا بعض المكيين) (40).

6- الحشر: (14).

7- القرطبي-الجامع (36/18).

8- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (154).

9- الطارق: (7).

10- إسماعيل: بن مسلم أبو إسحاق المخزومي المعروف بالمكي، قرأ على ابن كثير، قال الداني وهو أحد الذين خلفوه في القيام بالقراءة. مات في حدود (160هـ). انظر: غاية النهاية 169/1).

11- القراءة شاذة ذكرها ابن خالويه في مختصر في شواذ القرآن وقال (الصُلُب) بضمتين عيسى) (171).

وترائبه، فالضمير في (يخرج) للماء. ومن جعله من بين صلب الرجل وترائب المرأة، فالضمير للإنسان"[2].

هذه تقريباً الأمثلة التي وردت في تفسير القرطبي لقراءاتٍ منسوبةٍ لأهل البلد وهي شاذة.

ولاحظنا في هذه الأمثلة أن أسلوب الإمام القرطبي اختلف عن أسلوبه عند ذكر القراءات المتواترة المنسوبة لأهل البلد ليلفت الانتباه على الاختلاف بين هذه الأمثلة وتلك فهذه قراءات شاذة وتلك قراءات متواترة. قلت: غالباً ما يكون الإمام القرطبي دقيقاً في نسبته القراءة لأهل البلد وأحياناً تقل هذه الدقة.

الدقة في نسبة القراءات إلى أهل البلد وهي غالباً ما تكون عند الإمام القرطبي.

ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى:﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[3].

قال الإمام القرطبي:" (من حُليهم) هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً (من حِلِيِّهم) بكسر الحاء. وقرأ يعقوب (من حَلْيِهم) بفتح الحاء والتخفيف"[4].

فهذا المثال تظهر فيه الدقة حيث إن الذين قرءوا بقراءة أهل الكوفة هم حمزة والكسائي فعلاً ولم يقرأ عاصم بقراءتهم وإنما قرأ عاصم بقراءة أهل المدينة والبصرة في هذه الآية، والقراءات متواترة[5].

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[6].

قال الإمام القرطبي:" (نرتع ونلعب) بالنون وإسكان العين قراءة أهل البصرة. والمعروف من قراءة أهل مكة (نرتع) بالنون وكسر العين. وقراءة أهل الكوفة (يرتع ويلعب) بالياء وإسكان العين. وقراءة أهل المدينة بالياء وكسر العين؛ القراءة الأولى من قول العرب رتع الإنسان والبعير إذا أكلا كيف شاءا؛ والمعنى: نتسع في الخصب، وكل خصب راتع"[7].

1- عيسى الثقفي: هو عيسى بن عمر الثقفي البصري النحوي أبو عمر شيخ العربية، مؤلف كتاب الجامع، والإكمال في النحو قرأ القرآن على عاصم الجحدري، وأخذ عنه القراءة الخليل بن أحمد وغيره، مات في حدود 150هـ. (انظر: معرفة القراء 270/1).

2- القرطبي-الجامع (11/20).

3- الأعراف: (148).

4- القرطبي-الجامع (271/7).

5- انظر: القراءات العشر المتواترة-محمد راجح (168)، ابن الجزري-النشر (204/2).

6- يوسف: (12).

7- القرطبي-الجامع (143/9).

وهذا المثال دقيق في نسبة كل قراءة إلى أهل البلد الذين قرءوا بها، فقراءة أهل البصرة قرأ بها أبو عمرو وابن عامر، وقراءة أهل مكة قرأ بها ابن كثير، وقراءة أهل المدينة قرأ بها نافع وأبو جعفر، وقراءة الكوفة قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي وخلف"[1].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾[2].

قال الإمام القرطبي:" وقرأ أهل الحرمين وأبو عمرو (تزَّاور) بإدغام التاء في الزاي والأصل (تتزاور). وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (تزاور) مخففة الزاي، وقرأ ابن عامر (تزورُّ) مثل (تحمرُّ)"[3].

وفي هذا المثال كان الإمام القرطبي دقيقاً فقراءة أهل الحرمين قرأ بها نافع وابن كثير وأبو جعفر وباقي القراءات كما ذكر القرطبي وبين، والقراءات كلها متواترة[4].

عدم الدقة في نسبة القراءات إلى أهل البلد وهذا ما يكون أحياناً.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾[5].

قال الإمام القرطبي:" (إن الذين اتقوا) يريد الشرك والمعاصي. (إذا مسهم طيف من الشيطان) هذه قراءة أهل البصرة وأهل مكة. وقراءة أهل المدينة وأهل الكوفة (طائف)"[6].

فهذا المثال ليس دقيق، وذلك لأن القرطبي قال "وقراءة أهل المدينة وأهل الكوفة (طائف) ولم يستثن الكسائي حيث إن الكسائي لم يقرأ بقراءة أهل الكوفة في هذا المثال وإنما قرأ بقراءة أهل البصرة وأهل مكة. والقراءتان متواترتان[7].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ

1- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (236)، ابن خلف الأنصاري-الإقناع (412).

2- الكهف: (17).

3- القرطبي-الجامع (377/10).

4- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (295)، ابن الجزري-النشر (232/2).

5- الأعراف: (201).

6- القرطبي-الجامع (333/7).

7- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (176)، ابن خلف الأنصاري-الإقناع (404).

عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

قال الإمام القرطبي:" (غيرُ أولي الضرر) قراءة أهل الكوفة وأبو عمرو (غيرُ) بالرفع؛ قال الأخفش: هو نعت للقاعدين؛ لأنهم لم يقصد بهم قوم بأعيانهم فصاروا كالنكرة فجاز وصفهم بغير؛ والمعنى لا يستوي القاعدون غير أولي الضرر؛ أي لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر. والمعنى لا يستوي القاعدون الأصحاء؛ قاله الزجاج. وقرأ أبو حيوة[2] (غيرَ) جعله نعتاً للمؤمنين؛ أي من المؤمنين الذين هم غير أولي الضرر من المؤمنين الأصحاء. وقرأ أهل الحرمين (غيرَ) بالنصب على الاشتثناء من القاعدين أو من المؤمنين؛ أي إلا أولي الضرر فإنهم يستوون مع المجاهدين وإن شئت على حال من القاعدين؛ أي لا يستوي القاعدون من الأصحاء أي في حال صحتهم؛ وجازت الحال منهم لأن لفظهم لفظ المعرفة، وهو كما تقول: جاءني زيد غير مريض"[3].

وفي هذا المثال لم يكن القرطبي دقيقاً في نسبة القراءة لأهل الحرمين حيث إنه يعنى بأهل الحرمين نافع وابن كثير ولكن الذي قرأ بتلك القراءة (غيرَ) هو نافع أما ابن كثير فقد قرأ بالقراءة الأخرى (غيرُ)[4].

قلت: أحياناً يقول القرطبي (مصاحف مكة ومصاحف الكوفة).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[5]. قال:" (لأجدن خيراً منها منقلباً) وإنما قال ذلك لما دعاه أخوه إلى إلى الإيمان بالحشر والنشر. وفي مصاحف مكة والمدينة والشام (منهما). وفي مصاحف أهل البصرة والكوفة (منها) على التوحيد، والتثنية أولى، لأن الضمير أقرب إلى الجنتين"[6].

ويلاحظ في هذا المثال أن قراءة (منهما) في مصاحف مكة والمدينة والشام وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر وهم أهل مكة والمدينة والشام، وفي القراءة الثانية (منها) قراءة مصاحف أهل البصرة والكوفة وهي قراءة أبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وهم أهل البصرة والكوفة[7]. فما يقرأه أهل البلد يكون مكتوباً في مصاحفهم غالباً.

1- النساء: (95).

2–هو شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي المقرئ المؤذن والد حيوة بن شريح،(ت 203هـ). (انظر: تهذيب الكمال 455/12).

3– القرطبي–الجامع (344/5).

4– انظر: محمد راجح–القراءات العشر المتواترة (94)، ابن خلف الأنصاري–الإقناع (393).

5– الكهف: (36).

6– القرطبي–الجامع (413/10).

7– انظر: محمد راجح–القراءات العشر المتواترة (298)، ابن خلف الأنصاري–الإقناع (422).

ومثال ذلك عند قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1]

قال الإمام القرطبي:" وفي مصاحف أهل الكوفة (قال ربي) أي قال محمد: ربي يعلم القول؛ أي هو عالم بما تناجيتم به"[2].

ففي هذا المثال قال (مصاحف أهل الكوفة) والذين قرءوا بهذه القراءة هم حفص وحمزة والكسائي وخلف وهم أهل الكوفة[3].

وكان القرطبي أحياناً يقول : (أهل الحجاز) و(أهل العراق) و(الجمهور من أهل المدينة ومكة) وهذه الألفاظ نادراً ما كان يقولها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾[4].

قال الإمام القرطبي:" وقرأ أهل الحجاز (فأسرِ) بوصل الألف. وكذلك ابن كثير؛ من سرى. الباقون (فأسرِ) بالقطع من أسرى"[5]. وقراءة أهل الحجاز في هذا المثال قراءة متواترة، قرأ بها نافع نافع وابن كثير وأبو جعفر[6].

وعندما تكون القراءة لنافع وابن كثير في كثير من الأمثلة يقول: قراءة (أهل الحرمين).

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[7]. قال:" (بسم الله مجريها ومرساها) قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة بضم الميم فيهما إلا من شذ على معنى بسم الله إجراؤها وإرساؤها، فمجراها ومرساها في موضع رفع الابتداء"[8]. فقراءة أهل الحرمين وأهل البصرة في هذا المثال هي قراءة نافع وابن كثير وأبو جعفر، وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب[9]. فالقرطبي يقصد بأهل الحجاز في هذا المثال أهل الحرمين، وكذلك في المثال التالي سنرى ما يؤكد هذا الكلام.

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[10].

1- الأنبياء: (4).

2- القرطبي-الجامع (288/11).

3- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (322)، والنشار-المكرر فيما تواتر من القراءات وتحرر (255).

4- الدخان: (23).

5- القرطبي-الجامع (134/16).

6- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (497)، والنشار-المكرر (380).

7- هود: (41).

8- القرطبي-الجامع (40/9).

9- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (226)، والنشار-المكرر (168).

10- النساء: (40).

قال:" وقرأ أهل الحجاز (حسنةٌ) بالرفع. والعامة بالنصب؛ فعلى الأول (تك) بمعنى تحدث، فهي تامة. وعلى الثاني هي الناقصة، أي إن تك فعلته حسنة"[1].

ويلاحظ في هذا المثال أن قراءة أهل الحجاز وهي قراءة الرفع قرأ بها نافع وابن كثير وأبو جعفر[2] ومن هذين المثالين نستنتج أن الإمام القرطبي يصف قراءة نافع وابن كثير في أمثلة كثيرة أنها قراءة أهل الحرمين، وأحياناً يصفها بأنها قراءة أهل الحجاز. وهي اصطلاحات استخدمها علماء القراءات من قبله.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾[3].

قال الإمام القرطبي:" وقرأ أبو عمرو (سيقولون الله) في الموضعين الأخيرين –يقصد هذه الآية والتي قبلها– وهي قراءة أهل العراق. الباقون (لله)"[4].

ففي هذا المثال نسب الإمام القرطبي القراءة أولاً لأبي عمرو ثم نسبها لأهل العراق، ونسبتها لأبي عمرو صحيحة حيث إنها قراءة أبي عمرو[5]. ولكن نسبتها لأهل العراق غير دقيقة، حيث إنه لم يقرأ بهذه القراءة مع أبي عمرو من القراء العشر سوى يعقوب البصري. فكان الأولى أن يقول (وقرأ أهل البصرة) حيث إن أبا عمرو ويعقوب بصريان فيكون كلامه صحيحاً دقيقاً، أما أن يعمم القول بأنها قراءة أهل العراق فهذا ليس بدقيقٍ فأهل الكوفة جميعهم وهم من أهل العراق لم يقرأوا بهذه القراءة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةً ﴾[6].

قال الإمام القرطبي:" (أئذا كنا عظاماً نخرة) أي بالية متفتتة. يقال: نخر العظم بالكسر: أي بلي وتفتت؛ يقال: عظام نخرة. وكذا قرأ الجمهور من أهل المدينة ومكة والشام والبصرة.

واختاره أبو عبيد؛ لأن الآثار تذكر فيه العظام، نظرنا فيها فرأينا نخرة لا ناخرة"[7].

والقراءة في هذا المثال متواترة ودقيقة في نسبتها إلى أهل البلدان؛ لأن الذين لم يقرءوا بهذه القراءة هم أهل الكوفة حمزة والكسائي وخلف وشعبة عن عاصم، ورويس عن يعقوب من البصرة[8].

هذا هو منهج الإمام القرطبي –رحمه الله– في نسبته القراءة إلى أهل البلد.

1– القرطبي–الجامع (200/5).

2– انظر: محمد راجح–القراءات العشر المتواترة (85)،والنشار–المكرر (89).

3– المؤمنون: (89).

4– القرطبي–الجامع (152/12).

5– انظر: محمد راجح–القراءات العشر المتواترة (347)، والنشار–المكرر (270).

6– النازعات: (11).

7– القرطبي–الجامع (189/19).

8– انظر: ابن الجزري–تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشر (196).

المطلب الرابع

ذكره القراءة منسوبة إلى (الجماعة- الجمهور- العامة) أو غير ذلك

لقد أكثر شيخنا الإمام القرطبي من ذكر القراءة منسوبةً إلى الألفاظ الثلاثة المذكورة وكان أحياناً يذكر ألفاظاً قريبةً من هذه الألفاظ مضافة إلى كلمة الجمهور، فيقول مثلاً (جمهور القراء) أو (جمهور السبعة)، أو (جمهور القراء السبعة)، أو (جمهور الناس)، وفي بداية بحثي كنت مُحتاراً في هذه الألفاظ، هل لكل لفظ فيها معنىً خاص، أم أنها ألفاظ مختلفة يقصد بها الإمام القرطبي المعنى نفسه؟ وبعد الدراسة والبحث والتدقيق في هذه الألفاظ من خلال الأمثلة الكثيرة في تفسير القرطبي هداني الله إلى القول: إن القرطبي يمتلك قاموساً لغوياً كبيراً في نفسه، وإنه يحب التنويع في الكلام، ولا يحب الالتزام بلفظة معينة، وإنما يستعمل مترادفات أو كلمات متقاربة في المعنى. وإن ما ذكره من ألفاظ في الغالب يعني نفس المعنى والمقصود في نفسه وقد كان هذا الرأي عندي في بداية البحث مبنياً على الظن حتى وقع لي من الأمثلة ما يؤكد ذلك، فأصبح الأمر يقيناً. أخص بذلك كلمتي (الجماعة والجمهور) حيث إن الإمام القرطبي ذكر أكثر من أربعة أمثلة تدل على أن كلمة الجمهور تعني كلمة الجماعة بكل وضوح وصراحة وبدون أي شك. أما كلمة العامة فإن نتيجة البحث تبين أنها تشبه إلى حد كبير كلمتي (الجمهور والجماعة) بل تساويهما فيما يقصده القرطبي من هاتين الكلمتين.

فكلمة الجمهور أو الجماعة عند الإمام القرطبي تعني جمهور وجماعة القراء السبع، وكلمة العامة تعني عامة القراء السبع وربما غيرهم معهم.

أما كلمة (العامة) عند غيره من علماء المسلمين فكان لها معنىً آخر.

قال الإمام مكي بن أبي طالب:" وقد اختار الطبري وغيره وأكثر اختياراتهم إنما هي في الحرف، إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء: قوة وجهه في العربية، وموافقته للمصحف، واجتماع العامة عليه.

والعامة عندهم 1- ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة؛ فذلك عندهم حجة قوية يوجب الاختيار. وربما جعلوا العامة 2-ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وربما جعلوا الاختيار 3- ما اتفق عليه نافع وعاصم، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات، وأصحها سنداً وأفصحها في العربية"[1].
والإمام القرطبي لا يقصد بالعامة أحد هذه الأمور الثلاثة لأن ما ذكره من أمثلة يدل على ذلك. حيث إنه يقول أحياناً قراءة العامة، ويكون المخالف لهم أهل المدينة أو أهل الكوفة أو أهل الحرمين أو عاصم. فكلمة العامة عنده تعني عامة القراء السبع والله أعلم.

أولاً: كلمة (الجمهور) تعني كلمة (الجماعة) عند القرطبي.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

قال الإمام القرطبي في المسألة السادسة لهذه الآية "(وكلا منها رغداً حيث شئتما) قراءة الجمهور (رغداً) بفتح الغين"[3].

وبعد صفحات في المسألة الثالثة عشر قال القرطبي:" وقراءة الجماعة (رغداً) بفتح الغين"[4].

ويلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءة الجمهور (رغداً) بفتح الغين، ثم عاد فقال قراءة الجماعة (رغداً) بفتح الغين[5].إذاً فالجمهور يعني الجماعة فالمقصود واحد.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[6].

قال الإمام القرطبي في المسألة العاشرة لهذه الآية:" (يذبّحون)[7] قراءة الجماعة بالتشديد على التكثير"[8]. وفي الصفحة التالية قال في المسألة الثانية عشرة:" قرأ الجمهور (يذبّحون) بالتشديد على المبالغة"[9]. ويلاحظ أنه ذكر قراءة الجماعة أولاً ثم قال قراءة الجمهور لنفس الكلمة وهذا يعني أن المقصود واحد.

1- مكي بن أبي طالب-الإبانة عن معاني القراءات (65).
2- البقرة: (35).
3- القرطبي-الجامع (316/1).
4- المرجع السابق (332/1).
5- انظر: القراءات العشر المتواترة (6) لم يختلف القراء العشرة في (رغداً) فكلهم فتح الغين.
6- البقرة: (49).
7- انظر: القراءات العشر المتواترة (7) لم يختلف القراء العشرة في (يذبحون) فكلهم قرأها بالتشديد.
8- القرطبي-الجامع (392/1).
9- المرجع السابق (393/1).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي في المسألة الأولى لهذه الآية:"و(شهر) بالرفع قراءة الجماعة على الابتداء، والخبر (الذي أنزل فيه القرآن) أو يرتفع على إضمار مبتدأ، المعنى: المفروض عليكم صومه شهر رمضان، أو فيما كتب عليكم شهر رمضان، ويجوز أن يكون (شهر) مبتدأ، و(الذي أنزل فيه القرآن) صفة، والخبر (فمن شهد منكم الشهر)"[2].

وبعد خمس صفحات –في المسألة السابعة– قال الإمام القرطبي:" قرأ جمهور الناس (شهرُ)[3] بالرفع على أنه خبر ابتداء مضمر؛ أي ذلكم شهر أو المفترض عليكم صيامه شهر رمضان"[4].

وفي هذا المثال ذكر أولاً (الجماعة) ثم قال لنفس القراءة (قرأ جمهور الناس) فهذا يعني أن كلمة (الجماعة) تعني أو تساوي (جمهور الناس) فيما يقصده القرطبي.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[5].

قال الإمام القرطبي:" (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) كذا قراءة الجماعة إلا نافعاً فإنه قرأ (دفاع)[6] ويجوز أن يكون مصدراً لفعل كما يقال: حسبت الشيء حساباً، وآب إياباً، ولقيته لقاءً؛ ومثله كتبه كتاباً؛ ومنه (كتاب الله عليكم)[7].النحاس وهذا حسن؛ فيكون دفاع ودفع مصدرين لدفع لدفع وهو مذهب سيبويه، وقال أبو حاتم: دافع ودفع بمعنى واحد؛ مثل طرقت النعل وطارقت؛ أي خصفت إحداهما فوق الأخرى، والخصف: الخرز، واختار أبو عبيدة قراءة الجمهور (ولولا دفع الله)[8].

1– البقرة: (185).

2– القرطبي–الجامع (293/2).

3– لم يختلف أحد من القراء العشرة في (شهرُ) فكلهم قرأها بالرفع. انظر: محمد راجح–القراءات العشر (28).

4– القرطبي–الجامع (298/2).

5– البقرة: (251).

6– قرأ (دفاع) نافع وأبو جعفر ويعقوب. انظر: محمد راجح–القراءات العشر المتواترة (41).

7– النساء: (24).

8– القرطبي–الجامع (256/3).

ففي هذا المثال قال القرطبي في بدايته (قراءة الجماعة) (دفع) ثم في آخره قال: (واختار أبو عبيدة قراءة الجمهور) يقصد قراءة الجماعة، فالجماعة والجمهور كلمتان مترادفتان مرادهما واحد عنده.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي:" قرأ الجمهور (والسارق) بالرفع[2]. قال سيبويه: المعنى وفيما فرض عليكم السارق والسارقة وقيل الرفع فيهما على الابتداء، والخبر (فاقطعوا أيديهما). وليس القصد إلى معين إذ لو قصد معيناً لوجب النصب، تقول: زيداً اضربه، بل هو كقولك من سرق فاقطع يده. قال الزجاج: وهذا هو الاختيار. وقرئ (والسارقَ) بالنصب[3] فيهما على تقدير اقطعوا السارق والسارقة؛ وهو اختيار سيبويه؛ لأن الفعل بالأمر أولى؛ قال سيبويه –رحمه الله تعالى–: الوجه في كلام العرب النصب، كما تقول زيداً اضربه؛ ولكن العامة أبت إلا الرفع، يعني عامة القراء وجلهم، فأنزل سيبويه النوع السارق منزلة الشخص المعين. وقرأ ابن مسعود: (والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم)[4] وهو يقوي قراءة الجماعة"[5].

ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي قال في أوله:(قرأ الجمهور بالرفع)، وفي آخره قال: (وهو يقوي قراءة الجماعة) فالجمهور والجماعة كلمتان مترادفتان عنده. وفي هذا المثال لفتة جميلة وهي قول القرطبي مفسراً كلمة (العامة) من كلام سيبويه حيث قال (يعني عامة القراء وجلهم) وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه.

هكذا نكون قد علمنا يقيناً أن كلمة (الجمهور) تعني كلمة (الجماعة) تعني (جمهور الناس) من خلال ما ورد في الأمثلة السابقة.

وأما الكلمات المضافة إلى لفظة الجمهور مثل (جمهور القراء) أو جمهور السبعة أو جمهور القراء السبع، فهي تعني ما تعنيه كلمة الجمهور بمفردها، بل إنها توضح وتخصص ما يقصده القرطبي من كلمة الجمهور، فالقرطبي إذاً يقصد من كلمة الجمهور جمهور القراء السبعة، وهو يذكرها أحياناً باللفظ الكامل المحدد فيقول (جمهور القراء السبعة) وأحياناً يحذف كلمة من آخرها فيقول (جمهور القراء)، وأحياناً يحذف كلمة من وسطها فيقول (جمهور السبعة) وغالباً ما يحذف الكلمتين الأخيرتين فيقول (الجمهور).

1– المائدة: (38).

2– لم يختلف أحد من العشرة في (السارقُ) فكلهم قرأها بالرفع. انظر: محمد راجح–القراءات العشر (113).

3– انظر: ابن خالويه–مختصر في شواذ القرآن (32).

4– المرجع نفسه (33)، وابن عطية في المحرر الوجيز (434/4).

5– القرطبي–الجامع (163/6).

وهذه بعض الأمثلة على هذه الكلمات. مثال: ذكره قراءة للجمهور والمخالف لهم قراءة شاذة.

فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي:" و(حطة)[2] بالرفع قراءة الجمهور؛ على إضمار مبتدأ، أي مسألتنا حطة، أو يكون حكاية. قال الأخفش: وقرئت (حطةً)[3] بالنصب على معنى احطط عنا ذنوبنا حطة.

قال النحاس: الحديث عن ابن عباس أنه قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله، وفي حديث آخر عنه قيل لهم: قولوا مغفرة تفسير للنصب؛ أي قولوا شيئاً يحط ذنوبكم؛ كما يقال: قل خيراً. والأئمة من القراء على الرفع"[4].

ويلاحظ في هذا المثال أن القراءة المخالفة لقراءة الجمهور قراءة شاذة، ويلاحظ كذلك أن القرطبي ذكر في أول المثال (قراءة الجمهور) وفي آخره قال (والأئمة من القراء على الرفع). (فالأئمة من القراء) عند القرطبي تعني (الجمهور) كما هو واضح في هذا المثال.

مثال: يذكر فيه قراءة للجمهور والمخالف لهم قراءة متواترة.

فعند تفسير قوله تعالى:﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5].

قال الإمام القرطبي:" قرأ الجمهور (ما ننسخ)[6] بفتح النون، من نسخ وهو الظاهر المستعمل على على معنى: ما نرفع من حكم آية ونبقي تلاوتها؛ كما تقدم. ويحتمل أن يكون المعنى: ما نرفع من حكم آية وتلاوتها؛ على ما ذكرناه. وقرأ ابن عامر (نُنسخ) بضم النون، من أنسخت الكتاب؛ على معنى وجدته منسوخاً"[7].

ففي هذا المثال القراءة المخالفة لقراءة الجمهور قراءة متواترة قرأ بها ابن عامر.

مثال: يذكر فيه قراءة (جمهور القراء السبعة).

1- البقرة: (58).

2- لم يختلف أحد من العشرة في رفع (حطة). انظر: محمد راجح-القراءات العشر (9).

3- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (5).

4- القرطبي-الجامع (416/1).

5- البقرة: (106).

6- انظر: ابن الجزري-النشر (165/2). قال ابن الجزري:" ابن عامر (ننسخ) بضم النون والباقون بفتحها".

7- القرطبي-الجامع (74/2).

فعند تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي:" (ليربو) قرأ جمهور القراء السبعة: (ليربو)[2] بالياء وإسناد الفعل إلى الربا. وقرأ نافع وحده: بضم التاء والواو ساكنة على المخاطبة؛ بمعنى تكونوا ذوي زيادات"[3].

وفي هذا المثال ذكر قراءة (جمهور القراء السبعة) والمخالف لهم قراءة متواترة لنافع.

مثال: يذكر فيه قراءة (جمهور السبعة).

فعند تفسير قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[4].

قال الإمام القرطبي:" (ثلاث عورات لكم) قرأ جمهور السبعة (ثلاث عورات) برفع ثلاث. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (ثلاث) بالنصب على البدل من الظروف في قوله (ثلاث مرات)[5]. ويلاحظ في هذا المثال أن المخالف لجمهور السبعة قارئان وراوٍ من السبعة. والقراءتان والقراءتان متواترتان[6].

مثال: يذكر فيه قراءة (جمهور القراء).

فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[7].

قال الإمام القرطبي:" (واتخذوا) قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على جهة الخبر عن اتخذه من متبعي إبراهيم، وهو معطوف على (جعلنا) أي جعلنا البيت مثابةً واتخذوا مصلى. وقيل هو معطوف على تقدير إذ؛ كأنه قال: وإذ جعلنا البيت مثابة وإذ اتخذوا؛ فعلى الأول الكلام جملة

1- الروم: (39).

2- انظر: ابن الجزري-النشر (258/2). قال ابن الجزري:" نافع وأبو جعفر ويعقوب (لتربو) والباقون (ليربو)".

3- القرطبي-الجامع (41/14).

4- النور: (58).

5- القرطبي-الجامع (314/2).

6- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (435)، ابن الجزري-تحبير التيسير (152).

7- البقرة: (125).

واحدة، وعلى الثاني جملتان. وقرأ جمهور القراء (واتخذوا) بكسر الخاء على جهة الأمر، مقطوعة من الأول وجعلوه معطوفاً جملة على جملة"[1].

ويلاحظ في هذا المثال أن المخالف لجمهور القراء اثنان من السبعة فالقراءتان متواترتان[2].

مثال: يذكر فيه قراءة (الجمهور من القراء).

فعند تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[3].

قال القرطبي:" (فمكث غير بعيد) أي الهدهد. والجمهور من القراء على ضم الكاف، وقرأ عاصم وحده بفتحها. ومعناه في القراءتان أقام"[4].

ويلاحظ أن قراءة (الجمهور من القراء) والقراءة الثانية متواترتان[5].

مثال: ذكر فيه قراءة (جمهور الناس).

فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[6].

قال القرطبي:" قرأ جمهور الناس (سواء) بالرفع، وهو على الابتداء، و(العاكف) خبره، وقيل: الخبر (سواء) وهو مقدم؛ أي العاكف فيه والباد سواء. وقرأ حفص عن عاصم (سواءً) بالنصب وهي قراءة الأعمش. وذلك يحتمل أيضاً وجهين: أحدهما: أن يكون مفعولاً ثانياً لجعل، ويرتفع (العاكف) به لأنه مصدر، فأعمل عمل اسم الفاعل لأنه في معنى مستوٍ. والوجه الثاني: أن يكون حالاً من الضمير في جعلناه"[7].

ويلاحظ أن قراءة (جمهور الناس) والقراءة الأخرى متواترتان[8].

من خلال هذه الأمثلة وغيرها يتبين لنا أن الكلمات السابقة التي نسب القرطبي القراءة إليها وهي (الجمهور وجمهور القراء وجمهور القراء السبعة وجمهور السبعة والجمهور من القراء وجمهور الناس) تعني القراء السبعة، مع العلم أن القرطبي لا يكثر من ذكر هذه الألفاظ فهي نادرة في

1- القرطبي-الجامع (118/2).

2- انظر: علي الصفاقسي-غيث النفع في القراءات السبع (48).

3- النمل: (22).

4- القرطبي-الجامع (190/13).

5- انظر: ابن الجزري-النشر (253/2).

6- الحج: (25).

7- القرطبي-الجامع (39/12).

8- انظر: ابن الجزري-النشر (245/2).

تفسيره، أما كلمة الجمهور مجردة من أي إضافة فإن القرطبي أكثر من ذكرها. وكذلك كلمة (الجماعة) وكلمة (العامة) فإنها كثيرة في تفسيره.

مثال: يذكر فيه قراءة الجماعة والمخالف لهم قراءة متواترة.

فعند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1].

قال القرطبي:" وقرءوا (فأمتعه) بضم الهمزة وفتح الميم وتشديد التاء. (ثم أضطره) بقطع الألف وضم الراء، وكذلك القراء السبعة خلا ابن عامر فإنه سكَّن الميم وخفف التاء. وحكى أبو إسحاق الزجاج أن في قراءة أبيّ (فنمتعه قليلاً ثم نضطره)[2] بالنون. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: هذا هذا القول من إبراهيم عليه السلام. وقرءوا (فأمتعه) بفتح الهمزة وسكون الميم، (ثم اضطرَّه) بوصل الألف وفتح الراء، فكأن إبراهيم عليه السلام دعا للمؤمنين وعلى الكافرين، وعليه فيكون الضمير في (قال) لإبراهيم، وأعيد (قال) لطول الكلام، أو لخروجه من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين.والفاعل في(قال) على قراءة الجماعة اسم الله تعالى"[3].

ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر في أوله قراءة (القراء السبعة) وفي آخره وصف تلك القراءة فقال(قراءة الجماعة). وبهذا يتضح جلياً وبدون أدنى شك أن القرطبي يقصد بقراءة الجماعة القراء السبعة.

مثال: يذكر فيه قراءة الجماعة والمخالف لهم شاذ.

فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾[4].

قال القرطبي:" وقراءة الجماعة (أتحاجوننا). وجاز اجتماع حرفين مثلين من جنس واحد متحركين؛ لأن الثاني كالمنفصل. وقرأ ابن محيصن (أتحاجونا) بالإدغام لاجتماع المثلين. قال النحاس: وهذا جائز إلا أنه مخالف للسواد"[5].

وقراءة الجماعة هي قراءة القراء العشرة في هذا المثال، أما قراءة ابن محيصن فشاذة[6].

1- البقرة: (126).

2- انظر: ابن عطية-المحرر الوجيز (485/1) والقراءة شاذة.

3- القرطبي-الجامع (125/2).

4- البقرة: (139).

5- القرطبي-الجامع (151/2).

6- انظر: البنا الدمياطي-إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (193).

وبقي في هذا الموضوع الحديث عن كلمة (العامة) والأمثلة عليها.

ذكرنا في أول المبحث أن الإمام مكي بن أبي طالب ذكر أن (العامة) عند العلماء لها ثلاثة معاني:

1. ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة.
2. ما اجتمع عليه أهل الحرمين.
3. ما اتفق عليه نافع وعاصم.

أما الإمام القرطبي فلم يقصد من كلمة العامة أياً من هذه المعاني؛ لأنه في بعض الأمثلة يقول (العامة) ويكون المخالف لهم أهل الكوفة أو ابن كثير أو نافع وهذا يدل على أنه لم يقصد بالعامة أحد هذه المعاني الثلاثة وإنما يقصد بهم عامة القراء السبعة وربما غيرهم معهم.

وهذه الأمثلة على ذلك.

مثال: قراءة العامة مخالف لقراءة ابن كثير وغيره من السبعة.

فعند قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَۖ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾[1].

قال:" وقراءة العامة: (وينزِّل)[2] مشدداً. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي مخففاً"[3].

ففي هذا المثال يلاحظ أن المخالف لقراءة العامة ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي.

وهذا يدل على أن العامة عند القرطبي ليس الذي اجتمع عليه أهل الحرمين حيث إن ابن كثير أحد الحرميين.

مثال: قراءة العامة مخالفة لقراءة أهل الكوفة.

فعند تفسير قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾[4].

قال القرطبي:" (وهل يجازى إلا الكفور) قراءة العامة[5] بياء مضمومة وزاي مفتوحة (الكفور) رفعاً رفعاً على ما لم يسم فاعله. وقرأ يعقوب وحفص وحمزة والكسائي: (نجازي) بالنون وكسر الزاي، (الكفور) بالنصب"[6].

1- لقمان: (34).

2- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (444).

3- القرطبي-الجامع (84/14).

4- سبأ: (17).

5- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (447).

6- القرطبي-الجامع (276/14).

ففي هذا المثال يلاحظ أن المخالف لقراءة العامة أهل الكوفة. فهذا يدل على أن العامة عند القرطبي ليس الذي اتفق عليه أهل المدينة والكوفة؛ لأن أهل الكوفة ليسوا من العامة في هذا المثال.

مثال: قراءة العامة مخالفة لقراءة عاصم.

فعند تفسير قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي:" و(الجِذوة) بكسر الجيم قراءة العامة[2]، وضمها حمزة ويحيى، وفتحها عاصم"[3].

ويلاحظ في هذا المثال أن المخالف للعامة من السبعة حمزة وعاصم وهذا دليل على أن العامة عند القرطبي ليس الذي اتفق عليه نافع وعاصم، فعاصم في هذا المثال مستثنى من العامة.

بهذه الأمثلة المتعددة يزداد التأكيد بأن المقصود بقراءة العامة عند الإمام القرطبي ليس ما قصده العلماء الذين سبقوه. وإنما يعني بالعامة عامة القراء السبعة.

وقبل الانتهاء يمكن أن نحسم القول فيما يقصده القرطبي بكلمة العامة، فنقول: إن العامة هم القراء السبعة وهم الجماعة، ويدل على هذا الكلام المثال التالي.

فعند تفسير قوله تعالى:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[4].

قال الإمام القرطبي:" (أليس الله بكاف عبده) حذفت الياء من (كاف) لسكونها وسكون التنوين بعدها؛ وكان الأصل ألا تحذف في الوقف لزوال التنوين، إلا أنها حذفت ليعلم أنها كذلك في الوصل. ومن العرب من يثبتها في الوقف على الأصل فيقول: كافي. وقراءة العامة (عَبْدَهُ)[5] بالتوحيد يعني: محمدﷺ يكفيه الله وعيد المشركين وكيدهم. وقرأ حمزة والكسائي (عِبَادَهُ) وهم الأنبياء، أو الأنبياء والمؤمنون بهم. واختار أبو عبيد قراءة الجماعة"[6].

1- القصص: (29).

2- انظر: البنا الدمياطي-إتحاف فضلاء البشر (435).

3- القرطبي-الجامع (290/13).

4- الزمر: (36).

5- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (453).

6- القرطبي-الجامع (246/15).

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي قال في أوله(قراءة العامة) وفي آخره قال:(واختار أبو عبيد قراءة الجماعة) يقصد قراءة العامة. وهذا يعني أن قراءة الجماعة هي قراءة العامة وفي أول المبحث تبين لنا أن قراءة الجماعة تعني الجمهور فيثبت بذلك أن قراءة (الجماعة والجمهور والعامة وجمهور القراء السبعة وجمهور القراء وجمهور السبعة والجمهور من السبعة وأكثر القراء) كلها كلمات تعني شيئاً واحداً هو القراء السبعة وهذا يؤكد ما قلناه:

1. إن الإمام القرطبي يحب التنوع في الألفاظ الدالة على المعنى الواحد.
2. ويؤكد على ما استنتج في المبحث الثاني أن الإمام القرطبي يعتبر القراءات المتواترة هي القراءات السبعة فقط. فكلمة العامة والجماعة والجمهور تعني أن غيرهم ليس من الجماعة ولا من الجمهور ولا من العامة أي قراءته ليست متواترة والله أعلم.

المبحث الرابع

الترجيح والاختيار في القراءات والحكم عليها عند القرطبي

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترجيح في القراءات عند القرطبي.

المطلب الثاني: الاختيار في القراءات عند القرطبي.

المطلب الثالث: الحكم على القراءات عند القرطبي.

تمهيد:

الاختيار والترجيح مصطلحان قريبان من بعضهما في المعنى ولكن لكل منهما معنى مستقل.

أولاً: الاختيار.

تعريفه عند القراء:" هو أن يعمد من كان أهلاً له إلى القراءات المروية فيختار منها ما هو راجح عنده ويجرد من ذلك طريقاً في القراءة على حدة"[1]. وقد يختار المفسر ما هو راجح عنده دون أن يلزم نفسه أو غيره بقراءة ما وذلك بعد أن تم الإجماع على قراءات متواترة لا محيد عنها.

قال الإمام القرطبي:" وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى، فالتزمه طريقة، ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه، فقيل: حرف نافع، وحرف ابن كثير، ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر، ولا أنكره، بل سوغه وجوزه"[2].

وقال مكي بن أبي طالب:" ألا ترى أن نافعاً قال: قرأت على سبعين من التابعين، فما اتفق عليه اثنان أخذته وما شذ فيه واحد تركته.. وقد روي عنه أنه كان يقرئ الناس بكل ما قرأ به، حتى يقال له: نريد أن نقرأ عليك باختيارك مما رويت"[3].

من خلال ما سبق نستنتج أن الاختيار مبني على الرواية والعلم عن عدد من القراء واختيار ما يراه القارئ مما قرأ وليس من اختراعه.

قال ابن الجزري:" وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به، فآثره على غيره،

وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به وقصد فيه وعرف عنه، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد"[4].

1- عبد الحليم قابة-القراءات القرآنية (27).

2- القرطبي-الجامع (64/1).

3- مكي بن أبي طالب-الإبانة (61).

4- ابن الجزري-النشر (47/1).

وقد كان الاختيار للقراءة ليس أمراً عشوائياً أو مزاجياً وإنما كان مبني على أسس متينة استنتجها الإمام مكي بن أبي طالب فقال:" وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف، إذا اجتمعت فيه ثلاثة أشياء:1- قوة وجهه في العربية. 2-موافقته للمصحف. 3- إجماع العامة عليه، والعامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة. فذلك عندهم حجة قوية يوجب الاختيار. وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وربما جعلوا الاختيار ما اتفق عليه نافع وعاصم فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات، وأصحها سنداً، وأفصحها في العربية ويتلوها في الفصاحة قراءة أبي عمرو والكسائي رحمهم الله"[1].

حكم الاختيار:

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الاختيار في القراءات بين القراء أمر جائز مباح إذا توفرت في صاحبه الأهلية والرواية واعتقد بصحة القراءات المتواترة الأخرى وعدم المس بها[2].

ولكن أمر الاختيار الآن يبعد جداً أن يولد قراءة جديدة تنسب لأحد ما –وأن كان ذلك جائزاً إن لم يخرج في اختياره عن ما ثبت عند القراء العشرة- وذلك لاستقرار أمر الإقراء وتلقي القرآن على اختيار القراء ورواتهم الذين التزموا الشروط برمتها وكانوا محل ثقة الأمة وموضع إجماعها، ولعدم تواتر ما خرج عن قراءاتهم[3].

قال ابن الجزري:" ليس المراعى في الأحرف السبعة المنزلة عدداً من الرجال دون آخرين ولا الأزمنة والأمكنة، وأنه لو اجتمع عدد لا يحصى من الأمة فاختار كل واحد منهم حروفاً بخلاف صاحبه وجرّد طريقاً في القراءة على حدة في أي مكان كان وفي أي أوان أراد بعد الأئمة الماضين في ذلك، بعد أن كان ذلك المختار بما اختاره من الحروف ملتزماً بشرط الاختيار لما كان بذلك خارجاً عن الأحرف السبعة المنزلة، بل فيها متسع إلى يوم القيامة"[4].

وقال ابن عبد البر في التمهيد:" وإذا أبيح لنا قراءته على كل ما أنزل، فجائز الاختيار فيما أنزل عندي"[5].

وأما الترجيح: فهو أن يرجح أحد العلماء سواء كان قارئاً أم مفسراً قراءةً على أخرى متواترة كانت أو شاذة لاعتبارات معينة.

أنواع الترجيح وحكم كل نوع: الترجيح ثلاثة أنواع:

1. ترجيح قراءة متواترة على شاذة وهذا النوع جائز مباح.

1- مكي بن أبي طالب-الإبانة (65).

2- انظر: فضل عباس-إتقان البرهان (182/2).

3- انظر: عبد الحليم قابة-القراءات القرآنية (263).

4- ابن الجزري-النشر (142/1).

5- ابن عبد البر-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (279/8).

2. ترجيح قراءة شاذة على متواترة وهذا لا يجوز لأنه ليس لنا أن نرجح قراءة غير ثابتة وليست من القرآن على ما ثبت أنه قرآن بإجماع المسلمين.

3. ترجيح قراءة متواترة على متواترة. وهذا النوع غير جائز إذا كان فيه إضعافاً للقراءة الأخرى وإسقاطاً لها.

قال أبو حيان:" وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون بين القراءات لا ينبغي، لأن القراءات كلها صحيحة ومروية وثابتة عن الرسولﷺ ولكن منها وجه ظاهر حسن في العربية، فلا يمكن ترجيح قراءة على قراءة"[1]. أما إذا كان الترجيح للقراءة مع الاعتقاد بصحة القراءة الأخرى وعدم الطعن فيها أو تهوينها فجائز. فأبو حيان الذي أنكر الترجيح نجده يفاضل بين قراءة وأخرى مفاضلة لا تنقص من صحة المفضولة شيئاً[2].

هذا هو الصواب في المسألة –والله أعلم– وهذا ما قاله شيخي وأستاذي الدكتور عبد الرحمن الجمل –حفظه الله– حيث قال:" فتبين مما سبق أن معنى الترجيح عند أبي حيان والذي أنكره على المفسرين هو أن يفضل الشخص قراءة متواترة على أخرى مثلها معتقداً أن هذه القراءة التي فضلها أصوب من الأخرى، وأن معنى الآية عليها صحيح متسق، أما القراءة المفضولة فهي ليست صواباً أو أقل رتبة من القراءة الأخرى على أحسن حال"[3].

وخلاصة الأمر أن الترجيح بين القراءات المتواترة جائز إذا لم يكن فيه توهين أو إضعاف أو طعن في القراءة الأخرى. وأنه مرفوض غير جائز إذا أدى إلى هذه الأمور المحذورة، لأن الطعن في القراءة المتواترة أمر خطير قد يؤدي إلى الكفر –نعوذ بالله من ذلك– .

المطلب الأول

الترجيح في القراءات عند القرطبي

أولاً: أنواع الترجيح عنده.

لقد كان الإمام القرطبي –رحمه الله– يرجح بين القراءات بنوعيها المتواترة وغير المتواترة فاشتمل تفسيره على أنواع الترجيح الثلاثة –سابقة الذكر– لكن الذي يغلب على تفسيره ترجيح المتواتر على الشاذ والمتواتر على المتواتر، أما ترجيح الشاذ على المتواتر فنادراً ما يوجد في تفسيره، وهذا النوع من الترجيح علمنا أن حكمه غير جائز، وكان القرطبي أحياناً يرجح بنفسه وأحياناً ينقل الترجيح عن غيره من علماء القراءات والنحو.

وهذه بعضاً من الأمثلة.

1– أبو حيان–البحر المحيط (265/2).

2– انظر: المرجع السابق (43/3).

3– انظر: د.عبد الرحمن الجمل–منهج الطبري في القراءات (197).

أ- ترجيح قراءة متواترة على شاذة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[1].

قال:" (وإن تك حسنة يضاعفها) أي يكثر ثوابها. وقرأ أهل الحجاز (حسنةٌ) بالرفع، والعامة بالنصب؛ فعلى الأول (تكُ) بمعنى تحدث، فهي تامة، وعلى الثاني هي الناقصة، أي إن تك فعلته حسنة.وقرأ الحسن(نضاعفها) بنون العظمة. والباقون بالياء،وهي أصح؛ لقوله(ويؤت)"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة متواترة و هي (يضاعفها) بالياء قراءة العشرة[3] على قراءة شاذة وهي قراءة الحسن البصري (نضاعفها) بالنون[4]. وذلك بقوله (وهي أصح) وهذا كلام صحيح. ولكن القرطبي بين أن سبب الترجيح هو باعتبار السياق حيث قال (لقوله ويؤت)، فيكون بذلك رجح قراءة متواترة على شاذة ليس لاعتبار التواتر والشذوذ وإنما لاعتبار السياق. وكان الأولى بالقرطبي -رحمه الله- أن يقول والأولى أصح لأنها قراءة متواترة والأخرى شاذة ويضيف إلى ذلك اعتبار السياق.

ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى:﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[5].

قال:" (ويتوب الله على من يشاء) القراءة بالرفع على الاستئناف؛ لأنه ليس من جنس الأول. ولهذا لم يقل (ويتبْ) بالجزم؛ لأن القتال غير موجب لهم التوبة من الله جل وعز، وهو موجب لهم العذاب والخزي وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم... وقرأ ابن أبي إسحق (ويتوبَ) بالنصب وكذا روي عن عيسى الثقفي والأعرج، وعليه فتكون التوبة داخلة في جواب الشرط؛ لأن المعنى: إن تقاتلوهم يعذبهم الله. وكذا ما عطف عليه. ثم قال: (ويتوب الله) أي إن تقاتلوهم. فجمع بين تعذيبهم بأيديكم وشفاء صدوركم وإذهاب غيظ قلوبكم والتوبة عليكم والرفع أحسن؛ لأن التوبة لا يكون سببها القتال؛ إذ قد توجد بغير قتال لمن شاء الله أن يتوب عليه في كل حال"[6].

1- النساء: (40).

2- القرطبي-الجامع (200/5).

3- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (85).

4- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (26).

5- التوبة: (15).

6- القرطبي-الجامع (85/8).

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة متواترة قرأ بها العشرة[1] على قراءة شاذة[2] ليس لاعتبار التواتر والشذوذ وإنما لاعتبار المعنى. وكان الأولى به أن يرجح المتواتر على الشاذ لاعتبار التواتر ثم يؤكد على ذلك باعتبار المعنى، أما أن يجعل المعنى هو سبب الترجيح ولا يجعل لتواتر القراءة أو شذوذها أي اعتبار فهذا أمر غير محمود.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3].

قال:" (وقولوا) عطف على ادخلوا. و(حطةٌ) بالرفع قراءة الجمهور؛ على إضمار مبتدأ، أي مسألتنا حطة، أو يكون حكاية. قال الأخفش: وقرئت (حطةً) بالنصب، على معنى احطط عنا ذنوبنا حطة. قال النحاس: الحديث عن ابن عباس[4] أنه قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله، وفي حديث آخر عنه قيل لهم: قولوا مغفرة تفسير للنصب؛ أي قولوا شيئاً يحط ذنوبكم؛ كما يقال: قل خيراً. والأئمة من القراء على الرفع. وهو أولى في اللغة؛ لما حكي عن العرب في معنى بدّل، قال أحمد بن يحيى[5]: يقال بدلته؛ أي غيرته ولم أزل عينه، وأبدلته أزلت عينه وشخصه كما يقال[6]: عزل الأمير للأمير المبدل. وقال الله عز وجل: (قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله)[7]. ولحديث ابن مسعود قالوا: (حطة) تفسير على الرفع. هذا كله قول النحاس"[8].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة لم يختلف فيها أحد من القراء العشرة وبين معناها ثم ذكر القراءة الشاذة وبين معناها ورجح القراءة المتواترة على الشاذة على اعتبار أنها أولى في اللغة مستدلاً بكلام العرب والقرآن الكريم ناسباً ذلك في آخر كلامه للنحاس.

وكما قلنا في المثالين السابقين أن الأولى بالقرطبي أن يرجح المتواتر على الشاذ لاعتبار التواتر والشذوذ، ولكنه كان يعتمد في ترجيحه في الغالب على اعتبارات متعددة غير اعتبار التواتر والشذوذ. وهذا منهج غير سليم وإنما الصواب تقديم هذا الاعتبار على كل الاعتبارات الأخرى فيكون هو الأساس وتكون الاعتبارات الأخرى مذكورة بعده للاستئناس والتأكيد على ترجيح القراءة على غيرها.

1- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (189).

2- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (51).

3- البقرة: (58).

4- انظر: السيوطي- الدر المنثور في التفسير المأثور (138/1).

5- أحمد بن يحيى:بن زيد بن سيّار الشيباني مولاهم الإمام العلامة المحدث شيخ العربية أبو العباس ثعلب ولد سنة مائتين روى عنه القراءة ابن مجاهد وابن الأنباري وغيرهما، مات سنة 291هـ. (انظر: طبقات المفسرين 94/1).

6- القائل أبو النجم، انظر: النحاس-إعراب القرآن (228/1).

7- يونس: (15).

8- القرطبي-الجامع (416/1).

ب- ترجيح قراءة متواترة على متواترة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[1].

قال: وقرأ أبو عمرو والكسائي (تكونُ) بالرفع؛ ونصب الباقون، فالرفع على أن (حسب) بمعنى عَلم وتيقن. و(أنْ) مخففة من الثقيلة ودخول (لا) عوض عن التخفيف، وحذف الضمير لأنهم كرهوا أن يليها الفعل وليس من حكمها أن تدخل عليه ففصلوا بينهما (بلا). ومن نصب جعل (أنْ) ناصبة للفعل، وبقي (حسب) على بابه من الشك وغيره. قال سيبويه[2]: حسبت ألا يقول ذلك؛ أي حسبت أنه قال ذلك. وإن شئت نصبت؛ قال النحاس[3]: والرفع عند النحويين في حسب وأخواتها أجود. وإنما صار الرفع أجود؛ لأن حسب وأخواتها بمنزلة العلم لأنه شيء ثابت[4].

يتضح من هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة الرفع وهي متواترة قرأ بها من العشرة أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف. على قراءة النصب التي قرأ بها الباقون من العشرة. وكان الترجيح باعتبار النحو نقلاً عن النحاس. والترجيح بهذا الأسلوب جيد لا غبار عليه؛ لأنه ليس فيه إضعاف للقراءة الأخرى أو انتقاص منها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5].

قال:" و(عسيتم) بالفتح والكسر لغتان. وبالثانية قرأ نافع، والباقون بالأولى وهي الأشهر. قال أبو حاتم: وليس للكسر وجه[6]، وبه قرأ الحسن وطلحة. قال مكي في اسم الفاعل:عسٍ، فهذا يدل على كسر السين في الماضي. والفتح في السين هي اللغة الفاشية. قال أبو علي: ووجه الكسر قول العرب: هو عسٍ بذلك مثل حرٍ وشجٍ، وقد جاء فَعَل وفَعِل في نحو نَعَم ونَعِم، وكذلك

1- المائدة: (71).

2- انظر: سيبويه-الكتاب (481/1).

3- انظر: النحاس-إعراب القرآن (32/2).

4- انظر: القرطبي-الجامع (235/6).

5- البقرة: (246).

6- قال أبو حيان في البحر المحيط (255/1): المحفوظ عن العرب أنها لا تكسر السين إلا مع تاء المتكلم والمخاطب ونون النسوة نحو: عسيتُ وعسيتَ وعسينَ، وذلك على سبيل الجواز لا الوجوب ويفتح فيما سوى ذلك وجوباً.

عَسَيت وعسِيت، فإن أسند الفعل إلى الظاهر فيقاس عسيتم أن يقال: عسِي زيد، مثل رضي زيد، فإن قيل فهو القياس، وإن لم يقل، فسائغ أن يؤخذ باللغتين فتستعمل إحداهما موضع الأخرى[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة متواترة قرأ بها القراء العشر عدا نافع[2] على قراءة متواترة قرأ بها نافع بكلمة جميلة ليس فيها إنقاص ولا إضعاف للقراءة الثانية بقوله (وهي الأشهر) ثم ذكر قول أبي حاتم في استبعاد القراءة نحوياً، لكنه رد عليه بكلام يبطل قوله ويبين خطأه.

ج-ترجيح قراءة شاذة على متواترة.

فعند تفسير قوله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال:" وقرأ النخعي ويحيى بن وثاب والسلمي (متجنف) دون ألف، وهو أبلغ في المعنى، لأن شد العين يقتضي مبالغة وتوغلاً في المعنى وثبوتاً لحكمه؛ وتفاعل إنما هو محاكاة الشيء والتقرب منه؛ ألا ترى أنك إذا قلت: تمايل الغُصن فإن ذلك يقتضي تأوّداً ومقاربة ميل، وإذا قلت: تميَّل فقد ثبت حكم الميل، وكذلك تصاون الرجل وتصوّن، وتعاقل وتعقل؛ فالمعنى متعمد لمعصية في مقصده؛ قاله قتادة والشافعي"[4].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة لم يختلف فيها القراء العشر، ثم بين معناها ثم ذكر قراءة شاذة[5] وصفها أنها أبلغ في المعنى مؤكداً على ذلك بالأمثلة من اللغة.

قد ذكرت في بداية هذا المبحث أنه لا يجوز ترجيح قراءة شاذة على متواترة، وهذا ما وقع فيه الإمام القرطبي في هذا المثال، ولكن ما يخفف من هذا الخطأ أن القرطبي لم يرجح القراءة الشاذة على المتواترة من حيث الرواية وصحة القراءة، وإنما لاعتبار أنها أبلغ في المعنى، ورغم ذلك فإن هذا خطأ لا يجوز أن يقع فيه مثل الإمام القرطبي فالقرآن الكريم نزل بأفصح لغات العرب وأبلغها فلا يجوز بأي حال أن نصف قراءة شاذة أنها أبلغ من قراءة متواترة أجمع

1- القرطبي-الجامع (241/3).

2- انظر: محمد راجح-القراءات العشر (40).

3- المائدة: (3).

4- القرطبي-الجامع (67/6).

5- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (31).

المسلمون على صحتها وتواترها وبلاغتها. وإذا كان ترجيح قراءة شاذة على متواترة أمراً خطيراً مرفوضاً فإن الأخطر من ذلك أن يفترض المفسر قراءة ثم يحسن هذه القراءة أو يرجحها على المتواترة.

وقد فعل الإمام القرطبي ذلك مرة عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[1].

قال القرطبي:" قرأ حمزة والكسائي: (بشهابٍ قبسٍ) بتنوين (شهاب)، والباقون بغير تنوين[2] على الإضافة، أي بشعلة نار واختاره أبو عبيد وأبو حاتم"... ولو قرئ بنصب قبس على البيان والحال كان أحسن. ويجوز في غير القرآن بشهابٍ قبساً على أنه مصدر أو بيان أو حال"[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين ثم افترض قراءة من عنده وصفها أنها أحسن. وهذا أمر خطير لا يجوز القول به، وكان الأولى بالقرطبي أن يقول: ويجوز نصب (قبس) على البيان أو الحال في العربية. أما أن يفترض قراءة ويصفها بأنها أحسن فهذا خطأ وقع فيه الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى–. ولكن لا بد من التذكير أن هذا المثال والسابق له – ترجيح الشاذ على المتواتر – نادراً جداً ما يوجد في تفسير القرطبي، وإنما أكثر من ترجيح المتواتر على الشاذ، والمتواتر على المتواتر.

ثانياً: ألفاظ الترجيح عند الإمام القرطبي:

استخدم الإمام القرطبي ألفاظاً كثيرة في ترجيحه للقراءات. وهذه الألفاظ مختلفة في معانيها ودلالاتها فبعض هذه الألفاظ:

أ– **يفهم منها ترجيح قراءة على حساب القراءة الأخرى.** وهذا النوع من الترجيح إذا كان بين قراءة متواترة على شاذة فليس في ذلك غضاضة، ولكن يحذر هذا الترجيح –كما ذكر– إذا كان الترجيح بين قراءتين متواترتين. ومن هذه الألفاظ قوله (وهو الصواب) وهذا اللفظ ربما لم يذكره القرطبي إلا في مثال واحد في الترجيح بين القراءات المتواترة.

ب–**وأما الألفاظ الأخرى فليس فيها إضعاف للقراءة الأخرى ولا تهوين لها،** وهي ألفاظ أكثر منها القرطبي مثل قوله (أجود–أبين–أوكد–أصوب–الأصل القراءة الأولى–أفصح–وغير ذلك من الألفاظ). وكان أحياناً يستخدم أكثر من لفظ من هذه الألفاظ في موضع واحد فيقول مثلاً (أعرف عند العرب وأصح بناء وأثبت علة)،أو يقول (أصح وأقرب متناولاً وأشهر وأعرف).

1– النمل: (7).

2– انظر: ابن خلف الأنصاري–الإقناع (437).

3– القرطبي–الجامع (168/13).

ومن أجل التمييز بين الاختيار والترجيح عند الإمام القرطبي فيما ذكر من قراءات، فالباحث يعتبر أن الاختيار عند القرطبي هو فقط عندما يصف القراءة بقوله (وهي الاختيار أو والاختيار كذا) أو واختار أبو حاتم وأبو عبيد وغيرهما. فإن ذلك يندرج تحت موضوع الاختيار. أما ما ذكره من ألفاظ الترجيح السابقة الذكر مثل (أجود–وأبين–وأوكد–وأبلغ وغيرها). فإن الباحث يعتبر ذلك ترجيحاً لتلك القراءة التي وصفت بذلك الوصف.

وبعد هذه الملاحظة المهمة يأتي الآن دور التمثيل على ما ذكر من ألفاظ الترجيح.

أ–لفظ يفهم منه ترجيح قراءة على حساب قراءة أخرى.

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[1].

قال:" (وأنه تعالى جدّ ربنا) كان علقمة ويحيى والأعمش وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف وحفص والسلمي ينصبون (أن) في جميع السورة في اثني عشر موضعاً...عطفاً على قوله: (أنه استمع نفر)، (وأنه استمع) لا يجوز فيه إلا الفتح؛ لأنها في موضع اسم فاعل (أوحى) فما بعده معطوف عليه. وقيل: هو محمول على الهاء في (آمنا به) أي وبـ(أنه تعالى جد ربنا) وجاز ذلك وهو مضمر مجرور لكثرة حروف الجر مع (أنّ). وقيل المعنى أي وصدقنا أنه جدّ ربنا.وقرأ الباقون كلها بالكسر وهو الصواب واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم عطفاً على قوله:(فقالوا إنا سمعنا) لأنه من كلام الجن"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[3] وهو فتح (إن) وكسرها وقد رجح قراءة الكسر بقوله (وهو الصواب) وهذا اللفظ لا يجوز استعماله في الترجيح بين القراءات المتواترة لأنه يمس بالقراءة الثانية ويضعفها فهو أمر محذور، وقد حذّر منه الإمام القرطبي في أكثر من موضع من تفسيره حيث كان يذكر أنه لا يجوز أن نقول عن قراءة متواترة أنها أصح أو أصوب من الأخرى[4]. ولكنه وللأسف وقع فيما حذر منه في هذا المثال.

ب–ألفاظ الترجيح التي ليس فيها توهين أو تضعيف للقراءة المرجوحة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ

1– الجن: (3).

2– القرطبي–الجامع (11/19).

3– انظر: ابن خلف الأنصاري–الإقناع (477).

4– انظر: القرطبي–الجامع (291/12) آية (45) من سورة النور.

ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1].

قال:" (فتبينوا) أي تأملوا. و(تبينوا) قراءة الجماعة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، وقالا: من أمر بالتبين فقد أمر بالتثبت؛ يقال: تبينت الأمر وتبين الأمر بنفسه، فهو متعدٍ ولازم. وقرأ حمزة (فتثبتوا) من التثبت بالثاء المثلثة وبعدها باء بواحدة. و(تبينوا) في هذا أوكد لأن الإنسان قد يتثبت ولا يتبين"[2].

ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة متواترة وهي قراءة الجماعة على قراءة متواترة قرأ بها حمزة والكسائي وخلف[3] بقوله (وهذا أوكد) وهو لفظ مقبول وترجيح جائز ليس فيه توهين للقراءة المرجوحة أو مسٌّ بها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾[4].

قال:" وقرئ (مسجد الله) على التوحيد؛ أي المسجد الحرام، وهي قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء بن رباح ومجاهد وابن كثير وأبي عمرو وابن محيصن ويعقوب، والباقون (مساجد) على التعميم، وهو اختيار أبي عبيد؛ لأنه أعم والخاص يدخل تحت العام. وقد يحتمل أن يراد بقراءة الجمع المسجد الحرام خاصة، وهذا جائز فيما كان من أسماء الجنس؛ كما يقال فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرساً. والقراءة (مساجد) أصوب لأنه يحتمل المعنيين. وقد أجمعوا على قراءة قوله: (إنما يعمر مساجد الله)[5] على الجمع، قاله النحاس. وقال الحسن: إنما قال مساجد وهو المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها"[6].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة متواترة (مساجد) على قراءة متواترة (مسجد) والتي قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب[7] بقوله (أصوب) وهذه الكلمة توحي بأن القراءتين صحيحتان الأولى صواب والثانية أصوب. فهو لفظ مقبول ليس فيه مس بالقراءة المرجوحة.

1- النساء: (94).

2- القرطبي-الجامع (337/5).

3- انظر: ابن الجزري-النشر (189/2).

4-التوبة: (17).

5- التوبة: (18).

6- القرطبي-الجامع (86/8).

7- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (406).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾[1].

قال:" وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (ترجع الأمور) على بناء الفعل للفاعل، وهو الأصل؛ دليله (ألا إلى الله تصير الأمور)[2]، (إلى الله مرجعكم)[3]. وقرأ الباقون (تُرجع) على بنائه للمفعول. وهي وهي أيضاً قراءة حسنة؛ دليله (ثم تردون)[4]، (ثم ردوا إلى الله)[5]، (ولئن رددت إلى ربي)[6] والقراءتان حسنتان بمعنى، والأصل الأولى، وبناؤه للمفعول توسع وفرع"[7].

يتضح من هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[8]، ووصفهما بأنهما قراءتان حسنتان وبمعنى واحد ثم قال (والأصل الأولى) وهذا وصف جميل ومهذب وليس فيه انتقاص من القراءة الأخرى بل مدح القراءتين ووجه كل واحدة منهما بأكثر من آية من القرآن الكريم، واعتبر أن القراءة الأولى هي الأصل من حيث اللغة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾[9].

قال:" (في الدَّرَك)، قرأ الكوفيون (الدَّرْكِ) بإسكان الراء، والأولى أفصح؛ لأنه يقال في الجمع: أدراك مثل جمل وأجمال؛ قاله النحاس. وقال أبو علي: هما لغتان كالشمع والشمَع ونحوه، والجمع أدراك. وقيل جمع الدرك أدرك، كفلس وأفلس. والنار دركات سبعة؛ أي طبقات ومنازل؛ إلا أن استعمال العرب لكل ما تسافل أدراك. يقال: للبئر أدراك، ولما تعالى درج؛ فللجنة درج وللنار أدراك"[10].

ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة[11]، بفتح الراء ثم قال (قرأ الكوفيون الدرك بإسكان الراء) ثم رجح القراءة الأولى لأنها أفصح ثم بين أن ما ذكره نقلاً عن النحاس.

1- البقرة: (210).
2- الشورى: (53).
3- هود: (4).
4- التوبة: (94)
5- الأنعام: (62).
6- الكهف: (36).
7- القرطبي-الجامع (30/3).
8- انظر: ابن الجزري-النشر (157/2)، محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (32).
9- النساء: (145).
10- القرطبي-الجامع (422/5).
11- انظر: ابن الجزري-النشر (190/2).

والترجيح بتلك الصيغة يدل على أن القراءتين الأولى فصيحة والثانية أفصح وهو اجتهاد من النحاس ووافقه عليه القرطبي، ولكن أبا علي ذكر أنهما لغتان وربما تكونان في الفصاحة سواء ومع ذلك يمكن القول إن القرآن الكريم اشتمل على ما هو فصيح وأفصح فليس على هذا الترجيح غبار فهو جائز ومقبول والله أعلم.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾[1].

قال:" (تكون له جنة يأكل منها) (يأكل) بالياء قرأ المدنيون وأبو عمرو وعاصم. وقرأ سائر الكوفيين بالنون، والقراءتان حسنتان تؤديان عن معنى، وإن كانت القراءة بالياء أبين؛ لأنه تقدم ذكر النبيﷺ وحده فأن يعود الضمير عليه أبين، ذكره النحاس"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[3]، بين أنهما حسنتان وأنهما تؤديان عن عن معنى ورجح القراءة بالياء مستدلاً بأن الضمير يعود على النبيﷺ لأنه تقدم ذكره ثم ختم كلامه بأن ما ذكر هو قول النحاس، وهذا وغيره يدل على أن القرطبي يأخذ عن النحاس كثيراً وأنه متأثر به وبكلام أهل اللغة أحياناً، والترجيح في هذا المثال مقبول حيث حكم على القراءتين بأنهما حسنتان مع ترجيح إحداهما ترجيحاً لا ينقص من القراءة الأخرى.

ج- استخدام القرطبي أكثر من لفظ للقراءة الواحدة في ترجيحه بين القراءات.

ومن أمثلة ذلك عند قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[4].

قال:" وقرأ ابن مسعود وعلقمة والأعمش والنخعي (الحي القيام) بالألف، وروي ذلك عن عمر. ولا خلاف بين أهل اللغة في أن القيوم أعرف عند العرب وأصح بناء وأثبت علة"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة شاذة[6]، ثم ذكر أن القراءة المتواترة أعرف عند العرب وأصح بناءاً وأثبت علة، ويكون بذلك قد رجح القراءة المتواترة ووصفها بثلاثة أوصاف

1- الفرقان: (8).

2- القرطبي-الجامع (10/13).

3- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة(360)، ابن الجزري-النشر (250/2).

4- البقرة: (255).

5- القرطبي-الجامع (270/3).

6- انظر: ابن جني-المحتسب (151/1).

وليس بوصف واحد. كل ذلك ليؤكد على رجحانها على القراءة الأخرى وقد كان محقاً في ذلك لأن تلك القراءة متواترة ولم يختلف فيها أحد من القراء العشرة فلا بأس من وصفها بتلك الأوصاف. ومن ذلك أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[1].

قال: (ولم يقتروا) قرأ حمزة والكسائي والأعمش وعاصم ويحيى بن وثاب على اختلاف عنهما (يقتروا) بفتح الياء وضم التاء، وهي قراءة حسنة، من قتر يقتر. وهذا القياس في اللازم، مثل قعد يقعد. وقرأ أبو عمرو بن العلاء وابن كثير بفتح الياء وكسر التاء، وهي لغة معروفة حسنة. وقرأ أهل المدينة وابن عامر وأبو بكر عن عاصم بضم الياء وكسر التاء.

وتعجب أبو حاتم من قراءة أهل المدينة هذه لأن أهل المدينة عنده لا يقع في قراءتهم الشاذ، وإنما يقال: أقتر يقتر إذا افتقر، كما قال عز وجل: (وعلى المقتر قدره)[2] وتأول أبو حاتم لهم أن المسرف يفتقر سريعاً. وهذا تأويل بعيد ولكن التأويل لهم أنه يقال للإنسان إذا ضيّق: قتر يقتر ويقتر، وأقتر ويُقتر. فعلى هذا تصح القراءة، وإن كان فتح الياء أصح وأقرب متناولاً، وأشهر وأعرف[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر ثلاث قراءات متواترة[4]، وذكر أنها قراءات حسنة وصحيحة ثم رجح القراءة الأولى والثانية على القراءة الثالثة بألفاظ متعددة حيث قال (فتح الياء أصح وأقرب متناولاً وأشهر وأعرف). ورغم تعدد هذه الألفاظ إلا أنها ألفاظ مهذبة ومقبولة، فليس فيها إنقاص من القراءة الأخرى أو إضعاف لها فقد حكم على القراءة المرجوحة بالصحة قبل القول بالترجيح.

ثالثاً: اعتبارات وعلل الترجيح في القراءات عند القرطبي.

لقد اعتمد الإمام القرطبي في ترجيحه بين القراءات على علل واعتبارات متعددة منها **اعتماده على المعنى** حيث يرجح قراءة على أخرى لما فيها من معنى زائد أو لقوة ذلك المعنى الموجود في تلك القراءة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾[5].

1- الفرقان: (67).

2- البقرة: (236).

3- انظر: القرطبي-الجامع (79/13).

4- انظر: ابن الجزري-النشر (251/2).

5- البقرة: (36).

قال:" (فأزلهما الشيطان عنها) قرأ الجماعة (فأزلّهما) بغير ألف، من الزِّلة وهي الخطيئة، أي استزلهما وأوقعهما فيها. وقرأ حمزة (فأزالهما) بألف من التنحية؛ أي نحاهما. يقال: أزلته فزال. قال ابن كيسان[1]: فأزلهما من الزوال؛ أي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية. قلت: وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى، إلا أن قراءة الجماعة أمكن من المعنى. يقال منه أزللته فَزَلّ. ودل على هذا قوله تعالى:" إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا)[2] "[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[4] ووجههما بالمعنى ثم رجح قراءة الجماعة (فأزلهما) لأنها أمكن في المعنى مستدلاً على ذلك بالقرآن.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[5].

قال:" وقرأ حمزة والكسائي (لا يُفتَّح) بالياء مضمومة على تذكير الجمع، وقرأ الباقون بالتاء على تأنيث الجمع، كما قال:(مفتحة لهم الأبواب)[6] فأنث، ولما كان التأنيث في الأبواب غير حقيقي جاز تذكير الجمع، وهي قراءة ابن عباس بالياء، وخفف أبو عمرو وحمزة والكسائي على معنى التخفيف يكون للقليل والكثير، والتشديد للتكثير والتكرير مرة بعد مرة لا غير، والتشديد هنا أولى لأنه على التكثير أدل"[7].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءات متواترة[8] رجح منها قراءة التشديد بقوله (والتشديد أولى لأنه على الكثير أول) مستدلاً على ذلك بآية من سورة (ص) حيث إنه لم يقل (مفتوحة) وإنما قال عز وجل (مفتحة)[9] فقراءة التشديد أفادت معنىً زائداً وهو التكثير والتكرير مرة بعد مرة وهذا هو سبب الترجيح.

ومن أمثلة ذلك عند قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى

1- ابن كيسان: صالح بن كَيْسان المدني، مؤدب أبناء عمر بن عبد العزيز، كان من فقهاء المدينة الجامعين بين الحديث والفقه، عاش أكثر من مائة عام، توفي سنة140هـ (انظر: الأعلام 195/3، تهذيب التهذيب 399/4).

2- آل عمران: (155).

3- القرطبي-الجامع (323/1).

4- انظر: ابن الجزري-النشر (158/2).

5- الأعراف: (40).

6- ص: (50).

7- القرطبي-الجامع (201/7).

8- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (155).

9- انظر: ابن زنجلة-حجة القراءات (282).

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

قال:" (ما لكم من ولايتهم من شيء) وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة (من ولايتهم) بكسر الواو وقيل هي لغة. وقيل من وليت الشيء؛ يقال: وليّ بين الولاية. ووالٍ بين الولاية. والفتح في هذا أبين وأحسن، لأنه بمعنى النصرة والنسب. وقد تطلق الوَلاية والوِلاية بمعنى الإمارة"[2].

ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءتين متواترتين[3]،رجح إحداهما بقوله(أبين وأحسن)وكان سبب ترجيحه أنها أفادت معنى النصرة والنسب أما القراءة الثانية فقد أفادت معنى الميراث فقط[4].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا﴾[5].

قال:" وقرأ نافع وابن عامر (فلا) بالفاء، وهو الأجود لأنه يرجع إلى المعنى الأول؛ أي لا يخاف الله عاقبة إهلاكهم. والباقون بالواو، وهي أشبه بالمعنى الثاني؛ أي ولا يخاف الكافر عاقبة ما صنع"[6].يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[7]، ورجح إحداهما بقوله (وهو الأجود) باعتبار أن معنى هذه القراءة يرجع إلى معنى فلا يخاف الله عاقبة إهلاكهم.فأقول: ولماذا لا يكون المقصود (ولا يخاف الكافر عاقبة ما صنع) على قراءة (ولا يخافُ) لذلك يمكن القول إن هذا الترجيح مبني على اجتهاد من الإمام القرطبي وربما كان مصيباً في اجتهاده وربما كان مجانباً للصواب فالأولى والأفضل في مثل هذا المقام أن لا يكون ترجيح ولا تفضيل لأن كل قراءة أفادت معنى وكل منهما صحيح فلماذا الترجيح إذاً ما دامت القراءتان متواترتين والله أعلم.

وقد كان الإمام القرطبي يرجح قراءة على قراءة باعتبار الفصاحة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[8].

1- الأنفال: (72).

2- القرطبي-الجامع (57/8).

3- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (186).

4- انظر: ابن زنجلة-حجة القراءات (314).

5- الشمس: (15).

6- القرطبي-الجامع (81/20).

7- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (595).

8- المائدة: (31).

قال:" والأصل في (يا ويلتى) يا ويلتي ثم أبدل الياء ألف. وقرأ الحسن على الأصل بالياء، والأول أفصح؛ لأن حذف الياء في النداء أكثر. وهي كلمة تدعو بها العرب عند الهلاك"[1].

ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة متواترة على قراءة شاذة للحسن البصري[2] وبين أن أن قراءة الحسن على الأصل ثم قال (والأول أفصح) وذلك لأن حذف الياء في النداء أكثر فالترجيح باعتبار الفصاحة كان الأولى في هذا المثال أن يكون الترجيح باعتبار التواتر حيث القراءة الأولى متواترة والثانية شاذة، ثم إذا أراد أن يؤكد على هذا الترجيح فيمكن له أن يصف القراءة المتواترة بأنها أفصح من الشاذة. هذا هو الأسلم والأفضل والله أعلم.

ومن أمثلة ذلك عند قوله تعالى:﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾[3].

قال:" وفي (عضد) ثمانية أوجه: و(عَضُد) بفتح العين وضم الضاد هي قراءة الجمهور، وهي أفصحها. و(عضداً) بفتح العين وإسكان الضاد، وهي لغة بني تميم. و(عضداً) بضم العين والضاد، وهي قراءة أبي عمرو والحسن و(عُضْداً) بضم العين وإسكان الضاد، وهي قراءة عكرمة. و(عضداً) بكسر العين وفتح الضاد، وهي قراءة الضحاك. و(عضداً) بفتح العين والضاد.."[4]. يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة الجمهور باعتبار الفصاحة على قراءات كلها شاذة[5]. وما قيل في المثال السابق يقال هنا حيث الأولى أن يكون اعتبار الترجيح تواتر القراءة ثم فصاحتها لأن اعتبار التواتر مُقدم على غيره من الاعتبارات.

ومن أمثلة ذلك أيضاً عند قوله تعالى:﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[6].

ٱلۡحَمِيدِ﴾[6].

قال:" (وما نقموا) وقرأ أبو حيوة (نقِموا) بالكسر، والفصيح هو الفتح"[7].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة متواترة على قراءة شاذة[8] باعتبار الفصاحة بلفظ ينقص من القراءة الأخرى حيث إنه قال (والفصيح) ولم يقل (أفصح) ومعنى كلامه أن القراءة الأخرى غير فصيحة وهذا الترجيح بهذا اللفظ يمكن أن يكون مقبولاً عندما تكون القراءة

1- القرطبي-الجامع (143/6).

2- انظر: البنا الدمياطي-إتحاف فضلاء البشر (252).

3- الكهف: (51).

4- القرطبي-الجامع (6/11).

5- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (80).

6- البروج: (8).

7- القرطبي-الجامع (281/19).

8- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (171).

المرجوحة شاذة كما في هذا المثال أما في حالة وجود قراءتين متواترتين فلا يقبل مثل هذا الترجيح.

والإمام القرطبي يعتمد أحياناً في ترجيحه بين القراءات على بلاغة القراءة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[1].

قال:" وقرأ حمزة والكسائي (لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا) بالتاء على الخطاب. وفيه معنى الاستغاثة والتضرع والابتهال في السؤال والدعاء. (ربنا) بالنصب على حذف النداء. وهو أيضاً أبلغ في الدعاء والخضوع. فقراءتهما أبلغ في الاستكانة والتضرع، فهي أولى"[2].

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾[3]. قال:" (مرحاً) قراءة الجمهور بفتح الراء. وقراءة فرقة فيما حكى يعقوب بكسر الراء على بناء اسم الفاعل. والأول أبلغ؛ فإن قولك: جاء زيد ركضاً أبلغ من قولك: جاء زيد راكضاً؛ فكذلك قولك مرحاً. والمرح المصدر أبلغ من أن يقال مَرِحاً"[4].

يلاحظ في المثالين السابقين أن الإمام القرطبي رجح في الأول منهما قراءة متواترة على متواترة باعتبار البلاغة، ورجح في المثال الثاني قراءة متواترة على قراءة شاذة[5] وهذا أمر مقبول وجائز، ولكن الأمر غير الجائز هو ترجيح قراءة شاذة على قراءة متواترة باعتبار البلاغة وهذا ما وقع فيه الإمام القرطبي في مثال قد ذكرناه وعلقنا عليه[6].

وخلاصة الأمر أن الإمام القرطبي يستخدم غالباً ألفاظ ترجيح مقبولة ليس فيها إنقاص للقراءة الأخرى، ولكنه يقع في الخطأ أحياناً حين يرجح قراءة شاذة على متواترة، فمهما كان لفظ الترجيح مهذباً فلا يمكن القبول به في هذا الموطن، فالأولى به عندما يمر بقراءة شاذة تعجبه أن يصفها بأنها بليغة أو فصيحة، أما أن يبالغ في الوصف ويقول أنها أبلغ من القراءة المتواترة فهذا لا يجوز ولا يقبل به أحد.

وكان الإمام القرطبي يعتمد في ترجيحه بين القراءات على النحو.

1- الأعراف: (149).

2- القرطبي-الجامع (273/7).

3- الإسراء: (37).

4- القرطبي-الجامع (266/10).

5- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (76).

6- انظر: من هذا المبحث "ترجيح الشاذ على المتواتر".

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله عز وجل:﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾[1].

قال:" وفي قراءة أبي جعفر (بما حفظ اللهَ) بالنصب. قال النحاس: الرفع أبين، أي حافظات لغيب أزواجهن بحفظ الله ومعونته وتسديده"[2].

ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر ترجيح قراءة متواترة[3] قرأ بها القراء التسعة على قراءة لأبي جعفر أحد العشرة بقوله (والرفع أبين) وهذا الترجيح مقبول لأنه ليس فيه توهين للقراءة الأخرى.

ومثاله عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾[4].

قال:" وقرأ عبد الله بن عامر وعيسى بن عمر (إلا قليلاً) على الاستثناء. وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. الباقون بالرفع، والرفع أجود عند جميع النحويين. وقيل: انتصب على إضمار فعل، تقديره إلا أن يكون قليلاً منهم. وإنما صار الرفع أجود لأن اللفظ أولى من المعنى، وهو أيضاً يشمل المعنى"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي يرجح قراءة متواترة على أخرى باعتبار النحو بقوله (والرفع أجود عند جميع النحويين) فهو يبين أنها أجود باعتبار أهل النحو، مع موافقته لهذا الترجيح حيث علل هذا الترجيح.

ومن أمثلة ذلك عند قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[6].

قال:" قرأه أبو عمرو والكسائي بالخفض بمعنى، ومن الكفار. قال الكسائي: وفي حرف أبيّ

1- النساء: (34).

2- القرطبي-الجامع (176/5).

3- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (84).

4- النساء: (66).

5- القرطبي-الجامع (271/5).

6- المائدة: (57).

–رحمه الله– (ومن الكفارِ)، و(من) ههنا لبيان الجنس؛ والنصب أوضح وأبين. قاله النحاس. ومن نصب عطف على (الذين) الأول في قوله: (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً والكفار أولياء) أي لا تتخذوا هؤلاء أولياء، فالموصوف بالهزؤ واللعب في هذه القراءة اليهود لا غير. والمنهي عن اتخاذهم أولياء اليهود والمشركون، وكلاهما في القراءة بالخفض موصوف بالهزؤ واللعب. قال مكي: ولولا اتفاق الجماعة على النصب لاخترت الخفض؛ لقوته في الإعراب وفي المعنى والتفسير والقرب من المعطوف عليه"[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قولين في ترجيح قراءة النصب، القول الأول للنحاس حيث قال: (والنصب أوضح وأبين)، والقول الثاني لمكي بن أبي طالب قال: (لولا اتفاق الجماعة على النصب لاخترت الخفض، لقوته في الإعراب وفي المعنى والتفسير والقرب من المعطوف عليه). وكلام الإمام مكي يدل على أنه اختار ورجح قراءة النصب لاتفاق الجماعة عليها مع تقويته لقراءة الخفض من ناحية الإعراب والمعنى والتفسير. وذكر القرطبي لكلام النحاس وكلام مكي دليل واضح على أن ترجيح القرطبي للقراءة ترجيح مقبول جيد يبين قيمة القراءة الراجحة ولا ينقص من القراءة المرجوحة شيئاً، بل يبين حسنها وقوتها بكل موضوعية.

ومن أمثلة ذلك أيضاً عند قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

قال:" (وقولوا) عطف على (ادخلوا). و(حطة) بالرفع قراءة الجمهور؛ على إضمار مبتدأ، أي مسألتنا حطة،أو يكون حكاية . قال الأخفش : وقرئت (حطةً) بالنصب ، على معنى احطط عنا ذنوبنا حطة ،.. والأئمة من القراء على الرفع . وهو أولى في اللغة ، لما حكي عن العرب في معنى بدّل"[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة (الرفع) وهي متواترة على قراءة (النصب) وهي شاذة[4] بقوله (وهو أولى في اللغة) فهو ترجيح باعتبار النحو، ورغم أن القراءة المرجوحة قراءة شاذة إلا أن لفظ الترجيح ليس فيه تضعيف للقراءة المرجوحة وهذا دليل على قدسية القراءة عند القرطبي وإن كانت غير متواترة.

ومن أمثلة ذلك عند قوله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ

1- القرطبي–الجامع (214/6).

2- البقرة: (58).

3- القرطبي–الجامع (416/1).

4- انظر: ابن خالويه–مختصر في شواذ القرآن (5).

مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[1].

قال: وقرأ نافع (حتى يقولُ) والباقون بالنصب. ومذهب سيبويه في (حتى) أن النصب فيما بعدها من جهتين؛ والرفع من جهتين تقول: سرت حتى أدخل المدينة –بالنصب– على أن السير والدخول جميعاً قد مضيا، أي سرت إلى أن أدخلها، وهذه غاية؛ وعليه قراءة من قرأ بالنصب. والوجه الآخر في النصب في غير الآية سرت حتى ادخلها، أي كي أدخلها، والوجهان في الرفع سرت حتى أدخلها ، أي سرت فأدخلها ، وقد مضيا جميعاً ، أي كنت سرت فدخلت . ولا تعمل حتى هاهنا بإضمار أن ، لأن بعدها جملة ، كما قال الفرزدق: فيا عجباً حتى كليب تسبني[2].
قال النحاس[3]: فعلى هذا القراءة بالرفع أبين وأصح معنى يقولُ، أي حتى هذه حاله؛ لأن القول إنما كان عن الزلزلة غير منقطع منها، والنصب على الغاية ليس فيه هذا المعنى. وبالنصب قرأ الحسن وأبو جعفر، قال مكي: وهو الاختيار؛ لأن جماعة القرّاء عليه[4].
يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر ترجيحين متقابلين حيث الأول للنحاس رجح قراءة الرفع لأنها أبين وأصح معنى عنده، والترجيح الثاني لمكي رجح قراءة النصب لأن جماعة القراء عليها ويلاحظ أن القرطبي لم يؤيد أحد الترجيحين لأن كليهما حجته قوية وكلامه صحيح ولا توجد ضرورة للترجيح فالقراءتان متواترتان.
ومن أمثلة ذلك عند قوله تعالى:﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾[5].

قال:" وقرأ يزيد بن القعقاع (أنه يبدأ الخلق) تكون (أن) في موضع نصب، أي وعدكم أنه يبدأ الخلق. ويجوز أن يكون التقدير لأنه يبدأ الخلق، كما يقال: لبيك أن الحمد والنعمة لك؛ والكسر أجود"[6]. يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة متواترة[7] على متواترة باعتبار النحو.

1- البقرة: (214).
2- تمام البيت: ...كأن أياها نهشل أو مجاشع. والبيت قاله الفرزدق. (انظر: الكتاب 413/1).
3- انظر: النحاس–إعراب القرآن (305/1).
4- انظر: القرطبي–الجامع (39/3).
5- يونس: (4).
6- القرطبي–الجامع (288/8).
7- انظر: ابن الجزري–النشر (212/2)، محمد راجح–القراءات العشر المتواترة (378).

ويلاحظ من خلال الأمثلة السابقة أن الإمام القرطبي يعتمد على النحو في الترجيح بين القراءات لكن ترجيحه معتدل غير متعصب حيث إنه لا يستخدم في ترجيحه ألفاظاً تمس القراءة المرجوحة بل على العكس فألفاظه توحي بصحة القراءتين وجودتهما وحسنهما، فهو أحياناً يذكر أقوالاً تؤيد وترجح كلا القراءتين وهذا من أجمل ما تميز به الإمام القرطبي لأن في ذلك إثراءً للقراءات وإبرازاً لقيمتها دون التحيز لقراءة ما وهضم القراءة الأخرى.

والإمام القرطبي يعتمد أحياناً في ترجيحه بين القراءات على الصرف.

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[1].

قال:" والجمهور من القراء على ضم الكاف وقرأ عاصم وحده بفتحها. ومعناه في القراءتين أقام. قال سيبويه: مكث يمكث مكوثاً كما قالوا قعد يقعد قعوداً. قال ومَكُث مثل ظرُف. قال غيره: والفتح أحسن لقوله: (ماكثين)[2] إذ هو من مكث؛ يقال مَكَث يمكُث فهو ماكثٌ، ومكُث يمكُث مثل عظم يعظم فهو مكيثٌ مثل عظيم. ومكُث يمكث فهو ماكث؛ مثل حَمُض يحمُض فهو حامض"[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[4]، ووجه كل منهما بالصرف وبين أنهما أنهما بمعنى واحد وذكر ترجيحاً لقراءة عاصم (مكَث) دون نسبة هذا الترجيح لشخص معين مستدلاً على هذا الترجيح بالقرآن، مع بيان أصل الكلمة. وهذا الترجيح مقبول لأنه جاء بلفظ (أحسن) وهو لفظ ليس فيه توهين للقراءة المرجوحة،ولأنه أكد على هذا الترجيح بدليل قرآني.

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾[5].

قال:" (وزلزلوا زلزالاً شديداً) أي حركوا تحريكاً قال الزجاج: كل مصدر من المضاعف على فعلان يجوز فيه الكسر والفتح؛ نحو قلقلته قِلقالاً وقَلقالاً، وزلزلوا زِلزالاً وزَلزالاً. والكسر أجود؛ لأن غير المضاعف على الكسر نحو دحرجته دحراجاً، وقراءة العامة بكسر الزاي. وقرأ عاصم الجحدري (زَلزالاً) بفتح الزاي"[6].

ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة متواترة هي قراءة عامة القراء (بكسر الزاي)

1- النمل: (22).

2- الكهف: (3).

3- القرطبي-الجامع (191/13).

4- انظر: علي الصفاقسي-غيث النفع (210).

5- الأحزاب: (11).

6- القرطبي-الجامع (145/14).

على قراءة شاذة[1] هي قراءة عاصم الجحدري وذلك باعتبار الصرف ومعلوم أن ترجيح المتواتر على الشاذ أمر جائز ولكن الأولى أن يكون الترجيح أولاً لاعتبار التواتر ثم يستأنس بالاعتبارات الأخرى سواء أكانت صرفاً أم نحواً أم غير ذلك.

وكان الإمام القرطبي يعتمد في ترجيحه بين القراءات على سياق الآيات ونسق الكلام.

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

قال:" (نغفر لكم خطاياكم) قراءة نافع بالياء مع ضمها، وابن عامر بالتاء مع ضمها، وهي قراءة مجاهد. وقرأها الباقون بالنون مع نصبها وهي أبينها لأن قبلها (وإذ قلنا ادخلوا) فجرى (نغفر) على الإخبار عن الله عز وجل؛ والتقدير وقلنا ادخلوا الباب سجداً نغفر، ولأن بعده (وسنزيد) بالنون. و(خطاياكم) اتباعاً للسواد وأنه على بابه. ووجه من قرأ بالتاء أنه أنث لتأنيث لفظ الخطايا؛ لأنها جمع خطيئة على التكسير. ووجه القراءة بالياء أنه ذكّر لما حال بين المؤنث وبين فعله؛ على ما تقدم في قوله: (فتلقى آدم من ربه كلمات). وحَسُن الياء والتاء وإن كان قبله إخبار عن الله تعالى في قوله: (وإذ قلنا) لأنه قد علم أن ذنوب الخاطئين لا يغفرها إلا الله تعالى؛ فاستغنى عن النون ورد الفعل إلى الخطايا المغفورة"[3].

أرأيت ما أجمل هذا التوجيه وهذا الترجيح ففي هذا المثال ذكر القرطبي ثلاث قراءات متواترة[4] رجح ثالثها (نغفر) بقوله (وهي أبينها) وكان اعتبار الترجيح هو السياق حيث هذه القراءة متسقة بما قبلها وما بعدها من ألفاظ تدل كلها على الجمع فقبلها (وإذ قلنا) وبعدها (سنزيد)، ولا يعني هذا الترجيح إضعاف القراءات الأخرى بل وجهها القرطبي وحسنها حيث قال (وحَسُن الياء والتاء) فكل هذا يؤكد ما ذكر مراراً أن القرطبي لا يقصد بالترجيح إضعاف القراءة المرجوحة وإنما يقصد به إبراز قيمة القراءات وبيان ما فيها من بلاغة وفصاحة وإعجاز.

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قول الله عز وجل:﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[5].

1- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (118).

2- البقرة: (58).

3- القرطبي-الجامع (419/1).

4- انظر: ابن الجزري-النشر (161/2).

5- البقرة: (197).

قال:" (ولا جدال في الحج) قرئ (فلا رفث ولا فسوق) بالرفع والتنوين فيهما. وقرئ بالنصب بغير تنوين. وأجمعوا على الفتح في (ولا جدال) وهو يقوي قراءة النصب فيما قبله، ولأن المقصود النفي العام من الرفث والفسوق والجدال، وليكون الكلام على نظام واحد في عموم المنفي كله؛ وعلى النصب أكثر القراء. والأسماء الثلاثة في موضع الرفع أنّ (لا) بمعنى ليس، فارتفع الاسم بعدها، لأنه اسمها، والخبر محذوف تقديره: فليس رفث ولا فسوق في الحج دلّ عليه (في الحج) الثاني الظاهر وهو خبر (لا جدال) وقال أبو عمرو بن العلاء: الرفع بمعنى فلا يكونن رفثٌ ولا فسوقٌ؛ أي شيء يخرج من الحج، ثم ابتدأ النفي فقال: (ولا جدال)"[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[2] الأولى برفع (رفث وفسوق) والثانية بنصبها ثم بين أنه يقوي قراءة النصب باعتبارات ثلاثة الأول أن القراء أجمعوا على الفتح في (ولا جدال) عدا أبو جعفر من العشرة الثاني ليكون الكلام على نظام واحد ومعنى ذلك أنه رجح القراءة لاعتبار أن يكون الكلام على نسق واحد. والثالث اعتبار أكثر القراء على النصب، فكان من بين اعتبارات الترجيح اعتبار نسق الكلام.

ومثاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

قال:" وقرأ العامة بفتح الكاف من (كتب) ونصب النون من (الإيمان) بمعنى كتب الله وهو الأجود؛ لقوله تعالى: (وأيدهم بروح منه)؛ وقرأ أبو العالية وزر بن حبيش[4] والمفضل عن عاصم (كُتبَ) على ما لم يسم فاعله (الإيمان) برفع النون"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة وهي قراءة العامة بفتح الكاف من (كَتب) ووصفها بأنها الأجود، وذلك لأن بعدها في نفس الآية (وأيدهم بروح منه). فهو ترجيح للقراءة باعتبار سياق الآية واتساق الكلام بعضه مع بعض. وكان الأولى أن يكون الترجيح لاعتبار أنها قراءة متواترة والأخرى شاذة[6].

1- القرطبي-الجامع (402/2).

2- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (31).

3- المجادلة: (22).

4- زر بن حبيش: بن خباشة، أبو مريم، الأسدي الكوفي، عرض القرآن على ابن مسعود وعثمان وعلي، وعرض عليه عاصم وسليمان الأعمش وغيرهما، توفي سنة81هـ. (انظر: غاية النهاية 294/1).

5- القرطبي-الجامع (293/17).

6- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (154).

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قول الله عز وجل:﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[1].

قال:" وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو وعاصم والكسائي (وأنا اخترتك). وقرأ حمزة (وأنّا اخترناك) والمعنى واحد؛ إلا أن (وأنا اخترتك) هاهنا أولى من جهتين: إحداهما أنها أشبه بالخط، والثانية أنها أولى بنسق الكلام؛ لقوله عز وجل (يا موسى إنما أنا ربك فاخلع نعليك) وعلى هذا النسق جرت المخاطبة؛ قاله النحاس[2] "[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[4] ورجح الأولى وذكر سبب ترجيحه للقراءة بصورة صريحة لاعتبارين الأول اعتبار خط المصحف والثاني اعتبار نسق الكلام حيث قبلها قوله تعالى (إني أنا ربك فاخلع نعليك) فناسب أن يأتي بعد هذه الآية(وأنا اخترتك).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله عز وجل:﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

قال:" (فيمسك التي قضى عليها الموتَ) هذه قراءة العامة على أنه مسمى الفاعل (الموتَ) نصباً؛ أي قضى الله عليها وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد؛ لقوله في أول الآية: (الله يتوفى الأنفس) فهو يقضي عليها. وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي (قُضي عليها الموتُ)[6] على ما لم يسم فاعله النحاس[7]. والمعنى واحد غير أن القراءة الأولى أبين وأشبه بنسق بنسق الكلام، لأنهم قد أجمعوا على (ويُرسِلُ) ولم يقرءوا (ويرسلَ)"[8].

يلاحظ من خلال الأمثلة السابقة أن القرطبي يعتبر أن نسق الكلام والسياق سبباً وعلة يرجح بها قراءة على قراءة ترجيحاً معتدلاً ليس فيه مسٌّ بالقراءة الأخرى، وإنما بهذا الترجيح تكون القراءة الراجحة أولى من غيرها عنده. ويلاحظ أيضاً أن القرطبي لا يعتمد على هذا الاعتبار وهذه العلة وحدها في الغالب وإنما يكون هناك اعتبار آخر مع هذا الاعتبار يرجح به القراءة –كما مر في الأمثلة السابقة– فمرة يضيف إجماع القراء على قراءة أخرى تقوي تلك القراءة، وأخرى يضيف موافقة القراءة لخط المصحف وغير ذلك. فمنهج القرطبي في هذا الموضوع مقبول إلا في حالة

1- طه: (13).

2- انظر: النحاس–إعراب القرآن (34/3).

3- القرطبي–الجامع (184/11).

4- انظر: محمد راجح–القراءات العشر المتواترة (313).

5- الزمر: (42).

6- انظر: علي الصفاقسي–غيث النفع (244).

7- انظر:النحاس–إعراب القرآن (14/4).

8- القرطبي–الجامع (250/15).

ترجيحه القراءة المتواترة على الشاذة دون بيان اعتبار التواتر وإنما الاكتفاء باعتبار السياق ونسق الكلام. فالأولى أن يكون الترجيح لاعتبار التواتر أولاً ثم ذكر الاعتبارات الأخرى.

وكان الإمام القرطبي يعتمد في ترجيحه بين القراءات على القرآن الكريم.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾[1].

قال:" وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (تَرجع الأمور) على بناء الفعل للفاعل، وهو الأصل، دليله (ألا إلى الله تصير الأمور)[2]، (إلى الله مرجعكم)[3]، وقرأ الباقون (تُرجعُ) على بنائه للمفعول، وهي وهي أيضاً قراءة حسنة؛ دليله (ثم تردون)[4]، (ثم ردوا إلى الله)[5]، (ولئن رددت إلى ربي)[6]. والقراءتان حسنتان بمعنى، والأصل الأولى، وبناؤه للمفعول توسع وفرع"[7].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح قراءة متواترة على أخرى متواترة[8] باعتبار الأصل في اللغة وأكثر على ذلك بالقرآن الكريم وحسَّن القراءة الأخرى مؤكداً على ذلك بالقرآن الكريم أيضاً والترجيح بهذه الطريقة يدل على إنصاف واعتدال الإمام القرطبي في الترجيح وعدم تعصبه لقراءة ما –وهذا ما أكد عليه الباحث مراراً–.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾[9].

قال:" وقرأ الجمهور (ليَحكم) وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ليُحكم) بضم الياء. والقراءة الأولى أحسن، لقوله تعالى: (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق)"[10].

ويلاحظ في هذا المثال أنه رجح قراءة متواترة على أخرى متواترة[11] بدليل القرآن الكريم.

1- البقرة: (210).
2- الشورى: (53).
3- هود: (4).
4- التوبة: (94).
5- الأنعام: (62).
6- الكهف: (38).
7- القرطبي–الجامع (30/3).
8- انظر: محمد راجح–القراءات العشر المتواترة (32).
9- آل عمران: (23).
10- الجاثية: (29).
11- انظر: محمد راجح–القراءات العشر المتواترة (53).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾[1].

قال:" قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب والكسائي (فيحلَّ) بضم الحاء (ومن يحلُل) بضم اللام الأولى والباقون بالكسر وهما لغتان.. والمعنيان متقاربان إلا أن الكسر أولى؛ لأنهم قد أجمعوا على قوله: (ويحِلُّ عليه عذاب مقيم)[2] "[3].

ويتضح من هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[4] رجح إحداهما بدليل القرآن حيث إن القرّاء مجمعون على قراءة (ويحِلُّ) بكسر الحاء.

ويلاحظ من هذه الأمثلة أن القرطبي رجح قراءات متواترة على أخرى متواترة باعتبار القرآن الكريم وهذا الترجيح مقبول لأنه ليس فيه مسٌّ أو إضعاف للقراءة المرجوحة وإنما كان يحسن القراءة المرجوحة في بعض الأمثلة ليؤكد على عدم المساس بالقراءة المرجوحة.

والإمام القرطبي-رحمه الله- يرجح بعض القراءات لكونها قراءة الرسولﷺ.

ومن أمثلة ذلك ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[5].

قال: (والعين بالعين) قرأ نافع وعاصم والأعمش وحمزة بالنصب في جميعها على العطف؛ ويجوز تخفيف (أنَّ) ورفع الكل بالابتداء والعطف. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر بنصب الكل إلا الجروح. وكان الكسائي وأبو عبيد يقرءان (والعينُ بالعين والأنفُ بالأنف والأذنُ بالأذنِ والسنُ بالسن والجروحُ) بالرفع فيها كلها. وعن أنس أن النبيﷺ قرأ (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعينُ بالعين والأنف بالأنف والأذنُ بالأذن والسنُ بالسن والجروحُ قصاص). والرفع من ثلاث جهات؛ بالابتداء والخبر، وعلى المعنى على موضع(أن النفس)؛ لأن المعنى قلنا لهم: النفس بالنفس. والوجه الثالث: يكون على المضمر في النفس؛ لأن الضمير في النفس في موضع رفع؛ لان التقدير أن النفس هي مأخوذة بالنفس؛ فالأسماء معطوفة على هي. ومن قرأ بالرفع جعل ذلك ابتداء كلام، حُكْم في المسلمين؛ وهذا أصح القولين، وذلك أنها قراءة رسول اللهﷺ (والعينُ بالعين) وكذا ما بعده. والخطاب للمسلمين أمروا بهذا. ومن خص الجروح

1- طه: (81).

2- هود: (39).

3- القرطبي-الجامع (244/11).

4- انظر: علي الصفاقسي-غيث النفع (184).

5- المائدة: (45).

بالرفع فعلى القطع مما قبلها والاستئناف بها؛ كأن المسلمين أمروا بهذا خاصة وما قبله لم يواجهوا به[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءات متواترة[2]، وذكر أن الرسولﷺ قرأ بقراءة الرفع للجميع. ثم وجه قراءة الرفع بثلاث أوجه إعرابية، رجح إحداها بدليل أنها قراءة النبيﷺ وهذا الترجيح مقبول لأنه اعتبر أن القراءات الأخرى صحيحة وأن أصحها قراءة الرفع لأن الرسولﷺ قرأ بها. والحقيقة أنه ما دامت القراءات متواترة فمعنى ذلك أن النبيﷺ قرأ بها ولكن مداومته على إحدى هذه القراءات أو سماع أحد الصحابة قراءة عنه لا يعني أنها الأفضل أو الأصح فكلها صحيحة متواترة يقرأ بها.

وكان القرطبي يعتمد في ترجيحه بين القراءات على قراءات الصحابة أو مصاحفهم.

ومن أمثلة ذلك ما قاله عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾[3].

قال: (يقص الحق) أي يقص القصص الحق، وبه استدل من منع المجاز في القرآن، وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم ومجاهد والأعرج[4] وابن عباس قال الله عز وجل: (نحن نقص عليك أحسن القصص)[5]. الباقون (يقضِ الحق) بالضاد المعجمة، وكذلك قرأ علي رضي الله عنه الوقف عليه، وهو من القضاء؛ ودل على ذلك أن بعده (وهو خير الفاصلين) والفصل لا يكون إلا قضاء دون قصص؛ ويقوي ذلك قوله قبله: (إن الحكم إلا لله) ويقوي ذلك أيضاً قراءة ابن مسعود (إن الحكم إلا لله يقضي بالحق) مدخول الباء يؤكد معنى القضاء. قال النحاس: هذا لا يلزم؛ لأن معنى (يقضي) يأتي ويصنع فالمعنى: يأتي الحق، ويجوز أن يكون المعنى: يقضي القضاء الحق. قال مكي: وقراءة الصاد أحب إليّ؛ لاتفاق الحرميين وعاصم على ذلك، ولأنه لو كان من القضاء للزمت الباء فيه كما أتت في قراءة ابن مسعود، قال النحاس: وهذا الاحتجاج لا يلزم؛ لأن مثل هذه الباء تحذف كثيراً[6].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[7] ثم دلل على القراءة الثانية

1- انظر: القرطبي-الجامع (187/6).

2- انظر: علي الصفاقسي-غيث النفع (94).

3- الأنعام: (57).

4- الأعرج: الحافظ المقرئ أبو داود عبد الرحمن بن هرمز مولى ربيعة بن حارث، سمع أبا هريرة وأبا سعيد الخدري، حدث عنه الزهري وأبو الزناد. كان ثقة ثبتاً عالماً مقرئاً تحول في آخر عمره إلى ثغر الإسكندرية مرابطاً توفي سنة 117هـ. (انظر: تذكرة الحفاظ 75/1).

5- يوسف: (3).

6- انظر: القرطبي-الجامع (412/6).

7- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (397).

وأكّدها من خلال سياق الآية حيث قبلها (إن الحكم إلا لله) وبعدها (وهو خير الفاصلين)، وقوى القراءة كذلك بقراءة عبد الله بن مسعود، وذكر من قبل أنها قراءة علي بن أبي طالب ثم ذكر قولاً لمكي بن أبي طالب يرجح القراءة الأولى فهي أحب إليه لأنها قراءة الحرميين وعاصم وبهذا يكون القرطبي قد أبرز قيمة كل قراءة من خلال هذا الترجيح الرائع الجميل الذي إن دل فإنما يدل على تقديس القرطبي للقراءات وإبراز ما فيها من بلاغة وإعجاز وعدم المس بها وإن كانت عنده مرجوحة.

ومن أمثلة ذلك ما قاله عند تفسير قول الله عز وجل:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1].

قال:" قرأ حمزة وحفص (البرَّ) بالنصب؛ لأن ليس من أخوات كان يقع بعدها المعرفتان فتجعل أيهما شئت الاسم أو الخبر؛ فلما وقع بعد (ليس): (البر) نصبه، وجعل (أن تولوا) الاسم، وكان المصدر أولى بأن يكون اسماً لأنه لا يتنكر، والبر قد يتنكر والفعل أقوى في التعريف. وقرأ الباقون (البرُّ) بالرفع على أنه اسم ليس، وخبره (أن تولوا) تقديره: ليس البر توليكم وجوهكم؛ وعلى الأول ليس توليتكم وجوهكم البر، كقوله: (وما كان حجتهم إلا أن قالوا)[2] وما كان مثله. ويقوي قراءة الرفع أن الثاني معه الباء إجماعاً في قوله: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها)[3] ولا يجوز فيه إلا الرفع؛ فحمل الأول على الثاني أولى من مخالفته له. وكذلك هو في مصحف أبي بالباء (ليس البر بأن تولوا) وكذلك في مصحف ابن مسعود أيضاً؛ وعليه أكثر القراء، والقراءتان حسنتان"[4].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[5] الأولى بالنصب والثانية بالرفع رجح قراءة الرفع أولاً باعتبار النحو حيث قال (كان المصدر أولى بأن يكون اسماً لأنه لا يتنكر). ثم أكد على هذا الترجيح بمؤكدات الأول: القرآن الكريم حيث قال ويقوي قراءة الرفع أن الثاني معه الباء إجماعاً في قوله (وليس البر بأن). الثاني: ما جاء في مصحف أبي بن كعب وعبد الله بن

1- البقرة: (177).

2- الجاثية: (25).

3- البقرة: (189).

4- انظر: القرطبي-الجامع (243/2).

5- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (379).

مسعود. والثالث: أن قراءة الرفع عليها أكثر القراء. والجميل في هذا أنه بعد كل هذه المؤكدات لقراءة الرفع يقول والقراءتان حسنتان،فكأنه يريد أن يبين أنه مهما كثرت الأدلة والمرجحات لقراءة ما فليس معنى ذلك إضعاف القراءة الثانية وإنما تبقى القراءتان حسنتين.

هكذا كان الإمام القرطبي منصفاً معتدلاً غير متعصب لقراءة على حساب قراءة فما يأتي به من أدلة كمصاحف الصحابة وغيرها إلا إثراءً لهذه القراءة وإبرازاً لقيمتها.

وكان القرطبي يعتمد في ترجيحه بين القراءات على أن إحدى القراءتين قراءة الجمهور أو أكثر القراء أو أشبه بالسواد بمعنى غالبية القراء قرأ بها.

وقد مرَّت أمثلة كان القرطبي يرجح قراءة على قراءة لاعتبار أن أكثر القراء قرأ بها فالمثال السابق قد ذكر فيه القرطبي عدة مرجحات لقراءة الرفع كان منها أنها قراءة أكثر القراء.ومما يشبه هذا القول قول القرطبي (أشبه بالسواد).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قول الله عز وجل:﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾[1].

قال:" (وقد خلقتك من قبل) أي من قبل يحيى. وهذه قراءة أهل المدينة والبصرة وعاصم. وقرأ سائر الكوفيين (وقد خلقناك) بنون وألف بالجمع على التعظيم. والقراءة الأولى أشبه بالسواد"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين قرأ بالثانية حمزة والكسائي، وقرأ بالأولى باقي القراء[3]. فالقرطبي وصف القراءة الأولى بقوله (أشبه بالسواد) أي أن أغلب القراء قرأ بها فكأنه يلمح إلى ترجيحها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[4].

قال:" قرأ الأعمش وحمزة بنصب الفعل على أن تكون اللام لام كي. والباقون بالجزم على الأمر؛ فعلى الأول تكون لام الفعل متعلقة بقوله: (وآتيناه) فلا يجوز الوقف؛ أي وآتيناه الإنجيل ليحكم أهله بما أنزل الله فيه. ومن قرأ على الأمر فهو كقوله: (وأن احكم بينهم) فهو إلزام مستأنف يبتدأ به؛ أي ليحكم أهل الإنجيل أي في ذلك الوقت، فأما الآن فهو منسوخ. وقيل: هذا أمر للنصارى الآن بالإيمان بمحمدﷺ؛ فإن في الإنجيل وجوب الإيمان به، والنسخ إنما يتصور في الفروع لا

1- مريم: (9).

2- القرطبي-الجامع (89/11).

3- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (426).

4- المائدة: (47).

في الأصول. قال مكي: والاختيار الجزم؛ لأن الجماعة عليه؛ ولأن ما بعده من الوعيد والتهديد يدل على أنه إلزام من الله تعالى لأهل الإنجيل. قال النحاس[1] والصواب عندي أنهما قراءتان حسنتان، لأن الله عز وجل لم ينزل كتاباً إلا ليعمل بما فيه، وأمر بالعمل بما فيه فصحتا جميعاً"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين قرأ بالأولى حمزة وقرأ بالثانية الباقون[3]. وبين معنى كل قراءة ثم ذكر أن الإمام مكي بن أبي طالب رجح واختار قراءة الجزم لأنها قراءة الجماعة، ثم ذكر قولاً للنحاس يحسن القراءتين وهكذا رأينا أن من اعتبارات الترجيح عند القرطبي أن تكون القراءة قرأ بها الجمهور أو أكثر القراء.

وكان يعتمد في ترجيحه بين القراءات على موافقة القراءة الراجحة لخط المصحف.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[4].

قال:" (وأنا اخترتك) أي اصطفيتك للرسالة. وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو وعاصم والكسائي (وأنا اخترتك). وقرأ حمزة (وأنا اخترناك). والمعنى واحد إلا أن (وأنا اخترتك) هاهنا أولى من جهتين: إحداهما أنها أشبه بالخط، والثانية أنها أولى بنسق الكلام؛ لقوله عز وجل: (يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك) وعلى هذا النسق جرت المخاطبة؛ قاله النحاس[5] "[6].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[7] ورجح إحداهما لاعتبارين الأول أنها أشبه بالخط أي أنها مشابهة لخط المصحف العثماني والثاني لاعتبار التناسق بما قبلها وما بعدها من الكلام.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۚ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا﴾[8].

قال:" (فهم على بينة منه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم (على بينة)

1- انظر: النحاس-إعراب القرآن (23/2).
2- القرطبي-الجامع (200/6).
3- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (394).
4- طه: (13).
5- انظر: النحاس-إعراب القرآن (34/3).
6- القرطبي-الجامع (184/11).
7- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (427).
8- فاطر: (40).

على التوحيد، وجمع الباقون. والمعنيان متقاربان إلا أن قراءة الجمع أولى؛ لأنه لا يخلو من قرأه (على بينة) من أن يكون خالف السواد الأعظم، أو يكون جاء به على لغة من قال: جاءني طلحت، فوقف بالتاء، وهذه لغة شاذة قليلة؛ قاله النحاس[1]. وقال أبو حاتم وأبو عبيد: الجمع أولى لموافقة الخط، لأنها في مصحف عثمان (بينات) بالألف والتاء"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي رجح قراءة متواترة على أخرى متواترة لاعتبارات ثلاثة الأول: مخالفة القراءة المرجوحة للسواد الأعظم. وهذا الاعتبار لا نسلم للقرطبي به لأن تلك القراءة قرأ بها خمسة قرّاء من العشر فكيف تكون هذه القراءة خالفت السواد. وأما الاعتبار الثاني: وهو أن القراءة المرجوحة جاءت على لغة شاذة قليلة عند الوقوف على التاء المفتوحة، فهذا الاعتبار أيضاً لا نسلم به لأنه ليس كل من وقف على التاء قرأ بالتاء فإن ابن كثير وأبو عمرو وقفا بالهاء وليس بالتاء[3] أما الاعتبار الثالث: وهو موافقته القراءة الراجحة لخط المصحف، المصحف، فيمكن القول: إن موافقة إحدى القراءتين لخط المصحف لا يرجحها على القراءة الأخرى ترجيحاً يمس بالقراءة المرجوحة إذا كانت القراءتان متواترتين؛ وذلك لأن للرسم العثماني ضوابط معينة.

فقراءة التوحيد (بينة) في المثال ليست مخالفة لرسم المصحف مخالفة تامة وإنما هي موافقة لخط المصحف احتمالاً. قال ابن الجزري:" قولنا (ولو احتمالاً) نعني به ما يوافق الرسم ولو تقديراً إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً وهو الموافقة الصريحة وقد تكون تقديراً وهو الموافقة احتمالاً فإنه قد خولف صريح الرسم في مواضع إجماعاً نحو (السموات والصلحات واليل والصلوة والزكوة والربوا"[4].

وخلاصة القول إن القرطبي جعل موافقة الخط اعتبار ودليل يرجح به قراءة على قراءة، وهذا أمر مقبول لأنه ترجيح لا يمس بالقراءة الأخرى، وإنما يذكر للاستئناس به، ولأن القرطبي لا يذكر هذا الاعتبار معتمداً عليه في الترجيح وإنما يذكره مع اعتبارات أخرى غالباً.

والإمام القرطبي يعتمد أحياناً في ترجيحه بين القراءات على قول أهل التفسير.

ومن أمثلة ذلك ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [5].

قال:" (مردفين) بفتح الدال قراءة نافع والباقون بالكسر اسم فاعل، أي متتابعين، تأتي فرقة بعد

1- انظر: النحاس-إعراب القرآن (376/3).

2- القرطبي-الجامع (343/14).

3- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (439).

4- ابن الجزري-النشر (17/1).

5- الأنفال: (9).

فرقة، وذلك أهيب في العيون. و(مردَفين) بفتح الدال على ما لم يسم فاعله؛ لأن الناس الذين قاتلوا يوم بدر أردفوا بألف من الملائكة، أي أنزلوا إليهم لمعونتهم على الكفار. فمردفين بفتح الدال نعت لـ(ألف)... قال النحاس ومكي وغيرهما: وقراءة كسر الدال أولى[1] لأن أهل التأويل على هذه القراءة يفسرون أي أردف بعضهم بعضاً، ولأن فيها معنى الفتح"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر ترجيح قراءة متواترة على أخرى متواترة[3] بلفظ (أولى) لاعتبار أن أهل التأويل يفسرون الآية وِفق قراءة الكسر أي أردف بعضهم بعضاً.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[4].

قال: (لا فيها غول) أي لا تغتال عقولهم، ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع. (ولا هم عنها ينزفون) أي لا تذهب عقولهم بشربها؛ يقال: الخمر غول الحِلم، والحرب غول للنفوس، أي تذهب بها ويقال: نُزِف الرجل يُنْزَف فهو منزوفٌ ونزيفٌ إذا سكر وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي، من أنزف القوم إذا حان منهم النزف وهو السكر. يقال: أحصد الزرع إذا حان حصاده، وأقطف الكرم إذا حان قطافه وأركب المهر إذا حان ركوبه. وقيل المعنى لا ينفدون شرابهم؛ لأنه دأبهم؛ يقال: أنزف الرجل فهو منزوف إذا فنيت خمره. قال النحاس: والقراءة الأولى أبين وأصح في المعنى؛ لأن معنى (ينزفون) عند جلة أهل التفسير منهم مجاهد لا تذهب عقولهم؛ فنفى الله عز وجل عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر. ومعنى (يُنزِفون) الصحيح فيه أنه يقال: أنزف الرجل إذا نفد شرابه"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين بين معناهما وذكر ترجيحاً للقراءة الأولى بأنها أبين وأصح في المعنى لأن معنى (يُنزَفون) عند جلة أهل التفسير تذهب العقول.

وهكذا علمنا أن الإمام القرطبي يرجح قراءة على قراءة باعتبار قول أهل التفسير وهو أمر مقبول ما دام هذا الترجيح لا يبطل القراءة المرجوحة ولا يضعفها، فأهل التفسير وخاصة التابعون منهم مثل الإمام مجاهد أعلم الناس بعد الصحابة بمراد الله من غيرهم فقولهم وتفسيرهم يستأنس به في بيان معنى القراءة وترجيحها.

والإمام القرطبي يعتمد أحياناً في ترجيحه لقراءة على أخرى لأنها بينت حكم فقهي.

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ

1- انظر: النحاس-إعراب القرآن (178/2).

2- انظر: ابن الجزري-النشر (207/2).

3- الصافات: (47).

4- انظر: القرطبي-الجامع (81/15).

5- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (450).

عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال:" وقرأ أهل المدينة والشام (فديةُ طعام) مضافاً، (مساكين) جمعاً. وقرأ ابن عباس (طعام مسكين) بالإفراد فيما ذكر البخاري[2] وأبو داود والنسائي عن عطاء عنه، وهي قراءة حسنة؛ لأنها بينت الحكم في اليوم؛ واختارها أبو عبيد، وهي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي، قال أبو عبيد: فبينت أن لكل يوم إطعام واحد؛ فالواحد مترجم عن الجميع، وليس الجميع بمترجم عن الواحد. وجمع المساكين لا يدرى كم منهم في اليوم إلا من غير الآية. وتخرج قراءة الجمع في (مساكين) لما كان الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم يلزمه مسكين فجمع لفظه؛ كما قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾[3] أي اجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة؛ فليس الثمانون متفرقة في جميعهم، بل لكل واحد ثمانون"[4]. يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي حسن قراءة (مسكين) بالإفراد لأنها بينت الحكم في اليوم، أما القراءة الأخرى فلم تبين ذلك. وهذا التحسين للقراءة جيد لأنه لم يستبعد القراءة الأخرى بل وجهها بالقرآن الكريم.

والإمام القرطبي يعتمد أحياناً في ترجيحه بين القراءات على فهمه واجتهاده وعلمه.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [5].

قال:" (والذين يمسكون بالكتاب) أي التوراة، أي العمل بها، يقال: مسك به وتمسك به أي استمسك به. وقرأ أبو العالية وعاصم في رواية أبي بكر(يُمسِكُون) بالتخفيف من أمسك يمسك. والقراءة الأولى أولى؛ لأن فيها معنى التكرير والتكثير للتمسك بكتاب الله تعالى وبدينه فبذلك يمدحون. فالتمسك بكتاب الله والدين يحتاج إلى الملازمة والتكرير لفعل ذلك. وقال كعب بن زهير: فما تمسَّكَ بالعهد الذي زعمت إلا كما تمسك الماء الغرابيل[6].

1- البقرة: (184).

2- انظر: (صحيح البخاري-كتاب التفسير، باب قوله تعالى (أياماً معدودات...تعلمون) (ح 4505، 392/2) وأبو داود في الصيام 296/2 ح 2315، والنسائي في الصيام 191/4،190).ش

3- النور: (4).

4- القرطبي-الجامع (289/2).

5- الأعراف: (170).

6- البيت لكعب من قصيدته التي قالها في مدح الرسول ومطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرإوها لم يفد مكبوله. والقصيدة بكاملها موجودة في كثير من كتب السيرة والأدب. (القرطبي-الجامع 298/7).

فجاء به على طبعه يذم بكثرة نقض العهد"[1].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[2].

قال:" (ويتوب الله على من يشاء) القراءة بالرفع على الاستئناف؛ لأنه ليس من جنس الأول. ولهذا لم يقل (ويتبْ) بالجزم؛ لأن القتال غير موجب لهم التوبة من الله جل وعز، وهو موجب لهم العذاب والخزي وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم...وقرأ ابن أبي إسحق (ويتوبَ) بالنصب[3] وكذا روي عن عيسى الثقفي والأعرج، وعليه فتكون التوبة داخلة في جواب الشرط؛ لأن المعنى: إن تقاتلوهم يعذبهم الله. وكذا ما عطف عليه. ثم قال: (ويتوب الله) أي إن تقاتلوهم. فجمع بين تعذيبهم بأيديكم وشفاء صدوركم وإذهاب غيظ قلوبكم والتوبة عليكم والرفع أحسن؛ لأن التوبة لا يكون سببها القتال؛ إذ قد توجد بغير قتال لمن شاء الله أن يتوب عليه في كل حال"[4].

يلاحظ من خلال هذين المثالين وغيرهما أن الإمام القرطبي وصل إلى درجة عظيمة من الفهم والاجتهاد والاستدلال، وأنه بفهمه العميق استطاع أن يرجح قراءة على قراءة دون مسٍ بالقراءة المرجوحة، فهو جمع إلى فهمه العميق وعلمه الغزير تعظيم كتاب الله وتقديس القراءات، فلم يغتر بعلمه وفهمه لينال من قراءة قرآنية، بل بهذا الفهم وهذا العلم يرجح قراءة ما مع تصويبه وتحسينه للقراءة المرجوحة. ولا ننسى أن الترجيح بين القراءات الذي يفضي إلى إضعاف إحدى القراءتين أمر محظور لا مجال للنظر والاستدلال فيه، لأن القراءات المتواترة كلها حق وصواب، فإذا ثبتت صحة القراءة وجب قبولها والاعتقاد أنها من عند الله، وإنما يكون مجال النظر والفهم والاستدلال في توجيه القراءات وبيان أثرها على المعاني والتفسير والفقه.

وخلاصة هذا الموضوع أن الإمام القرطبي ذكر ألفاظاً واعتباراتٍ متعددة رجح فيها بين القراءات بأنواعها وكانت ألفاظاً واعتباراتٍ جيدةً مقبولةً في الغالب، والذي جعل هذه الاعتبارات مقبولة لا اعتراض عليها هو استخدام القرطبي لألفاظ الترجيح الدقيقة المعتدلة التي لا تضعف القراءة المرجوحة ولا تمسها بل إن ألفاظه توحي بأنه لا يرجح من أجل الترجيح فقط، إنما من أجل توجيه القراءة وإثرائها وبيان قيمتها وما فيها من معاني زائدة وما

فيها من بلاغة وفصاحة وإعجاز. والذي يؤخذ عليه في هذا الموضوع هو عدم إبرازه لاعتبار التواتر في الترجيح وعدم الاهتمام به فكثيراً ما كان يرجح قراءة متواترة على قراءة شاذة دون بيان

1- القرطبي-الجامع(298/7).

2- التوبة: (15).

3- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (51).

4- القرطبي-الجامع (85/8).

لاعتبار التواتر إنما يذكر أحد الاعتبارات الأخرى التي ذكرت فيما سبق ويترك القول إن القراءة الأولى متواترة والثانية شاذة.

وهذا الكلام لا يعني إهمال القرطبي لاعتبار التواتر بالكلية فكثيراً ما كان يرجح قراءة على قراءة لأنها قراءة الجماعة أو الجمهور أو أكثر القراء، فما أقصده تحديداً أن القرطبي لما كان يرجح قراءة متواترة على قراءة شاذة كان الأولى به أن يبين علة ترجيحه للقراءة أنها متواترة أولاً، ثم يذكر من العلل الأخرى ما يراه مناسباً. ولكنه لم يفعل ذلك بل كان يذكر اعتبارات أخرى دون ذكر لتواتر القراءة أو شذوذها.

المطلب الثاني

الاختيار في القراءات عند الإمام القرطبي

إذا كان الإمام القرطبي قد أكثر من ألفاظ الترجيح وعلله واعتباراته فإنه في موضوع الاختيار على العكس من ذلك. فإذا سألنا عن الألفاظ التي كان يستخدمها في اختياره للقراءة فإننا لا نجد إلا لفظة واحدة هي قول القرطبي (وهي الاختيار أو والاختيار كذا) وأما عن اعتبارات الاختيار وعلله فلم تكن كثيرة كذلك. وقد كان يختار قراءات لنفسه، وكان أحياناً يذكر اختيارات بعض العلماء مثل أبي حاتم و أبي عبيد ومكي بن أبي طالب . وأما عن الاعتبارات التي اعتمد عليها الإمام القرطبي في اختيار القراءة فهي كما يلي.

فقد كان يختار القراءة معتمداً بذلك على القرآن الكريم.

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾[1].

قال:" (نورث) بالتخفيف. وقرأ يعقوب (نورِّث) بفتح الواو وتشديد الراء. والاختيار التخفيف؛ لقوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب)[2] "[1].

1- مريم: (63).

2- فاطر: (44).

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين، الثانية ليعقوب[2] (نورِّث) والأولى لبقية القراء، فاختار القرطبي قراءة بقية القراء وبين علة ذلك أنها ذكرت في القرآن مخففة وذكر الآية.

ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى:﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾[3].

قال:" وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً، وأهل مكة وأبو عمرو وأبو جعفر (أولا يذَّكّر) وقرأ شيبة[4] ونافع وعاصم (أولا يذكر) بالتخفيف. والاختيار التشديد وأصله يتذكر؛ لقوله تعالى: (إنما يتذكر أولو الألباب)[5] وأخواتها. وفي حرف أبي (أولا يتذكر)[6] وهذه القراءة على التفسير لأنها مخالفة لخط المصحف. ومعنى (يتذكر) يتفكر، ومعنى (يذكر) يتنبه ويعلم"[7].

ويلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين، الأولى بالتخفيف قرأ بها نافع وابن عامر وعاصم، والثانية بالتشديد الباقون[8]. واختار القرطبي قراءة التشديد مستدلاً على ذلك بالقرآن الكريم وبقراءة شاذة.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾[9].

قال:" وقراءة العامة (فقدر) مخففة الدال. وقرأ ابن عامر مشدداً، وهما لغتان والاختيار التخفيف؛ لقوله: (ومن قدر عليه رزقه)[10] "[11].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين الأولى قراءة العامة والثانية قراءة ابن عامر وأبو جعفر[12]. واختار قراءة العامة واستدل على اختياره بالقرآن الكريم.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[13].

1- القرطبي-الجامع (133/11).

2- انظر: محمد راجح-القراءات العشر المتواترة (310).

3- مريم: (67).

4- شيبة: بن نِصاح ابن سَرجِس بن يعقوب الإمام أبو ميمونة المدني المقرئ، مولى أم المؤمنين أم سلمة، قرأ القرآن على عبد الله بن عياش مقرئ المدينة، قرأ عليه نافع وسليمان بن جماز وإسماعيل بن جعفر وغيرهم، توفي سنة ثلاثين ومائة.
(انظر: معرفة القراء الكبار 182/1).

5- الزمر: (9).

6- القراءة شاذة. انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (86).

7- القرطبي-الجامع (137/11).

8- انظر: محمد راجح-القراءات العشر (310)، عبد الفتاح القاضي- البدور الزاهرة (249).

9- الفجر: (16).

10- الطلاق: (7).

11- القرطبي-الجامع (53/20).

12- انظر: محمد راجح-القراءات العشر (593)، عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (432).

13- الزلزلة: (7).

قال:" قراءة العامة (يَرَهُ) بفتح الياء فيهما. وقرأ الجحدري والسلمي وعيسى بن عمر وأبان عن عاصم: (يُره) بضم الياء أي يريه الله إياه. والأولى الاختيار؛ لقوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[1] "[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة وأخرى شاذة[3]، واختار القراءة المتواترة مستدلاً على اختياره بالقرآن الكريم. وكان الأولى في هذا المثال أن يكون سبب الاختيار تواتر القراءة الأولى وشذوذ الثانية، ولكنه لم يذكر ذلك وإنما ذكر أن سبب الاختيار القرآن الكريم.

وقد كان يذكر اختيارات لبعض العلماء لاعتبار القرآن الكريم.

ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى:﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾[4].

قال:" قرأ حفص وحمزة والكسائي (ما نُنَزِّل الملائكة إلا بالحق) واختاره أبو عبيد. وقرأ أبو بكر والمفضل (وما تَنزَّل الملائكة) والباقون (وما تَنزَّل الملائكة) وتقديره: وما تتنزل بتائين حذفت إحداهما تخفيفاً، وقد شدد التاء البزي، واختاره أبو حاتم اعتباراً بقوله: (تتنزل الملائكة والروح)[5] "[6].

"[6].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[7] هما الأولى والثالثة وقراءة شاذة[8] وهي وهي القراءة الثانية وذكر أن أبا عبيد اختار القراءة الأولى دون أن يبين سبب وحجة اختياره وذكر أن أبا حاتم اختار القراءة الثالثة لاعتبار القرآن الكريم، ولم يختر القرطبي لنفسه قراءة ولم يرجح أحد الاختيارين في هذا المثال.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[9].

قال:" (خلفك) نافع وابن كثير وأبو بكر وأبو عمر، معناه: بعدك. وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي (خلافك) واختاره أبو حاتم اعتباراً بقوله: فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله)[1] ومعناه: أيضاً بعدك"[2].

1- آل عمران: (30).
2- القرطبي-الجامع (151/20).
3- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (177).
4- الحجر: (8).
5- القدر: (4).
6- القرطبي-الجامع (9/10).
7- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (417).
8- انظر: أبو حيان-البحر المحيط (446/5).
9- الإسراء: (76).

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين وذكر أن أبا حاتم اختار القراءة الثانية لاعتبار القرآن الكريم.

وكان القرطبي يختار القراءة لاعتبار السياق.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[3].قال القرطبي:" قرأ أبو عمرو: (يعقلون) بالياء. الباقون بالتاء على الخطاب وهو الاختيار لقوله تعالى: (وما أوتيتم)"[4].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[5] اختار قراءة جمهور القرَّاء لموافقتها سياق الآية حيث بدأت الآية (وما أوتيتم) على الخطاب فناسب أن يكون آخرها على الخطاب كذلك بـ(تعقلون).

وكان يذكر اختيارات بعض العلماء لاعتبار السياق.

ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾[6].

قال: (إذ يغشيكم النعاس) مفعولان. وهي قراءة أهل المدينة، وهي قراءة حسنة لإضافة الفعل إلى الله عز وجل لتقدم ذكره في قوله: (وما النصر إلا من عند الله)[7] ولأن بعده (وينزل عليكم) فأضاف الفعل إلى الله عز وجل. فكذلك الإغشاء يضاف إلى الله عز وجل ليتشاكل الكلام. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (يغشاكم النعاس) بإضافة الفعل إلى النعاس. دليله (أمنة نعاساً يغشى)[8]. وقرأ الباقون (يُغَشِّيكم) بفتح الغين وشد الشين. (النعاس) بالنصب على معنى قراءة نافع، لغتان بمعنى غَشَّى وأغْشَى؛ قال الله تعالى: (فأغشيناهم)[9] وقال: (فغشاها ما غشى)[10] قال مكي: والاختيار ضم الياء والتشديد ونصب النعاس، لأن بعده (أمنةً منه) والهاء في (منه) لله، فهو الذي يغشيهم النعاس، ولأن الأكثر عليه[11].

1- التوبة: (81).

2- القرطبي-الجامع (307/10).

3- القصص: (60).

4-القرطبي-الجامع (314/13).

5- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (440).

6- الأنفال: (11).

7- الأنفال: (10).

8- آل عمران: (154).

9- يس: (9).

10- النجم: (54).

11- انظر: القرطبي-الجامع (355/7).

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر ثلاث قراءات متواترة[1]، حسَّن الأولى واستدل على ذلك من السياق بالآية التي قبلها وبالآية نفسها، وذكر القراءة الثانية واستدل لها بالقرآن الكريم، ثم ذكر القراءة الثالثة وبين أنها اختيار مكي لاعتبارين السياق ولأن عليها أكثر القراء.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[2].

قال:" وقرأ ابن كثير والحسن وأبو عمرو وابن عامر (ويوم تُسيَّر) بتاء مضمومة وفتح الياء. و(الجبال) رفعاً على الفعل المجهول. وقرأ ابن محيصن ومجاهد (ويوم تسير الجبال) بفتح التاء مخففاً من سار. (الجبال) رفعاً. دليل قراءة أبي عمرو (وإذا الجبال سيرت)[3] ودليل قراءة ابن محيصن (وتسير الجبال سيراً)[4] واختار أبو عبيد القراءة الأولى (نسيِّر) بالنون لقوله (وحشرناهم)"[5]. يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[6] وقراءة شاذة[7] ووجه كل قراءة من هذه القراءات بالقرآن ثم ذكر اختيار أبي عبيد للقراءة المتواترة (نسير) بالنون مستدلاً على ذلك الاختيار بسياق الآية حيث كلمة (وحشرناهم) في آخر الآية تتسق وتتناسب مع (نسير) في أول الآية.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[8].

قال:" وقراءة العامة (عبده) بالتوحيد يعني: محمدﷺ يكفيه الله وعيد المشركين وكيدهم، وقرأ حمزة والكسائي (عباده) وهم الأنبياء، أو الأنبياء والمؤمنون بهم. واختار أبو عبيد قراءة الجماعة لقوله عقيبه: (ويخوفونك بالذين من دونه)"[9].

ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[1] الأولى للعامة أو الجماعة والثانية قراءة حمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف، ثم ذكر أن أبا عبيد اختار قراءة الجماعة لاعتبار السياق حيث (يخوفونك) تتناسب مع كلمة (عبده) في الآية.

1- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (405)، وابن الجزري-النشر (207/2).
2- الكهف: (47).
3- التكوير: (3).
4- الطور: (10).
5- القرطبي-الجامع (426/10).
6- انظر: ابن الجزري-النشر (233/2).
7- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (80).
8- الزمر: (36).
9- القرطبي-الجامع (246/15).

والقرطبي يعتمد في اختياره على قراءة (الجماعة، أو أكثر القراء، أو لإجماع الناس عليها).

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾[2].

قال:" وقرأ ابن عامر (أنهم لا يعجزون) بفتح الهمزة...وقرأ الباقون بكسر (إن) على الاستئناف والقطع مما قبله، وهو الاختيار؛ لما فيه معنى التأكيد، ولأن الجماعة عليه"[3].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[4] الأولى لابن عامر والثانية لباقي القراء. وقد اختار القراءة الثانية لأن فيها معنى التوكيد ولأنها قراءة الجماعة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾[5].

قال:" وقراءة العامة: (سيصلى) بفتح الياء. وقرأ أبو رجاء والأعمش: بضم الياء...والأولى هي الاختيار؛ لإجماع الناس عليها؛ وهي من قوله: (إلا من هو صال الجحيم)[6].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة هي قراءة العامة وذكر قراءة شاذة[7] ثم اختار القراءة المتواترة لإجماع الناس عليها ثم وجهها بالقرآن الكريم.

وقد كان الإمام القرطبي يذكر اختيارات بعض العلماء لاعتبار قراءة (الجماعة أو أكثر القراء).

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ﴾[8].

قال:" وقرأ نافع (يُمدونهم) بضم الياء وكسر الميم. والباقون بفتح الياء وضم الميم. وهما لغتان مدَّ وأمدَّ. ومدَّ أكثر بغير ألف قاله مكي...قال مكي: والاختيار الفتح، لأنه يقال مددت في الشر، وأمددت في الخير، قال تعالى: (ويمدهم في طغيانهم يعمهون)[9] فهذا يدل على قوة الفتح في هذا الحرف، لأنه في الشر، والغي هو الشر، ولأن الجماعة عليه"[10].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[11] الأولى لنافع وأبي جعفر والثانية لباقي القراء، وذكر أنهما لغتان ثم ذكر اختيار مكي بن أبي طالب للقراءة الثانية لقوة الفتح في ذلك الحرف ولأن الجماعة عليه.

1- انظر: ابن الجزري-النشر (271/2).

2- الأنفال: (59).

3- القرطبي-الجامع (38/8).

4- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (405).

5- المسد: (3).

6- الصافات: (163).

7- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (182).

8- الأعراف: (202).

9- البقرة: (15).

10- القرطبي-الجامع (336/7).

11- انظر: ابن الجزري-النشر (206/2).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره في تفسيره عند قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[1].

قال: (أذهبتم طيباتكم) أي يقال لهم أذهبتم؛ فالقول مضمر، وقرأ يعقوب وابن كثير (ءَأذهبتم) بهمزتين مخففتين واختاره أبو حاتم، وقرأ هشام (آذهبتم) بهمزة واحدة مطولة على الاستفهام. الباقون بهمزة واحدة من غير مد على الخبر، وكلها لغات فصيحة ومعناها التوبيخ، والعرب توبخ بالاستفهام وبغير الاستفهام. واختار أبو عبيد ترك الاستفهام لأنه قراءة أكثر أئمة السبعة، نافع وعاصم وأبي عمرو وحمزة والكسائي، مع من وافقهم؛ فهذه عليها جلة الناس. وترك الاستفهام أحسن؛ لأن إثباته يوهم أنهم لم يفعلوا ذلك، كما تقول: أنا ظلمتك؟ تريد أنا لم أظلمك. وإثباته حسن أيضاً[2].

يتضح من هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءات متواترة[3] الأولى (ءأذهبتم) بهمزتين قرأ بها ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب واختارها أبو حاتم، والقراءة الثانية (آذهبتم) بالمد لهشام والثالثة (أذهبتم) بهمزة واحدة من غير مد على الخبر قرأ بها باقي القراء، واختارها أبو عبيد لأنها قراءة أكثر القراء.

ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي رجح أحد الاختيارين وهو اختيار أبو عبيد بقوله (وترك الاستفهام أحسن) مع تحسينه لإثبات الاستفهام. وهذا الترجيح من القرطبي لأحد الاختيارين نادراً ما يكون؛ لأنه غالباً ما يذكر اختيارات العلماء دون ترجيح بينها، لكنه يبين علة الاختيار والاعتبار الذي من أجله اختار العالم تلك القراءة.

وفي الأمثلة السابقة صرّح القرطبي أن سبب اختياره، وسبب اختيار العلماء للقراءة أنها قراءة الجماعة أو أكثر القراء، وفي كثير من الأمثلة التي مرت معنا وغيرها يختار القرطبي قراءة الجماعة ولا يصرح بذلك الاعتبار لأنه يذكر اعتبارات أخرى مثل القرآن أو السياق، فاختيار القرطبي في الغالب يكون لقراءة الجماعة سواء صرح بذلك أو لم يصرح.

والإمام القرطبي يختار القراءة معتمداً على فهمه واجتهاده.

1- الأحقاف: (20).

2- انظر: القرطبي-الجامع (194/16).

3- انظر: محمد كريم راجح-القراءات العشر المتواترة (504)، عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (368).

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾[1].

قال:" وقرأ عيسى وطلحة (معذرة) بالنصب. ونصبه عند الكسائي من وجهين: أحدهما على المصدر. والثاني على تقدير فعلنا ذلك معذرة. وهي قراءة حفص عن عاصم. والباقون بالرفع: وهو الاختيار، لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً من أمر ليموا عليه، ولكنهم قيل لهم: لم تعظون؟ فقالوا: موعظتنا معذرة. ولو قال رجل لرجل: معذرة إلى الله وإليك من كذا، يريد اعتذاراً، لنصب"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين[3] متواترتين الأولى لحفص عن عاصم والثانية لبقية القراء، واختار القراءة الثانية معتمداً على فهمه للآية ومعرفته باللغة العربية وأساليبها

وقد اختار قراءة أغلب القراء دون أن يصرح بأن ذلك سبب اختياره للقراءة.

والإمام القرطبي يذكر اختيارات بعض العلماء لاعتبار الفصاحة أو البلاغة أو شهرة اللغة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾[4].

قال: وقرأ ابن كثير وابن محيصن وعاصم والكسائي وهشام: (ماليَ) بفتح الياء وكذلك في (يس) (ومالي لا أعبد الذي فطرني)[5] وأسكنها حمزة ويعقوب، وقرأ الباقون المدنيون وأبو عمرو: بفتح التي في (يس) وإسكان هذه. قال أبو عمرو: لأن هذه التي في (النمل) استفهام، والأخرى انتفاء. واختار أبو حاتم وأبو عبيد الإسكان (فقال مالي). وقال أبو جعفر النحاس[6]: زعم قوم أنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما كان مبتدأ، وبين ما كان معطوفاً على ما قبله، وهذا ليس بشيء، وإنما هي ياء النفس، من العرب من يفتحها ومنهم من يسكنها، فقرءوا باللغتين؛ واللغة الفصيحة في ياء النفس أن تكون مفتوحة؛ لأنها اسم وهي على حرف واحد، وكان الاختيار ألا تسكن فيجحف الاسم[7].

1- الأعراف: (164).

2- القرطبي-الجامع (292/7).

3- انظر: عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (153).

4- النمل: (20).

5- يس: (22).

6- انظر: النحاس-إعراب القرآن (202/3).

7- انظر: القرطبي-الجامع (189/13).

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[1] وذكر أن أبا حاتم وأبا عبيد اختارا القراءة الأولى (الإسكان) ثم ذكر أن النحاس اختار القراءة الثانية (الفتح) لاعتبار أنها اللغة الفصيحة، كل ذلك دون أن يرجح القرطبي أحد الاختيارين.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[2].

قال:" قرأه أبو عمرو وأهل المدينة بالتخفيف من العلم. واختار هذه القراءة أبو حاتم. قال أبو عمرو: وتصديقها (تدرسون) ولم يقل: (تُدّرسون) بالتشديد من التدريس. وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة (تُعلّمون) بالتشديد من التعلم؛ واختارها أبو عبيد. قال: لأنها تجمع المعنيين (تعلمون،تدرسون). قال مكي: التشديد ابلغ، لأن كل معلم عالم بمعنى يَعْلم وليس كل من علم شيئاً مُعَلِّماً، فالتشديد يدل على العلم والتعلم، والتخفيف إنما يدل على العلم فقط، فالتعليم أبلغ وأمدح وغيره أبلغ في الذم. واحتج من رجح قراءة التخفيف بقول ابن مسعود (كونوا ربانيين) قال: حكماء علماء؛ فيبعد أن يقال: كونوا فقهاء حكماء بتعليمكم. قال الحسن: كونوا حكماء علماء بعلمكم"[3].

يتضح من هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[4] وذكر اختيار أبي حاتم لقراءة التخفيف واستدل لها أن كلمة (تدرسون) مخففة –من نفس الآية– ثم ذكر اختيار أبي عبيد لقراءة التشديد ومعه مكي بن أبي طالب لاعتبار أن التشديد أبلغ وفي نهاية المثال ذكر دليلاً لمن رجح قراءة التخفيف وهو تفسير ابن مسعود والحسن البصري لمعنى (ربانيين). ويلاحظ في هذا المثال أن القرطبي لم يرجح أحد الاختيارين، وهذا غالباً ما يفعله عندما يذكر اختيارين للعلماء.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾[5].

قال: (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بفتح الميم، وهي قراءة نافع وعاصم. قال مجاهد والسدي: ومعناه بطاقتنا. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (بِملكنا) بكسر الميم واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأنها اللغة العالية. وهو مصدر ملكت الشيء أملكه ملكاً. والمصدر مضاف إلى الفاعل

1– انظر: الصفاقسي–غيث النفع (235).

2– آل عمران: (79).

3– القرطبي–الجامع (131/4).

4– انظر: عبد الفتاح القاضي–البدور الزاهرة (82).

5– طه: (87).

والمفعول محذوف؛ كأنه قال: بملكنا الصواب بل أخطأنا فهو اعتراف منهم بالخطأ. وقرأ حمزة والكسائي (بمُلكنا) بضم الميم والمعنى بسلطاننا. أي لم يكن لنا مُلك فنخلف موعدك"[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر ثلاث قراءات متواترة[2]، وذكر اختيار أبي عبيد وأبي حاتم لقراءة الكسر وعلل ذلك بأنها اللغة العالية وبين معناها.

والإمام القرطبي يختار القراءة معتمداً على الصرف.

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾[3].

قال: (إلفهم) ساكنة اللام بغير ياء. وروي نحوه عن ابن كثير. وقرأ أبو جعفر عن أهل الشام (إلافَهم) مهموز مختلساً بلا ياء. وقرأ أبو بكر عن عاصم (إئلافهم) بهمزتين، الأولى مكسورة والثانية ساكنة. والجمع بين الهمزتين في الكلمتين شاذ.

الباقون (إيلافهم) بالمد والهمز؛ وهو الاختيار، وهو بدل من الإيلاف الأول للبيان. وهو مصدر آلف: إذا جعلته يألف. وألف هو إلفا؛ على ما تقدم ذكره من القراءة؛ أي وما قد ألفوه من رحلة الشتاء والصيف[4].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين شاذتين[5] وقراءة متواترة، واختار القراءة المتواترة مع توجيهها بالصرف ليؤكد ذلك الاختيار.

والإمام القرطبي يذكر اختيار أبي عبيد وأبي حاتم لاعتبار خط المصحف.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾[6].

قال:" وقرأ نافع: (تأمروني) بنون واحدة مخففة وفتح الياء. وقرأ ابن عامر: (تأمرونني) بنونين مخففتين على الأصل. الباقون بنون واحدة مشددة على الإدغام، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لأنها وقعت في مصحف عثمان بنون واحدة"[7].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءات متواترة[8] ووجه قراءة ابن عامر بأنها على الأصل الأصل وذكر اختيار أبي عبيد وأبي حاتم لقراءة الجمهور لأنها وقعت في مصحف عثمان بنون واحدة فهذا هو سبب الاختيار.

1- القرطبي-الجامع (249/11).

2- انظر: عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (256).

3- قريش: (2).

4- انظر: القرطبي-الجامع (203/20).

5- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (180).

6- الزمر: (64).

7- القرطبي-الجامع (264/15).

8- انظر: عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (344).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾[1].

قال:" (أتمدونني بمال) قرأ حمزة ويعقوب والأعمش: بنون واحدة مشددة وياء ثابتة بعدها. الباقون بنونين، وهو اختيار أبي عبيد؛ لأنها في كل المصاحف بنونين"[2].

وفي هذا المثال ذكر القرطبي قراءتين متواترتين[3] وذكر اختيار أبي عبيد لقراءة الجمهور لأنها في في كل المصاحف كذلك.

وكان الإمام القرطبي يذكر اختيار العلماء للقراءة لاعتبار قراءة الصحابة.

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾[4].

قال:" (وجاء فرعون ومن قبله) قرأ أبو عمرو والكسائي (ومن قِبَله) بكسر القاف وفتح الباء؛ أي ومن تبعه من جنوده. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم اعتباراً بقراءة عبد الله وأبي (ومن معه). وقرأ أبو موسى (ومن تلقاءه) والباقون (قَبْلَه) بفتح القاف وسكون الباء؛ أي ومن تقدمه من القرون الخالية والأمم الماضية"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[6]، اختار أبو عبيد وأبو حاتم القراءة الأولى وهي قراءة أبي عمرو والكسائي اعتباراً بقراءة شاذة[7] مروية عن بعض الصحابة وذلك لأنها موافقة ومؤكدة لمعنى القراءة التي اختارها الإثنان.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾[8].

قال:" وقرئ (يكذبونك) مخففاً ومشدداً؛ قيل هما بمعنى واحد كحزنته وأحزنته؛ واختار أبو عبيد قراءة التخفيف، وهي قراءة علي رضي الله عنه؛ وروي عنه أن أبا جهل[9] قال للنبيﷺ: إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله عز وجل (فإنهم لا يكذبونك)"[10].

1- النمل: (36).

2- القرطبي-الجامع (209/13).

3- انظر: عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (293).

4- الحاقة: (9).

5- القرطبي-الجامع (251/18).

6- انظر: عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (412).

7- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (567).

8- الأنعام: (33).

9- انظر: السيوطي-لباب النقول في أسباب النزول (178).

10- القرطبي-الجامع (390/6).

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين قرأ بالتخفيف نافع والكسائي وقرأ بالتشديد باقي القراء[1]. وذكر أن القراءتين بمعنى واحد، ثم ذكر اختيار أبي عبيد لقراءة التخفيف لأنها قراءة علي بن أبي طالب.

وكان الإمام القرطبي يختار قراءات دون بيان سبب وعلة الاختيار.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾[2].

قال القرطبي:" قرأ حمزة والكسائي وخلف ويحيى والأعمش (تروا) بالتاء[3]، على أن الخطاب لجميع الناس. الباقون بالياء خبراً عن الذين يمكرون السيئات، وهو الاختيار"[4].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾[5].

قال: وقرأ قنبل عن ابن كثير[6](أن رأه استغنى) بقصر الهمزة. الباقون (رآه) بمدها وهو الاختيار[7].

الاختيار[7].

يلاحظ في هذين المثالين أن الإمام القرطبي اختار قراءتين متواترتين دون بيان سبب الاختيار. ولكن يمكن القول أن سبب الاختيار واضح وهو أن القراءة التي اختارها الإمام القرطبي في هذين المثالين وفي كثير من الأمثلة هي قراءة جمهور القراء أو أغلبهم فهذا هو سبب الاختيار، وقد كان القرطبي أحياناً يصرح بهذا الاعتبار، وكثيراً لا يصرح به وإنما يذكر اعتبارات أخرى لاختياره مع كون القراءة المختارة هي قراءة أكثر القراء.

ومن خلال هذا الكلام يمكن القول أن الإمام القرطبي سار في طريق سليم صحيح في موضوع الاختيار حيث إنه لم يختر إلا ما قرأ به أكثر القراء وهو ما سماه قراءة الجمهور أو الجماعة أو العامة، مؤكداً على اختياره باعتبارات أخرى استئناساً بها وتأكيداً على القراءة دون مس بالقراءات والاختيارات الأخرى. وقد كان أحياناً يذكر اختيارين متقابلين للعلماء دون أن يرجح أحدهما على الآخر.

1- انظر: عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (124).

2- النحل: (48).

3- انظر: البنا الدمياطي-إتحاف فضلاء البشر (351).

4- القرطبي-الجامع (117/10).

5- العلق: (7).

6- انظر: علي الصفاقسي-غيث النفع (315).

7- انظر: القرطبي-الجامع (124/20).

وأخيراً لا ننسى أن اختيار الإمام القرطبي الخاص به كان قليلاً فلم يكثر من الاختيار لنفسه وإنما كان يغلب عليه في هذا الموضوع ذكر اختيارات العلماء مثل أبي عبيد وأبي حاتم ومكي بن أبي طالب. على عكس ما كان في موضوع الترجيح فقد أكثر وأجاد في ذلك الموضوع.

المطلب الثالث

الحكم على القراءة عند الإمام القرطبي

الحكم على القراءة له علاقة وثيقة بالترجيح والاختيار فالقارئ أو المفسر لا يرجح ولا يختار القراءة إلا بعد أن يكون حُكمُ القراءةِ معلوماً لديه لذلك كان من المناسب إلحاق موضوع الحكم على القراءة بموضوع الترجيح والاختيار.

وإذا كان الإمام القرطبي قد أكثر من الترجيح بين القراءات وأجاد فإنه في موضوع الحكم على العكس من ذلك، فقد كان قليل الحكم على القراءات سواء المتواترة منها أو الشاذة. ولا يقف الأمر

عند ذلك فعلى قلة الحكم عنده إلا أنه أخطأ في بعض أحكامه، فكان أحياناً يحكم على بعض القراءات المتواترة بأنها شاذة أو أنها غلط لا يجوز في اللغة أو أنها لحن أو ضعيفة الوجه.
هذه الأخطاء التي وقع فيها الإمام القرطبي لم تكن إلا أمثلة قليلة معدودة، أما باقي أحكامه فقد كانت صحيحة في محلها حيث إنه حكم على القراءات المتواترة بأنها صحيحة أو حسنة أو جائزة، وحكم على القراءات الشاذة بأنها باطلة أو خطأ أو ليست متواترة أو بعيدة أو لا تصح أو شاذة.

وينقسم هذا المبحث إلى قسمين.

أولاً: الحكم على القراءات المتواترة.

ثانياً: الحكم على القراءات الشاذة.

أولاً: الحكم على القراءات المتواترة

علمت أن الإمام القرطبي كان ينسب القراءات المتواترة إلى أصحابها في الغالب، ولعل ذلك جعل القرطبي لا يهتم بالحكم على القراءة المتواترة حيث إنه من خلال معرفة صاحب القراءة يمكن الحكم على القراءة في الغالب، ولكن في بعض الأمثلة كان القرطبي ينسب القراءة إلى أحد القراء السبعة أو العشرة ولا تكون القراءة متواترة فلم تُروَ عنهم في كتب القراءات المتواترة، فالسبب الرئيسي لعدم حكم القرطبي على القراءات المتواترة أنها متواترة هو ذكره لصاحب القراءة وتوجيهها بما أوتي من علم –على ما أظن– لذلك كانت أمثلة الحكم على القراءات المتواترة أنها متواترة أو صحيحة نادراً جداً وكان أحياناً يحكم عليها أنها حسنة أو جائزة.
ويمكن تقسيم الحكم على القراءات المتواترة إلى قسمين.

1– الحكم على القراءات المتواترة أحكاماً مقبولة.

2– الحكم على القراءات المتواترة أحكاماً غير مقبولة.

1– الحكم على القراءات المتواترة أحكاماً مقبولة مثل (صحيحة–حسنة–جائزة).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقول الله عز وجل:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾[1].

قال:" (قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) وقرأ حمزة والكسائي (يفقهون) بضم الياء وكسر القاف من أفقه إذا أبان أي لا يفقهون غيرهم كلاماً. الباقون بفتح الياء والقاف، أي يعلمون. والقراءتان صحيحتان فلا هم يفقهون من غيرهم ولا يفقهون غيرهم"[2].

1– الكهف: (93).

2– القرطبي–الجامع (59/11).

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[1] وحكم عليهما بأنهما صحيحتان.

ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾[2].

قال:" (إذ يغشيكم النعاس) مفعولان. وهي قراءة أهل المدينة وهي قراءة حسنة لإضافة الفعل إلى الله عز وجل لتقدم ذكره في قوله: (وما النصر إلا من عند الله) ولأن بعده (وينزل عليكم) فأضاف الفعل إلى الله عز وجل"[3].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي حكم على قراءة متواترة[4]أنها حسنة لموافقتها للسياق.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[5].

قال:" وقرأ ابن عامر (لقضى إليهم أجلهم) وهي قراءة حسنة؛ لأنه متصل بقوله (ولو يعجل الله للناس الشر)"[6].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي حكم على قراءة متواترة[7] قرأ بها ابن عامر ويعقوب بأنها حسنة لاعتبار السياق.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[8].

قال:" (بمفازتهم) على التوحيد قراءة العامة لأنها مصدر. وقرأ الكوفيون: (بمفازاتهم) وهو جائز كما تقول بسعاداتهم"[9].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[10] وحكم على الثانية أنها جائزة كأنه يقصد من حيث اللغة.

1- انظر: ابن الجزري-النشر (236/2).
2- الأنفال: (11).
3- القرطبي-الجامع (355/9).
4- انظر: ابن الجزري-النشر (207/2).
5- يونس: (11).
6- القرطبي-الجامع (294/8).
7- انظر: ابن الجزري-النشر (212/2).
8- الزمر: (61).
9- القرطبي-الجامع (263/15).
10- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (453).

هذه الأحكام التي حكم بها الإمام القرطبي على القراءات المتواترة بقوله (صحيحة أو حسنة أو جائزة) يمكن أن نعتبرها مقبولة، ولكن الأولى والأفضل أن يكون الحكم على هذه القراءات وأمثالها بقوله وهي قراءات متواترة، أو صحيحة مشهورة، فمثل هذه الألفاظ تليق للحكم على القراءات المتواترة، أما ما استخدمه الإمام القرطبي من ألفاظ فإنها أقل من أن توصف بها قراءة متواترة مجمع على تواترها وقرآنيتها.

بل يمكن القول إن مثل هذه الألفاظ يمكن أن تسمى وصف للقراءة وليس حكماً عليها. لذلك يمكن القول إن الإمام القرطبي لم يُجِد في هذا الموضوع الإجادة المتوقعة من مثل هذا العالم الجليل المتبحر في العلم.

2- الحكم على قراءات متواترة أحكاماً غير مقبولة أبداً.

ومن الألفاظ التي استخدمها الإمام القرطبي في الحكم على القراءات المتواترة وكانت غير مقبولة قوله (وهي شاذة) غلط لا يجوز في اللغة، لحن، ضعيفة الوجه، بعيدة، غير صحيحة، فمثل هذه الألفاظ لا يجوز بحال من الأحوال أن توصف بها القراءة المتواترة.

وهذا الخطأ الكبير الذي وقع فيه الإمام القرطبي من أشد الأخطاء وأخطرها، ولعل الذي أوقعه في ذلك هو تأثره بمنهج بعض النحاة في تعاملهم مع القراءات القرآنية[1].

ولكن نؤكد أن هذه الأمثلة التي أخطأ فيها الإمام القرطبي نادرة قليلة، وأنه كان في مواطن متعددة يدافع عن القراءة المتواترة ولا يرضى أن توصف بالضعف أو اللحن أو الشذوذ.

أما ما وقع فيه القرطبي من أخطاء بالحكم على بعض القراءات المتواترة أحكاماً غير مقبولة فهو كما يلي:

1. الإمام القرطبي يحكم على قراءة متواترة أنها شاذة.

وذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

1- انظر: مبحث القراءات المتواترة عند القرطبي.

2- البقرة: (213).

قال:" وقرأ عاصم الجحدري (ليُحكم بين الناس) على ما لم يسم فاعله، وهي قراءة شاذة، لأنه تقدم ذكر الكتاب"[1].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءة متواترة[2] نسبها لغير صاحبها وهو أبو جعفر أحد القراء العشرة ثم حكم عليها بالشذوذ وهو بذلك وقع في خطأين الأول: نسبة القراءة لغير صاحبها، والثاني: في الحكم على قراءة متواترة بالشذوذ. ويمكن التماس العذر للقرطبي حيث إنه لم يكن يعتبر القراءات الثلاث المكملة للعشرة متواترة ويحتمل أن يكون عاصم الجحدري قرأ بتلك القراءة بالإضافة إلى أبي جعفر. ولعل ذلك يخفف من الخطأ.

2. الحكم على قراءة متواترة أنها غلط لا يجوز في اللغة.

وذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[3].

قال:" قرأ حمزة والكسائي (اقتد قل) بغير هاء في الوصل. وقرأ ابن عامر (اقتده قل). قال النحاس[4]: وهذا لحن؛ لأن الهاء لبيان الحركة في الوقف وليست بهاء إضمار ولا بعدها واو ولا ياء، وكذلك أيضاً لا يجوز (فبهداهم اقتد قل). ومن اجتنب اللحن واتبع السواد قرأ (فبهداهم اقتده) فوقف ولم يصل؛ لأنه إن وصل بالهاء لحن وإن حذفها خالف السواد. وقرأ الجمهور بالهاء في الوصل على نية الوقف وعلى نية الإدراج اتباعاً لثباتها في الخط. وقرأ ابن عياش وهشام (اقتدهِ قل) بكسر الهاء وهو غلط لا يجوز في العربية"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر كلاماً للنحاس حكم على قراءة متواترة لابن عامر أنها لحن فتابعه القرطبي على ذلك ولم يعلِّق ، ثم ذكر قراءة لابن عياش و هشام (اقتدهِ قل) بكسر الهاء وهي قراءة سبعية متواترة لهشام عن ابن عامر[6] حكم عليها أنها غلط لا يجوز.

وهذا المثال دليل واضح على تأثر الإمام القرطبي بأهل اللغة على حساب القراءات وهذا أمر غير محمود ولا مقبول. فكيف يحكم على قراءة سبعية مجمع على تواترها أنها غلط غفر الله لشيخنا القرطبي وعفا عنه.

3. الحكم على قراءة متواترة أنها لحن لا يجوز.

وذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾[1].

1- القرطبي-الجامع (36/3).

2- انظر: عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (59)، محمد راجح-القراءات العشر (33).

3- الأنعام: (90).

4- انظر: النحاس-إعراب القرآن (81/2).

5- القرطبي-الجامع (39/7).

6- القراءات التي ذكرت في المثال كلها متواترة. انظر: عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (130).

قال:" (قالوا أرجه) قرأ أهل المدينة وعاصم والكسائي بغير همز، إلا أن ورشاً والكسائي أشبعا كسرة الهاء. وقرأ أبو عمرو بهمزة ساكنة والهاء مضمومة. وهما لغتان. يقال: أرجأته وأرجيته، أي أخرته. وكذلك قرأ ابن كثير وابن محيصن وهشام، إلا أنهم أشبعوا ضمة الهاء، وقرأ سائر أهل الكوفة (أرجه) بإسكان الهاء...وكسر الهاء على الاتباع، ويجوز ضمها على الأصل. وإسكانها لحن لا يجوز إلا في شذوذ من الشعر"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءات متواترة[3] كان آخرها قراءة أهل الكوفة وهي قراءة عاصم وحمزة. وقد حكم عليها أنها لحن لا يجوز إلا في شذوذ الشعر، والحقيقة أن كلام القرطبي هذا هو الذي لا يجوز أن يقال في حق قراءة سبعية متواترة مجمع على قرآنيتها.

4. الحكم على قراءة متواترة أنها ضعيفة الوجه.

وذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾[4].

قال:" (فما اسطاعوا) بتخفيف الطاء على قراءة الجمهور. وقيل هي لغة بمعنى استطاعوا. وقيل: بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء فقالوا: اسطاعوا. وحذف بعضهم منه الطاء فقال: استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع، وهي لغة مشهورة. وقرأ حمزة وحده (فما استطاعوا) بتشديد الطاء كأنه أراد استطاعوا، ثم أدغم التاء في الطاء فشددها، وهي قراءة ضعيفة الوجه"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة لحمزة وهي قراءة متواترة[6] وحكم عليها أنها ضعيفة الوجه. وهذا قول لا يجوز أن توصف به قراءة سبعية متواترة.

قال السيوطي في (الاقتراح في الأصول) كل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أو آحاداً أو شاذاً. ثم قال: وكان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية وينسبونهم إلى اللحن وهم مخطئون في ذلك فإن قراءتهم ثابتة بالأسانيد الصحيحة التي لا طعن فيها، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية[7].

5. الحكم على قراءة متواترة أنها ضعيفة.

1- الأعراف: (111).

2- القرطبي-الجامع (247/7).

3- انظر: علي الصفاقسي-غيث النفع (116)، محمد راجح-القراءات العشر (164).

4- الكهف: (97).

5- القرطبي-الجامع (67/11).

6- انظر: علي الصفاقسي-غيث النفع (176).

7- انظر: القرطبي-الجامع (67/11) من الحاشية حيث لم أجد كتاب الاقتراح.

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[1]. قال القرطبي:" (نسقيكم) قراءة أهل المدينة وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (بفتح النون) من سقى يسقي. وقرأ الباقون وحفص عن عاصم (بضم النون) من أسقى يسقي، وهي قراءة الكوفيين وأهل مكة، وقرأت فرقة (تسقيكم) بالتاء وهي ضعيفة، يعني الأنعام. وقرئ بالياء أي يسقيكم الله عز وجل، والقراء على القراءتين المتقدمتين، ففتح النون لغة قريش وضمها لغة حمير"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[3]، ثم ذكر قراءة منسوبة إلى فرقة فرقة وهي في الحقيقة قراءة متواترة لأبي جعفر، وحكم عليها بالضعف، وهو بذلك قد ارتكب خطأين الأول: عدم نسبة القراءة إلى صاحبها، والثاني: الحكم على قراءة عشرية متواترة بالضعف وهذا أمر لا يجوز أبداً. ولكن يمكن التماس العذر للإمام القرطبي أنه لا يعتبر تواتر القراءات الثلاث المكملة للعشرة، فربما لم تصله هذه القراءات بطريق متواتر فكانت بالنسبة له غير متواترة.

6. **الحكم على قراءة متواترة أنها بعيدة.**

ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[4].

قال القرطبي:" والمشهور عن حمزة (عَقَدَتْ أيمانُكُم) مخففة القاف، وهي قراءة عاصم والكسائي، وهي قراءة بعيدة؛ لأن المعاقدة لا تكون إلا من اثنين فصاعداً، فبابها فاعل. قال أبو جعفر النحاس[5]: وقراءة حمزة تجوَّز على غموض في العربية؛ يكون التقدير فيها والذين عقدتهم أيمانُكم الحِلف، وتعدَّى إلى مفعولين؛ وتقديره: عقدت لهم أيمانكم الحلف، ثم حذفت اللام مثل قوله تعالى: (وإذا كالوهم)[6] أي كالوا لهم. وحذف المفعول الثاني، كما يقال: كلتك أي كلت لك براً. وحذف المفعول الأول لأنه متصل في الصلة"[7].

1- النحل: (66).

2- القرطبي-الجامع (130/10).

3- انظر: محمد راجح-القراءات العشر (274).

4- النساء: (33).

5- انظر: النحاس-إعراب القرآن (451/1).

6- المطففين: (3).

7- القرطبي-الجامع (173/5).

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة[1] قرأ بها ثلاثة من القراء السبعة وحكم عليها أنها بعيدة في العربية ثم أكد على هذا القول بقول النحاس : أنها قراءة جائزة على غموض في العربية ، فالوصفان متقاربان . والحقيقة أن هذا الوصف والحكم لا يليق بالقراءة المتواترة ، ولكنه حكم أخف جرماً وإثماً من الأوصاف والأحكام التي ذكرت في الأمثلة السابقة.

وقد وصف الإمام القرطبي قراءة أخرى بذلك الوصف وذلك عند قوله تعالى:﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[2].

قال:" وقرأ أبو جعفر بن القعقاع (تُضارْ) بإسكان الراء وتخفيفها. وكذلك (لا يُضارْ كاتب) وهذا بعيد لأن المثلين إذا اجتمعا وهما أصليان يجز حذف أحدهما للتخفيف؛ فإما الإدغام وإما الإظهار. وروي عنه الإسكان والتشديد"[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة[4] لأبي جعفر بن القعقاع ووصفها أنها بعيدة بعيدة وهو وصف لا يليق بالقراءة المتواترة.

7. والإمام القرطبي يذكر قراءتين متواترتين يحكم على إحداهما بالصحة دون الأخرى.

وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾[5].

قال الإمام القرطبي: قرأ هشام عن ابن عامر (أعجميٌ) بهمزة واحدة على الخبر، والمعنى لولا فصلت آياته فكان منهم عربي يفهمه العرب، وأعجمي يفهمه العجم، وقرأ أهل الحجاز وأبو

1- انظر: محمد راجح-القراءات العشر (83).

2- البقرة: (233).

3- القرطبي-الجامع (168/3).

4- انظر: محمد راجح-القراءات العشر (37).

5- فصلت: (44).

عمرو وابن ذكوان وحفص على الاستفهام، إلا أنهم لينوا الهمزة على أصولهم. والقراءة الصحيحة قراءة الاستفهام والله أعلم[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[2]، حكم على القراءة الثانية منهما أنها هي القراءة الصحيحة، وهذا يعني أن القراءة الأخرى عكس ذلك أي غير صحيحة عنده، وهذا أمر خطير فكان الأولى أن يقول والقراءتان صحيحتان والاختيار الثانية مثلاً. أما أن يحكم على إحداهما بالصحة دون الأخرى فهذا خطأ وقع فيه الإمام القرطبي –والله أعلم– غفر الله له وللمسلمين.

هذه هي الأمثلة التي ذكرها الإمام القرطبي في تفسيره وحكم من خلالها على قراءات متواترة أحكاماً غير مقبولة وهي أمثلة معدودة قليلة بالمقارنة بالأمثلة الكثيرة التي ذكر فيها قراءات متواترة، وجهها وأبرز قيمتها ودافع عنها[3]، فهذه الأمثلة القليلة لا تؤثر في تصورنا لموقف القرطبي الحقيقي ورأيه الثابت الأصيل في احترام القراءات وتقديسها والدفاع عنها ما استطاع

ثانياً: الحكم على القراءات الشاذة عند القرطبي.

كان الإمام القرطبي يحكم على القراءات الشاذة أحكاماً مختلفة، فكان أحياناً يحكم عليها ويصفها بأوصاف لا تظهر شذوذها وضعفها بل توحي أنها قراءات مقبولة وذلك مثل قوله: (القراءة حسنة، جائزة، جيدة في المعنى).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[4].

قال: قرأ ابن محيصن وغيره(إنك مائت وإنهم مائتون) وهي قراءة حسنة وبها قرأ بن الزبير[5].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءة شاذة[6] منسوبة لصاحبها، ثم حكم عليها أنها حسنة، وهذا أمر لا بأس به لأنه ذكر القراءة ونسبها لمن قرأ بها فمن له علم بالقراءات يعلم أن القراءة شاذة حيث إنه لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة، فهي قراءة شاذة عن العشرة، لكنها ربما تكون صحيحة السند جاءت بطريق الآحاد حيث إنها قراءة ابن محيصن أحد القراء الأربعة عشر[7]. فلا بأس أن توصف هذه القراءة بأنها حسنة مع بيان شذوذها. ولكن ما يؤخذ على هذا الحكم أو الوصف أن الإمام القرطبي يستخدمه أحياناً في وصف قراءات متواترة فالأولى أن تتميز القراءة المتواترة عن القراءة الشاذة في الوصف والحكم.

1- انظر: القرطبي–الجامع (353/15).

2- انظر: عبد الفتاح القاضي–البدور الزاهرة (353)، محمد راجح–القرءات العشر (481).

3- دافع الإمام القرطبي عن القراءات المتواترة في أمثلة متعددة منها (241/12، 291/12، 213/15 وغيرها).

4- الزمر: (30).

5- انظر: القرطبي–الجامع (242/15).

6- انظر: ابن خالويه–في شواذ القرآن (131).

7- انظر: البنا الدمياطي–إتحاف فضلاء البشر (481).

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

قال: عن النبيﷺ قرأ (قد جاءتكِ آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) وقرأ الأعمش (بلى قد جاءته آياتي) وهذا يدل على التذكير. والقراءة جائزة؛ لأن النفس تقع للمذكر والمؤنث[2].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين شاذتين[3] ووصف القراءة الأولى أنها جائزة جائزة وهو يعني بذلك جوازها في العربية لأنه قال (لأن النفس تقع للمذكر والمؤنث) فهو لم يقصد بتجويزها أنها متواترة. وكان الأولى بالقرطبي أن يوضح حكم القراءة من حيث التواتر والشذوذ لكنه لم يفعل ذلك وكان اهتمامه منصباً على بيان جوازها في العربية فقط.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ﴾[4].

قال القرطبي:" قال القشيري: والقراءة الفاشية (ويعفُ) بالجزم، وفيها إشكال؛ لأن المعنى: إن يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد ويهلكها بذنوب أهلها، فلا يحسن عطف (يعفُ) على هذا لأنه يصير المعنى: إن يشأ يعف، وليس المعنى ذلك بل المعنى الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة، فهو إذاً عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا المعنى. وقد قرأ قوم (ويعفُ) بالرفع وهي جيدة في المعنى"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة وهي قراءة الجزم وبين أن فيها إشكال في حالة عطف العفو على ما قبله لفظاً ومعنى، ويزول هذا الإشكال بالقول أن العطف على المجزوم لفظاً لا معنى. ويزول هذا الإشكال كذلك بقراءة (يعفو) بالرفع لأنه بقراءة الرفع يزول العطف، لذلك حكم القرطبي على هذه القراءة أنها جيدة في المعنى. ولكنه لم يحكم عليها بالشذوذ أو التواتر.

فنلاحظ في الأمثلة الثلاثة السابقة أن اهتمام القرطبي منصب على قبول القراءة من حيث اللغة لا من حيث الرواية، وكان الأولى به أن يهتم وأن يحكم على القراءة من حيث التواتر والشذوذ لا من حيث اللغة فقط.

1- الزمر: (59).

2- القرطبي-الجامع (261/15).

3- انظر: ابن خالويه-في شواذ القرآن (131).

4- الشورى: (34).

5- القرطبي-الجامع (34/16).

وكان الإمام القرطبي يحكم على قراءات شاذة بألفاظ تظهر شذوذها بوضوح مثل قوله (قراءة باطلة– ليست متواترة– لا تصح– في الشواذ) وبألفاظ تظهر شذوذها ولكن أقل وضوحاً وحسماً مثل قوله (قراءة خطأ– بعيدة).

ومن الأمثلة التي تظهر شذوذ القراءة بوضوح ما يلي:

عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال:" ومشهور قراءة ابن عباس (يطوقونه) بفتح الطاء مخففة وتشديد الواو بمعنى يكلفونه.وقد روى مجاهد (يطيقونه) بالياء بعد الطاء على لفظ (يكيلونه) وهي باطلة محال؛ لأن الفعل مأخوذ من الطوق، فالواو لازمة واجبة فيه ولا مدخل للياء في هذا المثال"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين شاذتين[3] ووصف الثانية أنها باطلة محال، فلا تجوز القراءة بها بأي حال من الأحوال.

ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى:﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[4].

قال:" ويروى عن ابن مسعود –ولا يصح– أنه قرأ (تساقط عليك رطباً جنياً برنياً)"[5].

ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءة شاذة، مروية عن ابن مسعود، وحكم عليها بعدم الصحة قبل ذكرها تأكيداً على شذوذها وعدم صحتها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[6].

قال:" (ونادى نوح ابنهُ وكان) فقراءة شاذة وهي مروية عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعروة ابن الزبير. وزعم أبو حاتم أنها تجوز على أنه يريد (ابنها) فحذف الألف كما تقول (ابنه) فتحذف الواو. وقال النحاس[7]: وهذا الذي قاله أبو حاتم لا يجوز على مذهب سيبويه، لأن الألف

1– البقرة: (184).

2– القرطبي–الجامع (289/2).

3– انظر: ابن خالويه–مختصر في شواذ القرآن (12).

4– مريم: (25).

5– القرطبي–الجامع (101/11).

6– هود: (42).

7– انظر: النحاس–إعراب القرآن (284/2).

الألف خفيفة فلا يجوز حذفها، والواو ثقيلة يجوز حذفها"[1] ثم قال القرطبي بعد ثمان صفحات (وقرأ عروة بن الزبير (ونادى نوح ابنها) يريد ابن امرأته، وهي تفسير القراءة المتقدمة عنه، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي حجة للحسن ومجاهد، إلا أنها قراءة شاذة، فلا نترك المتفق عليها لها)[2].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين شاذتين[3]، جاءت القراءة الثانية تفسيراً للأولى ولكن القرطبي حكم عليها بالشذوذ، وتَرَكَ العمل بهما لوجود القراءة المتواترة المتفق عليها.

ومن أمثلة الحكم على القراءة بالشذوذ كذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[4].

أَلِيمٍ ﴾[4].

قال:" وفي الشواذ (ورسولِه) بالخفض على القسم، أي وحق رسوله ورويت عن الحسن"[5].

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[6].

قال:" وقرئ في الشواذ (وهم من كل جَدَثٍ ينسلون) أخذاً من قوله: (فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون)[7]"[8].

ففي هذا المثال ذكر قراءة شاذة[9] وحكم عليها بالشذوذ قبل ذكرها، وهو حكم واضح وصريح بشذوذ القراءة.

1- القرطبي-الجامع (42/9).
2- القرطبي-الجامع (50/9).
3- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (60).
4- التوبة: (3).
5- القرطبي-الجامع (70/8).
6- الأنبياء: (96).
7- يس: (51).
8- القرطبي-الجامع (359/11).
9- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (93).

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

قال:" وقرئ في الشواذ (من أنفَسِهِم)[2] (بفتح الفاء) يعني من أشرفهم، لأنه من بني هاشم، وبنو هاشم أفضل من قريش، وقريش أفضل من العرب، والعرب أفضل من غيرهم"[3].

يلاحظ في هذه الأمثلة الثلاثة السابقة أن القرطبي حكم على القراءات المروية بالشذوذ بصريح العبارة وهذا هو الذي كان من الواجب أن يفعله عند المرور على كل قراءة شاذة في تفسيره ولا يقتصر الحكم على أمثلة معدودة فقط.

وهذا مثال حكم فيه على قراءة شاذة بقوله (ليست متواترة).

وذلك عند قوله تعالى:﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[4].

قال:" بقراءة عبد الله (فكيف تتقون يوماً)، قلت: هذه القراءة ليست متواترة وإنما جاءت على وجه التفسير"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة شاذة حكم عليها أنها ليست متواترة وأنها قراءة تفسيرية ويجدر الإشارة أن الحكم بقوله (ليست متواترة) ربما لم يذكره القرطبي في غير هذا الموضع من تفسيره، فهو لفظ نادراً ما يذكره مع أن تفسيره مليء بالقراءات غير المتواترة، ولكن دون الحكم عليها بهذا اللفظ أو بغيره.

وقد وصف قراءات متعددة أنها قراءات تفسيرية.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[6].

قال:" وفي قراءة أبي بن كعب (إني نذرت للرحمن صوماً صمتاً)، وروي عن أنس وعنه أيضاً (وصمتاً) بواو، واختلاف اللفظين يدل على أن الحرف ذكر تفسيراً لا قرآناً"[7].

1- آل عمران: (164).

2- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (23).

3- القرطبي-الجامع (274/4).

4- المزمل: (17).

5- القرطبي-الجامع (50/19).

6- مريم: (26).

7- القرطبي-الجامع (104/11).

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين شاذتين[1] ثم بين أن اختلافهما يدل على أن القراءة تفسيراً لا قرآناً، وفي هذا حكم واضح على شذوذ القراءة وعدم قرآنيتها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[2].

قال:" وفي قراءة ابن مسعود (والذي جاء بالصدق وصدقوا به) وهي قراءة على التفسير"[3].

ففي هذا المثال ذكر قراءة شاذة[4] وحكم عليها أنها قراءة تفسيرية غير متواترة.

والأمثلة على القراءات التفسيرية متعددة في تفسيره نكتفي بهذين المثالين.

هذه هي الألفاظ التي استخدمها القرطبي في الحكم على القراءات الشاذة وكانت واضحة الدلالة على شذوذ القراءة.

أما الألفاظ التي استخدمها ولم تكن حاسمة أكيدة في بيان شذوذ القراءة فهي مثل قوله (قراءة خطأ،بعيدة).

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[5].

قال القرطبي:" (وعبقري حسان) وقرأه بعضهم (عباقري) وهو خطأ لأن المنسوب لا يجمع على نسبته. وقال قطرب[6]: ليس بمنسوب وهو مثل كرسي وكراسي"[7]. يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة شاذة[8] وحكم عليها أنها خطأ ثم أتى بكلام لقطرب يرد على كلامه هو، وهذا يدل على عدم الجزم بأن القراءة شاذة كما يفهم من كلام القرطبي.

ومثال ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[9].

1- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (84).

2- الزمر: (33).

3- القرطبي-الجامع (245/15).

4- انظر: ابن عطية-المحرر الوجيز (84/14)، ابن كثير-تفسير القرآن العظيم (54/4).

5- الرحمن: (76).

6- قطرب: هو محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة. من الموالي. كان يرى رأي المعتزلة النظامية، وهو أول من وضع (المثلث) في اللغة، تتلمذ على سيبويه، من كتبه (معاني القرآن) و (النوادر) و(الأزمنة) وغيرها، توفي سنة 206هـ. (انظر: الأعلام 95/7، لسان الميزان 428/5).

7- القرطبي-الجامع (186/17).

8- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (150).

9- الأنعام: (63).

قال:" وقرأ الأعمش (وخيفة) من الخوف، وقرأ أبو بكر عن عاصم (خِفية) بكسر الخاء والباقون بضمها، لغتان وزاد الفراء[1] خُفوَة وخِفوة قال ونظيره حُبية وحِبية وحُبوة وحِبوة. وقراءة الأعمش بعيدة؛ لأن المعنى(تضرعاً) أن تظهروا التذلل و(خفية) أن تبطنوا مثل ذلك"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءة شاذة[3] وقراءتين متواترتين[4]، وحكم على القراءة الشاذة أنها بعيدة من حيث المعنى فهذا الحكم لا يدل على شذوذ القراءة بحسم ووضوح كما لو قال (وهي شاذة، أو غير متواترة).

وفي ختام هذا البحث يمكن القول إن الإمام القرطبي لم يكن كما عهدناه في غير هذا الموضوع، حيث الإبداع والإجادة، فلم يكن ذلك موجوداً في هذا الموضوع –الحكم على القراءة– وذلك لسببين:

الأول: هو قلة حكمه على القراءات بنوعيها فهو –كما علمنا– نادراً ما كان يحكم على القراءة على الرغم من كثرة القراءات التي ذكرها في تفسيره سواء المتواترة أو الشاذة رغم الحاجة إلى الحكم عليها.

الثاني: على قلة ما ذكره القرطبي من أحكام على القراءات إلا أنه وقع في خطأ عظيم –نسأل الله أن يغفر له – ألا وهو الحكم على قراءات متواترة بالشذوذ أو اللحن أو الضعف أو الغلط، وهذا الأمر لا يجوز لمسلم كائناً من كان أن يصف القراءة المتواترة بمثل هذه الأوصاف.

فالقرطبي نفسه ذكر في غير موضع أنه لا يجوز أن نقول هذه القراءة أصح من هذه[5]. ولكن مما يخفف من هذا الخطأ ولا يلغيه أن هذه الأحكام والأوصاف التي وصف بها القراءات المتواترة كانت من جهة العربية (بلاغة وفصاحة)، لا من جهة الرواية فقد كان القرطبي يعلم بتواترها من حيث الرواية فقد ذكرها منسوبة إلى القراء السبعة نسبة صحيحة.

ومع ذلك فإن هذا الأمر لا ينقص من قدر الإمام القرطبي أو من تفسيره لكثرة ما أجاد ونفع من خلال ذلك السفر العظيم، ولأن تلك الأخطاء كانت في أمثلة نادرة معدودة. وقد قيل لكل جواد كبوة، وليس أحد من البشر معصوم إلا من عصمه الله عز وجل نسأل الله العظيم أن يجنبنا الزلل وأن يجعلنا خُدَّاماً لكتابه العزيز.

1– انظر: الفراء–معاني القرآن (338/2).

2– القرطبي–الجامع (12/7).

3– انظر: ابن عطية–المحرر الوجيز (268/4)، النحاس–معاني القرآن (72/2).

4– انظر: البنا الدمياطي–إتحاف فضلاء البشر (265).

5– انظر: القرطبي–الجامع (291/12)، سورة النور، آية(45) قال: ولا ينبغي أن يقال: إحدى القراءتين أصح من الأخرى.

المبحث الخامس

منهجه في توجيه القراءات

وفيه مقدمة وثلاث مطالب:

المطلب الأول: توجيه القراءة بالقرآن أو بالأحاديث النبوية.

المطلب الثاني: توجيه القراءة بالشعر أو بالنحو.

المطلب الثالث: توجيه القراءة ببيان معناها أو بيان أصلها في اللغة.

المقدمة:

معنى توجيه القراءات:

توجيه القراءات أو علل القراءات أو حجة القراءات شيء واحد[1]. وهو يعني تعليل اختيار القراءة تعليلاً قرآنياً أو نحوياً أو لغوياً أو حديثاً نبوياً أو شعراً أو غيره[2]. فهو تعليل اختيار لا دليل صحة للقراءة المتواترة. لأن القراءة المتواترة– أولاً– ليست بحاجة لإثبات صحتها حيث أجمعت الأمة على تواترها – وثانياً – لأن القراءة المتواترة هي الأساس التي يرجع إليها، فما ثبت منها دليل على جوازه في العربية وليس العكس.

أما إذا كانت القراءة شاذة فالهدف من توجيهها، بيان أن لها أصلا في اللغة أو في القرآن أو في السنة، فالتوجيه إثراء للقراءة وبيان لأصلها ومعناها.

إذاً فالأصل في توجيه القراءة تعليل اختيار القراءة وبيان وجهها من حيث اللغة وليس إثباتاً لصحتها. فالكتب التي ألفت في ذلك كان اعتماد أصحابها على بيان وشرح وتوضيح القراءات والكشف عن وجوهها أكثر من اعتمادهم على تقديم الأدلة والبراهين لإثبات صحة القراءة[3].

ولكن لما تكلم بعض أهل اللغة في تضعيف بعض القراءات المتواترة أو وصفها باللحن انبرى لهم علماء مخلصون مدافعون عن كتاب الله، موجهين تلك القراءات مدللين على صحتها من حيث اللغة مبينين أنها لم تخرج عما نطقت به العرب، فردوا على الخصوم من جنس ما احتجوا به لذلك عرف أستاذي الدكتور عبد الرحمن الجمل – حفظه الله– توجيه القراءات بقوله :" هو الإتيان بالدليل والبرهان لإثبات صحة القراءة أو تقويتها، لمدافعة الخصم والرد عليه ودحض مزاعمه، وقد يكون الدليل من القرآن، أو الحديث، أو الشعر، أو اللغة، أو النحو، أو النظر. أو هو الاستدلال على صحة القراءات والدفاع عنها

1– انظر: د.فضل عباس –إتقان البرهان (183/2).

2– انظر: ابن زنجلة–حجة القراءات (35).

3– انظر: د.عبد الرحمن الجمل – منهج الطبري في القراءات (144).

بما ورد من أدلة من الشعر أو النحو أو اللغة أو النظر أو غير ذلك لدحض شبهة الخصم"[1].

وبعد هذين التعريفين يمكن القول إن القراءات القرآنية هي الأصل الذي يعتمد عليه ويحتج به في اللغة والنحو وغيره، وأن احتجاج العلماء لها لا يتعارض مع كونها أصلاً يحتج به؛ ولأن الاحتجاج يساعد في شرح وتوضيح القراءات والكشف عن وجوهها، وأنها موافقة لما قالته العرب، فيزداد بذلك المؤمنون إيماناً ويقيناً، وينتفي بذلك الشك والشبهة عن قلوب الشاكين بموافقتها لقواعدهم التي قعدوها[2].

التأليف في هذا العلم :

يعتبر كتاب سيبويه من أوائل الكتب التي امتلأت بالاستشهاد بالقراءات ولها.

- وقد ألف أبو بكر بن السراج [3] كتاب (احتجاج في القراءة).
- وألف أبو بكر بن الحسن بن مقسم العطّار [4] كتاب (احتجاج القراءات).
- ثم جاء أبو علي الفارسي فألف كتابه المشهور (الحجة في علل القراءات السبع) الذي احتج فيه للقراءات السبع التي في كتاب بن مجاهد فقد كان تلميذ بن مجاهد وعليه قرأ.
- ثم جاء أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة[5] فألف كتاب (حجة القراءات) واحتج فيه للقراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد في كتابه (السبعة).
- ثم جاء مكي بن أبي طالب الأندلسي(ت437هـ) وألف كتابه (الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها) الذي ذكر فيه علل وحجج القراءات التي ذكرها في كتابه (التبصرة فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورين).

كانت هذه الكتب تخص القراءات المتواترة غالباً. وكان للقراءات الشاذة نصيب من التوجيه فكان من أشهر الكتب التي صنّفت في توجيه القراءات الشاذة كتاب (المحتسب) لابن جنّى (ت 392 هـ)، وكتاب(مختصر في شواذ القرآن)لابن خالويه(ت370 هـ).

هذه هي أهم وأشهر المؤلفات في هذا العلم.

1- انظر: د. عبد الرحمن الجمل- منهج الطبري في القراءات (144).

2- ابن زنجلة – حجة القراءات (20)، د.عبد الرحمن الجمل – منهج الطبري في القراءات (149).

3- أبو بكر بن السراج هو محمد بن السري، من أئمة النحو المشهورين أخذ عن أبي العباس المبرد ، انتهت إليه الرئاسة في النحو ، من مصنفاته كتاب (الأصول) (ت 310 هـ) (انظر: الأعلام 136/6).

4- أبو بكر بن العطار هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن مقسم ، أبو بكر البغدادي العطار الإمام المقرئ النحوي له تصانيف عدة (ت 354 هـ) (انظر: غاية النهاية123/2).

5- ابن زنجلة: هو عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، العالم بالقراءات ، من مؤلفاته (شرف القراءات في الوقف والابتداء)، و(حجة القراءات) (ت 403 هـ)(انظر: الأعلام 325/3 ومقدمة كتابه حجة القراءات(26)تحقيق الأفغاني).

أما منهج الإمام القرطبي في توجيه القراءات :

فقد اهتم الإمام القرطبي بتوجيه القراءات وتعليلها والاحتجاج لها اهتماما عظيما حيث كان للحديث عنها في تفسيره حظ وافر. ولقد أبدع الإمام القرطبي في احتجاجه للقراءات وتوجيهها مما يدل على تمكنه من علوم متعددة استعان بها في التوجيه مثل النحو والصرف والشعر ولغات العرب. بالإضافة إلى ذلك فقد وجه القراءات بالقرآن الكريم والحديث الشريف وقد استعان بأقوال أئمة اللغة والنحو والقراءات ضمن توجيهه للقراءات.

المطلب الأول

توجيه القراءات بالقرآن أو بالأحاديث النبوية

أولاً: توجيه القراءة بالقرآن الكريم.

فقد كان الإمام القرطبي يحتج للقراءة بالقرآن الكريم وقراءته المتواترة أو الشاذة أو بالمصاحف العثمانية ورسمها ، أو بمصاحف الصحابة ، أو بسياق الآيات ونسقها. وأمثلة ذلك كثيرة نذكر شذرات منها:

1. **توجيه القراءة بآيات من القرآن:** فعند تفسير قوله تعالى:﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]. قال القرطبي: وقرأ حمزة والكسائي (إنّ) أي قالت إن الله ، فالنداء بمعنى القول. (يبشرك) بالتشديد قراءة أهل المدينة. وقرأ حمزة (يبْشُرك) مخففا. دليل الأولى وهي قراءة الجماعة أن ما في القرآن من هذا من فعل ماض أو أمر فهو بالتثقيل؛كقوله تعالى(فبشر عباد)[2]،(فبشره بمغفرة)[3]،(فبشرناه بإسحق)[4] ،(وقالوا بشرناك بالحق)[5]، وأما الثانية فهي قراءة عبد الله بن مسعود من بشر يبشر وهي لغة تهامة[6].

يلاحظ في هذا المثال أنه وجّه قراءة الجماعة[7] بأربع آيات من القرآن.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [1].

1- آل عمران: (39).

2- الزمر: (17).

3- يس: (11).

4- هود: (71).

5- الحجر: (55).

6- انظر: القرطبي- الجامع (80/4).

7- انظر: ابن خلف الأنصاري – الإقناع (387).

قال: وقرأ الكوفيون (عباد) بالجمع. واختاره أبو عبيد؛ لأن الإسناد فيه أعلى، ولأن الله إنما كذّبهم في قولهم إنهم بنات الله ، فأخبرهم أنهم عبيد وأنهم ليسوا ببناته، وتصديق هذه القراءة قوله تعلى: (بل عباد مكرمون)[2]، وقوله تعالى: (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء)[3]، وقوله تعالى: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم)[4]. وقرأ الباقون (عند الرحمن) بنون ساكنة واختاره أبوحاتم. وتصديق هذه القراءة قوله تعالى: (إن الذين عند ربك)[5]، وقوله تعالى: (وله من في السموات والأرض ومن عنده)[6]"[7]. يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[8] ووجه كل قراءة بعدد من الآيات تأكيداً لكل قراءة.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[9]. قال: (ليذّكّروا) قراءة يحيى والأعمش وحمزة والكسائي (ليذْكُروا) مخففاً ، وكذلك في الفرقان (ولقد صرفناه بينهم ليذكروا)[10]. الباقون بالتشديد. واختاره أبو عبيد؛ لأن معناه ليتذكروا وليتعظوا. قال المهدوي: من شدد (ليذكروا) أراد التدبر وكذلك من قرأ (ليذْكُروا) ونظير الأول (ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون)[11] والثاني: (واذكروا ما فيه)[12].[13] يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءتين متواترتين[14]، وذكر أن معناهما واحد ووجه كل قراءة بآية من القرآن الكريم.

2. **توجيه القراءة بالسياق ونسق الكلام ومراعاة الفاصلة:** ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ

1- الزخرف (19).
2- الأنبياء: (26).
3- الكهف: (102).
4- الأعراف: (194).
5- الأعراف: (106).
6- الأنبياء: (19).
7- انظر: القرطبي- الجامع (70/16).
8- انظر: البنا- إتحاف فضلاء البشر (494).
9- الإسراء: (41).
10- الفرقان: (50).
11- القصص: (51).
12- البقرة: (62).
13- انظر: القرطبي- الجامع (270/10).
14- انظر: البنا- إتحاف فضلاء البشر (358).

لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1]. قال:قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب(يفصّل)بالياء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله من قبله:(ما خلق الله ذلك إلا بالحق) وبعده (وما خلق الله في السماوات والأرض) فيكون متبعا له. الباقون (نفصّل) بالنون على التعظيم[2].

ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءتين متواترتين[3] وجه الأولى بالسياق حيث إنها –أي القراءة– متسقة بما قبلها وما بعدها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [4].

قال:" (وأحل لكم ما وراء ذلكم) قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص (وأُحل لكم)[5]رداً على (حرمت عليكم). الباقون بالفتح ردا على قوله تعالى:(كتاب الله عليكم)"[6].

ومثاله عند قوله تعالى:﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [7].

قال:"وقرأ الكوفيون(من يصرف)بفتح الياء وكسر الراء وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد ؛ لقوله: (قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله)[8] ولقوله: (فقد رحمه) ولم يقل رحم على المجهول، ولقراءة أبيّ (من يصرفه الله عنه) "[9].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي وجه قراءة أهل الكوفة[10] بالسياق حيث ذكر أن آية سابقة للآية المرادة تتناسق معها بالإضافة إلى أن نهاية الآية يتناسب كذلك مع تلك القراءة، ثم ذكر قراءة شاذة[11] لأبيّ بن كعب تؤكد على تلك القراءة وعلى ذلك التناسق.

1- يونس: (5).

2- انظر: القرطبي–الجامع(289/8).

3- انظر: ابن الجزري– النشر (212/2).

4- النساء: (24).

5- انظر: ابن الجزري– النشر (187/2).

6- القرطبي–الجامع(130/5).

7- الأنعام: (16).

8- الأنعام: (12).

9- القرطبي–الجامع(372/6).

10- انظر: ابن خلف الأنصاري– الإقناع (396).

11- انظر ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن (36).

ومن أمثلة توجيه القراءة بنسق الكلام ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

قال:" وقرأ الأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف (ويَرى) بالياء على أنه فعل ثلاثي من رأى. (فرعون وهامان وجنودهما) رفعاً لأنه فاعل. الباقون (نُري) بضم النون وكسر الراء على أنه فعل رباعي من أرى يُري ، وهو على نسق الكلام؛ لأن قبله (ونريد) وبعده (نمكن) .(فرعون وهامان وجنودهما) نصباً لوقوع الفعل"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[3] وجههما بالصرف، ثم بين أن القراءة الثانية على نسق الكلام بما قبلها وبما بعدها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4].

قال:" (فيضاعفه له) قرأ عاصم وغيره (فيضاعفه) بالألف ونصب الفاء. وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد في العين مع سقوط الألف ونصب الفاء. فمن رفعه نسقه على قوله: (يقرض) وقيل: على تقدير هو يضاعفه. ومن نصب فجوابا للاستفهام بالفاء. وقيل: بإضمار (أن)والتشديد والتخفيف لغتان. دليل التشديد(أضعافاً كثيرة)لأن التشديد للتكثير"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[6] ووجههما بالسياق ونسق الكلام حيث ذكر أن قراءة (يضاعفه) على نسق (يقرض)، وأن قراءة التشديد على نسق (أضعافاً كثيرة) من حيث المعنى.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [7].[7]

قال :" (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم) قرأ العامة (واتبعتهم) بوصل الألف وتشديد التاء وفتح العين وإسكان التاء. وقرأ أبو عمرو (أتبعناهم) بقطع الألف وإسكان التاء والعين والنون، اعتباراً بقوله : (ألحقناهم)؛ ليكون الكلام علي نسق واحد "[1].

1- القصص: (6).

2- القرطبي – الجامع (259/13).

3- انظر: ابن خلف الأنصاري – الإقناع (439).

4- البقرة: (245).

5- القرطبي – الجامع (239/3).

6- انظر: ابن خلف الأنصاري – الإقناع (381).

7- الطور: (21).

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قرائتين متواترتين[2]، وجه القراءة الثانية منها باعتبار نسق الكلام واتساقه.

ومن الأمثلة علي توجيه القراءة بمراعاة الفاصلة ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[3].

قال : " (والذي يميتني ثم يحيين) يريد البعث وكانوا ينسبون الموت إلي الأسباب. فبين أن الله هو الذي يميت ويحيي. وكله بغير ياء : (يهدين)(يشفين) لأن الحذف في رؤوس الآي حسن لتتفق كلها. وقرأ ابن أبي إسحاق[4] علي جلالته ومحله من العربية هذه كلها بالياء، لأن الياء اسم وإنما دخلت النون لعلة"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة شاذة مخالفة لقراءة الجماعة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[6].

قال:"وقرأ الحسن(فيموتون)[7]بالنون،ولا يكون للنفي حينئذ جواب،ويكون (فيموتون) عطفاً على(يقضى) تقديره لا يقضى عليهم ولا يموتون؛ كقوله تعالى:(ولا يؤذن لهم فيعتذرون)[8]. قال الكسائي:(ولا يؤذن لهم فيعتذرون)بالنون في المصحف لأنه رأس آية (ولا يقضى عليهم فيموتوا)لأنه ليس رأس آية. ويجوز في كل منهما ما جاء في صاحبه"[9].

3. **توجيه القراءة بقراءة متواترة أو بما أجمع عليه القراء:** ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[10].

قال: " وقرأ ابن محيصن وابن كثير ومجاهد (يوحى) بفتح الحاء علي ما لم يسم فاعله؛ وروي عن ابن عمر. فيكون الجار والمجرور في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل، ويجوز أن يكون اسم ما لم يسم فاعله مضمرا، أي يوحى إليك القرآن الذي تضمنته هذه السورة،ويكون اسم الله مرفوعاً بإضمار فعل،التقدير :يوحيه الله إليك؛ كقراءة ابن عامر

1- القرطبي-الجامع (68/17).

2- انظر : ابن خلف الأنصاري-الاقناع (464).

3- الشعراء : (81).

4- القراءة شاذة .(انظر: إعراب القرآن 184/3).

5- القرطبي- الجامع (118/13).

6- فاطر: (36).

7- القراءة شاذة. انظر :ابن جني . المحتسب (201/2).

8- المرسلات : (36).

9- القرطبي . الجامع (339/14).

10- الشورى : (3).

وأبي بكر (يسبَّح له فيها بالغدو والآصال رجال)[1] أي يسبحه رجال"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي وجه قراءة متواترة لابن كثير[3] بقراءة متواترة[4] من من سورة النور والقراءة لابن عامر وأبو بكر شعبة.

ومن أمثلة توجيه القراءة بما اجمع عليه القراء. ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾[5].

قال : وقرئ (مسجد الله) علي التوحيد؛ أي المسجد الحرام وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وابن محيصن، والباقون (مساجد) على التعميم. وهو اختيار أبي عبيد؛ لأنه أعم والخاص يدخل تحت العام. وقد يحتمل أن يراد بقراءة الجمع المسجد الحرام خاصة. وهذا جائز فيما كان من أسماء الجنس، كما يقال: فلا يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرساً. والقراءة (مساجد) أصوب، لأنه يحتمل المعنيين. وقد أجمعوا على قراءة قوله: (إنما يعمر مساجد الله)[6] على الجمع[7]. يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[8]، حكم على الثانية منهما أنها أصوب لأن معناها يحتمل القراءتين، ولأنها توافق ما أجمع عليه القراء في الآية التالية لها.

4. **توجيه القراءة بموافقتها لخط المصحف العثماني أو مصاحف البلدان:** ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[9].

قال: و(مصراً) بالتنوين منكراً قراءة الجمهور، وهو خط المصحف قرأ الحسن وغيره

1- النور : (36).

2- القرطبي- الجامع(7/16).

3- انظر: محمد راجح – القراءات العشر (483).

4- انظر : محمد راجح – القراءات العشر (353).

5- التوبة : (17).

6- التوبة: (18).

7- انظر: القرطبي – الجامع (86/8).

8- انظر ابن خلف الأنصاري – الإقناع (406).

9- البقرة: (61).

(مصر)[1] بترك الصرف. وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب وقراءة ابن مسعود قالوا: هي مصر فرعون[2]. ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [3].

قال: " وأثبت نافع وأبو عمرو ويعقوب ياء (اتبعن)[4]على الأصل، وحذف الآخرون اتباعاً للمصحف إذا وقعت فيه بغير ياء"[5].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍۖ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[6].

قال: "قرأ الجمهور (يوجِّهه) وهو خط المصحف، أي أينما يرسله صاحبه لا يأت بخير؛ لأنه لا يعرف و لا يفهم ما يقال له و لا يفهم عنه. وقرأ يحيى بن وثاب (أينما يوجَّه)[7] على الفعل المجهول. وروي عن ابن مسعود أيضاً(تَوَجه)[8]على الخطاب"[9].

يلاحظ من الأمثلة السابقة أن القرطبي وجه القراءات المتواترة بموافقتها خط المصحف العثماني ووجه قراءة شاذة بما في مصحف أبي وابن مسعود.

وقد كان يوجه القراءة أحياناً بما في مصاحف البلدان كمكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة. ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[10].

قال: " (وسارعوا) قرأ نافع وابن عامر (سارعوا)[11] بغير واو؛ وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام. وقرأ باقي السبعة (وسارعوا) بالواو وقال أبو علي: كلا الأمرين

1- انظر: ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن (6).

2- انظر: القرطبي – الجامع (433/1).

3- آل عمران: (20).

4- انظر: البنا- إتحاف فضلاء البشر(221).

5- القرطبي – الجامع(49/4).

6- النحل(76).

7- انظر ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن(73).

8- المرجع نفسه (73).

9- القرطبي-الجامع(157/10).

10- آل عمران:(133).

11- انظر: ابن الجزري- النشر (182/2).

شائع مستقيم، فمن قرأ بالواو فلأنه عطف الجملة على الجملة ومن ترك الواو فلأن الجملة الثانية ملتبسة بالأولى مستغنية بذلك عن العطف بالواو"[1].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[2].

قال:" وقرأ ابن عامر (بالزبر وبالكتاب المنير)[3] بزيادة باء في الكلمتين. وكذلك هو في مصاحف أهل الشام"[4].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[5].

قال:"(وقال موسى) قراءة العامة[6] بالواو. وقرأ مجاهد وابن كثير وابن محيصن: قال بلا واو؛ وكذلك هو في مصحف أهل مكة"[7].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[8].

قال القرطبي:"(حسناً) قراءة العامة (حُسْناً) وكذلك هي في مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام. وقرأ ابن عباس والكوفيون (إحْسَاناً) وكذا هو في مصاحف الكوفة. وحجة القراءة الأولى قوله تعالى في سورة العنكبوت: (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً)[9] ولم يختلفوا فيها. والحسن خلاف خلاف القبح . والإحسان خلاف الإساءة "[10].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين ووجههما بمصاحف البلدان ثم وجه القراءة الأولى واحتج لها بالقرآن بما أجمع عليه القراء في سورة العنكبوت.

1- القرطبي- الجامع (214/4).

2- آل عمران: (184).

3- انظر: ابن الجزري – النشر (184/2) قال:(في مصاحف أهل الشام(بالبينات وبالزبر وبالكتاب) كلهن بالباء).

4- القرطبي – الجامع (305/4).

5- القصص: (37).

6- انظر: ابن الجزري – النشر (256/2). قال: (قرأ ابن كثير بغير واو وكذلك هي في مصاحف أهل مكة).

7- القرطبي – الجامع (298/13) .

8- الأحقاف: (15).

9- العنكبوت: (8).

10- القرطبي –الجامع (187/16).

هكذا كان يوجه الإمام القرطبي ويحتج للقراءات المتواترة بما في المصحف العثماني وبما في مصاحف البلدان التي بعثها عثمان رضي الله عنه.

5. **توجيه بعض القراءات بما في مصاحف الصحابة و بما روي عنهم من قراءات:** وغالباً ما يكون ذلك في القراءات الشاذة، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال:" وفي مصحف أبي (ولا تدلوا) بتكرار حرف النهي، وهذه القراءة تؤيد جزم (تدلوا) في قراءة الجماعة. وقيل: (تدلوا) في موضع نصب على الظرف، والذي ينصب في مثل هذا عند سيبويه (أن) مضمرة"[2].

ففي هذا المثال احتج القرطبي لقراءة الجماعة بما في مصحف أبي وهي قراءة شاذة[3].

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[4].

قال: " وقرأ الضحاك[5](إخوان الشيطان) على الانفراد، وكذلك ثبت في مصحف أنس بن مالك رضي الله عنه"[6].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة شاذة[7] واحتج لها أنها في مصحف أنس.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[8].

قال:" قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالنصب عطفاً على (أن يؤتيه)... وقرأ الباقون بالرفع على الاستئناف والقطع من كلام الأول، وفيه ضمير اسم الله عز وجل، أي ولا يأمركم الله أن تتخذوا. ويقوي هذه القراءة أن في مصحف عبد الله (ولن يأمركم) فهذا يدل على الاستئناف والضمير أيضاً لله عز وجل"[9].

1- البقرة: (188).

2- القرطبي – الجامع (338/2).

3- انظر: ابن عطية- المحرر الوجيز(123/2).

4- الإسراء: (27).

5- الضحاك: هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الخرساني، أحد أئمة التفسير، توفي سنة (105هـ). (انظر:طبقات المفسرين222/1).

6- القرطبي – الجامع (253/10).

7- انظر: ابن عطية – المحرر الوجيز(282/10)، أبو حيان – البحر المحيط(30/6).

8- آل عمران: (80).

9- القرطبي – الجامع (131/4).

ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءتين متواترتين[1]، واحتج للقراءة الثانية بما في مصحف عبد الله وهي قراءة شاذة.

ومن أمثلة توجيه القراءات بقراءات للصحابة رضي الله عنهم.

ما ذكره الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

قال: "(إنها إذا جاءت لا يؤمنون) بكسر (إن)، وهي قراءة مجاهد وأبي عمرو وابن كثير. ويشهد لهذا قراءة ابن مسعود (وما يشعركم إذا جاءت لا يؤمنون)"[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة[4] واحتج لها بقراءة عبد الله بن مسعود وهي قراءة شاذة[5].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[6].

قال القرطبي:" وقراءة أبي عمرو (آلسِّحر) على الاستفهام على إضمار مبتدأ والتقدير أهو السحر. ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر محذوف، التقدير: السحر جئتم به. ولا تكون (ما) على قراءة من استفهم بمعنى الذي، إذ لا خبر لها. وقرأ الباقون (السِّحْرُ) على الخبر ،ودليل هذه القراءة قراءة ابن مسعود: (ما جئتم به سحر). وقراءة أبي: (ما أتيتم به سحر)، ف(ما) بمعنى الذي، و (جئتم به) الصلة، وموضع (ما) رفع بالابتداء، والسحر خبر الابتداء"[7].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[8]، ثم وجه القراءة الثانية منهما واحتج لها بقراءتين شاذتين[9] للصحابيين عبد الله بن مسعود وأبي.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا

1- انظر: محمد راجح –القراءات العشر (60).

2- الأنعام: (109).

3- القرطبي – الجامع (65/7).

4- انظر: محمد راجح – القراءات العشر (141).

5- انظر: ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن(40).

6- يونس: (81).

7- القرطبي – الجامع (338/8).

8- انظر: أبو عمرو الداني – التيسير (100).

9- انظر: ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن (58).

دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾[1].

قال:" (ليسؤوا وجوهكم) أي بالسبي والقتل فيظهر أثر الحزن في وجوهكم؛ ف(ليسؤوا) متعلق بمحذوف؛ أي بعثنا عباداً ليفعلوا بكم ما يسوء وجوهكم. قيل: المراد بالوجوه السادة؛ أي ليذلوهم. وقرأ الكسائي (لنسوء) بنون وفتح الهمزة، فعل مخبر عن نفسه معظم، اعتباراً بقوله (وقضينا) و (بعثنا) و (رددنا). ونحوه عن علي. وتصديقها قراءة أبيّ (لنسوءنْ) بالنون وحرف التوكيد. وقرأ أبو بكر والأعمش وابن وثاب وحمزة وابن عامر (ليسوء) بالياء على التوحيد وفتح الهمزة؛ ولها وجهان: ليسوء الله وجوهكم، والثاني: ليسوء الوعد وجوهكم. وقرأ الباقون (ليسوءوا) بالياء وضم الهمزة على جمع؛ أي ليسوء العباد الذين هم أولوا بأس شديد وجوهكم"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءات متواترة[3] لكلمة (ليسؤوا) وجَّه القراءة الأولى وهي قراءة الكسائي أولاً بالسياق حيث إنها تتسق مع قوله من قبل (قضينا، بعثنا، رددنا)، وثانياً وجهها بقراءة الصحابي الجليل أبي بن كعب وهي شاذة[4].

6. توجيه القراءة بقول الصحابي وتفسيره أحياناً:

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[5].

قال:(فمستقر) قرأ أبو عمرو بكسر القاف، والباقون بفتحها. وهي في موضع رفع بالابتداء، إلا أن التقدير في من كسر القاف فمنها (مستقِر) والفتح بمعنى لها (مستقَر). قال عبد الله بن مسعود: فلها مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي تموت فيها؛ وهذا التفسير يدل على الفتح. وقال الحسن: فمستقر في القبر. وأكثر أهل التفسير يقولون: المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب[6].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[7]، ثم ذكر تفسير للآية قاله ابن مسعود ثم علق عليه القرطبي بقوله (وهذا التفسير يدل على الفتح) فهو بذلك يحتج لقراءة الفتح لما قاله الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود.

1- الإسراء: (7).

2- القرطبي – الجامع (228/10).

3- انظر: أبو عمرو الداني – التيسير (113).

4- انظر: ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن(75).

5- الأنعام: (98).

6- انظر: القرطبي – الجامع (49/7).

7- انظر: أبو عمرو الداني – التيسير (87).

7. توجيه القراءة أحياناً بسبب نزول الآية:

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

قال القرطبي في سبب نزول هذه الآية:" روى الأئمة واللفظ لأبي داود عن زيد بن ثابت قال: كنت إلى جنب رسول اللهﷺ فغشيته السكينة فوقعت فخذ رسول اللهﷺ على فخذي، فما وجدت ثقل شيءٍ أثقل من فخذ رسول اللهﷺ ثم سرّي عنه فقال: (اكتب) فكتب في كتف (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) إلى آخر الآية؛ فقام ابن أم مكتوم – وكان رجلاً أعمى – لما سمع فضيلة المجاهدين فقال: يا رسول الله، فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ فلما قضى كلامه غشيت رسول اللهﷺ السكينة فوقعت فخذه على فخذي، ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى، ثم سُرّي عن رسول اللهﷺ فقال: اقرأ يا زيد، فقرأت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) فقال رسول اللهﷺ (غير أولي الضرر) الآية كلها. قال زيد: فأنزلها الله وحدها فألحقتها؛ والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في كتف"[2]. ثم ذكر الإمام القرطبي القراءات في هذه الآية فقال: (غير أولي الضرر) قراءة أهل الكوفة وأبو عمرو (غيرُ) بالرفع؛ قال الأخفش: هو نعت للقاعدين؛ لأنهم لم يقصد بهم قوم بأعيانهم فصاروا كالنكرة فجاز وصفهم بغير؛ والمعنى لا يستوي القاعدون غير أولي الضرر؛ أي لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر. والمعنى لا يستوي القاعدون الأصحاء... وقرأ أهل الحرمين (غيرَ) بالنصب على الاستثناء من القاعدين أو من المؤمنين؛ أي إلا أولي الضرر فإنهم يستوون مع المجاهدين. وإن شئت على الحال من القاعدين؛ أي لا يستوي القاعدون من الأصحاء أي في حال صحتهم؛ وجازت الحال منهم؛ لأن لفظهم لفظ المعرفة. وهو كما تقول (جاءني زيد غير مريض) وما ذكرناه من سبب النزول يدل على معنى النصب والله أعلم"[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر سبب نزول الآية وبين ما فيها من قراءات

1- النساء: (95).

2- القرطبي-الجامع (342/5)، انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (لا يستوي القاعدون...)(415/2، ح4592)، سنن أبو داوود، كتاب الجهاد، باب في الرخصة في القعود من العذر (11/3)، السيوطي-لباب المنقول في أسباب النزول (137).

3- القرطبي- الجامع : (334/5).

متواترة[1] ثم احتج لقراءة النصب بسبب النزول حيث قال إن سبب النزول يدل على معنى النصب ويكون بذلك قد وجه القراءة واحتج لها بسبب نزول الآية.

هكذا كان الإمام القرطبي يوجه القراءات بالقرآن الكريم وما يتعلق به من علوم، فوجّه القراءات بما أجمع عليه القراء أحياناً وبقراءات متواترة أو شاذة أحياناً، ووجهها بما في المصحف أو مصاحف البلدان التي وزعها عثمان – رضي الله عنه – أو مصاحف الصحابة أو بتفسيرهم أو بسياق الآيات ونسقها أو بسبب نزول الآية، وقد أبدع في ذلك وأجاد.

ثانيا: توجيه القراءة بأحاديث نبوية شريفة.

وقد وجه الإمام القرطبي قراءات قرآنية واحتج لها بأحاديث نبوية شريفة وكان أحياناً يحتج لمعنى القراءة حيث إن القراءة أحياناً يكون لها أكثر من معنى فيحتج لأحد تلك المعاني بحديث للرسول ﷺ.

ومن الأمثلة على الاحتجاج للقراءات بأحاديث نبوية.

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[2].

قال:وقرأ يعقوب في رواية رويس عنه (وجاعل الليل ساكناً). وأهل المدينة (وجاعل الليل سكناً) أي محلاً للسكون. وفي الموطأ أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول (اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين وأغنني من الفقر وأمتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك)[3].[4]

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة شاذة[5] وهي (جاعل الليل ساكناً)، وقراءة متواترة[6] (وجاعل الليل سكناً)، ثم وجه القراءة المتواترة واحتج لها بحديث للرسولﷺحيث قوله (وجاعل الليل سكناً) موافق لتلك القراءة تماماً.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ

1- انظر: أبو عمرو الداني – التيسير (81).

2- الأنعام: (96).

3- انظر: موطأ مالك، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء (164/2، ح543) والحديث ضعيف.

4- انظر: القرطبي – الجامع (47/7).

5- انظر: أبو حيان – البحر المحيط (186/4).

6- انظر: عبد الفتاح القاضي – البدور الزاهرة (132).

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

قال: (أن تقولوا) (أو تقولوا) قرأ أبو عمرو بالياء فيهما. ردها على لفظ الغيبة المتكرر قبله، وهو قوله:(من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم) و قوله: (قالوا بلى) أيضاً لفظ غيبة. وكذا (وكنا ذرية من بعدهم) (ولعلهم) فحمله على ما قبله وما بعده من لفظ الغيبة. وقرأ الباقون بالتاء فيهما، ردوه على لفظ الخطاب المتقدم في قوله: (ألست بربكم قالوا بلى). ويكون (شهدنا) من قول الملائكة. لما قالوا (بلى). قالت الملائكة: (شهدنا أن تقولوا) (أو تقولوا) أي لئلا تقولوا. وقد روى مجاهد عن ابن عمر أن النبيﷺ قال: (أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا)[2] أي شهدنا عليكم بالإقرار بالربوبية لئلا تقولوا. فهذا يدل على التاء[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[4] ووجههما بالسياق أولاً ثم احتج للقراءة الثانية بحديث شريف يدل على هذه القراءة وعلى تفسيرها بكل وضوح.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[5].

قال:" (له معقبات) أي لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار. وقرأ بعضهم (له معاقيب من بين يديه ومن خلفه). ومعاقيب جمع مُعقب؛ وفي الحديث: (معقبات لا يخيب قائلهن – أو – فاعلهن، فذكر التسبيح والتحميد والتكبير)[6] "[7].

ففي هذا المثال ذكر القرطبي قراءتين الأولى قراءة القراء العشرة والثانية شاذة[8] ثم احتج للقراءة المتواترة بحديثٍ شريفٍ صحيح.

1- الأعراف: (173).

2- انظر: الطبري – جامع البيان (77/8).

3- انظر: القرطبي – الجامع (303/7).

4- انظر: ابن خلف – الإقناع (403).

5- الرعد: (11).

6- انظر: صحيح مسلم. كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (287،ح596).

7- القرطبي – الجامع : (299/9).

8- انظر: ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن (66).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾[1].

قال: (هي أشد وطئاً) قرأ أبو العالية وأبو عمرو وابن عامر (وِطاء) بكسر الواو وفتح الطاء والمد، واختارها أبو عبيد. الباقون(وطئاً) بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة، واختاره أبو حاتم؛ من قولك: اشتدت على القوم وطأت سلطانهم. أي ثقل عليهم ما حمّلهم من المُؤن، ومنه قول النبيﷺ: (اللهم اشدد وطأتك على مُضر)[2]. فالمعنى: أنها أثقل على المصلي من ساعات النهار. ومن مدَّ فهو مصدر واطأت وطاء ومواطأة أي وافقته فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[4] ووجه القراءة الثانية واحتج لها بحديث النبيﷺ الموافق لها لفظاً ومعنىً.

ومن الأمثلة على الاحتجاج لمعنى القراءة بأحاديث نبوية ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾[5].

قال: قراءة العامة بالحاء غير المعجمة أي تصرفاً في حوائجك، وإقبالاً وإدباراً وذهاباً ومجيئاً. وقرأ يحيى بن يعمر[6] وأبو وائل (سبخاً) بالخاء المعجمة. معناه الخفة والسعة والاستراحة؛ ومنه قول النبيﷺ لعائشة وقد دعت على سارق ردائها: (لا تسبخي عنه بدعائك عليه)[7] أي لا تخففي عنه إثمه.والسبخ أيضاً السكون؛ومنه قول النبيﷺ:(الحمى من فيح جهنم، فسبخوها بالماء)[8] أي سكنوها[9].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة قرأ بها العشرة وقراءة شاذة[10] وذكر لها معاني عدة، احتج للمعنى الأول بحديث وكذلك للمعنى الثاني بحديث نبوي ليؤكد على هذين المعنيين، فالاحتجاج بالحديثين كان تأكيداً لمعنى القراءة الذي ذكره القرطبي وليس للقراءة نفسها.

1- المزمل: (6).

2- انظر: صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء ، باب دعاء النبي (اجعلها عليهم سنين كسني يوسف (222/1،ح1005).

3- انظر: القرطبي – الجامع (41/19).

4- انظر: ابن خلف الأنصاري – الإقناع (477).

5- المزمل: (7).

6- يحيى بن يعمر: أبو سليمان ويقال أبو عدي العدواني البصري الفقيه قاضي مرو، روى عن أبي ذر وعمار وابن عباس، عباس، وروى عنه قتادة وعطاء ، توفي قبل سنة 100هـ أو بعدها (انظر: تذكرة الحفاظ 60/1).

7- انظر: سنن أبو داود ، كتاب الصلاة (647/2 ح 1496) والحديث ضعيف ذكره الألباني في ضعيف الجامع (6233).

8- انظر: صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الحمى من فيح جهنم (82/3،ح5723 ،5726).

9- انظر: القرطبي – الجامع (43/19).

10- انظر: ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن (164).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[1].

قال: قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لتركَبَنَّ) بفتح الباء خطاباً للنبيﷺ أي لتركبن يا محمد حالاً بعد حال، وقرأ الباقون (لتركَبُنَّ) بضم الباء خطاباً للناس واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قال: لأن المعنى بالناس أشبه منه بالنبيﷺ لما ذكر قبل هذه الآية فمن أوتي كتابه بيمينه ومن أوتي كتابه بشماله. أي لتركبن حالاً بعد حال من شدائد القيامة، أو لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب واختلاق على الأنبياء. قلت: – أي القرطبي – وكله مراد، وقد جاءت بذلك أحاديث فروى أبو نعيم الحافظ عن جابر – رضي الله عنه–، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[2]: (إن ابن آدم لفي غفلة عما خلقه الله عز وجل؛ إن الله لا إله غيره إذا أراد خَلْقه قال للملك اكتب رزقه وأثره وأجله ، واكتب شقياً أو سعيداً، ثم يرفع ذلك الملك، ويبعث الله ملكاً آخر فيحفظه حتى يدرك، ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته، فإذا جاء الموت ارتفع ذانك الملكان، ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه، فإذا أدخل حفرته رد الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه، ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات، فأنشطا كتاباً معقوداً في عنقه، ثم حضرا معه، واحد سائق و الآخر شهيد، ثم قال الله عز وجل(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)[3] قال رسول الله ﷺ ((لتركبن طبقاً عن طبق) (حالاً بعد حال) ثم قال النبي ﷺ (إن قدامكم أمر عظيم فاستعينوا بالله العظيم) فقد اشتمل هذا الحديث على أحوال تعتري الإنسان، من حين يخلق إلى حين يبعث، وكله شدة بعد شدة، حياة ثم موت، ثم بعث ثم جزاء، وفي كل حال من هذه شدائد. وقالﷺ (لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)[4] خرجه البخاري[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[6] ووجههما من حيث المعنى وذكر للثانية معنيان واحتج لكل معنى منهما بحديث للنبيﷺ ليؤكد على هذين المعنيين.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ [1].

1– الانشقاق: (19).

2– ذكر هذا الحديث ابن كثير في تفسيره وقال" هذا حديث منكر وإسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح".(491/4)، والحديث والحديث ضعيف. (انظر: عادل العزازي–هداية المستنير لتخريج أحاديث تفسير ابن كثير 581).

3– ق: (22).

4– انظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل (167/2،ح3456)، كتاب الاعتصام ، باب قول النبي لتتبعن سنن من كان قبلكم (432/3،ح7320).

5– انظر: القرطبي – الجامع (267/19).

6– انظر: ابن خلف الأنصاري – الإقناع (482).

قال: وقراءة العامة (أسفر) بالألف. وقرأ ابن السميقع: (سَفَرَ). وهما لغتان. يقال: سَفَرَ وجه فلان وأسفر: إذا أضاء. وفي الحديث: (أسفروا بالفجر، فإنه أعظم للأجر)[2].أي صلوا صلاة الصبح مسفرين ويقال:طوِّلوها إلى الأسفار والإسفار: الإنارة[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين الأولى شاذة والثانية متواترة قرأ بها القراء العشرة. وذكر أنهما لغتان معناهما الإضاءة والإنارة ثم احتج لهذا المعنى بحديث للنبي ﷺ ليؤكد على المعنى وعلى القراءة كذلك.

هكذا سخر الإمام القرطبي كلام الرسولﷺ خدمة للقراءات القرآنية توجيهاً واحتجاجاً لها وللمعاني المتعددة المتنوعة لتلك القراءات سواء كانت متواترة أو شاذة بذلك الأسلوب الجميل.

المطلب الثاني

توجيه القراءات بالشعر والنحو

أولاً: توجيه القراءات بالشعر.

كان الإمام القرطبي يعتمد في توجيه القراءات والاحتجاج لها على الشعر حيث إنه ديوان العرب، وكان أحياناً يعتمد على الشعر في توجيه معنى القراءة إذا كان لها أكثر من معنى، فيحتج لأحد هذه المعاني بالشعر ليؤكد ذلك المعنى ويقويه.

وقد أكثر القرطبي من توجيه القراءات بالشعر.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[4].

قال: (الجذوة) بكسر الجيم قراءة العامة، وضمها حمزة ويحيى، وفتحها عاصم والسلمي و زر بن حبيش، قال الجوهري[5]: الجِذوة والجُذوة والجَذوة الجمرة الملتهبة والجمع جِذاً و جُذاً و جَذاً. قال أبو عبيدة[6]: والجِذوة مثل الجذمة و هي القطعة الغليظة من الخشب كان في طرفها نار أو لم يكن. قال ابن مقبل:

1- المدثر: (34).

2- انظر: سنن الترمذي، كتاب الصلاة ، باب 3، وفي المواقيت باب رقم 3 قال: حديث حسن صحيح.

3- انظر: القرطبي-الجامع (82/19).

4- القصص: (29).

5- انظر: الجوهري – الصحاح (2300/6).

6- انظر: أبو عبيدة – مجاز القرآن (102/2).

وألقي على قيس من النار جِذْوةً شديداً عليها حميمها ولهيبها[1]. [2]

في هذا المثال ذكر القرطبي قراءات متواترة[3] وبين أن معناها واحد، ثم وجه قراءة العامة وهي قراءة كسر الجيم بالشعر.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾[4].

قال: قرأ نافع وأبو عمرو (تأكل منساته) بألف بين السين والتاء من غير همز. والباقون بهمزة مفتوحة موضع الألف، لغتان إلا أن ابن ذكوان أسكن الهمزة تخفيفاً، قال الشاعر في ترك الهمزة:

إذا دببت على المنسأة من كبر فقد تباعد عنك اللهو والغزل[5]

وقال آخر فهمز وفتح:

أمن أجل حبل لا أباك ضربته بمنسأة قد جر حبلك أحبلاً[6]

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[7] ووجه كل منهما بالشعر.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾[8].

قال:(لقد كان لسبأ في مساكنهم آية)قرأ نافع[9]وغيره بالصرف والتنوين على أنه اسم حي، وهو الأصل اسم رجل.وقرأ ابن كثير وابن عمرو(لسبأ) بغير صرف، جعله اسماً للقبيلة.

قال الشاعر في الصرف:

الواردون وتيم في ذوي سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس[10]

وقال آخر في غير الصرف:

1- انظر: الطبري في تفسيره(45/20)، وابن عطية في تفسيره (164/12)، والزمخشري في تفسيره ونسبه إلى كثير (175/3).

2- انظر: القرطبي – الجامع (291/13).

3- انظر: عبد الفتاح القاضي – البدور الزاهرة (229).

4- سبأ: (14).

5- انظر: ابن منظور – لسان العرب مادة (نسأ) (14/ 118) ، والطبري في تفسيره (51/22).

6- البيت قاله أبو طالب عم النبيﷺ كما في اللسان مادة (نسأ)(118/14)،(انظر: القرطبي–الجامع(268/14) .

7- انظر: الصفاقسي – غيث النفع (230).

8- سبأ: (15).

9- انظر: الصفاقسي – غيث النفع (231).

10- انظر: البيت في تفسير ابن عطية (125/13).

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيلها العرما[1].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

قال: ولعلماء اللسان في جبريل وميكائيل عليهما السلام لغات، فأما التي في جبريل فعشر: الأولى: جبريل، وهي لغة أهل الحجاز، قال حسان بن ثابت: وجبريل رسول الله فينا[3]. والثالثة: جبريل (بياء بعد الهمزة) كما قرأ أهل الكوفة و أنشدوا:

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة مدى الدهر إلا جبرئيل أمامها[4]

وأما اللغات في ميكائيل فست: الأولى: ميكاييل، قراءة نافع، وميكائيل(بياء بعد همزة) قراءة حمزة. ميكال، لغة أهل الحجاز، وهي قراءة أبي عمرو وحفص عن عاصم. قال كعب بن مالك:

ويوم بدرٍ لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر ميكال وجبريلُ[5].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءات متواترة[6] ووجه بعضها بالشعر.

هذه بعض الأمثلة في توجيه القراءات بالشعر، أما عن توجيه معنى القراءة بالشعر فنذكر كذلك بعض الأمثلة.

فعند تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾[7].

قال: والأثام في كلام العرب العقاب، وبه قرأ ابن زيد وقتادة[8] هذه الآية. ومنه قول الشاعر: الشاعر:

جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقاً والعقوق له أثام[9]

أي جزاء وعقوبة. وقال مجاهد: إن (أثام) وادٍ في جهنم جعله الله عقاباً للكفرة.

1- البيت اختلف في نسبته، فنسبه بعضهم إلى النابغة الجعدي، ونسبه البعض إلى أمية بن أبي الصلت. انظر: الكتاب (28/2)، اللسان مادة (عرم)(172/9)، انظر: القرطبي – الجامع (270/14).

2- البقرة: (98).

3- تمام البيت، وروح القدس ليس به خفاء، ويروى(كفاء) بدل خفاء. انظر: لسان العرب مادة (جبر) (166/2).

4- البيت لكعب بن مالك.انظر: لسان العرب مادة (جبر) (166/2).

5- انظر: القرطبي–الجامع (43/2).

6- انظر: ابن خلف الأنصاري – الإقناع(375).

7- الفرقان: (68).

8- انظر: المحرر الوجيز(41/12)، والبحر المحيط(515/6) والقراءة شاذة.

9- البيت لبلعام بن قيس الكناني كما في مجاز القرآن لأبي عبيد(81/2) ونسبه ابن منظور في اللسان مادة(أثم) (75/1) إلى إلى شافع الليثي.

قال الشاعر:

لقيت المهالك في حربنا وبعد المهالك تلقى أثاماً[1]

وقال السدي: جبل فيها. قال:

وكان مقامنا ندعو عليهم بأبطح ذي المجاز له أثام[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر لكلمة أثام ثلاثة معاني ووجه كل معنى من هذه المعاني بالشعر مبيناً أن المعنى الأول (عقاب) قرأ به ابن زيد وقتادة. كل ذلك بأسلوب رائع جميل.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾[3].

قال:(بل هو كذاب أشر) أي ليس كما يدعيه، وإنما يريد أن يتعاظم ويلتمس التكبر علينا من غير استحقاق. والأشر: المَرَح والتجبُّر والنشاء. يقال فرس أشر إذا كان مرحاً نشيطاً؛ قال امرؤ القيس يصف كلباً:

فيدركنا فَغِمٌ داجنٌ سميع بصير طلوب مكر

ألصُ الضُّروسِ جَنِيُّ الضُّلوع تبوعٌ أريبٌ نشيط أشِرْ[4]

وقيل: (أشرٌ) بطر. والأشر البَطَر؛ قال الشاعر:

أشرتم بلبس الخزّ لما لبستم ومن قبل ما تدرون من فتح القرى[5].

وقرأ أبو جعفر وأبو قلابة[6](أَشَرٌ)[7] بفتح الشين وتشديد الراء. يعني به أشرّنا وأخبثنا[8].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر لكلمة (أشر) معاني متعددة، ووجه المعنى الأول والثاني بالشعر، وذكر قراءة شاذة للآية وبين معناها.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى:﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾[9].

قال:"بالظاء،قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي،أي بمتهم،والظنة التهمة؛قال الشاعر[1]:

1- انظر: الماوردي في تفسيره (166/3).

2- انظر: القرطبي – الجامع (81/13).

3- القمر: (25).

4- الفغم: الحريص على الصيد، الداجن: الألوف للصيد، الألص: الذي التصقت أسنانه بعضها ببعض(انظر: ابن منظور – لسان العرب) مادة (فغم) (295/10)، ومادة (دجن) (295/4).

5- انظر : الماورودي في تفسيره (415/5).

6- أبو قلابة:هو عبد الله بن زيد الجرمي البصري أحد الأعلام روى عن سمرة بن جندب وثابت بن الضحاك ؛ حدث عنه أيوب وحميد ويحيى بن كثير مات سنة104هـ وقيل107هـ،وقال ابن معين106هـ،107هـ(انظر:تذكرة الحفاظ72/1).

7- انظر :ابن خالويه . مختصر في شواذ القرأن (147) .

8- انظر :القرطبي . الجامع (135/17).

9- التكوير: (24).

أما وكتاب الله لا عن شناءةٍ هجرت ولكن الظنين ظنين

واختاره أبو عبيد؛ لأنهم لم يبخلوه ولكن كذبوه؛ ولأن الأكثر من كلام العرب: ما هو بكذا، ولا يقولون: ما هو على كذا، إنما يقولون: ما أنت على هذا بمتهم، وقرأ الباقون (بضنين) بالضاد: أي ببخيل من ضننت بالشيء ضناً فهو ضنين.

فروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: لا يضن عليكم بما يعلم، بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه. قال الشاعر:

أجود بمكنون الحديث وإنني بسرِّك عمن سالني لضنين[2]" [3].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[4] وبين معنى كل قراءة ووجه كل معنى ببيت من الشعر.

بهذه الطريقة الجميلة وجه الإمام القرطبي القراءات القرآنية ومعانيها بالشعر تأكيداً لهذه القراءات و تأكيداً لتلك المعاني التي ذكرها فأثرى بها تفسيره العظيم.

ثانياً: توجيه القراءات بالنحو.

كان الإمام القرطبي يوجه القراءات بالنحو وقد برع في هذا الجانب وأبدع حيث وجه القراءات بالنحو بأساليب متعددة، فقد كان يوجه القراءة ببيان موقعها الإعرابي والذي لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، وكان يوجه القراءة بالنحو بذكر وجوه متعددة تصل أحياناً إلى ستة أوجه دون ترجيحٍ لأحد هذه الأوجه غالباً، أو ترجيح أحدها أحياناً. وكان أحياناً يوجه القراءة ويرجحها استناداً إلى قاعدة نحوية وأقوال النحاة.

ومن الأمثلة على توجيه القراءة بوجه واحد من النحو ما يلي.

فعند تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[5].

قال القرطبي:" وقرأ الزهري (إلا ليُعلم) ف(من) في موضع رفع على القراءة؛لأنها اسم ما لم يسم فاعله. وعلى قراءة الجماعة في موضع نصب على المفعول"[6].

1- هو عبد الرحمن بن حسان ،ونسبه ابن بري لنهار بن توسعة انظر : ابن منظور . اللسان ، مادة (ظنن)(272/8).

2- انظر: أبو حيان – البحر المحيط (430/8).

3- القرطبي – الجامع (231/19).

4- انظر: ابن الجزري- النشر (298/2).

5- البقرة: (143).

6- القرطبي – الجامع (162/2).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

قال: (وصيةً) قرأ نافع وابن كثير والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر (وصيةٌ)[2]بالرفع على الابتداء، وخبره (لأزواجهم). وقرأ أبو عمرو وابن عامر (وصيةً) بالنصب، وذلك حمل على الفعل، أي فليوصوا وصية[3].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4].

قال:" قراءة العامة بخفض (العظيم) نعتاً للعرش، وقرئ بالرفع[5] صفة للرب، رويت عن ابن ابن كثير وهي قراءة ابن محيصن"[6].

ومن الأمثلة علي توجيه القراءة بعدة أوجه نحوية دون ترجيح أو مع الترجيح ما يلي.

فعند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[7]. قال: قرأ جمهور الناس (سواء) بالرفع، وهو على الابتداء و (العاكف) خبره، وقيل: الخبر (سواء) وهو مقدم؛ أي العاكف فيه والبادي سواء؛ والمعنى: الذي جعلناه للناسِ قبلةً أو متعبداً العاكف فيه والبادي سواء، وقرأ حفص عن عاصم (سواءً) بالنصب، وهي قراءة الأعمش، وذلك يحتمل أيضا وجهين: أحدهما: أن يكون مفعولا ثانيا لجعل، ويرتفع (العاكف) به لأنه مصدر، فأعمل عمل اسم الفاعل لأنه في معنى مستوٍ. والوجه الثاني: أن يكون حالاً من الضمير في جعلناه[8].

1- البقرة: (240).

2- القراءتان متواترتان. انظر: ابن الجزري – النشر (172/2).

3- انظر: القرطبي – الجامع (225/3).

4- التوبة: (129).

5- القراءة بالخفض متواترة وبالرفع شاذة. انظر: البنا – إتحاف فضلاء البشر (308).

6- القرطبي – الجامع (280/8).

7- الحج: (25).

8- انظر:القرطبي–الجامع(39/12).

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[1]، ووجه كل قراءة بالنحو ذاكراً وجهين إعرابيين لكل قراءة دون ترجيح أحد هذه الوجوه.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾[2] .

قال:" (هدىً ورحمةً) بالنصب علي الحال؛ مثل: (هذه ناقة الله لكم آيه)[3] وهذه قراءة المدنيين وأبي عمرو وعاصم والكسائي. وقرأ حمزة: (هديً ورحمةٌ)بالرفع وهو من وجهين: أحدهما: علي إضمار المبتدأ، لأنه أول آية. والآخر: أن يكون خبر(تلك)"[4] .

ففي هذا المثال ذكر قراءتين متواترتين[5]،ووجههما بالنحو، ذكر للقراءة الأولي وجها نحوياً، والقراءة الثانية وجهان نحويان دون ترجيح لأحدهما.

ومن أمثلة توجيه القراءة بوجهين نحويين مع ترجيح أحدهما.

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[6].

قال:" يجوز أن تكون (تعضلوهن) جزماً على النهي فتكون الواو عاطفة جمله كلام مقطوعة من الأولى، ويجوز أن تكون نصباً عطفاً على (أن ترثوا) فتكون الواو مشتركة عطفت فعلًا على فعل. وقراءة ابن مسعود (ولا أن تعضلوهن) فهذه القراءة تقوي احتمال النصب"[7].

ففي هذا المثال ذكر وجهين نحويين لكلمة(تعضلوهن) الجزم والنصب ثم رجح احتمال النصب بقراءة شاذة[8] لابن مسعود.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [9].

1- انظر :البنا-إتحاف فضلاء البشر(398).

2- لقمان:(3).

3- الأعراف:(73).

4- القرطبي-الجامع(52/14).

5- انظر :عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (311).

6- النساء: (19).

7- القرطبي-الجامع(102/5).

8- انظر ابن عطية-المحرر الوجيز(543/3)، وأبو حيان- البحر المحيط (204/3).

9- الحديد:(16).

قال:"(ولا يكونوا) أي وألا يكونوا فهو منصوب عطفا على (أن تخشع)، وقيل: مجزوم على النهي؛ مجازه ولا يكونن؛ ودليل هذا التأويل رواية رويس عن يعقوب (لا تكونوا) بالتاء"[1].

يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر وجهين نحويين لكلمة (يكونوا) وهما النصب والجزم ثم ذكر قراءة عشرية متواترة[2] تدل علي الجزم.

ومن الأمثلة علي توجيه القراءة بأكثر من وجهين نحويين. ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[3]. قال: وقرأ حفص وحمزة :(مودةَ بينكم). وابن كثير وابن عمرو والكسائي: (مودةُ بينكم). الباقون (مودةَ بينكم). فأما قراءة ابن كثير ففيها ثلاثة أوجه؛ ذكر الزجاج منها وجهين[4]: أحدهما: أن المودة ارتفعت على خبر إنّ وتكون (ما) بمعنى الذي، والتقدير والتقدير إن الذي اتخذتموه من دون الله أوثاناً مودة بينكم. والوجه الآخر: أن يكون علي إضمار مبتدأ أي هي مودة أو تلك مودة بينكم، والمعنى آلهتكم أو جماعتكم مودة بينكم. والوجه الثالث: أن يكون (مودةُ)رفعا بالابتداء و(في الحياة الدنيا)خبره[5].

ففي هذا المثال ذكر قراءات متواترة[6]، ثم وجه قراءة ابن كثير بثلاثة أوجه نحوية دون ترجيح لأحدها.

ومثال ذلك ما ذكره عن تفسير قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[7].

قال:"وقرأ عيسي بن عمر (علامَ الغيوب) على أنه بدل، أي قل إن ربي علام الغيوب يقذف بالحق. قال الزجاج: والرفع من وجهين على الموضع، لأن الموضع موضع رفع، أو على البدل مما يقذف. النحاس[8]: وفي الرفع وجهان آخران: يكون خبر بعد خبر، ويكون على إضمار مبتدأ. وزعم الفراء أن الرفع في مثل هذا أكثر في كلام العرب إذا أتى بعد خبر (إنّ) ومثله (إنّ ذلك لحق تخاصم أهل النار)[9] "[10].

1- القرطبي-الجامع(240/17).

2- انظر:عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (395).

3- العنكبوت:(25).

4- انظر :الزجاج-إعراب القرآن(254/3).

5- انظر:القرطبي-الجامع(351/13).

6- انظر:ابن الجزري -النشر(257/2).

7- سبأ:(48).

8- انظر:النحاس-إعراب القرآن(354/3).

9- ص:(64).

10- انظر:القرطبي-الجامع(301/14).

ففي هذا المثال ذكر قراءة شاذة[1] ووجها بالنحو، ثم وجه قراءة الرفع وهي قراءة متواترة قرأ بها القراء العشرة بأربعة أوجه نحوية دون أن يرجح واحداً منها، ثم ذكر أن قراءة الرفع أكثر في كلام العرب في مثل هذا الموضع.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾[2].

قال: قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم في رواية أبي بكر عنه والأعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائي (نزاعةٌ)بالرفع، وروى أبو عمرو عن عاصم (نزاعةً)بالنصب. فمن رفع فله خمسة أوجه: أحدهما: أن تجعل (لظى) خبر (إنّ) وترفع (نزّاعة) بإضمار هي. والوجه الثاني: أن تكون (لظى) و (نزّاعة) خبران لإنّ. كما تقول: إنه خلق مخاصم. والوجه الثالث: أن تكون (نزّاعة) بدلاً من (لظى) و (لظى) خبر (إنّ). والوجه الرابع: أن تكون (لظى) بدلا من اسم (إنّ) و(نزّاعه) خبر (إنّ)، والوجه الخامس: أن يكون الضمير في (إنها) للقصة، و(لظى) مبتدأ و(نزّاعة)خبر الابتداء والجملة خبر (إنّ). والمعنى: أن القصة والخبر لظى نزّاعة للشوى. ومن نصب (نزاعة) حسن له أن يقف على (لظى) وينصب (نزاعة)على القطع من (لظى) إذ كانت نكرة متصلة بمعرفة، ويجوز نصبها على الحال المؤكدة؛ كما قال: (وهو الحق مصدقا)[3]. ويجوز أن تنصب على معنى أنها تتلقى نزّاعة؛ أي في حال نزعها للشوى. والعامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى التلظي. ويجوز أن يكون حالاً؛ علي أنه حال للمكذبين بخبرها. ويجوز نصبها على القطع؛ كما تقول: مررت بزيد العاقل الفاضل.فهذه خمسة أوجه للنصب أيضا، والشوى: جمع شواة وهي حلبة الرأس[4].

يتضح من هذا المثال أن الإمام القرطبيّ ذكر قراءتين متواترتين[5]ووجه كل منهما بخمسة اوجه نحوية دون ترجيح لأحد هذه الأوجه سواء لقراءة الرفع أو النصب.

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِين يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[6].

قال: (بأربعة شهداء) قراءة الجمهور على إضافة الأربعة إلى الشهداء. وقرأ عبد الله بن مسلم بن يسار (بأربعةٍ) بالتنوين (شهداءَ). وفيه أربعة أوجه: يكون في موضع جر على النعت لأربعة، أو بدل. ويجوز أن يكون حالاً من نكرة أو تمييزاً؛ وفي الحال والتمييز

1- انظر:ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن(122).

2- المعارج: (16).

3- البقرة:(91).

4- انظر : القرطبي-الجامع(275/18).

5- انظر : ابن الجزري-النشر (292/2).

6- النور:(4).

نظر؛ إذ الحال من نكرة، والتمييز مجموع، وسيبويه يرى أنه تنوين للعدد، وترك إضافته إنما تكون في الشعر[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة الجمهور ثم ذكر قراءة شاذة[2] وجهها بالنحو بأربعة أوجه ضعف اثنين منهما وهما الحال والتمييز حيث قال: (وفي الحال والتمييز نظر) ولم يرجح أحد الوجهين الآخرين وهما النعت والبدل، فهذا المثال لم يكن مجردا من الترجيح بالكامل وإنما فيه شئ من الترجيح.

وكان القرطبي يوجه القراءة أحيانا بذكر قاعدة نحوية أو أقوال بعض النحاة البارزين.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[3].

قال: وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي (تكونُ)بالرفع؛ ونصب الباقون، فالرفع على أن حسِب بمعنى علم وتيقن. و(أنْ) مخففة من الثقيلة ودخول (لا)عوض من التخفيف، وحذف الضمير لأنهم كرهوا أن يليها الفعل وليس من حكمها أن تدخل عليه ففصلوا بينهما (بلا)، ومن نصب جعل (أنْ) ناصبة للفعل، وبقي حسب على بابه من الشك وغيره. قال سيبويه[4]:حسبت ألا يقول ذلك؛ أي حسبت انه قال ذلك. وإن شئت نصبت، قال النحاس[5]: النحاس[5]: والرفع عند النحويين في حسِب وأخواتها أجود، و إنما صار الرفع أجود؛ لأن حسِب وأخواتها بمنزلة العلم لأنه شئ ثابت[6].

ففي هذا المثال ذكر قراءتين متواترتين[7]، ووجههما بالنحو مبينا أن قراءة الرفع عند النحويين في حسِب وأخواتها أجود، لأن حسِب وأخواتها بمنزلة العلم، وهو بهذا يكون قد وجه القراءة بأقوال علماء النحو.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[8].

1- انظر : القرطبي-الجامع(183/12).

2- انظر :ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن(100).

3- المائدة: (71).

4- انظر :سيبويه -الكتاب(481/1).

5- انظر :النحاس -إعراب القرآن(32/2).

6- انظر :القرطبي-الجامع(235/6).

7- انظر :ابن الجزري-النشر(192/2).

8- الأحزاب:(16).

قال:"عن يعقوب الحضرمي (إذاً لا يمتعون) بياء. وفي بعض الروايات (وإذاً لا تمتعوا) نصب بـ(إذا) والرفع بمعنى ولا تمتعون. و(إذا) ملغاة، ويجوز إعمالها. فهذا حكمها إذا كان قبلها الواو والفاء. فإذا كانت مبتدأة نصبت بها فقلت: إذاً أكرمك"[1].

في هذا المثال ذكر قراءتين شاذتين[2]. ثم ذكر أن (إذاً) ملغاة ويجوز إعمالها وأن هذا حكمها إذا كان قبلها الواو والفاء، وإذا كانت مبتدأ نصبت، وهو بذلك يكون وجه القراءة بقاعدة نحوية.

يتضح من خلال الأمثلة السابقة وغيرها مما في تفسير القرطبي ما يدل على أن الإمام القرطبي كان عالماً بالنحو متمكن منه، فتوجيهه القراءة بأربعة أو خمسة أوجه، وشرحه وبيانه في هذا الجانب واستشهاده بأقوال أئمة النحو وما قعّدوه من قواعد وتوجيه القراءة بها وترجيحه لبعض الأوجه النحوية أحيانا لدليل واضح على ما وصل إليه من رسوخ في هذا العلم. وقد استخدم هذا العلم في خدمة القراءات القرآنية توجيها وبيانا لمعانيها من خلال الإعراب، فالإعراب فرع المعنى كما يقولون.

ويلاحظ من الأمثلة السابقة إن الإمام القرطبي كان يستشهد كثيرا بأقوال النحاة مثل سيبويه والنحاس والزجاج وغيرهم، ولكنه قليلا ما كان يرجح أحد الأقوال أو أحد الأوجه النحوية، وإنما غالباً ما يكتفي ببيان الأوجه وشرحها. مما يدل على أنه يهدف دائماً إلى إثراء تفسيره بذكر تلك الأوجه دون تعصب إلى أحدها. وهذا المنهج هو الذي يغلب على منهج الإمام القرطبي في كثير من مسائل القراءات وغيرها.

1- القرطبي-الجامع(149/14).

2- انظر:ابن عطية-المحرر الوجيز(57/13)،والنحاس-إعراب القرآن(307/3).

المطلب الثالث

توجيه القراءات ببيان معناها أو بيان أصلها في اللغة

أولا: توجيه القراءات ببيان معناها:

إن الهدف الأهم من ذكر القراءات في سياق التفسير هو إظهار وبيان المعاني المتنوعة غير المتعارضة في هذه القراءات من أجل إثراء هذا التفسير وإبراز روعته وإعجازه الرباني وبيان مراد الله عز وجل. وقد كان الإمام القرطبي يذكر القراءات ويوجهها ببيان معانيها المتعددة، ولم يأل جهداً في ذلك حيث إنه ملأ تفسيره بالمعاني المتعددة التي تحتملها تلك القراءات سواء أكانت متواترة أم شاذة، وكانت هذه التوجيهات وتلك المعاني كالجواهر المتلألئة والدرر المتناثرة في تفسيره العظيم[1].

والأمثلة في ذلك كثيرة نختار منها علي سبيل المثال لا الحصر ما يلي: فعند تفسير قوله تعالى :﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَتِ ٱلْمُؤْمِنَتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال القرطبي:"(فإذا أحصن) قراءة عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضمها[3]، فبالفتح معناه: أسلمن، وبالضم:زُوِّجن"[4].

ومن أمثلته عند قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[5].

قال:(قبلاً) أي مقابلة وهي قراءة نافع وابن عامر[6]. وقيل: معاينة، لما آمنوا. وقيل:(قبلاً) بمعنى ناحية؛ كما تقول: لي قبل فلان مال؛ فقبلاً نصب على الظرف. وقرأ الباقون (قُبُلاً)، ومعناه ضمناء؛ فيكون جمع قبيل بمعنى كفيل، نحو رغيف ورُغُف؛ كما قال:(أو تأتي بالله

1- لمزيد من الأمثلة انظر: مبحث أثر القراءات في استنباط المعاني من الفصل الثالث.

2- النساء: (25).

3- انظر: ابن خلف الأنصاري –الإقناع (391).

4- القرطبي–الجامع (148/5).

5- الأنعام: (111).

6- ابن خلف الأنصاري–الإقناع (398).

والملائكة قبيلا)[1] أي يضمنون ذلك. وقال الأخفش: هو بمعنى قبيل قبيل؛ أي جماعة جماعة[2]، وقاله: مجاهد[3].

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[4].

قال:(فاتخذتموهم سُخريا) بالضم قراءة نافع وحمزة والكسائي. وكسر الباقون[5]. قال النحاس[6]: وفرق أبو عمرو بينهما، فجعل المكسورة من جهة التهزؤ، والمضمومة من جهة السخرية. فالكسر بمعنى الاستهزاء والسخرية بالقول، والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل، وقيل هما لغتان بمعنى واحد كما يقال :عُصى وعِصي[7].

ومن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى:﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [8].

قال:" وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي[9] (قل كم لبثتم في الأرض)على الأمر. ويحتمل ثلاثة معانٍ: أحدها: قولوا كم لبثتم؛ فأخرج الكلام مخرج الأمر للواحد والمراد الجماعة؛ إذا كان المعنى مفهوما. الثاني: أن يكون أمراً للملك ليسألهم يوم البعث عن قدر مكثهم في الدنيا. أو أراد قل أيها الكافر كم لبثتم، وهو الثالث. الباقون كم علي الخبر؛ أي قال الله تعالى لهم، أو قالت الملائكة لهم كم لبثتم"[10].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾[11].

قال:(وإنا لجميع حذرون) أي مجتمع مستعد أخذنا حذرنا وأسلحتنا. وقرئ (حاذرون)[12] ومعناه معنى (حذرون) أي فرقون خائفون. فأما أكثر النحويين فيفرقون بين حذر وحاذر، منهم الكسائي والفراء؛ فيذهبون إلي أنّ معنى حذر في خلقته الحذر، أي متيقظ متنبه، فإذا كان هكذا لم يتعد، ومعنى حاذر مستعد وبهذا جاء التفسير عن المتقدمين[13].

1- الإسراء:(92).
2- انظر :تفسير الطبري ذكره عن مجاهد(3/8).
3- انظر : القرطبي –الجامع(68/7).
4- المؤمنون:(110).
5- انظر : ابن خلف الأنصاري –الإقناع(433).
6- انظر : النحاس –إعراب القرآن(124/3).
7- انظر : القرطبي–الجامع (16/12).
8- المؤمنون:(112).
9- انظر : الأنصاري–الإقناع(433).
10- انظر : القرطبي –الجامع(162/12).
11- الشعراء:(56).
12- الأنصاري–الإقناع(436).
13- انظر : القرطبي –الجامع(109/13).

هذه بعضاً من الأمثلة لقراءات متواترة وجهها الإمام القرطبي ببيان معانيها المتنوعة وكان يذكر أحيانا للقراءة الواحدة أكثر من معنى كما مر في الأمثلة السابقة.

وقد وجه كذلك قراءات شاذة ببيان معانيها المتعددة بما آتاه الله من علم، ولم يميز بين القراءات الشاذة والمتواترة في هذا الجانب لأن الهدف إثراء التفسير والكشف عن المعاني الكامنة في هذه القراءات.

ومن أمثلة توجيه القراءات الشاذة ببيان معانيها المختلفة غير المتعارضة حيث إن الاختلاف اختلاف تنوع وليس اختلاف تضادّ أو تعارض.

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾[1].

قال : وقرأ اليزيدي وابن السميقع (ننحيك) بالحاء من التنحية، أي تكون على ناحية البحر، فرمي به علي ساحل البحر حتى رآه بني إسرائيل. وقرأ(بندائك)من النداء، على أن هذه القراءة مرغوب عنها لشذوذها وخلافها ما عليه عامة المسلمين والقراءة سنة يأخذها آخر عن أول. وقيل:(ببدنك) بجسد لا روح فيه. فعلى هذا (ننجيك ببدنك) احتمل معنيين: أحدهما: نلقيك على نجوة من الأرض. والثاني: نظهر جسدك الذي لا روح فيه. والقراءة الشاذة (بندائك) يرجع معناها إلى معنى قراءة الجماعة؛ لأن النداء يفسّر تفسيرين: أحدهما: نلقيك بصياحك بكلمة التوبة، وقولك بعد أن أغلق بابها ومضى وقت قبولها: (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين)[2]. على موضع رفيع. والآخر: فاليوم نعزلك عن غامض البحر بندائك لما قلت أنا ربكم الأعلى، فكانت تنجيته بالبدن معاقبة من رب العالمين له على ما فرط في كفره الذي منه نداؤه الذي افترى به وبهت، وادعى القدرة والأمر الذي يعلم أنه كاذب فيه وعاجز عنه وغير مستحق له. وقوله تعالى:(لتكون لمن خلفك آية) أي لبني إسرائيل ولمن بقي من قوم فرعون ممن لم يدركه الغرق ولم ينته إليه هذا الخبر. وقرئ (مَنْ خَلَفَك) بفتح اللام، أي لمن بقي بعدك يخلفك في أرضك، وقرأ علي بن أبي طالب(لمن خلقك) بالقاف، أي تكون آية لخالقك[3].

أرأيت كيف أبدع الإمام القرطبي في هذا المثال حيث ذكر في آية واحدة أربع قراءات شاذة[4] ووجهها جميعا ببيان معانيها المتعددة والتي تحتملها الآية بأسلوب جميل رائع، مع الحكم على بعض تلك القراءات أنها شاذة لا يؤخذ بها أنها قراءة؛ لأنها مخالفة لقراءة

1- يونس:(92).

2- يونس(90).

3- انظر :القرطبي-الجامع(351/8).

4- انظر :ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن(58).

الجماعة لكن معانيها لم تتعارض مع معنى القراءة المتواترة؛ حيث إنها احتملت معاني مقبولة فأثرى بذلك التفسير إثراءً رائعاً.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[1]. قال: وقراءة الجماعة (فليعلمن)بفتح الياء واللام. أي فليرين الله الذين صدقوا في إيمانهم. وقرأ علي بن أبي طالب بضم الياء وكسر اللام، وتحتمل ثلاثة معاني: الأول: أن يعلم في الآخرة هؤلاء الصادقين والكاذبين بمنازلهم من ثوابه وعقابه وبأعمالهم في الدنيا؛ بمعنى يوقفهم على ما كان منهم. الثاني:أن يكون المفعول الأول محذوفا تقديره؛ فليعلمن الناس والعالم هؤلاء الصادقين والكاذبين، أي يفضحهم ويشهرهم؛ هؤلاء في الخير وهؤلاء في الشر، وذلك في الدنيا والآخرة. الثالث: أن يكون ذلك من العلامة، أي يضع لكل طائفة علامة يشتهر بها[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة شاذة[3]، ووجهها بثلاثة معاني. وهذا يدل على اهتمامه البالغ ببيان كل المعاني التي تحتملها القراءة القرآنية دون تمييز بين القراءة الشاذة والمتواترة ما دامت تلك المعاني صحيحه غير متعارضة أو مخالفة للنص. كما يدل ذلك أيضاً على فهمه العميق وعلمه الواسع.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[4].

قال: قراءة الجمهور(ظُلِم)بضم الظاء وكسر اللام. أما من قرأ (ظَلَم) بالفتح في الظاء واللام فالمعنى: إلا من ظلم في فعل أو قول فاجهروا له بالسوء من القول، في معنى النهي عن فعله والتوبيخ له والرد عليه؛ المعنى لا يحب الله أن يقال لمن تاب من النفاق: ألست نافقت؟ إلا من ظلم،أي أقام على النفاق،ودل على هذا قوله تعالى:(إلا الذين تابوا). وذلك أنه سبحانه لما أخبر عن المنافقين أنهم في الدرك الأسفل من النار كان ذلك جهراً بسوء من القول،ثم قال لهم بعد ذلك:(ما يفعل الله بعذابكم)على معنى التأنيس والاستدعاء إلى الشكر والإيمان. ثم قال للمؤمنين:(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) في إقامته على النفاق، فإنه يقال له: ألست المنافق الكافر الذي لك في الآخرة الدرك الأسفل من النار؟ وقال قوم: معنى الكلام: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول، ثم استثنى

1- العنكبوت:(3).

2- انظر القرطبي-الجامع(339/13).

3- انظر :ابن خالويه -مختصر في شواذ القرآن (114).

4- النساء:(148).

استثناء منقطعاً؛ أي لكن من ظلم فإنه يجهر بالسوء ظلماً وعدواناً وهو ظالم في ذلك. قلت –أي القرطبي– وهذا شأن كثير من الظلمة ودأبهم فإنهم مع ظلمهم يستطيلون بألسنتهم وينالون من عرض مظلومهم ما حرّم عليهم. وقيل: يجوز أن يكون المعنى (إلا من ظلم) فقال سوء؛ فإنه ينبغي أن تأخذوا على يديه؛ ويكون الاستثناء ليس من الأول، وقيل(إلا من ظلم) يعني ولا من ظلم[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة الجمهور وبين معناها ثم ذكر قراءة شاذة [2] وذكر لها معاني متعددة إن دلت فإنما تدل على عظمة القرآن الكريم وبلاغته و إعجازه، ودلت كذلك على عظمة الإمام القرطبي لإحاطته بكل هذه المعاني الرائعة التي زين فيها تفسيره فكان من أجمل التفاسير.

و من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

قال: (قد شغفها حباً) قيل: شغفها غلبها. وقيل: دخل حبه في شغافها، وعن ابن عباس قال: دخل تحت شغافها. و قال الحسن: الشغف باطن القلب. السدي و أبو عبيد: شغاف القلب غلافه، و هو جلدة عليه. وقيل: هو وسط القلب، و المعنى في هذه الأقوال متقارب؛ والمعنى: وصل حبه إلى شغافها فغلب عليه. و قرأ ابن محيصن والحسن (شعفها)[4] بالعين غير المعجمة؛ قيل: أحرق حبه قلبها، قال الجوهري[5]: و شعفه الحب أحرق قلبه. وقيل: أمرضه. وقد شعف بكذا فهو مشعوف. قال الحسن: بطنها حباً. قال النحاس[6]: معناه عند أكثر أهل اللغة قد ذهب بها كل مذهب؛ لأن شعاف الجبال أعاليها؛ وقد شغف بذلك شغفاً بإسكان الغين إذا أولع به. وروي عن الشعبي أنه قال: الشغف بالغين المعجمة حب، والشعف بالعين غير المعجمة جنون. وروي عن الحسن: الشغاف حجاب القلب، والشعاف سويداء القلب، فلو وصل الحب إلى الشعاف لماتت، وقال الحسن: ويقال إن الشغاف الجلدة اللاصقة بالقلب التي لا ترى، و هي الجلدة البيضاء. فلصق حبه بقلبها كلصوق الجلدة بالقلب[7].

1- انظر : القرطبي – الجامع (8/6).

2- انظر : ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن(30).

3- يوسف : (30).

4- القراءة شاذة . انظر: البنا–إتحاف فضلاء البشر(331).

5- انظر : الجوهري–الصحاح (1382/4).

6- انظر : النحاس–معاني القرآن (419/3).

7- انظر : القرطبي–الجامع (182/9).

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة ووجهها ببيان معانيها المتعددة المتقاربة ذاكراً أقوال العلماء من التابعين وغيرهم، ثم ذكر قراءة شاذة ووجهها أيضاً ببيان معانيها المتعددة المتقاربة مستشهدا بأقوال علماء اللغة كالجوهري والنحاس وعلماء التابعين كالحسن والشعبي و قد أفاد في هذا وأجاد.

لاحظنا مما سبق من الأمثلة أن الإمام القرطبي لم يميز بين القراءات المتواترة و الشاذة من حيث توجيه كل قراءة بالمعاني المتعددة التي تحتملها تلك القراءات، و هو عمل مقبول بل جيد حيث إنه يزيد التفسير جمالاً وإثراءاً وروعة وفائدة، فجزى الله شيخنا القرطبي خير الجزاء. كما لاحظنا أنه لم يعتمد في استخراج تلك المعاني على فهمه و علمه و حفظه فقط بل كان كثيراً ما يستعين بأقوال التابعين وعلماء اللغة ليكشف اللثام عن تلك المعاني الغامضة فيظهرها واضحة جلية بطريقة فريدة.

ثانيا : توجيه القراءة ببيان أنها لغة:

كان الإمام القرطبي يوجه القراءات بأنها لغة إحدى القبائل العربية ذاكرا اسم القبيلة المتكلمة بتلك اللغة أحيانا، وأحيانا يشير إلى أنها لغة دون ذكر اسم القبيلة، وكان أحيانا يوجه القراءة بأن فيها عدداً من اللغات فيقول مثلاً في كذا سبع لغات، وكان أحيانا يوجه القراءة بأنها لغة مشهورة أو فصيحة وغير ذلك من الأوصاف وكان أحيانا يوجه القراءة بأنها لغة دون الإشارة إلى أنها قراءة قرآنية يقرأ بها.

ومن الأمثلة على توجيه القراءة بأنها لغة إحدى القبائل. ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1]. قال:" وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش: (نِستعين) بكسر النون[2]، وهي لغة تميم وأسد وقيس وربيعة؛ ليدل على أنه من استعان، فكسرت النون كما تكسر ألف الوصل. وأصل (نستعين) نستعون، قلبت حركة الواو إلى العين فصارت ياء، والمصدر استعانة"[3]. يلاحظ في هذا المثال أنه وجه القراءة الشاذة بأنها لغة لأربع قبائل ثم وجهها بالصرف حيث بين أصل الكلمة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[4].

قال:"وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة (لمّا) بتشديد الميم، أي ما كل نفس إلا عليها حافظ، وهي لغة هذيل.يقول قائلهم:نشدتك لما قمت. الباقون بالتخفيف، على أنها زائدة مؤكدة"[5].

1- الفاتحة : (5).

2- القراءة شاذة. انظر : البنا – إتحاف فضلاء البشر (163).

3- القرطبي : الجامع (163/1).

4- الطارق : (4).

5- انظر: الصفاقسي-غيث النفع (304).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾[1].

قال:" وقرأ ابن كثير (اللذانِّ) بتشديد النون[2]، وهي لغة قريش؛ وعلته أنه جعل التشديد عوضا من ألف (ذا)"[3].

ومن أمثلة توجيه القراءة أنها لغة دون ذكر اسم القبيلة.

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[4]. قال:" وقرأ أبو عمرو وابن كثير (النشاءة)[5] بفتح الشين وهما لغتان مثل الرأفة و الرآفة وشبهه"[6].

ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى:﴿ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [7].

قال: وقرأ ابن كثير (شِواظ)[8] بكسر الشين. الباقون بالضم وهما لغتان؛ مثل صُوار و صِوار لقطيع البقر. وقرأ أبو العالية (نِحاس)[9] بكسر النون لغتان كالشِواظ والشُواظ[10].

ومن أمثلة توجيه القراءة أن فيها لغات. ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[11] .

قال:"وفي(عليهم)عشر لغات؛ قرئ بعامتها:(عليهُمْ) بضم الهاء وإسكان الميم. و(عليهِمْ) بكسر الهاء وإسكان الميم. و(عليهِمِي) بكسر الهاء والميم وإلحاق ياء بعد الكسر. و(عليهِمُو) بكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة.و(عليهُمُو) بضم الهاء والميم كلتيهما وإدخال واو بعد ميم. و(عليهُمُ) بضم الهاء والميم من غير زيادة واو. وهذه الأوجه الستة مأثورة عن الأئمة القراء. وأوجه أربعة منقولة عن العرب غير محكية عن القراء:(عليهُمِي) بضم الهاء وكسر الميم و إدخال ياء بعد الميم. و(عليهِمُ) بكسر الهاء

1- النساء : (16).
2- انظر:ابن الجزرى – النشر (187/2).
3- القرطبي : الجامع (90/5).
4- العنكبوت : (20).
5- انظر : ابن الجزري – النشر (257/2).
6- القرطبي – الجامع (350/13).
7- الرحمن : (35).
8- انظر : ابن خلف الأنصاري –الإقناع (467).
9- انظر : ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن (149).
10- انظر :القرطبي – الجامع (167/17).
11- الفاتحة : (7).

وضم الميم من غير إلحاق واو. و(عليهِمِ) بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم"[1].

يلاحظ في هذا المثال أنه وجه كلمة (عليهم) بعشر لغات قرئ بست منها، فكانت القراءة الأولى والثانية والرابعة متواترة[2] وباقي القراءات شاذة[3]. ولكنها لغات تكلم بها العرب. وإن هذا المثال ليدل على رسوخ الإمام القرطبي في علم القراءات وفي لغات العرب كذلك كما يدل على دقته حيث التمييز بين ما هو مأثور عن الأئمة القراء وما هو منقول عن العرب.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عن تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [4].

قال:" وقرئ (أفٍ) منون مخفوض؛ كما تخفض الأصوات وتنون، تقول: صهٍ ومهٍ. وفيه عشر لغات: أفَّ، وأفٌ، وأفٍّ، أفّاً، أفٌّ، أفَّه، إف لك (بكسر الهمزة)، وأُفْ (بضم الهمزة وتسكين الفاء)، وأفاً (مخففة الفاء)"[5].

يلاحظ في هذا المثال أنه وجه كلمة (أف) بعشر لغات، منها ثلاث قراءات متواترة هي (أفٍ، أفَ، وأفِ)[6]. أما بقية اللغات فهي قراءات شاذة[7].

ومن أمثلة ذلك ما ذكر عند تفسير قوله تعالى:﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[8].

قال:" قرأ محمد بن السميقع بنصب مالك؛ وفيه أربع لغات: مالِكِ وملِكِ وملْكِ –مخففة من ملِكِ– ومليك"[9].

يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءة شاذة ثم وجه القراءة بأربع لغات منها قراءتين متواترتين هما (مالك وملِكِ)[10] وقراءتين شاذتين[11] بالإضافة إلى قراءة ابن السميقع[12].

1- القرطبي – الجامع (166/1).
2- انظر : عبد الفتاح القاضي – البدور الزاهرة (18).
3- انظر : ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن (1).
4- الإسراء(24).
5- القرطبي –الجامع (247/10).
6- انظر: ابن الجزري–النشر(230/2).
7- انظر:ابن خالويه–مختصر في شواذ القرآن(76).
8- الفاتحة(4).
9- القرطبي–الجامع(155/1).
10- انظر:عبد الفتاح القاضي –البدور الزاهرة(17).
11- انظر ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن (1).
12- المرجع نفسه (1).

ومن أمثلة توجيه القراءات بأنها لغة مشهورة أو فصيحة أو جيدة أو معروفة.

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

قال: قرأ (أَياك) (بفتح الهمزة)[2] وهي لغة مشهورة[3].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[4]. قال:" (مبينة)بكسر الياء قراءة نافع وأبي عمرو، والباقون[5] بفتح الياء وقرأ وقرأ ابن عباس (مبيْنة) بكسر الباء وسكون الياء، من أبان الشيء، يقال: أبان الأمر بنفسه، وأبنته وبيّن وبينته، وهذه القراءات كلها لغات فصيحة"[6].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[7].

قال: وقرئ (أئنكم)[8] بهمزتين على الأصل وإن خففت الثانية قلت: (أينكم). وروي عن أبي عمرو ونافع(آئنكم)[9]؛ وهذه لغة معروفة تجعل بين الهمزتين ألف كراهة لالتقائهما[10].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[11].

1- الفاتحة : (5).

2- انظر: ابن خالويه- مختصر في شواذ القرآن (1).

3- انظر :القرطبي-الجامع (163/1).

4- النساء (19).

5- انظر :ابن خلف الأنصاري -الإقناع (391).

6- القرطبي -الجامع(102/5).

7- الأنعام (19).

8- قراءة متواترة لم يختلف فيها أحد من القراء العشر.

9- القراءة شاذة. انظر :ابن عطية -المحرر الوجيز(152/5).

10- انظر: القرطبي -الجامع (375/6).

11- البقرة: (20).

قال:" ويخطَف ويخطِف[1] لغتان قرئ بهما، وقد خطفه(بالكسر) يخطَفه خطفا وهي اللغة الجيدة واللغة الأخرى: خطَف يخطَف. الجوهري[2]: وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف[3].

وكان القرطبي يوجه بعض القراءات أنها لغة دون الإشارة إلى أنها قراءة يقرأ بها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

قال:" (أبلّغكم) بالتشديد من التبليغ، وبالتخفيف من الإبلاغ وقيل هما بمعنى واحد لغتان، مثل كرمه وأكرمه"[5].

يلاحظ في هذا المثال أنه وجه كلمة (أبلغكم) بأنها لغتان بالتشديد والتخفيف دون الإشارة إلى أن التخفيف والتشديد قراءتان متواترتان، فبالتخفيف قرأ أبو عمرو وبالتشديد قرأ الباقون[6] فهذا المثال ونظيره من الأمثلة الآتية مما يؤخذ على الإمام القرطبي تركه أو نسيانه لذكر القراءات المتواترة في تلك المواضع.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [7]. قال:" (إن يمسسكم قرح) القرح الجرح. والضم والفتح فيه لغتان عن الكسائي والأخفش؛ مثل عَقْر وعُقْر. الفراء: هو بالفتح الجرح، وبالضم ألمه. والمعنى: إن يمسسكم يوم أحد قرح فقد مس القوم يوم بدر قرح مثله. وقرأ محمد بن السميقع (قرح) بفتح القاف والراء على المصدر"[8].

يلاحظ في هذا المثال أنه وجه كلمة (قرح) بالضم والفتح لغتان دون الإشارة إلى أنهما قراءتان متواترتان، قرأ بالضم حمزة والكسائي وشعبة وخلف. وقرأ بالفتح الباقون[9].

ثم ذكر قراءة شاذة[10] لهذه الكلمة، وكان الأحرى به أن يذكر القراءتين المتواترتين فهما أولى بالذكر من القراءة الشاذة.

1- القراءة بفتح الطاء متواترة لم يختلف فيها أحد من القراء العشر وبكسرها شاذة.انظر البنا-إتحاف فضلاء البشر(173).

2- انظر الجوهري -الصحاح (1352/4).

3- انظر :القرطبي -الجامع(240/1).

4- الأعراف (62).

5- القرطبي- الجامع(226/7).

6- انظر: ابن الجزري – النشر(203/2).

7- آل عمران: (140).

8- القرطبي – الجامع(229/4).

9- انظر: ابن الجزري – النشر(182/2).

10- أنظر: ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن(22).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾[1] .

قال:" وأهل الحجاز يقولون: مِت، بكسر الميم مثل نمتم، من مات يمات مثل خفت يخاف وسفلى مضر يقولون: مُتم، بضم الميم مثل صمتم، من مات يموت كقولك كان يكون، وقال يقول. هذا قول الكوفيين وهو حسن"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي قال: وأهل الحجاز يقولون. ولم يقل يقرءون كعادته عند الحديث عن القراءات. وفي نهاية الكلام قال: (وهذا قول الكوفيين) ولم يقل قراءة الكوفيين فهو لم يشر في هذا المثال إلى قراءة قرآنية، والحقيقة أن (متم) بالكسر قراءة متواترة قرأ بها نافع وحمزة والكسائي وخلف. والباقون بالضم[3].

هكذا وجه الإمام القرطبي بعض القراءات القرآنية بلغات العرب ولهجاتهم بطريقته الخاصة وبأسلوبه الجميل والذي يدل على معرفته الواسعة بلغات العرب ولهجاتهم، من حيث نسبتها إلى أهلها، ومن حيث فصاحتها وشهرتها أو رداءتها وقلتها. ومن خلال هذا الموضوع تأكد لدينا أن أحد الأسباب الرئيسية الاختلاف القراءات القرآنية هو اختلاف لهجات العرب ولغاتهم.

ثالثاً : توجيه القراءة بالصرف أو بمراعاة الأصل أو القياس في اللغة.

كان الإمام القرطبي يوجه القراءات بالصرف وقد أجاد في هذا الجانب مما يدل على رسوخ قدمه في علوم اللغة كلها ومنها علم الصرف، وفي الأمثلة التالية دليل واضح على هذا القول.

ومن الأمثلة التي وجه فيها الإمام القرطبي القراءة بالصرف.

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[4].

قال : قرئ (وإن تلووا) من لويت فلانا حقه لياً إذا دفعته به، والفعل منه (لوى) قلبت الياء ألفا لحركتها وحركة ما قبلها، والمصدر (لياً) والأصل لوياً، ولياناً والأصل لوياناً، ثم أدغمت الواو في الياء. وقيل:(تلووا) من اللي في الشهادة والميل إلى أحد الخصمين. وقرأ ابن عامر والكوفيون (تلوا) أراد قمتم بالأمر وأعرضتم، من قولك: وليت الأمر، فيكون في

1- آل عمران: (158).

2- القرطبي – الجامع (259/4).

3- انظر: ابن الجزري – النشر (182/2).

4- النساء :(135).

الكلام معنى التوبيخ للإعراض عن القيام بالأمر. وقيل إن معنى (تلوا) الإعراض. فالقراءة بضم اللام تفيد معنيين: الولاية والإعراض، والقراءة بواوين تفيد معنى واحد وهو الإعراض. وزعم بعض النحويين أن من قرأ (تلوا) فقد لحن؛ لأنه لا معنى هاهنا. قال النحاس وغيره: وليس يلزم هذا ولكن تكون (تلوا) بمعنى (تلووا) وذلك أن أصله (تلووا) فاستثقلت الضمة على الواو بعدها واو أخرى، فألقيت الحركة على اللام وحذفت إحدى الواوين لالتقاء الساكنين؛ وهي كالقراءة بإسكان اللام وواوين. وقال الزجاج: المعنى على قراءته (وإن تلووا) ثم همز الواو الأولى فصارت (تلؤوا) ثم خففت الهمزة بالتقاء حركتها على اللام فصارت (تلوا) وأصلها (تلووا). فتتفق القراءتان على هذا التقدير[1]. يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[2] ووجههما بالصرف والمعنى ثم ذكر اعتراض بعض النحويين على القراءة الثانية، ورد عليهم بما يبطل كلامهم، مستعيناً بأقوال أهل اللغة، كل ذلك بأسلوب رائع جميل.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[3].

قال : ونافع وأبو بكر (حرجاً) بالكسر، ومعناه الضيق. الباقون بالفتح. جمع حرجة، وهو شدة الضيق أيضاً، والحرجة الغيضة؛ والجمع حَرَج وحَرَجات. ومنه فلان يتحرج أي يضيق على نفسه في تركه هواه للمعاصي. قال ابن عباس: الحرج موضع الشجر الملتف؛ كأنه قلب الكافر لا تصل إليه الحكمة كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي التف شجره. وكل ضيق حرج وحَرَج. وقد حرِج صدره يَحْرَج حرجاً. والحَرَج الإثم . والحَرَج أيضاً: الناقة الضامة. ويقال: الطويلة على وجه الأرض فهو لفظ مشترك. والحرج: خشب يشد بعضه إلى بعض يحمل فيه الموتى[4].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[5] ووجههما بالمعنى والصرف ثم بين أن كلمة (حرج) لفظ مشترك بعد أن ذكر عدة معاني لهذه اللفظة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[6].

1- انظر : القرطبي – الجامع (412/5).

2- انظر : ابن الجزري – النشر (190/2).

3- الانعام : (125).

4- انظر : القرطبي – الجامع (83/7).

5- انظر: عبد الفتاح القاضي–البدور الزاهرة (134).

6- الشعراء : (184).

قال: قال مجاهد: الجبلة الخليقة. وجُبل فلان على كذا أي خلق؛ فالخلق جِبِلّة وجُبُلّة وجِبْلة وجُبْلة وجَبْلة ذكره النحاس في (معاني القرآن)[1]. (والجِبِلّة) عطف عن الكاف والميم. وقيل: الجِبْلة والجُبْلة والجِبِلُّ والجُبُلُّ والجَبْل لغات؛ وهو الجمع ذو العدد الكثير من الناس، ومنه قوله تعالى (جبلاً كثيراً)[2].وقال النحاس في كتاب (إعراب القرآن)[3] له: ويقال جُبُلَّة والجمع فيه جَبَّال، وتحذف الضمة و الكسرة من الباء، وكذلك التشديد من اللام؛ فيقال: جُبْلة وجُبَل، ويقال: جِبْله وجَبَال؛ وتحذف الهاء من هذا كله. وقرأ الحسن[4] باختلاف عنه: (والجُبُلَّة الأولين) بضم الجيم والباء. الباقون[5] بالكسر.

هكذا كان يوجه الإمام القرطبي القراءات بالصرف والمعنى، ولم يقتصر الأمر على توجيه القراءة بالصرف، بل إنه كان أحيانا يستدل بالقراءة على قاعدة صرفية لأن القراءة هي الأصل للغة والمصدر الأول لها.

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾[6].

قال : (خشعاً أبصارهم) الخشوع في البصر والخضوع والذلة، وأضاف الخشوع إلى الأبصار لأن أثر العز والذل يتبين في ناظر الإنسان؛ قال الله تعالى:(أبصارها خاشعة)[7] وقال تعالى:(خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي)[8].ويقال:خشع واختشع إذا ذل. وخشع ببصره أي غضه. وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو (خاشعاً) بالألف. ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد، نحو:(خاشعاً أبصارهم) والتأنيث نحو: (خاشعة أبصارهم)[9] ويجوز الجمع نحو:(خشعاً أبصارهم) و(خشعاً) جمع خاشع. وقرئ (خشع أبصارهم)[10] على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال[11].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي فسر معنى الخشوع مستدلاً بالقرآن والصرف،

1- انظر : النحاس – معاني القرآن (102/5).

2- يس: (62).

3- انظر : النحاس–إعراب القرآن (191/3).

4- انظر : البنا- إتحاف فضلاء البشر(423). والقراءة شاذة.

5- المرجع السابق (423).

6- القمر: (7).

7- النازعات (9).

8- الشورى :(45).

9- القلم :(43).

10- القراءة شاذة. انظر : أبو حيان – البحر المحيط (176/8).

11- انظر: القرطبي – الجامع (126/17).

ثم ذكر قراءة متواترة[1] ثم ذكر أنه يجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة ثلاث ثلاث حالات: التوحيد والتأنيث والجمع واستدل على كل حالة بآية وكان الاستدلال على الحالة الأولى بقراءة الكسائي وأبي عمرو، وبهذا يكون قد استدل على قاعدة صرفية بالقراءة القرآنية. هذه بعضاً من الأمثلة الكثيرة التي وجه بها القرطبي القراءة بالصرف والتي زين بها تفسير وأثراه.

وكان الإمام القرطبي يوجه القراءة بمراعاة الأصل أو القياس في اللغة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[2].

قال:" وقرأ الكسائي وابن كثير[3]: (وسلوا الله من فضله) بغير همز في جميع القرآن. الباقون الباقون بالهمز. (واسألوا الله). وأصله بالهمز إلا أنه حذفت الهمزة للتخفيف"[4].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[5].

قال:" وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة[6] (أرأيتكم) بتحقيق الهمزتين وأتوا بالكلمة على أصلها والأصل الهمز؛ لأن همزة الاستفهام دخلت على(رأيت)فالهمزة عين الفعل، والياء ساكنة لاتصال المضمر المرفوع بها وقرأ الكسائي[7](أريتكم)، بحذف الهمزة الثانية"[8].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمُونِي يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[9].

قال:" وقرأ ابن كثير[10]:(استايسوا) (ولا تايسوا) (أنه لا يايس) (أفلم يايس) بألف من غير

1- انظر : عبد الفتاح القاضي – البدور الزاهرة (387).

2- النساء :(32).

3- انظر: عبد الفتاح القاضي – البدور الزاهرة (96).

4- القرطبي – الجامع (170/5).

5- الأنعام : (40).

6- انظر : عبد الفتاح القاضي – البدور الزاهرة (126).

7- انظر : المرجع السابق (126).

8- القرطبي – الجامع (397/6).

9- يوسف (80).

10- انظر : عبد الفتاح القاضي – البدور الزاهرة (204).

همز على القلب، قدمت الهمزة وأخرت الياء، ثم قلبت الهمزة ألفاً لأنها ساكنة قبلها فتحة؛ والأصل قراءة الجماعة؛ لأن المصدر ما جاء إلا على تقديم الياء – يأسا– والإياس ليس بمصدر أيس، بل هو مصدر أسته أوساً وإياساً أي أعطيته. وقال قوم: أيس ويئس لغتان؛ أي فلما يئسوا من رد أخيهم تشاوروا فيما بينهم لا يخالطهم غيرهم من الناس، يتناجون فيما عرض لهم"[1].

يلاحظ في هذه الأمثلة الثلاثة أن القرطبي وجه القراءات بالصرف مع بيان أصل الكلمة في اللغة.

ومن أمثلة توجيه القراءة بمراعاة القياس في اللغة. ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾[2].

قال : قرأ يزيد بن القعقاع (لا تأمنا) بالإدغام وبغير إشمام وهو القياس؛ لأن سبيل ما يدغم أن يكون ساكناً. وقرأ طلحة بن مصرف (لا تأمنُنا) بنونين ظاهرتين على الأصل وقرأ يحي بن وثاب (لا تِيمنّا) بكسر التاء، وهي لغة تميم، يقولون : أنت تِضرب.[3]

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترة عشرية لأبي جعفر يزيد بن القعقاع. ووجهها بأنها القياس ثم ذكر قراءة شاذة[4] وجهها أنها الأصل ثم ذكر قراءة شاذة[5] ووجهها بأنها لغة تميم. فهذا المثال شمل توجيه القراءة بمراعاة القياس والأصل وباللغة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾[6].

قال :" وأهل الكوفة يقرءون: (تحسبها) بفتح السين وهو القياس، لأنه من حسَب يحْسَب إلا أنه قد روي عن النبيﷺ خلافها أنه قرأ بالكسر في المستقبل، فتكون على فَعِلَ يفْعِل مثل نَعِمَ ينْعِم وبَئِس يبئِس"[7].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[8] ووجه القراءة الأولى أنها القياس ووجه القراءة الثانية بالصرف.

1- القرطبي – الجامع (246/9).

2- يوسف: (11).

3- القرطبي–الجامع (142/9).

4- انظر: ابن خالويه–مختصر في شواذ القرآن (62).

5- انظر: المرجع السابق (62).

6- النمل: (88).

7- القرطبي–الجامع (253/13).

8- انظر: عبد الفتاح القاضي–البدور الزاهرة (296).

وبعد هذه الجولة في منهج الإمام القرطبي في توجيه القراءات، يجدر بنا القول: إن الإمام القرطبي لم يتعرض لتوجيه الاختلافات الحاصلة بين القراء في هيئات النطق، كالفتح والإمالة، والمد والقصر، والترقيق والتفخيم في اللامات والراءات وغيرها من الاختلافات التي أطلق عليها علماء القراءات أصولاً إلا في أمثلة قليلة في موضوع تسهيل وتحقيق الهمز. ولعل سبب عدم التعرض لهذه الموضوعات يرجع إلى أن هذه الاختلافات لا يترتب عليها اختلاف في المعنى؛ لذا لم يتعرض لها لأن جلّ اهتمامه منصب على التفسير والمعنى لكل قراءة، سواء كان معنى القراءة مرادفاً للقراءة الأخرى، أو يختلف عنها اختلاف تنوع لها اختلاف تضاد أو تعارض.

وفي ختام هذا الفصل يتبين أن الإمام القرطبي قد اعتمد في احتجاجه للقراءات وتوجيهها على أمور كثيرة، منها القرآن الكريم، والقراءات المتواترة والشاذة، وسياق الآيات ونسقها، وموافقتها لخط المصحف أو مصاحف البلدان أو مصاحف الصحابة، وتوجيهها بالسنة الشريفة وأسباب النزول أحياناً، وباللغة العربية وما يتفرع منها مثل النحو والشعر والصرف ولغات العرب ولهجاتهم، مستعيناً في كثير من الأحوال بأقوال العلماء من التابعين وغيرهم من علماء اللغة والنحو وعلوم القران.

وكان في هذا كله متميز الشخصية مستقل الرأي معتدلاً غير متعصب لرأي أحد حتى لرأيه، فكان أحياناً يذكر رأيه وقناعته ثم يأتي بأقوال للعلماء تخالف رأيه بكل موضوعية وأمانة.

يمكن القول إن الإمام القرطبي قد برع وأبدع في توجيه القراءات، حيث إنه كان حريصاً على توجيهها بكل ما أوتى من علم وفهم، وعلى بيان معانيها المتنوعة المتعددة إثراءً للتفسير وإبرازاً لجماله، وبياناً لإعجاز هذا القرآن وجلاله.

فظهرت لنا من خلال هذا الفصل شخصية الإمام القرطبي، وبرز لنا ضلوعه وإمامته في كثير من العلوم التي سخرها لخدمة التفسير عامة ولخدمة القراءات وتوجيهها خاصة

هذا والله أعلى وأعلم.

الفصل الثالث
أثر القراءات القرآنية في تفسير القرطبي

وفيه ثلاثة مباحث:

1. **المبحث الأول: أثر القراءات على التفسير عمومًا.**
   - **أ- المطلب الأول: أثر القراءات على اللغة.**
   - **ب- المطلب الثاني: أثر القراءات في إبراز العقيدة الصحيحة وإبطال العقائد الفاسدة المنحرفة.**
   - **ج- المطلب الثالث: أثر القراءات في تأييد أو ترجيح رأي على غيره .**
   - **د- المطلب الرابع: أثر اختلاف القراءة على اختلاف سبب النزول.**
   - **هـ- المطلب الخامس: أثر القراءات على الوقف والابتداء وسجود التلاوة.**

2. **المبحث الثاني: أثر القراءات في استنباط الأحكام الفقهية.**
   - **أ- المطلب الأول: موقف الفقهاء من القراءات والاحتجاج بها في الأحكام الفقهية.**
   - **ب- المطلب الثاني: أثر القراءات المتواترة والشاذة في استنباط الأحكام الفقهية.**

3. **المبحث الثالث: أثر القراءات في استنباط المعاني المختلفة.**

المبحث الأول

أثر القراءات على التفسير عمومًا

التفسير لغةً:

هو البيان والإيضاح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [1]. والفسر –بتسكين السين– كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، واستفسرتُه كذا أي سألته أن يفسره لي[2].

التفسير اصطلاحًا:

قال أبو حيان: التفسير علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، و تتمات ذلك. قال: فقولنا (علم): جنس، وقولنا: (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن) هو علم القراءة. وقولنا: (ومدلولاتها) أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية) يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئًا ويصد عن الحمل عليه صادّ، فيُحمل على غيره، وهو المجاز. وقولنا: (تتمات ذلك) هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضيح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك[3].

وأما عن أثر القراءات القرآنية فإن لها أثر جليل على التفسير عموما يمكن تقسيم ذلك إلى هذه المطالب:

المطلب الأول

أثر القراءات على اللغة

أ- أثر القراءات على النحو:

كان للقراءات القرآنية أثر عظيم على النحو، ولقد استدل بها العلماء على صحة بعض القواعد النحوية، وعلى خطأ بعضها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الإمام القرطبي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[4].

1- الفرقان: (33).

2- انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة (فَسَرَ)، (261/10).

3- انظر: أبوحيان- البحر المحيط (121/1)، السيوطي- الإتقان في علوم القرآن (247/2).

4- يونس: (81).

قال: وقرأ أبو عمرو (آلسِّحر) على الاستفهام على إضمار مبتدأ، والتقدير: أهو السحر. ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير: السحر جئتم به. ولا تكون (ما) على قراءة من استفهم بمعنى الذي، إذ لا خبر لها. وقرأ الباقون (السِّحر) على الخبر، ودليل هذه القراءة قراءة ابن مسعود: (ما جئتم به السحر) وقراءة أبيّ: (ما أتيتم به السحر)، فـ(ما) بمعنى الذي، و(جئتم به) الصلة، وموضع (ما) رفع بالابتداء، و(السحر) خبر الابتداء. ولا تكون (ما) إذا جعلتها بمعنى نصبًا لأن الصلة لا تعمل في الموصول. وأجاز الفراء نصب (السحر) بـ(جئتم)، وتكون (ما) للشرط، و(جئتم) في موضع جزم بـ(ما) والفاء محذوفة، والتقدير: فإن الله سيبطله، ويجوز أن ينصب (السحر) على المصدر، أي ما جئتم به سحرًا، ثم دخلت الألف واللام زائدتين، فلا يحتاج على هذا التقدير إلى حذف الفاء. واختار هذا القول النحاس، وقال: حذف الفاء في المجازاة لا يجيزه كثير من النحويين إلا في ضرورة الشعر، كما قال: من يفعل الحسنات الله يشكرها[1]. بل ربما قال بعضهم: إنه لا يجوز البتة. قال الأصمعي: غيَّر النحويون هذا البيت، وإنما الرواية من يفعل الخير فالرحمن يشكره. وقال علي بن سليمان: حذف الفاء في المجازاة جائز. قال: والدليل على ذلك (ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)[2]، (وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم)، قراءتان مشهورتان معروفتان.[3]

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [4].

قال القرطبي: " قرأ نافع وابن عامر (بما كسبت) بغير فاء. والباقون (فبما) بالفاء، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم للزيادة في الحرف والأجر. قال المهدوي: إن قدرت أن (ما) الموصولة جاز حذف الفاء وإثباتها، والإثبات أحسن. وإن قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه، وأجازه الأخفش واحتج بقوله تعالى: (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)[5] "[6].

يلاحظ في المثال الأول أن علي بن سليمان استدل بالقراءة المتواترة[7]على خطأ قاعدة نحوية تقول أن حذف الفاء في المجاورة لا يجوز إلا للضرورة الشعرية فبين أن ذلك جائز بدليل القراءة المتواترة (بما كسبت أيديكم). وفي المثال الثاني ذكر القرطبي قول المهدوي أن حذف الفاء مع (ما) الشرطية لم يجز عند سيبويه، ولكن الأخفش أجازه مستدلاً بقوله تعالى: (وإن أطعتموهم إنكم

1- البيت لحسان بن ثابت وينسب لعبد الرحمن بن حسان، وتمامه: ... والشر بالشر عند الله مثلان، وهو من شواهد سيبويه في الكتاب(435/1)، انظر: ابن جني- المحتسب (193/1).

2- الشورى: (30).

3- انظر: القرطبي- الجامع (339/8).

4- الشورى: (30).

5- الأنعام: (121).

6- القرطبي- الجامع (31/16).

7- انظر: محمد راجح- القراءات العشر (486).

مشركون). هذان مثالان من تفسير القرطبي ذكرناهما وربما وجد غيرهما، ولكنّ الدكتور أحمد مكي الأنصاري[1] صاحب كتاب (نظرية النحو القرآني) ذكر أربعين مثالاً لقراءات قرآنية سبعية متواترة، دلل بها على خطأ قواعد نحوية وذكر أنه يجب تصحيح تلك القواعد بما يوافق القراءات القرآنية المتواترة، لأن القرآن الكريم هو الأصل الذي يجب أن يرجع إليه أولاً في تقعيد القواعد النحوية. وقد أعجبني هذا الطرح الجريء وسُررت به كثيرًا. يقول الدكتور أحمد الأنصاري: " ومعلوم أن النحو العربي نشأ متأخرًا عن القرآن الكريم، وذلك حينما دخل اللحن في اللسان العربي الفصيح، ومعلوم كذلك أن النحو استُنبط استنباطًا من مصادر اللغة العربية تلك التي يسمونها (مصادر السماع)، وما مصادر السماع إلا ما يأتي: 1- القرآن الكريم. 2- الحديث النبوي الشريف بشروطه الدقيقة التي ارتضاها العلماء. 3- كلام العلماء شعرًا ونثرًا "[2]. وقال أيضًا: " يجب علينا وجوبًا محتمًا أن نقدم النص القرآني على الشعر العربي وهذه المحاولة التي يقوم عليها هذا الكتاب من أوله إلى آخره "[3].

ومن الأمثلة الأربعين التي ذكرها الدكتور أحمد الأنصاري الدالة على خطأ قواعد نحوية تم تصحيحها، نذكر مثالين من تلك الأمثلة:

1- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [4]. قال الدكتور أحمد الأنصاري: قاعدة النحويين (لا يجوز عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض إلا بعد إعادة الخافض) ثم قال: يجب أن تُعدَّل إلى ما يلي: (يجوز عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض) وأقترح هذا التعديل استناداً إلى ما في القرآن الكريم في قراءة سبعية متواترة. ثم قال: وقد تمسك معظم النحويين بالقاعدة المألوفة فمنعوا عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض، مع أن ذلك وارد في القرآن في قراءة سبعية محكمة هي قراءة حمزة في سورة النساء: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) بجر (الأرحام) عطفاً على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض، كما أنها قراءة جماعة من كبار الصحابة والسلف الصالح من أمثال ابن عباس والحسن البصري والنخعي وقتادة والأعشى ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف. وقال أبو حيان: إنها قراءة متواترة

1- أحمد مكي الأنصاري: معاصر ولد بصعيد مصر سنة 1921م، وتعلم في الأزهر الشريف وحصل على الليسانس من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة 1950م، وعلى الدكتوراه بامتياز من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة1960م.

(انظر: كتابه نظرية النحو القرآني- الغلاف).

2- أحمد الأنصاري- نظرية النحو القرآني (23)

3- المرجع نفسه (16).

4- النساء: (1).

عن رسول اللهﷺ قرأ بها سلف الأمة واتصلت بأكابر قراء الصحابة مثل: عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأقرأ الصحابة أبيّ بن كعب[1]. ومع كل هذا التوثيق الدقيق لهذه القراءة المحكمة المتواترة رفض جمهور النحاة أن يتخذوها أساسًا للتقعيد وأكثر من هذا أنهم ردوها وضعفوها. ماذا علينا لو عدّلنا هذه القاعدة تعديلاً يسيرًا لتشمل الوارد من الشواهد وفي قمتها هذه القراءة السبعية المتواترة وغيرها من القراءات في كثير من الآيات. ثم ذكر من الآيات ما استدل به على كلامه ثم قال: كل ما سبق من الآيات البينات يجعلنا نطمئن كل الاطمئنان إلى تعديل القاعدة النحوية المألوفة كما عدلها من قبل الإمام التقي الورع الحصيف ابن مالك حين قال في ألفيته المشهورة:

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازمًا قد جُعلا

وليس عندي لازمًا إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتا[2]

وهذا هو المنهج الصحيح السليم في تقعيد القواعد كما هو معلوم في الأصول والتقنين أن (مقياس الترجيح هو السماع الصحيح). ويختم كلامه بقوله: ألا ترى معي أن إهدار قدر كبير من الشواهد يضعف هذه القاعدة ويزلزل أركانها ويصيبها في الصميم، ولو كان إدخال هذه الشواهد يهدم القاعدة هدمًا تامًا إذن لالتمسنا كل المعاذير وقلنا إن اللغة تحتاج إلى شيء من التقعيد ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث على الإطلاق ولاسيما في هذه القضية بالذات. فالقاعدة السليمة لا يضيرها شيء من جراء دخول هذه الشواهد وكل الذي يحدث هو أن تتسع فتشمل جميع الوارد من الشواهد مثل هذا الصنيع يعطيها قوة وحصانة ليس بعدها حصانة والله ولي التوفيق[3].

ولننظر إلى ما قاله شيخنا القرطبي في تلك المسألة. فبعد أن ذكر –القرطبي– أقوال النحاة في ردِّ قراءة حمزة وتضعيفها وعدم حِلِّ القراءة بها قال: " قلت: هذا ما وقفت عليه من القول لعلماء اللسان في منع قراءة (والأرحامِ) بالخفض واختاره ابن عطية. ورده الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري، واختار العطف فقال: ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين؛ لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراءات ثبتت عن النبيﷺ تواترًا يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبيﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبيﷺ، واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محذور ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو؛ فإن العربية تُتَلقى من النبيﷺ ولا يشك أحد في فصاحته".[4]

1– انظر: أبو حيان– البحر المحيط (157/3).

2– ابن عقيل–شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (239/3).

3– انظر: أحمد الأنصاري– نظرية النحو القرآني (78).

4– القرطبي– الجامع (9/5).

يلاحظ من هذا الكلام أن القرطبي سبق وأصل لما دعا إليه الدكتور أحمد الأنصاري في تقديم القراءة على كلام النحاة وعلى قواعدهم، وأنه يجب تصحيح تلك القواعد النحوية بما يوافق القراءات القرآنية المتواترة. وفي هذا بيان واضح لأثر القراءات الجليل على النحو العربي.

2- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [1].

قال الدكتور أحمد الأنصاري: قاعدة النحويين (لا يجوز الفصل بين المتضايفين في النثر مطلقًا) أي سواءً أكان الفاصل مفعولاً به أم غير ذلك مثل الظرف، الجار والمجرور...إلخ. ثم قال: وينبغي أن تعدَّل القاعدة إلى ما يأتي: (يجوز الفصل بين المتضايفين في النثر بالمفعول به)، وأقترح هذا التعديل استنادًا إلى ما ورد في القرآن الكريم في قراءة سبعية محكمة وهي قراءة ابن عامر [2] في قوله تعالى: (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائِهم) ثم قال: ولمّا كان الفصل بين المتضايفين واردًا في نص قرآني موثوقاً به كل الثقة كان لزامًا علينا أن نعدِّل القاعدة النحوية تعديلاً يليق بجلال القرآن الكريم، فقولنا (يجوز) بدلاً من (لا يجوز) وهو تعديل يسير، لا يضير النحو في قليل أو كثير، بل إنه يقويه ويغذيه بأوثق النصوص. كما أن العارفين بوضع القواعد في اللغات يعترفون بأن هذا الصنيع يعد خدمة كبرى للنحو العربي بالذات؛ لأنه يوسع قواعده بحيث تشمل جميع الوارد من الشاهد من الشواهد بدلاً من بتر جزء مهم من شواهدها بل أهم جزء فيها على الإطلاق، وهو النص القرآني المحكم. ثم ذكر أن هذا التعديل ليس بدعًا من عنده إنما استند -بعد الله- إلى طائفة كبيرة من العلماء الأجلاء كان منهم الإمام ابن مالك والقشيري وأبو حيان وابن الجزري والبنا الدمياطي وغيرهم كثير. ثم دلل على تلك القاعدة بما جاء في القرآن الكريم وما ورد في لسان العرب من شعر ونثر ثم قال: ماذا علينا لو تقبلنا هذه النصوص الكثيرة بقبول حسن وفي قمتها -بالطبع- قراءة ابن عامر، تلك القراءة السبعية المحكمة المتواترة؟ ماذا علينا لو قبلنا كل ذلك وعدّلنا القاعدة النحوية تعديلاً يسيرًا ينفعها ولا يضرها؟ هل كانت القاعدة النحوية في

يوم من الأيام أعز علينا من الآية القرآنية في قراءتها السبعية؟[3]

وأما شيخنا القرطبي فقد سبق الدكتور أحمد الأنصاري في الدفاع عن القراءة بما ذكره من أقوال العلماء المدافعين عن هذه القراءة -قراءة ابن عامر- حيث قال: " قال القشيري: وقال قوم هذا قبيح. وهذا محال؛ لأنه إذا ثبتت القراءة بالتواتر عن النبيﷺ فهو الفصيح لا القبيح. وقد ورد

1- الأنعام: (137).

2- انظر: محمد راجح- القراءات العشر المتواترة (145).

3- انظر: أحمد الأنصاري- نظرية النحو القرآني (80).

ذلك في كلام العرب وفي مصحف عثمان (شركائهم) بالياء وهذا يدل على قراءة ابن عامر "[1].
هكذا التقى علماء القراءات وعلماء النحو المخلصين مدافعين عن القراءات، مظهرين أثرها العظيم في خدمة النحو وخدمة اللغة العربية عامة.

أكتفي بهذين المثالين من بين الأمثلة الأربعين التي ذكرها ذلك الدكتور الجريء في الحق التي بين فيها أثر القراءات العظيم في علم النحو؛ وإنني لأرجو أن تُعتمد هذه القواعد النحوية القرآنية في مجمع اللغة العربية وفي الجامعات والمعاهد والمدارس لتتم الفائدة الحقيقية العملية من القراءات القرآنية في خدمة النحو، ولنغلق بذلك باب شر عظيم وهو اتهام القراءات باللحن والضعف ومخالفة قواعد اللغة، ونتعلم ونعلِّم أبناءنا قواعد اللغة العربية الصافية النقية من الشوائب التي علقت بها، والتي كان سببها الأول الاهتمام بالشعر وكلام العرب على حساب القرآن الكريم وقراءاته المتواترة في تقعيد قواعد اللغة العربية، رغم أن الطريق السليم في تقعيد القواعد –كما بين الدكتور أحمد الأنصاري– هو مصدر السماع من القرآن الكريم أولاً، ثم السنة النبوية الصحيحة ثم كلام العرب شعرًا ونثرًا.

ب–أثر القراءات في مجال المفردات العربية:

فالقراءات القرآنية كشفت عن فصاحة مفردات في اللغة العربية يُظن أنها لحن أو خطأ عام شائع. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[2].

قال القرطبي : " (وخاتم) قرأ عاصم وحده بفتح التاء، بمعنى أنهم به خُتموا؛ فهو كالخاتَم والطابَع لهم. وقرأ الجمهور بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم؛ أي جاء آخرهم، وقيل الخاتَم والخاتِم لغتان؛ مثل طابَع وطابِع "[3].

ففي هذا المثال يلاحظ أن كلمة (خاتم) لها قراءتان متواترتان،[4] وهما لغتان فصيحتان ليس النطق بإحداهما لحن أو لهجة عامية، وكذلك كل ما سيأتي من أمثلة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ﴾[5].

1– القرطبي–الجامع (94/7).

2– الأحزاب: (40).

3– القرطبي– الجامع (191/14).

4– انظر: البنا– إتحاف فضلاء البشر (455).

5– المؤمنون: (20).

قال : " قرأ الكوفيون[1] بفتح السين على وزن فَعلاء، وفعلاء في كلام العرب كثير؛ يمنع من الصرف في المعرفة والنكرة؛ لأن في آخرها ألف التأنيث، وألف التأنيث ملازمة لما هي فيه، وليس في الكلام فِعلاء، ولكن من قرأ سِيناء بكسر السين جعله فعلالا؛ فالهمزة فيه كهمزة حِرباء، ولم يصرف في هذه الآية لأنه جعل اسم بقعة "[2].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[3].

قال: " وقرأ أبو حيوة[4] وغيره بكسر الراء من (الرضاعة) وهي لغة كالحَضارة والحِضارة. وروي عن مجاهد أنه قرأ (الرضعة) على وزن الفعلة. قال النحاس[5]: لا يعرف البصريون (الرضاعة) إلا بفتح الراء، ولا (الرضاع) إلا بكسر الراء؛ مثل القتال. وحكى الكوفيون كسر الراء مع الهاء، وفتحها بغير هاء[6].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين شاذتين[7]، وجه الأولى بأنها لغة والثانية بالصرف، فهاتان القراءتان لغتان صحيحتان من لغات العرب، علمنا ذلك من خلال القراءات القرآنية وتوجيهها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾[8].

قال: " قرأ الجمهور (المخاض) بفتح الميم. وابن كثير فيما روي عنه بكسرها[9]، وهو الطلق وشدة الولادة وأوجعها. مخضت المرأة تمخض مخضًا ومِخاضًا "[10].

1- انظر: الصفاقسي- غيث النفع (195).

2- القرطبي- الجامع(122/12).

3- البقرة: (233).

4- أبو حيوة: شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي صاحب القراءة الشاذة، توفي سنة 203هـ. (انظر: غاية النهاية 325/1).

5- انظر: النحاس- إعراب القرآن (316/1).

6- انظر: القرطبي- الجامع (162/3).

7- انظر: ابن خالويه- مختصر في شواذ القرآن (14).

8- مريم: (23).

9- انظر: ابن خالويه- مختصر في شواذ القرآن (84).

10- القرطبي- الجامع (98/11).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾[1].

قال:"فأما (يونس ويوسف) فروي عن الحسن أنه قرأ (ويونِس)[2] بكسر النون وكذا (يوسِف)".

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾[3].

قال القرطبي:" قرأ أهل الكوفة (فلإمه الثلث)[4]. وهي لغة حكاها سيبويه[5]. قال الكسائي: هي لغة كثير من هوازن وهذيل؛ ولأن اللام لما كانت مكسورة وكانت متصلة بالحرف كرهوا ضمة بعد كسرة، فأبدلوا من الضمة كسرة؛ لأنه ليس في الكلام فعل. ومن ضم جاء به على الأصل؛ ولأن اللام تنفصل لأنها داخلة على الاسم. قاله جميعه النحاس[6] "[7].

يتضح من هذه الأمثلة وغيرها أنه توجد كلمات يتكلم بها الناس ربما يظنون أنها كلمات عامية وليست فصحى، ولكننا علمنا أنها لغات عربية فصيحة أصيلة كانت العرب تتكلم بها، والذي كشف لنا عن هذا السر معرفتنا بالقراءات القرآنية وتوجيهها فكان لهذه القراءات الفضل في بيان ذلك.

1- النساء: (163).

2- القراءة شاذة. انظر: أبو حيان-البحر المحيط (397/3).

3- النساء: (11).

4- انظر: الصفاقسي- غيث النفع في القراءات السبع (80).

5- انظر: سيبويه- الكتاب (272/2).

6- انظر: النحاس- إعراب القرآن (440/1).

7- القرطبي- الجامع (76/5).

المطلب الثاني

أثر القراءات في إبراز العقيدة الصحيحة وإبطال العقائد الفاسدة المنحرفة

إن الإمام القرطبي عمل من خلال توجيه القراءات على إبراز العقيدة الصحيحة وإبطال العقائد الفاسدة المنحرفة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [1].

قال: " وقرأ ابن عباس ومجاهد: (بل زيَّن للذين كفروا مكرهم) مسمى الفاعل؛ وعلى قراءة الجماعة فالذي زين للذين كفروا مكرهم الله تعالى، وقيل الشيطان. ويجوز أن يسمى الكفر مكرًا؛ لأن مكرهم بالرسولﷺ كان كفرًا. (وصُدّوا عن السبيل) أي صدّهم الله؛ وهي قراءة حمزة والكسائي . والباقون بالفتح ؛ أي صدّوا غيرهم ؛ واختاره أبوحاتم ، اعتبارًا بقوله : (ويصدون عن سبيل الله)[2]. وقوله: (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)[3]، وقراءة الضم أيضًا حسنة في (زُيّن) و(صُدّوا) لأنه معلوم أن الله فاعل ذلك في مذهب أهل السنة ففيه إثبات القدر"[4].

يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءة شاذة[5]، ثم ذكر قراءتين متواترتين[6]، وصرح بتحسين القراءة الثانية لأن فيها إثبات القدر وهو مذهب أهل السنة وإبطالاً لمذهب القدرية نفاة القدر.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[7].

قال:وقرأ ابن عامر وحده (يرون) بضم الياء،والباقون بفتحها.وقرأ الحسن ويعقوب وأبو جعفر (إن القوة)، (إن الله) بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف أو على تقدير القول؛ أي ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب يقولون إن القوة لله. وثبت بنص هذه الآية القوة لله، بخلاف قول

1- الرعد: (33).

2- الأنفال: (47).

3- الفتح: (25).

4- القرطبي:- الجامع (333/9).

5- انظر: ابن خالويه- مختصر في شواذ القرآن (67).

6- انظر: محمد راجح- القراءات العشر المتواترة (253)، ابن الجزري- تحبير التيسير في القراءات العشر (131).

7- البقرة: (165).

المعتزلة[1] في نفيهم معاني الصفات القديمة، تعالى الله عن قولهم[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر أن هذه الآية بقراءاتها المتواترة أكدت على إثبات صفة القوة لله عز وجل، وفي ذلك إبطالاً لقول المعتزلة في نفيهم لبعض صفات الله تعالى.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3].

قال: " وقرأ يحيى بن وثاب (إنما نملي لهم) بكسر إن فيهما جميعًا. قال أبو جعفر[4]: وقراءة يحيى بن وثاب حسنة. كما تقول: حسبت عمرًا أبو خالد. قال أبو حاتم: سمعت الأخفش يذكر كسر (إن) يحتج به لأهل القدر؛ لأنه كان منهم. ويجعل على التقديم والتأخير (ولا يحسِبن الذين كفروا إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا إنما نملي لهم خيرًا لأنفسهم) قال: ورأيت في مصحف في المسجد الجامع قد زادوا فيه حرفًا فصار (إنما نملي لهم إيمانًا) فنظر إليه يعقوب القارئ فتبين اللحن فحكَّه. والآية نص في بطلان مذهب القدرية؛ لأنه أخبر أنه يطيل أعمارهم ليزدادوا الكفر بعمل المعاصي"[5].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة شاذة[6] وذكر أن بعض الناس احتجوا بهذه القراءة لأهل القدر مع تأويل فاسد للآية، لكن القرطبي ردَّ بقوله أن الآية بما فيها من قراءات نص في بطلان مذهب القدرية[7].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾[8].

قال القرطبي:" (فإذا فرغت) قال ابن عباس: فإذا فرغت من صلاتك (فانصب) أي بالغ في الدعاء وسله حاجتك. وقال ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل. وعن مجاهد: (فإذا فرغت) من دنياك، (فانصب) في صلاتك. قال ابن العربي: ومن المبتدعة من قرأ هذه الآية (فانصب) بكسر الصاد، والهمز من أوله، وقالوا: معناه: انصِب الإمام الذي

1- المعتزلة: فرقة انحرفت عن أهل السنة، وذلك لما خالف واصل بن عطاء الحسن البصري في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن من مجلسه، فاعتزل إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فقيل له ولأتباعه (معتزلة) لاعتزالهم قول الأمة في دعواهم أن الفاسق لا مؤمن ولا كافر. (انظر: عبد القادر الاسفرائيني- الفرق بين الفرق 15).

2- انظر: القرطبي- الجامع (210/2).

3- آل عمران: (178).

4- انظر: النحاس- إعراب القرآن (421/1).

5- القرطبي- الجامع (296/4).

6- انظر: ابن خالويه- مختصر في شواذ القرآن.

7- القدرية: هم القائلون بأنه لا قدر وأن الله تعالى لم يقدر الشر، وأن العبد يخلق فعل نفسه، وأن الله لم يشأ ما يقع من العبد، وبعضهم قد نفى علم الله السابق على وجود الأشياء. (انظر: ابن عثيمين- تقريب التدمرية 146).

8- الشرح: (7).

تستخلفه. وهذا باطل في القراءة باطل في المعنى؛ لأن النبيﷺ لم يستخلف أحدًا"[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة الجمهور وذكر لها معاني متعددة، ثم ذكر قراءة شاذة[2] افتراها أهل الشيعة[3] ليؤيدوا بها مذهبهم، لكن الإمام القرطبي رد عليهم بأن القراءة باطلة من حيث القراءة فلم يقرأ بها أحد من القراء المعروفين بالقراءة، وباطلة معنىً لأن النبي ﷺ لم يثبت عنه أنه استخلف أحدًا.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[4].

قال: " (وكلم الله موسى تكليمًا) (تكليمًا) مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان من يقول: خلق لنفسه كلامًا في شجرة فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلمًا. قال النحاس[5]: وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازًا"[6].

ففي كلام القرطبي تأكيد على أن كلام الله لموسى حقيقة لا مجازًا – وهو مذهب أهل السنة– مؤكدًا على ذلك بإجماع النحويين، مبطلاً بذلك التأويل الفاسد. من خلال هذا المثال نلاحظ أن المعتزلة عملوا على نصرة مذهبهم الفاسد القائل بخلق كلام الله تعالى، أو نفي صفة الكلام عن الله بتحريف القراءة القرآنية –كما ذكر الزمخشري[7]–. ثم إنهم أوّلوا الآية تأويلاً فاسدًا –كما ذكر القرطبي– كل ذلك من أجل نصرة مذهبهم الفاسد.

1– انظر: القرطبي– الجامع (109/20).

2– انظر: أبو حيان– البحر المحيط (489/8).

3– الشيعة: هم الذين شايعوا علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وغلوا فيه، وقالوا بإمامته نصًا ووصية، إما جليًا أو خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده. وليست الإمامة عندهم قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسولﷺ إغفاله وإهماله وتفويضه إلى العامة. (انظر: تقريب التدمرية 156).

4– النساء: (164).

5– انظر: النحاس– إعراب القرآن (517/1).

6– القرطبي– الجامع (21/6).

7– قال الزمخشري:" وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب أنهما قرأا (وكلم الله) بالنصب ". (انظر: الكشاف 582/1).
ومعنى هذه القراءة أن موسى –عليه السلام– هو الذي كلم الله تعالى فقط ولم يثبت عن الله تكليم بهذه القراءة.

المطلب الثالث

أثر القراءات في تأييد أو ترجيح رأي على غيره من الآراء

لقد كان للقراءات القرآنية عند الإمام القرطبي أثر في ترجيح بعض الآراء على غيرها:

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

قال القرطبي: " قال مجاهد: إن آزر ليس باسم أبيه وإنما هو اسم صنم، و(آزر) فيه قراءات (أإزرا) بهمزتين، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة؛ عن ابن عباس. وعنه (أأزرا) بهمزتين مفتوحتين وقرئ بالرفع، وروي ذلك عن ابن عباس. وعلى القراءتين الأوليين عنه (تتخذ) بغير همزة. قال المهدوي: أإزرا ؟ فقيل إنه اسم صنم؛ فهو منصوب على تقدير أتتخذ إزرا ؟ وكذلك أأزرا ؟ ويجوز أن يجعل (أإزرًا) على أنه مشتق من الأزر وهو الظهر فيكون مفعولاً من أجله؛ كأنه قال: أللقوة تتخذ أصنامًا؟ ويجوز أن يكون إزر بمعنى وزر، وأبدلت الواو همزة. وقرئ (آزرُ) أي يا آزر، على النداء المفرد، وهي قراءة أبيّ ويعقوب وغيرهما. وهو يقوي قول من يقول: إن آزر اسم أب إبراهيم"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قولين في معنى (آزر)، ثم ذكر قراءات شاذة[3]، لهذه الكلمة كان منها قراءة ليعقوب قوى بها الرأي الثاني القائل أن (آزر) هو أب إبراهيم.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[4].

قال:" واختلف في قوله: (هؤلاء بناتي) فقيل: كان له ثلاث بنات من صلبه. وقيل بنتان، زيتا وزعوراء؛ فقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه. وقيل: ندبهم في هذه الحالة إلى النكاح، وكانت سنتهم جواز نكاح الكافر المؤمنة؛ وقد كان هذا في أول الإسلام جائزاً ثم نسخ؛ فزوج رسول الله بنتًا له من عتبة بن أبي لهب، والأخرى من أبي العاص بن الربيع قبل الوحي، وكانا كافرين. وقالت فرقة –منهم مجاهد وسعيد بن جبير– أشار بقوله: (بناتي) إلى النساء جملة؛إذ نبي القوم أب لهم؛ ويقوي هذا أن في قراءة ابن مسعود (النبي أولى بالمؤمنين من

1– الأنعام: (74).

2– انظر: القرطبي– الجامع (26/7).

3– انظر: ابن خالويه– مختصر في شواذ القرآن (38).

4– هود: (79).

أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم). وقالت طائفة: إنما كان الكلام مدافعة ولم يرد إمضاءه"[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر أقوالاً في معنى (هؤلاء بناتي) ثم ذكر أن أحد الأقوال تقويه قراءة شاذة[2] لعبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– ليكون بذلك أوضح الأقوال. فكان للقراءة أثر في ترجيح أحد الأقوال.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[3].

قال: " قرأ نافع وابن ذكوان بالهمز على الأصل في الموضعين؛ من قولهم برأ الله الخلق، وهو البارئ الخالق، وقال: (من قبل أن نبرأها)[4] ، والباقون بغير الهمز؛ وشد الياء عوضًا منه. قال الفراء[5]: إن أخذت البرية من البرى، وهو التراب؛ فأصله غير الهمز؛ تقول منه: براه الله يبروه بروًا؛ أي خلقه. قال القشيري: ومن قال البرية من البرى، وهو التراب، قال: لا تدخل الملائكة تحت هذه اللفظة... واستدل بقراءة الهمز مَن فضّل بني آدم على الملائكة"[6].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[7]، وذكر في موضع سابق أن العلماء اختلفوا في أيهما أفضل الملائكة أم بني آدم على قولين[8]، وذكر هنا أن القائلين بفضل بني آدم على الملائكة استدلوا بقراءة الهمز لأنها تعني كل الخلق،أما القراءة الأخرى فتعني من التراب فقط. وهكذا كان للقراءة المتواترة أثر في ترجيح أحد الرأيين على الآخر.

1- القرطبي- الجامع (79/9).

2- انظر: ابن خالويه- مختصر في شواذ القرآن (119).

3- البينة: (7).

4- الحديد: (22).

5- انظر: الفراء- معاني القرآن (282/3).

6- القرطبي- الجامع (144/20).

7- انظر: محمد راجح- القراءات العشر المتواترة (598).

8- انظر: القرطبي- الجامع (302/1).

المطلب الرابع

أثر اختلاف القراءة على تعدد سبب النزول

عندما يكون للآية سبب نزول واحد صحيح لا يكون للمفسر مجال في الاجتهاد لأن الأمر محسوم غير قابل للاجتهاد. ولكن عندما يُذكر للآية أكثر من سبب نزول يحاول العالم المفسر أن يجتهد في التوفيق بين السببين، وإن لم يستطع يحاول ترجيح أحدهما على الآخر فقد تكون إحدى الروايتين أصح من الأخرى فتقدم، أو تكون إحدى الروايتين صرحت بذكر السبب ولم تكن في الثانية فتقدم الأولى وهكذا[1].

وكان للقراءات القرآنية عند الإمام القرطبي أثر في توجيه أو ترجيح أسباب النزول المتعددة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[2].

قال القرطبي بعد أن ذكر قراءتين متواترتين، قراءة الجمهور[3] بالتشديد (المعذِّرون) وقراءة يعقوب بالتخفيف (المُعْذِرون). قال: " فعلى قراءة التخفيف قال ابن عباس: هم الذين تخلفوا بعذر فأذن لهم النبيﷺ وقيل: هم رهط عامر بن الطفيل قالوا: يا رسول الله، لو غزونا معك أغارت أعراب طيء على حلائلنا وأولادنا ومواشينا؛ فعذرهم النبيﷺ، وعلى قراءة التشديد في القول الثاني هم قوم من غفار اعتذروا فلم يعذرهم النبيﷺ لعلمه أنهم غير محقين. والله أعلم"[4].

هكذا رأينا أن لكل سبب نزول حجة من القراءة المتواترة، ولا تعارض بين السببين، وكأن كل قراءة تمثل آية مستقلة لها سبب نزول مستقل، وفي هذا دليل واضح على إعجاز القرآن الكريم وروعته المتمثل بالقراءات القرآنية في هذه الآية.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[5].

قال: " قال مقاتل: إن النبيﷺ قال: (لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا)؛ فأنزل الله تعالى: (ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم) برفع تسأل، وهي قراءة الجمهور، ويكون في موضع الحال بعطفه على (بشيرًا ونذيرًا). والمعنى: إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا غير مسئول وقال سعيد الأخفش: ولا تسألُ بفتح التاء وضم اللام؛ ويكون في موضع الحال عطفًا على (بشيرًا ونذيرًا). والمعنى: إنا

1- انظر: السيوطي- الإتقان في علوم القرآن (68/1)، د. فضل عباس- إتقان البرهان (296/1).

2- التوبة: (90).

3- انظر: محمد راجح- القراءات العشر المتواترة (201).

4- القرطبي- الجامع (209/8).

5- البقرة: (119).

أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا غير سائل عنهم؛ لأن علم الله بكفرهم بعد إنذارهم يغني عن سؤاله عنهم. هذا معنى غير سائل. ومعنى غير مسئول: لا يكون مؤاخذ بكفر من كفر بعد التبشير والإنذار. وقال ابن عباس: إن رسول اللهﷺ قال ذات يوم: (ليت شعري ما فعل أبواي) فنزلت هذه الآية؛ وهذا على قراءة من قرأ (ولا تسألْ) جزمًا على النهي، وهي قراءة نافع وحده؛ وفيه وجهان: أحدهما: أنه نُهي عن السؤال عمن عصى وكفر من الأحياء؛ لأنه قد يتغير حاله فينتقل عن الكفر إلى الإيمان، وعن المعصية إلى الطاعة. الثاني: وهو الأظهر، أنه نُهي عن السؤال عمن مات على كفره ومعصيته، تعظيمًا لحاله وتغليظًا لشأنه، وهذا كما يقال: لا تسأل عن فلان! أي قد بلغ فوق ما تحسب. وقرأ ابن مسعود (ولن تسأل) وقرأ أبيّ (وما تسأل)؛ ومعناهما موافق لقراءة الجمهور، نفى أن يكون مسئولاً عنهم"[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر سببين لنزول هذه الآية الكريمة، وبعد كل سبب ذكر قراءة متواترة[2] تأكيدًا لهذا السبب.

وإذا أردنا أن نطبق ما قاله علماء التفسير عند اختلاف الروايات في سبب النزول، فإننا نقول أن الرواية الثانية حديث مرسل غير ثابت[3]. وقد رد الإمام الطبري[4] هذه الرواية واختار الرواية الأولى. وخلاصة الكلام أن الأخذ بسبب النزول الأول هو الأولى لما سبق ذكره، ويؤيد ذلك قراءة الجمهور، وقراءة عبد الله بن مسعود (ولن تسأل) وقراءة أبيّ (وما تسأل) ومعناهما موافق لقراءة الجمهور –كما ذكر القرطبي–.

1– القرطبي– الجامع (100/2).

2– انظر: ابن خلف الأنصاري– الإقناع (376).

3– انظر: ابن كثير في تفسيره (163/1)، الزحيلي– تفسير المنير (294/1).

4– انظر: السيوطي– لباب النقول في أسباب النزول (38).

المطلب الخامس

أثر القراءات على الوقف والابتداء وعلى سجود التلاوة

معلوم أن الوقف والابتداء متعلق بمعنى الآية، ولما كان اختلاف القراءة يؤدي إلى اختلاف المعنى أحيانًا، فإنه يترتب على هذا الاختلاف، اختلاف الوقف والابتداء.

ومن الأمثلة التي أدى فيها اختلاف القراءة إلى اختلاف الوقف:ما ذكره القرطبي عند تفسير قوله تعالى:﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾[1].

قال القرطبي: " وقرأ عبدالله بن عامر وعاصم في رواية أبي بكر عنه والحسن (يُسبَّح له فيها) بفتح الباء على ما لم يُسمّ فاعله. وكان نافع وابن عمرو وأبو عمرو وحمزة يقرءون (يُسبِّح) بكسر الباء؛ وكذلك روى أبو عمرو عن عاصم. فمن قرأ (يُسبَّح) بفتح الباء كان على معنيين: أحدهما: أن يرتفع (رجال) بفعل مضمر دل عليه الظاهر؛ بمعنى يسبحه رجال؛ فيوقف على هذا على (الآصال)... والوجه الثاني: أن يرتفع (رجال) بالابتداء، والخبر (في بيوت)؛ أي في بيوت أذن الله أن تُرفع رجال. (ويسبَّح له فيها) حال من الضمير في (ترفع)؛ كأنه قال: أن ترفع؛ مسبَّحًا فيها، ولا يوقف على (الآصال) على هذا التقدير. والفعل مضطر إلى فاعله ولا إضمار فيه"[2].

يلاحظ في هذا المثال أن اختلاف القراءة أثّر على اختلاف الوقف، حيث في القراءة الأولى يوقف على الآصال على المعنى الأول، وفي القراءة الثانية لم يوقف على الآصال، والقراءتان متواترتان[3].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[4].

قال:" عاصم وحمزة والكسائي يقرءون: (أنّا) بالفتح؛ وقال ابن الأنباري: فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على (عاقبة مكرهم) لأن (أنّا دمرناهم) خبر كان. ويجوز أن تجعلها في موضع رفع على الاتباع للعاقبة. ويجوز أن تجعلها في موضع نصب من قول الفرّاء، وخفض من قول الكسائي على معنى: بأنّا دمرناهم ولأنا دمرناهم. ويجوز أن تجعلها في موضع نصب على الاتباع لموضع (كيف) فمن هذه المذاهب لا يحسن الوقف على (مكرهم). وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (إنّا دمرناهم) بكسر الألف على الاستئناف؛ فعلى هذا المذهب يحسن الوقف

1- النور: (36).

2- القرطبي-الجامع (276/12).

3- عبد الفتاح القاضي-البدور الزاهرة (278).

4- النمل: (51).

على (مكرهم)"[1]. يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[2]، وذكر أن في القراءة الأولى لا يحسن الوقف على (مكرهم) وفي الثانية يحسن الوقف على (مكرهم)، فكان لاختلاف القراءة أثر على اختلاف الوقف.

ومثال أثر القراءات على سجود التلاوة ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[3].

قال القرطبي: قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم وحمزة: (ألا يسجدوا لله) بتشديد (ألا). قال ابن الأنباري: (فهم لا يهتدون) غير تام لمن شدد (ألا)؛ لأن المعنى: وزيّن لهم الشيطان ألا يسجدوا، وعلى هذه القراءة فليس بموضع سجدة؛ لأن ذلك خبر عنهم بترك السجود، إما بالتزيين، أو بالصد، أو بمنع الاهتداء. وقرأ الزهري والكسائي وغيرهما: (ألا يسجدوا لله) بمعنى ألا يا هؤلاء اسجدوا، قال الكسائي: ما كنت أسمع الأشياخ يقرءونها إلا بالتخفيف على نية الأمر. وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (ألا هل تسجدوا لله) بالتاء والنون، وفي قراءة أبي (ألا تسجدوا لله) فهؤلاء القراءتان حجة لمن خف. الزجاج: وقراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود دون التشديد[4].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[5]، وذكر نقلاً عن أولي العلم أن قراءة التشديد ليست بموضع سجدة لأن معنى الآية إخبار عن الكافرين بترك السجود، أما قراءة التخفيف فتقتضي وجوب السجود لأنها بمعنى ألا يا هؤلاء اسجدوا. وبهذا المثال تبين أن اختلاف القراءة كان له أثر في اختلاف وجوب السجود أو عدم وجوبه.

هكذا تبين لنا أن للقراءات القرآنية أثراً جليلاً على التفسير عموماً من نواح متعددة فكان لها أثر على اللغة العربية حيث النحو وقواعده وفي مجال المفردات العربية وكان لها أثر عظيم في إبراز العقيدة الصحيحة وإبطال العقائد الفاسدة المنحرفة. وكان لها أثر في توجيه أسباب النزول المتعددة، وعلى الوقف والابتداء وعلى سجود التلاوة. وكان للقراءات أثر واضح في استنباط الأحكام الفقهية في تفسير القرطبي وهذا ما سيكون في المبحث التالي.

1- القرطبي-الجامع (226/13).

2- انظر: أبو عمرو الداني-التيسير (136).

3- النمل: (25).

4- انظر: القرطبي-الجامع (195/13).

5- انظر: النشار-المكرر في القراءات السبع (295).

المبحث الثاني
أثر القراءات في استنباط الأحكام الفقهية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقف الفقهاء من القراءات والاحتجاج بها في الأحكام الفقهية.

المطلب الثاني: أثر القراءات المتواترة والشاذة في استنباط الأحكام الفقهية.

المطلب الأول
موقف الفقهاء من القراءات والاحتجاج بها في الأحكام الفقهية.

أولاً: موقفهم من القراءات المتواترة.

لقد كان الفقهاء في عصور الإسلام الأولى على علم كبير بالقراءات القرآنية، وكانوا يهتمون بها اهتماماً عظيماً، وكانوا يبحثون عن وجوهها للاستدلال بها على الأحكام الشرعية وما يترتب على تلك القراءات من آثار فقهية. وقد جمعوا بين علم الفقه وعلم القراءات، وأتقن بعضهم كلا العلمين لارتباطهما ببعضهما في بيان الأحكام الشرعية. ومن هؤلاء الذين اهتموا بالعلمين معاً واشتهروا بذلك الإمام الحسن البصري الذي قال عنه الإمام الشافعي – رضي الله عنه – " لو أشاء أن أقول إن القرآن نزل بلغة الحسن البصري لقلت لفصاحته"[1].

وكان الفقهاء مع غزارة علمهم ورفعة شأنهم وعظيم منزلتهم يعظّمون علماء القراءات ويجلّونهم، ويرجعون إليهم في بعض الأمور التي تعترضهم. من ذلك قول الإمام أبي حنيفة – رحمه الله – للإمام حمزة الزيات: " شيئان غلبتنا عليهما لا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض"[2]. ومن ذلك قول الإمام مالك إمام دار الهجرة عن أبي جعفر أحد القراء العشرة " كان أبو جعفر رجلاً صالحاً يقرئ الناس بالمدينة "[3].

ولولا معرفة الإمام مالك بعلم القراءات وفهمه لها ما شهد بالصلاح والإقراء لأبي جعفر. وحينما سئل الإمام مالك عن حكم الجهر بالبسملة أثناء الصلاة قال: " سلوا نافعاً فكل علم يُسأل عنه أهله، ونافع إمام الناس في القراءة "[4]. وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – عن القراءات أيها أحب إليك قال:" قراءة أهل المدينة – أي قراءة نافع – ، قيل: فإن لم يكن، قال: فقراءة عاصم من رواية أبي بكر بن عياش، وأثنى على قراءة أبي عمرو البصري، ولم يكره قراءة أحد من العشرة، إلا قراءة حمزة والكسائي، لما فيها من الكسر والإدغام والتكلف وزيادة المد، غير

1– انظر: د. صبري عبد الرءوف عبد القوي – أثر القراءات في الفقه الإسلامي (176).

2– انظر: د. نبيل محمد اسماعيل – علم القراءات (368).

3– انظر: ابن الجزري – غاية النهاية (342/2).

4– انظر: د. نبيل محمد اسماعيل – علم القراءات (369).

أنـه نُقل عنـه التسـهيل فـي ذلـك، وأن قراءتهمـا فـي الصـلاة جـائزة، وقيـل لـه: إمـام يصـلي بقـراءة حمزة، أصلي خلفه؟ قال: لا يبلغ به هذا كله، ولكنها لا تعجبني قراءة حمزة"[1].

مما سبق يتبين لنا أن الفقهاء كانوا يقرءون بقراءات متعددة، أو على الأقل على علم كبير ودقيق بهذه القراءات، مما يجعلهم مؤهلين للتمييز بين القراءات المتواترة نفسها، أو بينها وبين القراءات الشاذة المقبولة وغير المقبولة؛ لما لذلك من أهمية في استنباط الأحكام الفقهية. والفقهاء يقولون بوجوب العمل بالقراءتين المتواترتين ما دامتا متواترتين؛ لأنه لا أولوية بينهما ما دامت كل قراءة منهما قد ثبت قرآنيتها وتواترها وأجمع المسلمون على جواز القراءة بها والعمل بما يترتب عليها[2].

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميّة – رحمه الله – فضل العالم بالقراءات على غيره بقوله: أما نفس معرفة القراءة وحفظها فسنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، فمعرفة القراءات التي كان النبيﷺ يقرأ بها، أو يقرُّهم على القراءة بها، أو يأذن لهم، وقد أقرءوا بها، سنة. والعارف في القراءات الحافظ لها له مزية على من لم يعرف ذلك، لا يعرف إلا قراءة واحدة[3]. وقال مبيناً موقف العلماء من القراءات العشر: ولم ينكر أحد من العلماء قراءة العشرة، ولكن من لم يكن عالماً بها أو لم تثبت عنده كمن يكون في بلد من بلاد الإسلام بالغرب أو غيره ولم تصل له بعض هذه القراءات فليس له أن يقرأ بما لا يعلمه، فإن القراءة كما قال زيد بن ثابت سنة يأخذها الآخر عن الأول[4].

هكذا تبين لنا موقف العلماء من القراءات المتواترة، وهو موقف المقر بهذه القراءات الموجب للعمل بها ما دامت صحيحة متواترة.

ثانياً: موقف الفقهاء من القراءات الشاذة والاحتجاج بها في الأحكام الفقهية.

اختلف الفقهاء في الاحتجاج بالقراءات الشاذة إذا صح سندها على مذهبين:

المذهب الأول: مذهب الحنفية وجمهور الشافعية والراجح عند الحنابلة وحكاية عن مالك ذهبوا إلى الاحتجاج بالقراءة الشاذة ووجوب العمل بها تنزيلاً لها منزلة خبر الآحاد. قالوا: لأنه منقول عن النبيﷺ ولا يلزم انتفاء خصوص قرآنيته انتفاء عموم خبريته. ولأن انتفاء القرآنية قطعي، والنقل عن النبيﷺ ثابت، فما بقي إلا احتمال واحد وهو أن ذلك المنقول عن النبيﷺ خبر، صدر منه بياناً لشيء فظنه الناقل قرآناً، فلا مناص من الاحتجاج به[5].

ومن أقوال علماء هذا المذهب:

1- انظر: ابن قدامة – المغني (165/2).

2- انظر: ابن العربي – أحكام القرآن (169/1).

3- انظر: ابن تيمية – مجموع الفتاوى(404/13).

4- انظر: المرجع السابق(393/13).

5- انظر: عبد الحليم قابة – القراءات القرآنية(212)، نبيل اسماعيل – علم القراءات(371).

– قال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد ذكره بعضاً من القراءات الشاذة المروية عن الصحابة – رضي الله عنهم – : " فهذه الحروف وأشباه لها كثيرة، قد صارت مفسِّرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك. فكيف إذا رُوي عن لباب أصحاب محمدﷺ ثم صار في نفس القراءة فهو الآن أكثر في التفسير وأقوى، وأدنى ما يستنبط من علم هذه الحروف: معرفة صحة التأويل على أنها من العلم الذي لا يعرف العامة فضله، إنما يعرف ذلك العلماء"[1].

– قال ابن قدامة المقدسي:" والصحيح أنه حجة؛ لأنه يخبر – أي الصحابي – أنه سمع من النبيﷺ فإن لم يكن قرآناً فهو خبراً"[2].

– وقال السبكي:"فإنا نجريه مجرى الآحاد فنعمل به فيما يعمل بخبر الآحاد ولا نقرأ به"[3].

أما المذهب الثاني: مذهب الإمام مالك والإمام الشافعي في أحد قوليه وبعض أصحابه، ورواية عن الإمام أحمد، ذهبوا إلى عدم جواز الاحتجاج بالقراءة الشاذة لأنها نقلت قرآناً ولم تثبت قرآنيتها، فلا يصح الاحتجاج بها[4]. ومن أقول علماء هذا المذهب:

– قال ابن العربي: " القراءة الشاذة لا ينبني عليها حكم لأنه لم يثبت لها أصل "[5].

أقول: إذا كان ابن العربي يقصد من كلامه القراءة الشاذة غير صحيحة السند فكلامه مقبول، أما إذا قصد بكلامه كل قراءة شاذة بما فيها صحيحة السند فكلامه غير مقبول لأن من القراءات الشاذة ما صح سندها وثبت لها أصل في السنة وقبلت على أنها خبر آحاد وهذا ما قال به أصحاب المذهب الأول.

وقد ذكر القرطبي هذين المذهبين باختصار دون ترجيح لأحدهما في تفسيره حيث قال: " أما شاذ القراءة عن المصاحف المتواترة فليس بقرآن،ولا يعمل بها على أنها منه،وأحسن محاملها أن تكون بيان تأويل مذهب من نُسبت إليه كقراءة ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)، فأما لو صح الراوي بسماعها من رسول اللهﷺ فاختلف العلماء في العمل بذلك على قولين: النفي والإثبات؛ وجه النفي أن الراوي لم يروه في معرض الخبر بل في معرض القرآن، ولم ثبت فلا يثبت. والوجه الثاني: أنه وإن لم يثبت كونه قرآناً فقد ثبت كونه سنة، وذلك يوجب العمل به كسائر أخبار الآحاد"[6].

الرأي الراجح:

1– انظر: أبو عبيد بن سلام – فضائل القرآن(195).

2– انظر: ابن قدامة – روضة الناظر(181/1).

3– انظر: عبد الوهاب السبكي – منع الموانع عن جمع الجوامع (349).

4– انظر: عبد الحليم قابة – القراءات القرآنية(212)، نبيل اسماعيل – علم القراءات(373).

5– ابن العربي – أحكام القرآن (79/1).

6– القرطبي – الجامع (64/1).

والرأي الذي تميل إليه النفس هو القول بحجية القراءة الشاذة إذا صح سندها وصرح الراوي بسماعها من رسول اللهﷺ ولم تخالف صريح القرآن. وذلك لعدة أسباب:

1- أن الأصل التأكد من صحة النقل لوجوب الاحتجاج بالنصوص، وقد حصل هذا فلا حاجة للتفريق بين نص ونص بل يجب العمل بما رواه الصحابة؛ لأنه إن لم يكن قرآناً فهو أكثر من التفسير وأقوى، كما ذكر أبو عبيد.

2- أن القراءة الشاذة إذا لم تكن قرآناً، فالأصل أنها خبر عن رسول اللهﷺ لايُسلَّم باحتمال كونها من كلام الصحابي لتصريحه بما يفيد رفعه وتلقيه إلى الرسولﷺ فلا يجوز ترك ما صح عن النبيﷺ .

3- أن هذا الرأي هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء والغالب أن الصواب يكون في جانب الجمهور منهم. هذا والله أعلم.

المطلب الثاني

أثر القراءات المتواترة والشاذة في استنباط الأحكام الفقهية

أولاً: أثر القراءات المتواترة:

المسألة الأولى: عند تفسير قوله تعالى:﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

قال الإمام القرطبي: قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه (يَطْهُرن) بسكون الطاء وضم الهاء. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر (يَطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما. وذكر قراءات شاذة ثم قال: ورجح الطبري قراءة تشديد الطاء وقال – الطبري – هي بمعنى يغتسلن، لإجماع الجميع على أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدم حتى تطهر. ثم قال القرطبي (فإذا تطهرن) يعني بالماء، وإليه ذهب مالك وجمهور العلماء، وأن الطهر الذي يحل به جماع الحائض الذي يذهب عنها الدم هو تطهيرها بالماء كطهر الجنب، ولا يجزئ من ذلك تيمم ولا غيره وبه قال مالك والشافعي والطبري وأهل المدينة وغيرهم. وقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: إن انقطع دمها بعد مضي عشرة أيام حاز له أن يطأها قبل الغسل، وإن كان انقطاعه قبل العشرة لم يجز حتى تغتسل أو يدخل عليها وقت الصلاة. ودليلنا أن الله سبحانه وتعالى علق الحكم فيها على شرطين؛ أحدهما: انقطاع الدم، وهو

1- البقرة: (222).

قوله تعالى: (حَتَّى يَطْهُرْنَ). والثاني: الاغتسال بالماء، وهو قوله تعالى: (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ) أي يفعل الغسل بالماء. واحتج أبو حنيفة فقال: إن معنى الآية،الغاية في الشرط المذكور في الغاية قبلها؛ فيكون قوله:(حَتَّى يَطْهُرْنَ) مخففاً هو بمعنى قوله: (يطّهّرن) مشدداً بعينه، ولكنه جمع بين اللغتين في الآية. وأيضاً فإن القراءتين كالآيتين فيجب العمل بهما. ونحن نحمل كل واحدة منهما على معنى، فنحمل المخففة على ما إذا انقطع دمها للأقل؛ فإنا لا نجوّز وطأها حتى تغتسل، لأنه لا يؤمن عوده، ونحمل القراءة الأخرى على ما إذا انقطع دمها للأكثر فيجوز وطؤها وإن لم تغتسل[1].

يلاحظ في هذا المثال أن اختلاف القراءتين المتواترتين[2] أدى إلى اختلاف الحكم الفقهي فمن خفف حمل قراءة التخفيف على زوال الدم. من طهرت المرأة من حيضها إذا انقطع الحيض، والمعنى لا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم[3]. وبهذا الحكم قال أبو حنيفة بشرط انقطاع الدم لأكثر الحيض وهو عشرة أيام، أما إذا كان انقطاعه قبل العشرة لم يجز وطؤها حتى تغتسل. ومن قرأ بالتشديد فهي بمعنى يغتسلن كما قال الطبري[4]. وبهذا الحكم قال الجمهور (مالك والشافعي وأحمد): أن الطهر الذي يحل به الجماع هو تطهرها بالماء كطهور الجنب، وأنها لا تحل حتى ينقطع الحيض وتغتسل بالماء[5].

والرأي الراجح:

والذي تميل إليه النفس هو رأي الجمهور لأن الله عز وجل علل أمر الطهر بقوله: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وظاهر اللفظ يدل على أن المراد به الطهارة الحسية وهي الاغتسال بالماء. وقد اختار هذا الرأي بالإضافة إلى الجمهور الإمام الطبري وابن العربي، ومن المعاصرين الشيخ الصابوني. والله أعلم.

المسألة الثانية:

عند تفسير قوله تعالى:﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ

1- انظر: القرطبي – الجامع (92/3).

2- انظر: ابن خلف الأنصاري – الإقناع (380).

3- انظر: الفخر الرازي – التفسير الكبير (72/6).

4- انظر: الطبري – جامع البيان (387/2).

5- انظر: الصابوني – روائع البيان (231/1).

فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

قال القرطبي: (فإذا أحصن) قراءة حمزة وعاصم والكسائي بفتح الهمزة. الباقون بضمها فبالفتح معناه: أسلمن، والضم: زُوِّجن. فإذا زنت الأمة المسلمة جلدت نصف جلد الحرة؛ وإسلامها هو إحصانها في قول الجمهور: ابن مسعود والشعبي والزهري وغيرهم. وعليه فلا تحد الكافرة إذا زنت، وهو قول الشافعي. وقال آخرون: إحصانها التزوج بحر. فإذا زنت الأمة المسلمة التي لم تتزوج فلا حد عليها، قال سعيد بن جبير والحسن وقتادة، وروى عن ابن عباس وأبي الدرداء، وبه قال أبو عبيد. وقال فرقة: إحصانها التزويج، إلا أن الحد واجب على الأمة المسلمة غير المتزوجة بالسنة، كما في صحيح البخاري[2] ومسلم أنه قيل: يا رسول الله، الأمة إذا زنت ولم تحصن؟ فأوجب عليها الحد. قال الزهري: فالمتزوجة محدودة بالقرآن، والمسلمة غير المتزوجة محدودة بالحديث[3].

يلاحظ في هذا المثال أن اختلاف القراءتين المتواترتين[4] كان له أثر في اختلاف الحكم الفقهي في مسألة حد الأمة المسلمة إذا زنت. وذلك أن من قال بقراءة الفتح والتي معناها: أسلمن قال: إذا زنت الأمة المسلمة سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة فإنها تحد خمسين جلدة وهي نصف عقوبة الحرة الزانية البكر وإلى هذا الرأي ذهب جمهور الفقهاء[5]. ومن قال بقراءة الضم والتي معناها: زُوّجن قال: إذا زنت الأمة المسلمة التي لم تتزوج فلا حد عليها وإلى هذا ذهب ابن عباس وأبو الدرداء وبعض التابعين. وللعلم فإن الإحصان في القرآن الكريم لها عدة معاني منها الحرية قال تعالى: (فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ)[6] أي الحرائر، ومنها العفة قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ)[7] أي العفيفات، ومنها التزويج قال تعالى: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ)[8] أي المتزوجات[9].

والرأي الذي تميل إليه النفس في هذه المسألة هو أن المقصود بالإحصان: التزويج لأن ذكر الإيمان قد تقدم في الآية في قوله(من فتياتكم المؤمنات)، مع القول أن الحد واجب على الأمة

1- النساء: (25).

2- صحيح البخاري، كتاب البيوع ، باب بيع المدبَّر (482/1،ح2232). صحيح مسلم ، كتاب الحدود (904، ح1703).

3- انظر: القرطبي – الجامع (148/5).

4- انظر: ابن خلف الأنصاري – الإقناع(391).

5- انظر: وهبة الزحيلي – تفسير المنير(23/5)، د.صبري عبد الرؤوف عبد القوي–أثر القراءات في الفقه الإسلامي(242).

6- النساء: (25).

7- النور: (4).

8- النساء: (24).

9- انظر: سيد سابق – فقه السنة(347/2).

المسلمة إذا زنت سواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة لأن هذا ما قال به جمهور الفقهاء؛ فالمتزوجة محدودة بنص الآية، وغير المتزوجة محدودة بالحديث – كما قال الزهري – وبهذا الرأي تم التوفيق بين القراءتين والعمل بهما حيث إن القراءة الأولى بينت أن الجلد بنصف الحد يكون للأمة المسلمة المتزوجة وغير المتزوجة، والقراءة الثانية بينت أن الجلد بنصف الحد يكون للأمة المسلمة المتزوجة فقط. وأن حكم الأمة غير المتزوجة قد بينتها السنة. فيزول بذلك الخلاف ويتم التوفيق بين القراءتين رغم اختلاف المعنى واختلاف الحكم. والله اعلم.

المسألة الثالثة:

عند تفسير قوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

قال القرطبي: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر(لامستم). وقرأ حمزة والكسائي(لمستم) وفي معناه ثلاثة أقوال: الأول: أن يكون لمستم جامعتم. الثاني: لمستم باشرتم. الثالث: يجمع الأمرين جميعاً. ثم ذكر اختلاف العلماء في حكم نقض الوضوء بسبب اللمس هل هو ناقض للوضوء أم لا؟ وذلك لسبب اختلاف القراءتين المتواترتين[2] في هذه الآية. فقال: قال أبو حنيفة: الملامسة هنا مختصة باللمس الذي هو الجماع. فالجنب يتيمم واللامس بيده لم يجر له ذِكر؛ فليس بحدث ولا هو ناقض لوضوئه. فإذا قبّل الرجل امرأته للذة لم ينتقض وضوءه؛ واستدل على رأيه بما روي عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول اللهﷺ قبّل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ[3]. وقال مالك والملامس بالجماع يتيمم، والملامس باليد يتيمم إذا التذ. فإذا لمسها بغير شهوة فلا وضوء. وقال الشافعي: إذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى بدن المرأة سواء كان باليد أو بغيرها من أعضاء الجسد تعلق نقض الطهر به[4].

يلاحظ في هذا المثال أن اختلاف القراءتين المتواترتين كان له أثر في اختلاف الفقهاء في مسألة نقض الوضوء بسبب اللمس هل هو ناقض للوضوء أم لا؟

1- المائدة: (6).

2- انظر: عبد الفتاح القاضي – البدور الزاهرة (109).

3- أخرجه الدارقطني في سننه (138/1)، وأبو داود في سننه، باب الوضوء من القبلة (179/1) وصححه الألباني في صحيح الجامع (273/4).

4- انظر: القرطبي – الجامع (273/5).

فأبو حنيفة فسر (الملامسة) بالجماع مستدلاً على ما ذهب إليه بقراءة(لامستم) والتي فسرها علي بن أبي طالب فقال: أي جامعتم، ولكن الله يكنّي. وفسرها ابن عباس فقال: هو الغشيان والجماع[1]. وفي مقابل هذا الرأي فسر الإمام الشافعي(الملامسة) أنها اللمس باليد على الحقيقة بدليل قراءة(لمستم) فإنها ظاهرة في مجرد اللمس من دون جماع[2].

أما الإمام مالك والإمام أحمد فقد فسرا (الملامسة) بالجماع أو باللمس باليد مع قصد اللذة[3]. ويكونا بذلك قد جمعا بين القراءتين المتواترتين، والجمع بينهما مقدم على الترجيح بينهما. لذلك فإن النفس تميل إلى هذا الرأي. وهو القول بأن (الملامسة) تعني الجماع وقد تعني اللمس المصحوب باللذة والشهوة والتي يترتب عليها نزول مذي فيكون نقض الوضوء للمس ونزول المذي معاً، أما اللمس بدون شهوة فلا ينقض الوضوء بدليل الحديث الذي سبق ذكره. وهذا ما قال به الإمام القرطبي حيث قال: " قلنا: لا نمنع حمل اللفظ على الجماع واللمس"[4] والموافق لرأي الإمام مالك. والله أعلم.

المسألة الرابعة:

فعند تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[5] وهي الآية التي ذكرت في المسألة الثالثة – قال القرطبي، قرأ نافع وابن عامر والكسائي (وَأَرْجُلَكُمْ) بالنصب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة(وَأَرْجُلِكُمْ)بالخفض، وبحسب هاتين القراءتين اختلف الصحابة والتابعون؛ فمن قرأ بالنصب جعل العامل (اغسلوا) وبنى على أن الفرض في الرجلين الغَسل دون المسح، وهذا مذهب الجمهور والكافة من العلماء، وهو الثابت من فعل النبيﷺ واللازم من قوله في غير ما حديث، منها ما رواه عبد الله بن عمرو قال: تخلف عنا النبيﷺ في سفرة سافرها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته: (ويل للأعقاب من

1- انظر: ابن زنجلة – حجة القراءات (205).

2- انظر: الزحيلي – الفقهه الإسلامي وأدلته (277/1).

3- انظر: د. صبري عبد القوي – أثر القراءات على الفقه الإسلامي (267).

4- القرطبي – الجامع (228/5).

5- المائدة: (6).

النار) مرتين أو ثلاثاً[1]. ثم إن الله حدها فقال: (إِلَى الْكَعْبَيْنِ) كما في اليدين (إلى المرفقين) فدل على وجوب غسلهما. ومن قرأ بالخفض جعل العامل الباء. قال ابن العربي[2] اتفقت العلماء على وجوب غسلهما، وما علمت من رد ذلك سوى الطبري من فقهاء المسلمين، والرافضة من غيرهم، وتعلق الطبري بقراءة الخفض. ذهب ابن جرير الطبري[3] إلى أن فرضهما التخيير بين الغسل والمسح، وجعل القراءتين كالروايتين. قال النحاس: ومن أحسن ما قيل فيه؛ أن المسح والغسل واجبان جميعاً؛ فالمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض، والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب، والقراءتان بمنزلة آيتين. قال ابن عطية[4]: وذهب قوم ممن يقرأ بالكسر إلى أن المسح في الرجلين هو الغسل. قلت – أي القرطبي – وهو الصحيح؛ فإن لفظ المسح مشترك، يطلق بمعنى المسح ويطلق بمعنى الغسل، ومنه يقال للرجل إذا توضأ فغسل أعضاءه: قد تمسَّح؛ ويقال: مسح الله ما بك إذا غسلك وطهرك من الذنوب، فإذا ثبت بالنقل عن العرب أن المسح بمعنى الغسل فترجح قول من قال: إن المراد بقراءة الخفض الغَسل؛ بقراءة النصب التي لا احتمال فيها، وبكثرة الأحاديث الثابتة بالغَسل، والتوعد على ترك غسلها في أخبار صحاح لا تحصى كثرة، ثم إن المسح في الرأس إنما دخل بين ما يغسل لبيان الترتيب على أنه مفعول قبل الرجلين، التقدير؛ فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم؛ فلما كان الرأس مفعولا قبل الرجلين قُدِّم عليهما في التلاوة لأنهما مشتركان مع الرأس لتقدمه عليهما في صفة التطهير. روي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: قرأ الحسن والحسين – رحمة الله عليهما – علي (وأرجلِكم) فسمع عليّ ذلك وكان يقضي بين الناس فقال: (وأرجلَكم) هذا من المقدم والمؤخر من الكلام[5]. وروي عن علي – رضي الله عنه – أنه قال: اغسلوا الأقدام إلى الكعبين وكذا روي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قرءا (وأرجلكم بالنصب)[6]. وقد قيل: إن الخفض في الرجلين إنما جاء مقيداً لمسحهما لكن إذا كان عليهما خفان، وتلقينا هذا القيد من رسول اللهﷺ إذ لم يصح عنه أنه مسح رجليه إلا وعليهما خفان، فبينﷺ بفعله الحال التي تغسل فيه الرجل والحال التي تمسح فيه وهذا حسن[7].

1- صحيح البخاري – كتاب العلم – باب من رفع صوته بالعلم (25/1 ، ح 60)

2- انظر : ابن العربي – أحكام القرآن (2 / 577)

3- انظر : الطبري – جامع البيان (6 / 83)

4- انظر : ابن عطية – المحرر الوجيز (4 / 371)

5- انظر : الطبري – جامع البيان (6 / 81)

6- المرجع السابق (81/6)

7- انظر : القرطبي – الجامع (6 / 93)

وقد قال بهذا التوجيه الجميل الإمام السيوطي في محاولة للجمع بين القراءتين فقال: وقوله (وأرجلكم) قرى بالنصب والجر فالأولى للغسل والثانية لمسح الخف، لأن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات[1].

يلاحظ في هذا المثال أن القراءتين المتواترتين[2] كان لهما الأثر الواضح في اختلاف الفقهاء في مسألة حكم غسل الرجلين في الوضوء. فمن قرأ بالنصب جعل العامل (اغسلوا) وبنى أن الفرض في الرجلين الغسل دون المسح، وهذا هو مذهب الجمهور وكافة العلماء، وهو الثابت من فعل النبيﷺ واللازم من قوله. ومن قرأ بالخفض فعلى أساس أنها معطوفة على قوله (وامسحوا) وبنى على أن الفرض في الرجلين المسح وليس الغسل وهذا مذهب الشيعة، ولم يقل بذلك من أهل السنة إلا الإمام الطبري فقد تمسك بقراءة الخفض، وقد وجه أصحاب هذا الرأي من الشيعة القراءتين بما يوافق مذهبهم[3]. وأما أصحاب المذهب الأول وهم الجمهور وكافة العلماء القائلين بوجوب الغسل فقد حشد الإمام القرطبي من الأدلة ما يكفي للاطمئنان إلى هذا الرأي والعمل به وهو الذي تميل إليه النفس وتطمئن للعمل به. ومن أجمل ما ذكره الإمام القرطبي، وأكد عليه الإمام السيوطي للتأكيد على ما ذهب إليه الجمهور وهو الجمع بين القراءتين والقول أن قراءة النصب للغسل، وقراءة الجر لمسح الخف وبذلك تم الجمع بين القراءتين والعمل بهما. والله أعلم.

المسألة الخامسة:

فعند قوله تعالى:﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[4].

قال القرطبي: (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) مخفف القاف من العقد، على ضربين حسي كعقد الحبل، وحكمي كعقد البيع، فاليمين المنعقدة منفعلة من العقد، وهي عقد القلب وهي عقد القلب في المستقبل ألا يفعل ففعل؛ أو ليفعلن فلا يفعل. فهذه التي يحلها الاستثناء والكفارة.

وقرئ (عاقدتم) بألف بعد عين على وزن فاعل وذلك لا يكون إلا من اثنين في الأكثر. وقرئ (عقّدتم) بتشديد القاف، قال مجاهد: معناه تعمدتم أي قصدتم. وروي عن ابن عمر أن التشديد يقتضي التكرار فلا تجب عليه الكفاءة إلا إذا كرر. وهذا يرده ما روى أن النبيﷺ قال: (إني

1- انظر : د. صبري عبد القوي – أثر القراءات في الفقه الإسلامي (253) نقلاً عن الإكليل في استنباط التنزيل (89)

2- انظر : ابن خلف الأنصاري – الإقناع (394)

3- انظر : د. صبري عبد القوي – أثر القراءات في الفقهة الإسلامي (248)

4- المائدة : (89)

والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير و كفرت عن يميني)[1]. فذكر وجوب الكفارة في اليمين التي لم تتكرر. قال أبو عبيد: التشديد يقتضي التكرير مرة بعد مرة، ولست آمن أن يلزم من قرأ بتلك القراءة ألا توجب عليه كفارة في اليمين الواحدة حتى يرددها مراراً. وهذا قول خلاف الإجماع. روى نافع أن ابن عمر كان إذا حنث من غير ألا يؤكد اليمين أطعم عشرة مساكين، فإذا وكد اليمين أعتق رقبة. قيل لنافع: ما معنى وكد اليمين؟ قال: أن يحلف على الشيء مراراً[2].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر ثلاث قراءات متواترة[3]، وقد ترتب على اختلاف هذه القراءات الاختلاف في مسألة عقد الأيمان أيكون عقدها بالحلف مرة واحدة، ويكون الحنث فيها موجباً للكفارة؟ أم لا يكون عقدها إلا بتكرار الحلف ولا كفارة إلا مع التكرار؟ فمن اختار قراءة التخفيف (عقدتم) قال أن الكفارة تلزم الحانث إذا عقد يميناً بحلف مرة واحدة كما يلزم بحلف مرات كثيرة، إذا كان ذلك على الشيء الواحد. وهذا الحكم الذي ترتب على هذه القراءة هو الحكم الذي قال به جمهور الفقهاء. ومن اختار قراءة التشديد (عقّدتم) قال التشديد يقتضي التكرار فلا تجب على الحانث كفارة إلا إذا كرر، وقد روي ذلك عن ابن عمر وأبي عبيد – كما ذكر القرطبي – وهذا الحكم الذي قال به ابن عمر وأبو عبيد لم يقل به أحد من الفقهاء بل الإجماع على خلافه لما ثبت بالنسبة أن الكفارة لازمة مع الحنث في اليمين وإن لم يتكرر الحلف على نحو ما أشار إليه الحديث السابق.

وخلاصة القول: فإنه يمكن الجمع بين القراءتين بدل ترجيح قراءة على أخرى كما فعل بعض العلماء[4]، وذلك بالقول أن كل قراءة جاءت لدفع التوهم عن القراءة الأخرى، فلما كانت قراءة التشديد (عقّدتم) تقتضي بظاهرها احتمال التكرار، جاءت قراءة التخفيف(عقدتم) لرفع توهم أن اليمين لا تنعقد إلا بالتكرار. وتأكد ذلك بالنسبة الصحيحة. وجاءت قراءة التشديد (عقّدتم) لرفع توهم أن الكفارة تجب باللغو في اليمين، بل لا بد من النطق باللسان والتوثيق بالجنان. قال الإمام مكي بن أبي طالب: " فالتخفيف فيه إلزام الكفارة، وإن لم يكرر، وفيه رفع للإشكال. فالتشديد فيه إلزام الحالفين الكفارة على عددهم، وفيه إيهام ترك الكفارة عمن لم يكرر فالقراءتان حسنتان"[5].

وقد قال مثل هذا الكلام ابن العربي في أحكام القرآن[6].

1- صحيح البخاري – كتاب الأيمان والنذور – باب قوله تعالى (لا يؤاخذكم...) (3 / 71، ح6623)

2- انظر : القرطبي – الجامع (6 / 252)

3- انظر : ابن الجزري – النشر (2 / 192)

4- انظر الطبري – جامع البيان (7 /13) فقد رجح قراءة التخفيف، وكذلك الدكتور صبري عبد القوي – أثر القراءات (279)

5- انظر : مكي بن أبي طالب – الكشف عن وجوه القراءات (1 / 417)

6- انظر : ابن العربي – أحكام القرآن (2 / 644)

وبالجمع بين القراءتين: يكون الحكم في المسألة أن الكفارة تجب على من حلف ولو مرة واحدة ثم حنث بعد عقد اليمين بقلبه ولسانه، ولا كفارة باللغو في اليمين، وهذا ما عليه جمهور الفقهاء دون خلاف. والله أعلم.

المسألة السادسة:

فعند قوله تعالى﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[1]. قال القرطبي: (فجزاء مثل ما قتل من النعم) فيه أربع قراءات؛ (فجزاءٌ مثلُ) برفع جزاء وتنوينه، و (مثلُ) على الصفة، والخبر مضمر، والتقدير فعليه جزاء مماثل واجب أو لازم من النّعم، وهذه القراءة تقتضي أن يكون المثل هو الجزاء بعينه، و (جزاءُ) بالرفع غير منون و(مثل) بالإضافة أي فعليه جزاء مثل ما قتل، و (مثل) مقحمة كقولك أنا أكرم مثلك، وأنت تقصد أنا أكرمك ونظير هذا قوله: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ)[2]، التقدير كمن هو في الظلمات وهذه القراءة تقتضي أن يكون الجزاء غير المثل؛ إذ الشيء لا يضاف إلى نفسه. وقال أبو علي: إنما يجب عليه جزاء المقتول، لا جزاء مثل المقتول والإضافة توجب جزاء المثل لا جزاء المقتول. وهو قول الشافعي. وقوله: (من النعم) صفة الجزاء على القراءتين جميعاً. قال أبو حنيفة: إنما يعتبر المثل في القيمة، فيقوّم الصيد دراهم في المكان الذي قتل فيه، أو في أقرب موضع إليه إن كان لا يباع الصيد في موضع قتله، فيشتري بتلك القيمة هدياً إن شاء، أو يشتري بها طعام ويطعم المساكين كل مسكين نصف صاع من بر، أو صاع من شعير أو صاع من تمر أما الشافعي فإنه يرى المثل من النعم ثم يقوّم المثل وتؤخذ قيمة المثل كقيمة الشيء، فإن المثل هو الأصل في الوجوب، هذا بين وعليه تخرج قراءة الإضافة (فجزاءُ مثل)[3].

يلاحظ في هذا المثال الأثر الواضح للقراءتين المتواترتين[4] في استنباط الحكم الفقهي في مسألة جزاء قتل الصيد للمحرم. حيث بين القرطبي بوضوح ما ترتب على القراءتين من خلاف بين الإمامين الجليلين أبي حنيفة والشافعي –رحمة الله عليهما– في المسألة. حيث ذهب أبو حنيفة إلى أن الصيد المقتول يُقَوّم قيمته من الدراهم ثم يشتري القاتل بقيمته فداء من النعم ثم يهديه إلى

1– المائدة : (95)

2– الأنعام : (122)

3– انظر : القرطبي – الجامع (6 / 292)

4– انظر : ابن الجزري – النشر (2 / 192)

الكعبة. واستدل على هذا الرأي بقراءة (فجزاءُ مثلِ) مضافاً، أي (فعليه جزاء مثلِه) أو (جزاء مثل المقتول واجب عليه)ووجه الدليل في هذا أنك إذا أضفته يجب أن يكون المضاف غير المضاف إليه، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، قال: فيجب أن يكون المثل غير الجزاء. وذهب الشافعي إلى أن الرجل إذا أصاب صيداً وهو محرم وجب عليه مثل المقتول من الصيد من النعم عن طريق الخلقة فإن أصاب حمار وحش فعليه بدنة، وإن أصاب ظبياً فعليه شاة. مستدلاً على رأيه بقراءة (فجزاءٌ مثلُ) المعنى: فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل، و(المثل) في ظاهره يقتضي المماثلة من طريق الصورة لا من طريق القيمة، ودليل آخر أنه قرنه بالنَّعم فقال: (فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم) فدل على أن ذلك يعتبر فيه الخلقة لا القيمة[1].

ويمكن الجمع بين القراءتين بالقول: إن الواجب في الجزاء هو المماثلة، ولا يجوز أن ينتقل المسلم إلى غيرها إلا إذا فقدها، فإن فقدها جاز له أن يفعل واحداً من الكفارات التي بينها الله عز وجل، أما من قدر على شراء المثل فإنه لا يجوز له أن ينتقل إلى غيره، هذا ما تميل إليه النفس وترجحه والله أعلم.

المسألة السابعة:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

قال القرطبي: وقرأ أهل المدينة والشام (فدية طعامِ) مضافاً، (مساكين) جمعاً. وقرأ ابن عباس (طعام مسكين) بالإفراد وهي قراءة حسنة؛ لأنها بينت الحكم في اليوم؛ واختارها أبو عبيد، وهي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي، قال أبو عبيد: فبينت أن لكل يوم طعام واحد؛ فالواحد مترجم عن الجميع، وليس الجميع مترجم عن الواحد. وجمع المساكين لا يدرى كم منهم في اليوم إلا من غير الآية. وتخرج قراءة الجمع في (مساكين) لما كان الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم يلزمه مسكين فجمع لفظه[3].

يلاحظ في هذا المثال أنه اختلف عما سبقه من الأمثلة التي ظهر من خلالها أثر القراءات على اختلاف الأحكام الفقهية، بينما هذا المثال جاء ليبين أثر القراءة في توضيح وتحديد حكم فقهي لم تحدده القراءة الأخرى، دون اختلاف بين الفقهاء في تلك المسألة وهي الفدية عن كل يوم يفطره

1- انظر : ابن زنجلة – حجة القراءات (235)

2- البقرة : (184)

3- انظر : القرطبي – الجامع (2 / 289)

المسلم إطعام مسكين، إذا كان يتحمل الصوم بمشقة شديدة مثل الشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجى برؤه باتفاق العلماء[1].

فالإمام القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[2]. الأولى: (مساكين) جمعاً، والثانية: (مسكين) بالإفراد، وحسن هذه القراءة لأنها بينت الحكم في اليوم، الذي لم تبينه القراءة الأولى فكان لها أثر فقهي جميل في تحديد فدية اليوم الذي يفطره الصائم عند المشقة الكبيرة.

ثانياً : أثر القراءات الشاذة في استنباط الأحكام الفقهية.

المسألة الأولى:

فعند تفسير قوله تعالى﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[3].

قال القرطبي:" قرأ الشعبي وأبو حيوة برفع التاء في (العمرة)؛ وهي تدل على عدم الوجوب. وقرأ الجماعة (العمرةَ) بنصب التاء، وهي تدل على الوجوب "[4].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين الأولى شاذة[5]، والثانية متواترة قرأ بها العشرة دون خلاف، ثم ذكر الأثر الفقهي المترتب على هاتين القراءتين بكل وضوح فقال بعد الأولى وهي تدل على عدم الوجوب، وبعد الثانية قال وهي تدل على الوجوب.

وبسبب هاتين القراءتين وتعارض الآثار الواردة اختلف الفقهاء في حكم أداء العمرة هل هي واجبة أم غير واجبة؟

فذهب الشافعية والحنابلة إلى أنها واجبة كالحج للأدلة الآتية:

1- قوله تعالى : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) فقد أمرت الآية الكريمة بالإتمام وهو فعل الشيء والإتيان به كاملاً تاماً فدل على الوجوب.

2- استدلوا بأحاديث متعددة منها – ما روي عنهﷺ قال: (دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة)[1].

1- انظر : الزحيلي – الفقه الإسلامي و أدلته (2 / 687)

2- انظر : ابن الجزري – النشر (2 / 170)

3- البقرة : (196)

4- القرطبي – الجامع (2 / 366)

5- انظر : ابن خالويه – مختصر في شواذ القرآن (12)

وذهب المالكية والحنفية إلى أن العمرة سنة واستدلوا بأدلة:

1- عدم ذكر العمرة في الآيات التي دلت على فرضية الحج مثل قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)[2]، وقوله (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ...)[3].

2- قالوا إن الأحاديث الصحيحة التي بينت قواعد الإسلام لم يرد فيها ذكر العمرة، فدل ذلك على أن العمرة ليست بفريضة، وأنها تختلف في الحكم عن الحج.

3- ما روي عن جابر بن عبد الله " أن رجلاً سأل رسول اللهﷺ عن العمرة أواجبة هي؟ قال: لا وأن تعتمروا خير لكم "[4].

4- وأجابوا عن الآية والأحاديث التي استدل بها الشافعية فقالوا: إنها محمولة على ما كان بعد الشروع، فإن التعبير بالإتمام مشعر بأنه كان قد شرع فيه، وهذا يجب بالاتفاق[5].

قال الأمام الشوكاني: " وهذا وإن كان فيه بُعد، لكنه يجب المصير إليه جمعاً بين الأدلة، ولا سيما بعد تصريحه ﷺ بما تقدم من عدم الوجوب، وعلى هذا يحمل ما ورد مما فيه دلالة على وجوبها"[6].

والرأي الذي تميل إليه النفس هو ما قاله الإمام الشوكاني وما أجاب به المالكية والأحناف من القول إن الآية والأحاديث محمولة على ما كان بعد الشروع بالعمرة أما قبل الشروع فحكم العمرة سنة مؤكدة غير واجبة، وبهذا القول نكون قد جمعنا بين القراءتين بقولنا: إن قراءة النصب تفيد وجوب تمام أداء العمرة بعد الشروع فيها، ولا تفيد معنى الوجوب قبل الشروع فيها، وقراءة الرفع تفيد أن أداء العمرة ليس واجباً وإنما على سبيل التطوع. والله أعلم.

المسألة الثانية:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ

1- أخرجه مسلم كتاب الحج- باب حجة الوداع (1218/609).

2- آل عمران : (97).

3- الحج : (27).

4- أخرجه الترمذي كتاب الحج-باب ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا (174/3) قال حسن صحيح.

5- انظر : الصابوني – روائع البيان (1 / 188)، الزحيلي – الفقه الإسلامي وأدلته (3 / 18).

6- الشوكاني – فتح القدير (1 / 195).

وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[1].

قال القرطبي: " ذكر الله – عز وجل – في كتابه الكلالة في موضعين: آخر السورة وهنا، ولم يذكر في الموضعين وارثاً غير الأخوة. فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الأخوة فيها عني بها الأخوة للأم؛ لقوله تعالى: (فإن كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ) وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ (وله أخ أو أخت من أمه)، ولا خلاف بين أهل العلم أن الإخوة للأب والأم أو للأب ليس ميراثهم كهذا؛ فدل إجماعهم على أن الأخوة المذكورين في آخر السورة وهم إخوة المتوفّى لأبيه وأمه أو لأبيه؛ لقوله عز وجل: (وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)[2]. ولم يختلفوا أن ميراث الأخوة للأم ليس هكذا؛ فدلت الآيتان أن الإخوة كلهم جميعاً كلالة. قال الشعبي: الكلالة: ما كان سوى الولد والوالد من الورثة إخوة أو غيرهم من العصبة"[3].

يلاحظ في هذا المثال أن للقراءة القرآنية الشاذة[4] أثر فقهي جليل حيث إنها أضافت كلمة (أم) على القراءة المتواترة. وقد أجمع العلماء على أن الأخوة المذكورين في هذه الآية –المذكورة– هم الأخوة لأم مستدلين بالقراءة الشاذة التي نسبت إلى سعد بن أبي وقاص. وقد بينت الآية أن حق الأخوة من الأم في الميراث هو السدس في حالة انفراد الأخ لأم أو الأخت لأم بشرط عدم وجود الوالد والولد،والثلث للاثنين فأكثر للأخوة لأم ذكوراً كانوا أم إناثاً،وقد أجمع العلماء على أن الأخوة لأب وأم، والأخوة لأب فقط ليس ميراثهم كميراث الأخوة لأم، فدل هذا على أن الأخوة الذين ذكروا في آخر السورة، وهو الموضع الثاني الذي ذكر فيه الكلالة هم الأخوة الأشقاء والأخوة لأب، وقد بينت الآية ميراثهم، فمن مات وليس له ولد وترك أختاً فلها النصف مما ترك، وأن كانتا اثنتين فأكثر فلهما الثلثان، وإن كانوا أخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين. وبهذا المثال نعلم أن الفقهاء جميعاً قد أخذوا بالقراءة الشاذة واحتجوا بها على ميراث الأخوة لأم، وأجمعوا على ذلك. ولا يوجد دليل أبلغ من هذا على حجية القراءات الشاذة وأثرها على الفقه[5].

المسألة الثالثة:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ

1- النساء : (12).

2- النساء : (176).

3- القرطبي : الجامع (5 / 82).

4- انظر: الطبري – جامع البيان (4 / 194)، المحرر الوجيز (3 / 523).

5- ا نظر : د. صبري عبد القوي – أثر القراءات في الفقه (376).

نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

قال القرطبي: والتحريم بالرضاع إنما يحصل إذا اتفق الإرضاع في الحولين، ولا فرق بين قليل الرضاع وكثيره عندنا إذا وصل إلى الأمعاء ولو مصة واحدة. واعتبر الشافعي في الإرضاع شرطين: أحدهما خمس رضعات، لحديث عائشة قال: كان فيما أنزل الله عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس رضعات معلومات، وتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن[2].

موضع الدليل منه أنها أثبتت أن العشر نسخن بخمس، فلو تعلق التحريم بما دون الخمس لكان ذلك نسخاً للخمس. وفي حديث سهلة[3](أرضعيه خمس رضعات يحرم بهن)[4].

الشرط الثاني: أن يكون في الحولين، فإن كان خارجاً عنهما لم يحرم، لقوله تعالى: (حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)[5]، وليس بعد الكمال والتمام شيء.

وشذت طائفة فاعتبرت عشر رضعات؛ تمسكاً بأنه كان فيما أنزل: عشر رضعات. وكأنهم لم يبلغهم الناسخ. وقال داود: لا تحرم إلا ثلاث رضعات؛ واحتج بقوله ﷺ (لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان)[6] وهو مروي عن عائشة وبه قال أحمد وغيره. وذهب من عدا هؤلاء من أئمة الفتوى الفتوى إلى أن الرضعة الواحدة تحرّم إذا تحققت متمسكين بأقل ما ينطق عليه اسم الرضاع[7].

يلاحظ في هذا المثال أن القراءة الشاذة المروية عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– وثبتت في صحيح مسلم، كان لها أثر واضح على الفقه في مسألة (عدد الرضعات التي يثبت بها التحريم) وقد ذكر الإمام القرطبي آراء العلماء في هذه المسألة ويمكن تلخيص هذه الآراء في ثلاثة آراء أساسية.

1– النساء : (23).

2– أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الرضاع – باب التحريم بخمس رضعات (1453/734).

3– سهلة: بنت سهيل بن عمرو القرشية، أسلمت قديماً وهاجرت مع زوجها أبي حذيفة إلى الحبشة، وقد تبنى زوجها سالماً فجاءت إلى النبي فقالت يا رسول الله كنا نرى سالماً ولداً وكان يدخل علي وأنا فضل – أي في جسد واحد وبعض جسدها منكشف – وليس لنا إلا بيت واحد. فأمر النبي أن ترضعه، فكانت تحلب في إناء قدر رضعة فيشربه سالم في كل يوم حتى مضت خمسة أيام فكان بعد ذلك يدخل عليها وهي مكشوفة الوجه والرأس لأنها صارت أمه(انظر: ابن حجر– الاصابة 4 / 336).

4– أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الرضاع – باب رضاع الكبير (1453/734).

5– البقرة : (233).

6– أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الرضاع – باب في المصة والمصتان (1450/732، 1451).

7– انظر : القرطبي – الجامع (5 / 115).

الرأي الأول: رأي الشافعية والحنابلة قالوا: الرضاعة المحرمة خمس رضعات متفرقات فصاعداً. والمعتبر في الرضعة العُرف فلو انقطع الطفل عن الرضاع إعراضاً عن الثدي تعدد الرضاع، عملاً بالعرف، ولو انقطع للتنفس أو الاستراحة أو الملل أو الانتقال من ثدي لآخر أو اللهو أو النومة الخفيفة أو ازداد ما جمعه من اللبن في فمه، وعاد في الحال، فلا تعدد بل الكل رضعة واحدة. وإن رضع أقل من خمس رضعات فلا تحريم، وإن شك في عدد الرضعات بني على اليقين، واستدلوا بأدلة.

1- القراءة الشاذة التي سبق ذكرها.

2- إن علة التحريم بالرضاع هي شبهة الجزئية التي تحدث باللبن الذي ينبت اللحم وينشز العظم، أي ينميه و يزيده، وهذا لا يتحقق إلا برضاع يوم كامل على الأقل، وهو خمس رضعات متفرقات.

3- حديث(لا تحرم المصة ولا المصتان) وفي رواية (ولا الإملاجة ولا الإملاجتان).

الرأي الثاني: رأى المالكية والحنفية قالوا: إن الرضاع المحرم يكون بالقليل والكثير، ولو بالمصة الواحدة للأدلة الآتية:

1- عموم قوله (وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ) فإنه علق التحريم بالإرضاع من غير تقدير بقدر معين، فيعمل به على إطلاقه.

2- حديث (يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب)[1] فإنه ربط التحريم بمجرد الرضاعة، ويؤكده آثار عن بعض الصحابة روي عن علي وابن مسعود وابن عباس أنهم قالوا: قليل الرضاع وكثيره سواء.

3- إن الرضاعة فعل يتعلق به التحريم، فيستوي قليله وكثيره؛ لأن شأن الشارع إناطة الحكم بالحقيقة مجردة عن شرط التكرار والكثرة، وتتحقق جزئية الرضيع من المرضعة بالقليل والكثير[2].

الرأي الثالث: ما ذهب إليه داود وأتباعه وجماعة من العلماء: إن الثلاث رضعات فصاعداً تحرم. لحديث عائشة قالت: قال رسول اللهﷺ " لا تحرم المصة ولا المصتان " وفي رواية " ولا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان" – سبق تخريجه – فأفاد بمفهومه تحريم ما فوق الاثنتين[3].

والرأي الذي تميل إليه النفس في هذه المسألة هو الرأي الأول للأسباب الآتية.

1- صحيح البخاري – كتاب النكاح – باب (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب (2 / 563، ح 5099).

2- انظر : الزحيلي – الفقه الإسلامي وأدلته (7 / 710).

3- انظر : الصنعاني – سبل السلام (3 / 1151).

1- الأدلة التي ذكرها أصحاب الرأي الأول بما فيها القراءات الشاذة التي أخرجها مسلم في صحيحه.

2- حديث سهلة الذي ذكره القرطبي وأخرجه مسلم في صحيحه كذلك. والذي قال فيه الرسول ﷺ (أرضعيه خمس رضعات يحرم بهن) فهو نص صريح في تحديد الخمس رضعات التي يحرم بهن الرضيع.

3- ما في هذا الرأي من التوسعة والتيسير على الناس.

وقد رجح هذا الرأي الإمام الصنعاني في (سبل السلام) حيث قال في شرح حديث " عشر رضعات يحرمن..." قال: (والعمل بالحديث لا عذر عنه ولذا اخترنا العمل به)[1].

هكذا علمنا أثر القراءة الشاذة في مسألة عدد الرضعات التي يثبت بها التحريم حيث كانت القراءة أحد الأدلة الرئيسة للرأي الأول القائل بالخمس رضعات فأكثر في ثبوت التحريم وقد اخترنا هذا الرأي لقوته ورجحانه على غيره. والله أعلم.

المسألة الرابعة:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[2].

قال: (فصيام ثلاثة أيام) قرأها ابن مسعود (متتابعات). فقيد بها المطلق؛ وبه قال أبو حنيفة، وهو أحد قولي الشافعي، وقال مالك والشافعي في قوله الآخر: يجزئه التفريق؛ لأن التتابع صفة لا تجب إلا بنص أو قياس على المنصوص وقد عُدما[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القراءة الشاذة[4] لها أثر على الفقه في مسألة (حكم التتابع في صوم كفارة اليمين) حيث اختلف الفقهاء في هذه المسألة إلى فريقين.

الأول: يرى مالك والشافعي عدم اشتراط وجوب التتابع وإنما استحباه.

1- انظر : الصنعاني – سبل السلام (3 / 1157).

2- المائدة : (89).

3- انظر : القرطبي – الجامع (6 / 268).

4- انظر : أبو حيان – البحر المحيط (4 / 12)، وابن عطية – المحرر الوجيز (4 / 24).

الثاني: يرى أبو حنيفة وجوب التتابع لقراءة ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد[1].

والرأي الذي تميل إليه النفس هو الرأي الأول، رأي الجمهور، وهو عدم اشتراط التتابع، وإذا حاولنا الجمع بين القراءتين لم نجد تعارضاً بينهما لأنهما تؤكدان على وجوب الصوم على من لم يقدر على أداء أي نوع من أنواع الكفارات الثلاث. والتتابع وإن لم يكن واجباً على الرأي الراجح لكنه أفضل لما فيه من براءة وسرعة قضاء الدين والتخلص من العهدة، فمن وجد في نفسه القوة والعزيمة فليتابع ومن لم يقدر فلا حرج عليه وبهذا يكون قد تم التوفيق والجمع بين القراءتين والعمل بهما والله أعلم.

1- انظر : الصابوني – روائع البيان (1 / 436)، د. صبري عبد القوي – أثر القراءات في الفقه (401).

المبحث الثالث

أثر القراءات في استنباط المعاني المختلفة

إذا كان اختلاف القراءات قد أدى إلى اختلاف الأحكام الفقهية –كما في المبحث السابق– فإنه قد يؤدي كذلك إلى تعدد المعاني التي يوضح بعضها بعضاً أحياناً، أو المعاني المتقاربة أحياناً، أو المعاني المختلفة غير المتناقضة وتكون كل قراءة في هذه الحالة بمنزلة الآية المستقلة وهذا من مظاهر الإعجاز القرآني.

قال الإمام ابن الجزري في سياق حديثه عن فوائد اختلاف القراءات وتنوعها. ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية؛ إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل. ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض، ولا تخالف بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد وما ذاك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به ﷺ "[1].

أولاً: أثر اختلاف القراءة في توضيح وتحديد المعنى المراد للقراءة الأخرى وإزالة اللبس.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2]. قال:" (يؤلون) معناه يحلفون، والمصدر إيلاء وألية وألوة وإلوة. وقرأ أبي وابن عباس (للذين يقسمون) ومعلوم أن (يقسمون) تفسر (يؤلون)"[3].

يلاحظ في هذا المثال أن القراءة الشاذة[4] فسرت ووضحت معنى القراءة المتواترة.

ومثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾[5].

قال القرطبي:" (من زخرف) أي من ذهب ؛ عن ابن عباس وغيره. وأصله الزينة والمزخرف المزين وزخارف الماء طرائفه . وقال مجاهد: كنت لا أدري ما الزخرف حتى رأيته في قراءة ابن مسعود (بيت من ذهب)"[6].

1- ابن الجزري–النشر (47/1).

2- البقرة: (226).

3- القرطبي–الجامع (106/3).

4- انظر: ابن خالويه–مختصر في شواذ القرآن (13).

5- الإسراء: (93).

6- القرطبي–الجامع (337/10).

يلاحظ في هذا المثال أن القراءة الشاذة[1] فسرت وبينت معنى القراءة المتواترة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكر القرطبي عند تفسير قوله تعالى:﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾[2].

قال:" (فقولي إني نذرت للرحمن صوماً) أي صمتاً، قاله ابن عباس وأنس بن مالك، وفي قراءة أبي بن كعب (إني نذرت للرحمن صوماً صمتاً). وروي عن أنس وعنه أيضاً (وصمتاً) بواو، واختلاف الحرفين يدل على أن الحرف ذكر تفسيراً لا قرآناً؛ فإذا أتت معه واو فممكن أن يكون غير الصوم. والذي تتابعت به الأخبار عن أهل الحديث ورواة اللغة أن الصوم هو الصمت؛ لأن الصوم إمساك والصمت إمساك عن الكلام. وقيل هو الصوم المعروف، وكان يلزمهم الصمت يوم الصوم إلا بالإشارة. وعلى هذا تخرج قراءة أنس (وصمتاً) بواو، وأن الصمت كان عندهم في الصوم ملتزماً بالنذر"[3].

ففي هذا المثال ذكر قراءات شاذة[4] فسرت المقصود من القراءة المتواترة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[5].

ذكر القرطبي في معنى (اسعوا) أربعة أقوال كان رابعها الجري حيث قال:" رابعاً: الجري والاشتداد. قال ابن العربي[6]: وهو الذي أنكره الصحابة الأعلمون والفقهاء الأقدمون وقرأها عمر (فامضوا إلى ذكر الله) فراراً عن طريق الجري والاشتداد الذي يدل على الظاهر. وقرأ ابن مسعود كذلك وقال: لو قرأت (فاسعوا) لسعيت حتى يسقط ردائي. وقرأ ابن شهاب: (فامضوا إلى ذكر الله) سالكاً تلك السبيل. وهو كله تفسير منهم؛ لا قراءة قرآن منزل. وجائز قراءة القرآن بالتفسير في معرض التفسير"[7].

يلاحظ في هذا المثال أن القراءات الشاذة[8] فسرت ووضحت المقصود من القراءة المتواترة وأزالت لبساً وقع فيه بعض الناس فظن أن السعي يعني الجري، فعملت قراءة (فامضوا) على إزالة هذا اللبس. وقد وصف القرطبي هذه القراءة والقراءة في المثال السابق وقراءات أخرى كثيرة بأنها

1- انظر: السيوطي-الدر المنثور (203/4).

2- مريم: (26).

3- القرطبي-الجامع (104/11).

4- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (84).

5- الجمعة: (9).

6- انظر: ابن العربي-أحكام القرآن (1804/4).

7- القرطبي-الجامع (98/18).

8- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (156).

قراءات تفسيرية وليست قرآناً يقرأ بها. إذا كان الإمام القرطبي قد أصاب في وصفه هذا بالنسبة لأمثلة كثيرة إلا أنه في هذا المثال ربما جانب الصواب –والله أعلم– وذلك لأن القراءة (وامضوا) قد صرّح ابن مسعود أنه قرأ بها وأنه لو قرأ (فاسعوا) لسعى حتى يسقط رداءه. وهذا يدل على أنها قراءة وليست تفسيراً. إنني أعتقد أن هذه القراءة من الأحرف السبعة التي كان يقرأ بها ثم انتهت القراءة بها بعد جمع عثمان –رضي الله عنه– المسلمين على مصحف واحد ومما يؤكد هذا الكلام حديث الرسولﷺ الذي ذكره القرطبي في مقدمته ورواه الإمام أحمد وغيره. قال أبو بكرة: جاء جبريل إلى النبيﷺ فقال اقرأ على حرف؛ فقال ميكائيل: استزده؛ فقال: اقرأ على حرفين؛ فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ إلى سبعة أحرف؛ فقال: اقرأ فكلٌ شافٍ كافٍ إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب،أو آية عذاب بآية رحمة؛على نحو هَلُمّ وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجّل[1].

ففي هذا الحديث بيان واضح أنه كان مسموحاً للمسلمين القراءة بكلمات متشابهة في المعنى نزل القرآن بها حيث إنه نزل على سبعة أحرف.

ثانياً: أثر اختلاف القراءة في تعدد المعاني.

فبعض القراءات تحمل من المعاني ما لا تحمله غيرها، وقد يَقرُب هذا المعنى عن معنى القراءة الأخرى وقد يبعد دون تناقض أو تضاد –كما ذكر– فتكون كل قراءة بمنزلة الآية.

أ–تعدد المعنى وتقاربه.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[2].

قال القرطبي: والمقصود من الآية: إذهاب ما كانوا عليه في جاهليتهم، وألا تُجعل النساء كالمال يُورثن عن الرجال كما يورث المال. و(كرهاً) بضم الكاف قراءة حمزة والكسائي، والباقون بالفتح، وهما لغتان. قيل: الكره (بالفتح) بمعنى الإكراه، والكره(بالضم) المشقة، يقال: لتفعل ذلك طوعاً أو كرهاً، يعني طائعاً أو مكرهاً[3].

يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءتين متواترتين[4]، وذكر أنهما لغتان ثم ذكر أن القراءة الأولى بمعنى الإكراه والثانية بمعنى المشقة والمعنيان مختلفان لكنهما متقاربان.

1– الحديث سبق تخريجه في الفصل الثاني، المبحث الأول، صفحة 51.

2– النساء: (19).

3– انظر: القرطبي–الجامع (100/5).

4– انظر: ابن خلف الأنصاري–الإقناع (391).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[1].

قال:" وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (المخلصين) بكسر اللام؛ وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله.وقرأ الباقون بفتح اللام، وتأويلها:الذين أخلصهم الله لرسالته. وقد كان يوسف –عليه السلام–بهاتين الصفتين؛لأنه كان مخلصاً في طاعة الله تعالى،مستخلصاً لرسالة الله تعالى"[2].

يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءتين متواترتين[3] لكل قراءة معنى مغاير لكن المعنيين متقاربان فقد اتصف سيدنا يوسف وكل الأنبياء –عليهم السلام– بهاتين الصفتين، ويمكن القول إن كل مخلَص مخلِص وليس العكس، والمصدر واحد وهو الإخلاص.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾[4].

قال:" وقرأ نافع في رواية ورش (مُفرِطون) بكسر الراء وتخفيفها، وهي قراءة عبد الله بن مسعود وابن عباس، ومعناه مسرفون في الذنوب والمعصية، أي أفرطوا فيها. يقال: أفرط فلان على فلان إذا أربى عليه، وقال له اكثر مما قال من الشر. وقرأ أبو جعفر القارئ (مُفَرِّطون) بكسر الراء وتشديدها، أي مضيعون أمر الله، فهو من التفريط في الواجب"[5].

يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءات متواترة[6] للقراءة الأولى معنى يختلف عن معاني القراءتين الثانية والثالثة واللتين معناهما واحد. ولكن المعنيين متقاربان، فمن أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي هو مضيع لأمر الله مفرط. هكذا رأينا في هذه الأمثلة معاني مختلفة لكل قراءة، لكنها متقاربة في المعنى والمضمون للقراءة الأخرى.

ب–تغير القراءة يؤدي إلى تغير المعنى وتعدده.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي: فعند تفسير قول الله عز وجل:﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[7].

قال الإمام القرطبي: قراءة الجمهور (ظُلِم) بضم الظاء وكسر اللام؛ ويجوز إسكانها. ومن قرأ

1– يوسف: (24).

2– القرطبي–الجامع (175/9).

3– انظر: الصفاقسي–غيث النفع (150).

4– النحل: (62).

5– القرطبي–الجامع (128/10).

6– انظر: البنا الدمياطي–إتحاف فضلاء البشر (352).

7– النساء: (148).

(ظَلَم) بفتح الظاء وفتح اللام فلا يجوز له أن يسكِّن اللام لخفة الفتحة. فعلى القراءة الأولى المعنى لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا من ظلم فلا يكره له الجهر به . ثم اختلفوا في كيفية الجهر بالسوء وما هو مباح من ذلك. وظاهر الآية أن للمظلوم أن ينتصر من ظالمه. فأما من قرأ (ظَلَم) بالفتح في الظاء واللام وهي قراءة زيد بن أسلم[1] وكان من العلماء بالقرآن بالمدينة. فالمعنى: إلا من ظلم في فعل أو قول فاجهروا له بالسوء من القول؛ في معنى النهي عن فعله والتوبيخ له والرد عليه؛ المعنى لا يحب الله أن يقال لمن تاب من النفاق: ألست نافقت؟ إلا من ظلم، أي أقام على النفاق؛ ودل على هذا قوله تعالى: (إلا الذين تابوا). قيل: وذلك أنه سبحانه وتعالى لما أخبر عن المنافقين أنهم في الدرك الأسفل من النار كان كذلك جهراً بالسوء من القول، ثم قال لهم بعد ذلك: (ما يفعل الله بعذابكم)[2] على معنى التأنيس والاستدعاء إلى الشكر والإيمان. ثم قال للمؤمنين: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظَلَم) في إقامته على النفاق؛ فإنه يقال له: ألست المنافق الكافر الذي لك في الآخرة الدرك الأسفل من النار؟ ونحو هذا من القول[3].

يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءة متواترة هي قراءة الجمهور وبين معناها ثم ذكر قراءة شاذة[4] وذكر معناها المغاير لمعنى القراءة الأولى مؤكداً على ذلك المعنى بسياق الآيات بطريقة رائعة. وهكذا ظهرت القراءتان كأنهما آيتان؛ لكل آية معناها المستقل بكل روعة وإعجاز، دون تعارض أو تناقض.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[5].

قال: (تبلو): أي تذوق. (كل نفس ما أسلفت) أي جزاء ما عملت وقدمت. وقيل: تسلم، أي تسلم ما عليها من حقوق إلى أربابها بغير اختيارها. وقرأ حمزة والكسائي (تتلو) أي تقرأ كل نفس كتابها الذي كتب عليها وقيل (تتلو) تتبع، أي تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا[6].

يتضح من هذا المثال أن كل قراءة من القراءتين المتواترتين[7] لها معنى جديد يختلف عن معنى القراءة الأخرى.

1- زيد بن أسلم: أبو أسامة العدوي الفقيه المدني مولى عمر بن الخطاب، كان ثقة كثير الحديث، توفي بالمدينة سنة ثلاث أو ست وثلاثين ومائة، وقيل ثلاث وأربعين. (انظر: الوافي بالوفيات 23/15).

2- النساء: (147).

3- انظر: القرطبي-الجامع (5،6،7/7) بتصرف.

4- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (30).

5- يونس: (30).

6- انظر: القرطبي-الجامع (310/8).

7- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (408).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[1].

قال:" قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق، أي المصدقين بما أنزل الله. الباقون بالتشديد أي المتصدقين والمتصدقات فأدغمت التاء في الصاد وكذلك في مصحف أبي. وهو حث على الصدقات، ولهذا قال: (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) بالصدقة والنفقة في سبيل الله"[2].

ففي هذا المثال ذكر قراءتين متواترتين[3]، وذكر لكل قراءة معنى يختلف عن معنى القراءة الأخرى فالصدق صفة والتصدق صفة أخرى.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[4].

قال: قرأ ابن عامر (وطاء) بكسر الواو وفتح الطاء والمد، واختارها أبو عبيد. الباقون (وطئاً) بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة، واختاره أبو حاتم؛ من قولك: اشتدت على القوم وطأة سلطانهم أي ثقل عليهم ما حمَّلهم من المُؤَن، ومنه قول النبيﷺ: (اللهم اشدد وطأتك على مضر)[5]. فالمعنى: أنها أثقل على المصلي من ساعات النهار. وذلك أن الليل وقت منام وتودع وإجمام، فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة. وقيل أشد ثباتاً من النهار، فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل وأنفى لما يلهي ويشغل القلب. والوطء الثبات، تقول: وطئت الأرض بقدمي، ومن مد فهو مصدر واطأت وِطاء ومواطأة أي وافقته. واطأته على الأمر مواطأة: إذا وافقته من الوِفَاق، فلا يواطئ اسمه اسمي، وتواطئوا عليه أي توافقوا؛ فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان؛ لانقطاع الأصوات والحركات؛ قاله مجاهد وغيره، وقال ابن عباس، أي يواطئ السمع القلب؛ قال الله تعالى: (ليواطئوا عدة ما حرم الله)[6] أي ليوافقوا. وقيل: المعنى أشد مِهاداً للتعرف في التفكر والتدبر[7].

ففي هذا المثال ذكر قراءتين متواترتين[8] وذكر لكل قراءة معنى يختلف عن معنى القراءة الثانية دون تناقض، فكلا المعنيين حاصل لمن يقيم الليل، فقيام الليل أثقل على المصلي من صلاة

1- الحديد: (18).

2- القرطبي-الجامع (243/17).

3- انظر: ابن خلف الأنصاري-الإقناع (469).

4- المزمل: (6).

5- انظر: صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبي (222/1، حديث 1006).

6- التوبة: (37).

7- انظر: القرطبي-الجامع (41/19).

8- انظر: الصفاقسي-غيث النفع (294).

النهار وهو أشد ثباتاً من النهار هذا على القراءة الأولى، وقيام الليل كذلك أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان وأقرب للتفكير والتدبر على معنى القراءة الثانية. وهكذا كان للقراءات المختلفة معاني متعددة أثرت تفسير القرآن وأظهرت روعة البيان لكلام الرحيم الرحمن.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[1].

قال القرطبي: (وما هو على الغيب بظنين): بالظاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، أي بمتهم والظِّنة التهمة؛ قال الشاعر:

أما وكتاب الله لا عن شناءةٍ هُجِرتَ ولكن الظنين ظنينُ[2].

واختاره أبو عبيد؛ لأنهم لم يبخّلوه ولكن كذبوه، ولأن الأكثر من كلام العرب: ما هو بكذا ولا يقولون: ما هو على كذا، إنما يقولون: ما أنت على هذا بمتهم. وقرأ الباقون (بضنين) بالضاد: أي ببخيل من ضننت بالشيء أضن ضناً فهو ضنين. قال مجاهد: لا يضنّ عليكم بما يعلم، بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه[3].

يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءتين متواترتين[4]، وبين لكل قراءة معنىً مغايراً ولكن دون تضاد، فكل قراءة تعتبر بمنزلة الآية المستقلة، فالقراءة الأولى تنفي عن النبيﷺ التهمة والكذب، فهو ثقة مؤتمن لا يبدل ولا يغير، والقراءة الثانية تنفي عنه صفة البخل في الدعوة والبلاغ، فقد بلغ رسالة الله على أكمل وجه كما أمره ربه جل في علاه. فالقراءتان يصدق بعضهما بعضاً ويكمل بعضهما بعضاً فهذا من عظيم آياته وإعجازه.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾[5].

قال:" (إنهم لا أيمان لهم) أي لا عهود لهم؛ أي ليست عهودهم صادقة يوفون بها. وقرأ ابن عامر (لا إيمان لهم) بكسر الهمزة من الإيمان؛ أي لا إسلام لهم. ويحتمل أن يكون مصدر آمنته إيماناً، من الأمن الذي ضده الخوف، أي لا يؤمنون؛ من آمنته إيماناً أي أجرته؛ فلهذا قال: (فقاتلوا أئمة الكفر)[6].

1- التكوير: (24).

2- الشاعر: عبد الرحمن بن حسان. انظر: ابن منظور-لسان العرب، مادة (ظنن)(272/8).

3- انظر: القرطبي-الجامع (231/19).

4- انظر: ابن الجزري-النشر (298/2).

5- التوبة: (12).

6- القرطبي-الجامع (83/8).

يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءتين متواترتين[1]، وذكر أن القراءة الأولى تعني لا عهود لهم، والقراءة الثانية تعني لا إيمان أي لا إسلام، ويحتمل أن تعني أيضاً لا يؤمنون، وبهذا كان لكل قراءة معنى مغاير للقراءة الأخرى.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَـٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَـٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [2].

قال القرطبي: قراءة العامة (ربَّنا) بالنصب على أنه نداء مضاف، وهو منصوب لأنه مفعول به لأن معناه: ناديت ودعوت. (باعِد) سألوا المباعدة في أسفارهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن وهشام عن ابن عامر: (ربنا) كذلك على الدعاء (بَعِّد) من التبعيد. وباعد وبعد واحد في المعنى، كما تقول: قارب وقرّب، وقرأ يعقوب (ربُّنا) رفعاً، (باعَدَ) بفتح العين والدال على الخبر، تقديره لقد باعد ربنا بين أسفارنا. واختار هذه القراءة أبو حاتم قال لأنهم ما طلبوا التبعيد إنما طلبوا أقرب من ذلك بطراً وعجباً مع كفرهم. وقراءة يحيى بن يعمر وعيسى بن عمر (رَبُّنا بَعّدْ بين أسفارنا) بشد العين من غير ألف وفسرها ابن عباس قال: شكوا أن ربهم باعد بين أسفارهم. وقُرئ (ربَّنا بَعُد بين أسفارنا) (ربَّنا) نداء مضاف، ثم أخبروا بعد ذلك فقالوا: (بَعُد بين أسفارنا) ورفع (بين) بالفعل، أي بعد ما يتصل بأسفارنا. قال النحاس[3]: وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال إحداها أجود من الأخرى كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها، ولكن خبر عنهم أنهم دعوا ربهم أن يبعد بين أسفارهم بطراً وأشراً، وخبر عنهم أنهم لما فعل ذلك بهم خبّروا به وشكوا كما قال ابن عباس[4].

يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءات متواترة[5]، وهي القراءات الثلاث الأولى، وذكر قراءات شاذة[6]، وكان لهذه القراءات معانٍ متعددة، فالقراءة الأولى والثانية تعني الطلب والدعاء لله تعالى أن يباعد بين أسفارهم. والقراءة الثالثة تعني الإخبار بأن الله باعد بين أسفارهم، هذا بالنسبة للقراءات المتواترة، أما القراءتان الشاذتان فتعني أنهم شكوا إلى الله ما حل بهم بسبب ما طلبوا من المباعدة بين أسفارهم، وأنه شكى بعضهم لبعض ما حل بهم بسبب المباعدة فهذه الآية بقراءاتها حملت معاني أربع آيات دون تناقض، حيث إنه يمكن الجمع بين هذه القراءات ومعانيها بالقول: إنهم دعوا الله أن يباعد بين أسفارهم بطراً منهم، فلما باعد بين أسفارهم أصابهم من الشقاء

1- انظر: ابن الجزري-النشر (212/2).

2- سبأ: (19).

3- انظر: النحاس-إعراب القرآن (343/3).

4- انظر: القرطبي-الجامع (279/14).

5- انظر: ابن الجزري-النشر (262/2).

6- انظر: ابن خالويه-مختصر في شواذ القرآن (121).

والعناء ما أصابهم، فأخبروا بما حل بهم على سبيل الشكوى تارة، وعلى سبيل الإخبار تارة أخرى، وتضرعوا بالشكوى إلى الله تارة، وإلى الناس تارة أخرى. إنه كلام الله المعجز المليء بالروعة والجمال فتبارك الله رب العالمين.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾[1]. قال:" وقرأ ابن محيصن وابن كثير والكوفيون عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش (لساحر) نعتاً لرسول الله ﷺ وقرأ الباقون (لسحر) نعتاً للقرآن"[2].

ففي هذا المثال ذكر قراءتين متواترتين[3]، كانت القراءة الأولى نعتاً للرسولﷺ والثانية نعتاً للقرآن فكانت كل قراءة بمنزلة آية مستقلة في المعنى.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾[4].

قال: (يقص الحق) أي يقص القصص الحق، وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم ومجاهد وابن عباس. قال الله عز وجل: (نحن نقص عليك أحسن القصص)[5]. الباقون (يقضِ الحقَّ) بالضاد المعجمة، وكذلك قرأ علي –رضي الله عنه– وهو من القضاء؛ ودل على ذلك أن بعده (وهو خير الفاصلين) والفصل لا يكون إلا قضاء دون قصص، ويقوي ذلك قوله قبله:

(إن الحكم إلا لله)[6]. يلاحظ في هذا المثال أنه ذكر قراءتين متواترتين[7] ثم ذكر للقراءة الأولى معنىً مغايراً ومختلفاً عن معنى القراءة الثانية دون تعارض أو تناقض، فدل ذلك على عظمة هذا الكلام وعظمة المتكلم به، وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وهكذا كان لاختلاف القراءات القرآنية الأثر العظيم في اختلاف معاني آيات القرآن الكريم، رأينا كيف استخدم الإمام القرطبي هذه القراءات ومعانيها المختلفة في إثراء تفسير القرآن وإظهار روعته وجماله وإعجازه بطريقة جميلة وأسلوب عظيم.

1- يونس: (2).

2- القرطبي–الجامع (286/8).

3- انظر: ابن الجزري–النشر (212/2).

4- الأنعام: (57).

5- يوسف: (3).

6- انظر: القرطبي–الجامع (412/6).

7- انظر: ابن الجزري–النشر (194/2).

الفصل الرابع
القراءات عند القرطبي في الميزان

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ما يحسب للقرطبي

المبحث الثاني: ما يؤخذ على القرطبي

الفصل الرابع

القراءات عند القرطبي في الميزان

المبحث الأول

ما يحسب للإمام القرطبي

لقد كان الإمام القرطبي إماما جليلاً عالماً متبحراً في علوم كثيرة، منها تبحره في علم القراءات، وقد اشتمل تفسيره على مادة علمية مفيدة في القراءات، عرضاً وتفسيراً وتوجيهاً وترجيحاً، بأسلوب رائع إن دل على شيء فإنما يدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور علمه.

وإن من أهم ما تميز به الإمام القرطبي في عرضه للقراءات القرآنية في تفسيره ما يلي :

1. اهتم بالقراءات اهتماماً بالغاً خاصة القراءات المتواترة منها، وكان من مظاهر هذا الاهتمام ذكره القراءات منسوبة إلى أصحابها ووصفه هذه القراءات بأوصاف متعددة مثل (قراءة الجمهور ،والجماعة، والعامة، وجمهور السبعة وغيرها) مما يدل على شهرة هذه القراءات وتواترها و كثرة من قرأ بها وكان كذلك يوجه هذه القراءات و يحتج لها و يختار منها ويبين أثرها على المعنى والفقه والتفسير عموما .

2. ومما يعد للإمام القرطبي، ذكره للقراءات القرآنية بتوسع وشمولية فلم يترك أو يغفل إلا عن النزر اليسير منها، ولم يقتصر على القراءات المتواترة فقط، بل ذكر القراءات الشاذة أيضا، ووجهها وبين معناها وسخرها لخدمة تفسير القرآن .

3. لم يكثر الإمام القرطبي من القراءات الموضوعة أو الشاذة شذوذاً فاحشاً؛ وإنما ذكر أمثلة معدودة لها من أجل التحذير منها، و إبطالها رواية ومعنى ، وبيان الحق في ذلك.

4. ذكر قراءات مخالفة لرسم المصحف وبين ذلك في أغلب المواطن وأن هذه القراءات تفسيرية وليست مما يقرأ من القرآن؛ و إنما تذكر خدمة للتفسير و إثرائه.

5. اتصف الإمام القرطبي بالدقة الواضحة في نسبته القراءات إلى أصحابها وقرائها، فكان ينسب القراءة لصاحبها باسمه أو كنيته سواء أكان من القراء العشرة أم الأربعة عشر أم غيرهم من الصحابة والتابعين والقراء المشهورين وغير المشهورين. وكان أحيانا يكتفي بنسبة القراءة لأهل البلد الذين اشتهروا بتلك القراءة، وكان غالب هذه القراءات– المنسوبة لأهل البلد– متواترة.

6. ومما يعد للإمام القرطبي، ترجيحه للقراءات بطريقة مفيدة رائعة معتدلة تعتبر مثلاً في الاعتدال والإنصاف، فقد استخدم ألفاظاً دقيقة معتدلة ليس فيها إضعاف أو مس بالقراءة الأخرى مثل(أبين ، أجود ، أفصح ، أبلغ ، أحسن) وغيرها. وقد برع كذلك في ذكر الاعتبارات التي اعتمد عليها في ترجيحه القراءات، والتي اعتمد عليها علماء التفسير من قبله، واعتمد عليها علماء القراءات في اختياراتهم للقراءة؛ فاختياراتهم لم تكن عشوائية و إنما كانت لاعتبارات وأسباب وجيهة مثل(اعتبار النحو ، أو الصرف ، أو البلاغة ، أو الفصاحة، أو قراءة الجماعة) وغيرها من الاعتبارات.

7. ومما يعد له، احتجاجه للقراءات وتوجيهها سواء المتواترة منها أو الشاذة ببيان معانيها المتنوعة أو المترادفة ، وتوجيهها بالنحو أو الصرف أو الشعر أو بالقرآن أو بالسنة وغير ذلك من العلوم المتعددة التي أتقنها مفسرنا؛ فسخرها خدمة للقراءات، و للتفسير عموماً.

8. و مما يحسب له، أنه كان يهدف من توجيه القراءات والترجيح بينها إثراء التفسير و الكشف عن معاني القرآن بكل ما أوتي من علم وحكمة ، ذاكراً أقوال السلف و أقوال علماء التفسير والفقه واللغة، و آراءهم دون تعصب لرأي أو قراءة ما، فمع ترجيحه لبعض القراءات أو الآراء إلا أنه بكل موضوعية يذكر الآراء المخالفة لرأيه و أدلتها. فكان بذلك يسير على منهج سديد فريد يجله ويقدره كل من يحصل له شرف الاطلاع عليه، فيعترف عندها بجلالة وعظمة هذا الإمام ، وروعة تفسيره.

9. ومما يحسب له ، موقفه من القراءات موقف الإجلال و التقديس ، خاصة المتواتر منها ، فكان يدافع عن هذه القراءات آخذا بقاعدة (القراءة سنة متبعة) فما ثبت صحته من هذه القراءات فلا يجوز تضعيفها ولا تهوينها ولا وصفها باللحن[1]. وهذا ما يغلب على موقفه.

10. ومما يحسب له، تفسير القراءات القرآنية وبيان معانيها المختلفة –اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد– و التي أثرت التفسير و أظهرت إعجاز القرآن بجلالة ووضوح. وكان لتفسير هذه القراءات أثر بارز في الفقه، حيث كان الإمام القرطبي من الفقهاء المشهورين ، وقد عد العلماء تفسيره من التفاسير الفقهية لتوسعه في هذا الجانب . وقد بين القرطبي أثر اختلاف القراءات على الفقه في مسائل متعددة[2]. وكان لتفسير هذه القراءات أثر على التفسير عموما.

1– انظر: القرطبي– الجامع (241/12، 291).

2– انظر: الفصل الثالث من الرسالة (أثر القراءات على الفقه).

11. ومما يعد للإمام القرطبي، التزامه بمذهب أهل السنة والجماعة في معظم عقائدهم ودفاعه عن العقيدة الصحيحة، من خلال رد قراءات شاذة لفساد معناها عقائدياً[1]، و بيان معاني القراءات و توجيهها، و إبطال العقائد الفاسدة المنحرفة. فمن أقواله على سبيل المثال لا الحصر، بعد أن ذكر القراءات في قوله تعالى : (و لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً و أن الله شديد العذاب)[2]، قال :"وثبت بنص هذه الآية القوة لله، بخلاف قول المعتزلة في نفيهم معاني الصفات القديمة؛ تعالى الله عن قولهم "[3].

12. و مما يعد له، استخدامه للقراءات الشاذة في خدمة القرآن و علومه، فقد كان يقوي بها وجهاً إعرابياً في قراءة صحيحة أحياناً، أو يقوي بها قراءة الجماعة، أو يقوي بها بعض آراء المفسرين أو يرفضها[4]، أو يبين أنها إحدى لهجات العرب و لغاتهم، فمن خلال تعرفنا على كلمات كنا نظنها لغة عامية لا أساس لها، ثم تبين أنها لهجات عربية فصيحة تكلمت بها بعض القبائل، من خلال القراءات الشاذة والمتواترة[5].

1- انظر : القرطبي – الجامع (162/1).

2- البقرة : (165).

3- القرطبي – الجامع (210/2).

4- انظر : القراءات الشاذة (الفصل الثاني – المبحث الثاني – المطلب الثاني من الرسالة).

5- انظر : (الفصل الثالث – أثر القراءات في التفسير – المبحث الأول).

المبحث الثاني

ما يؤخذ على الإمام القرطبي

مع ما للقراءات القرآنية في تفسير القرطبي من فوائد جليلة عظيمة؛ إلا أن هناك بعض الملاحظات التي لابد من التنبيه عليها. و هذه الملاحظات لا تقلل من عظمة هذا التفسير، و لا تنقص من قدر الإمام القرطبي، فهو عالم مشهور مشهود له بعظيم فضله و سعة علمه.

و لكنه على سعة علمه وعظيم فضله فإنه يبقى بشراً غير معصوم؛ فالكمال لله وحده، فقد يعثر الجواد، ويهفو العالم أو يسهو وجلّ من لا يسهو. و إذا كان لابد من التنبيه لما وقع للقرطبي من خطأ أو سهو في موضوع القراءات القرآنية في تفسيره الجليل فهي كما يلي:

1. مع أن الإمام القرطبي حرص على ذكر أغلب القراءات القرآنية المتواترة إلا أنه غفل أو سها عن ذكر بعض هذه القراءات في مواضع ليست قليلة[1].

2. و قد كان أحياناً يذكر اختلافات اللفظة القرآنية، و يُرجع ذلك إلى أنها لغات أو غير ذلك، دون الإشارة إلى أنها قراءات قرآنية متواترة في مواضع قليلة[2].

3. و مما يؤخذ عليه، اعتباره أن القراءات المتواترة هي القراءات السبع فقط دون العشر، مع أن الإمام ابن الجزري و غيره من علماء الأمة الثقاة أثبتوا بالأدلة القاطعة تواتر القراءات العشر[3]. و لكن يمكن أن نلتمس لشيخنا عذراً، و هو أن القراءات الثلاث المتممة للعشر – أبي جعفر و يعقوب و خلف – لم تكن قد أثبتت ضمن القراءات المتواترة بعد، و إنما أثبتها الإمام ابن الجزري بعد ذلك، و معلوم أن ابن الجزري جاء بعد الإمام القرطبي.

4. و قد ترتب على النقطة السابقة أمر آخر ألا و هو إغفال أو سهو الإمام القرطبي عن ذكر القراءات الثلاث المكملة للعشرة في مواطن ليست قليلة[4].

5. و مما يؤخذ عليه، قلة و ندرة حكمه على القراءات سواءً المتواترة منها أو الشاذة؛ و إنما كان يكتفي بنسبة هذه القراءات إلى أصحابها أو إلى البلد الذين قرأوا بها، و لعله كان يعتبر أن ذكره لصاحب القراءة يكفي في معرفة تواترها أو عدمه. و قد يكون هذا الأمر صحيحاً في كثير من الأمثلة، و لكن هناك بعض الأمثلة نسب فيها القرطبي القراءة إلى أحد القراء السبعة أو العشرة وكانت تلك القراءات شاذة، حيث إنها لم تثبت عنهم في كتب القراءات المعتمدة[5]. أضف إلى

1- انظر : القرطبي – الجامع (13/2 ، 28 ، 36 ، 65 ، 91 و غيرها)

2- انظر: المرجع السابق (226/7، 228، 327 ،369).

3- انظر : الرسالة – الفصل الثاني – المبحث الثاني ، ابن الجزري – النشر (41/1).

4- انظر : القرطبي – الجامع (55/7 ، 60 ،82 – 218/8 ، 258).

5- انظر :المرجع السابق (23/7 ، 171).

ذلك أن هناك قراءات لم ينسبها إلى أصحابها وذكرها بصيغة (قرئ) و كانت تلك القراءات متواترة أحياناً.فكان الأولى بإمامنا الجليل أن يبين حكم القراءات التي ذكرها في تفسيره حتى يكون كل قارئ لتفسيره على نور و بينة من أمره بالنسبة لهذه القراءات، فيميز بين القراءة المتواترة والشاذة. و هذا الأمر غير متحقق في تفسير القرطبي الآن حتى يأتي من يقوم بتحقيق تلك القراءات والحكم عليها، و أسأل الله – عز و جل – أن أكون أنا هو ليكون لي شرف خدمة كتابه الكريم و خدمة كتاب هو من أجل و أهم كتب التفسير، أسأل الله العظيم أن يوفقني لهذا العمل الجليل.

6. و على قلة حكم الإمام القرطبي على القراءات إلا أنه لما حكم على بعضها وقع في خطأ لعله من أكبر الأخطاء التي وقع فيها إمامنا الجليل. وهو الحكم على قراءات متواترة أنها شاذة أو غير صحيحة أو لحن أو بعيدة. و لعله يعذر إذا كان هذا الحكم لقراءة من القراءات الثلاث المكملة للعشرة؛ لأننا علمنا أنه لم يثبت لديه تواترها فربما لم تصله بطريق التواتر. ولكن لا يمكن أن يعذر في عدد من الأمثلة حكم فيها على قراءات سبعية متواترة قرأ بها أكثر من واحد من السبعة مثل عاصم و حمزة و ابن عامر[1]، أنها غلط أو لحن أو ضعيفة الوجه أو بعيدة، و لكن إن كان من عذر للإمام القرطبي فيمكن القول إنه حكم على هذه القراءات بهذه الأوصاف ليس من جهة الرواية فهو يعلم أنها متواترة، و لكنه حكم عليها من جهة العربية حيث كان يقول مثلاً (و هو غلط لا يجوز في العربية)[2]. فهذا مما يخفف من هذا الخطأ و لا يلغيه. و لكن لا ننسى أن هذه الأمثلة نادرةً جداً لدرجة أنها تعد على أصابع اليد. نسأل الله أن يغفر لشيخنا القرطبي و أن يسامحه.

7. و لعل الذي أوقع شيخنا القرطبي في خطأ الحكم على بعض القراءات المتواترة هو تأثره بأهل اللغة والنحو إلى حد ما. و من مظاهر ذلك بالإضافة إلى النقطة سالفة الذكر، أنه ينقل عبارات لبعض أهل اللغة يصفون بها قراءات باللحن أو الخطأ وغير ذلك من ألفاظ توهين القراءة دون الرد على تلك الأقوال[3] في بعض الأمثلة، و لكنه كان يرد عليهم في كثير من الأمثلة[4]. وكان في ذلك مصيباً لأن إخضاع القراءات للأقيسة أمر خطير غير مقبول؛ لأن القراءة إذا ثبتت صحتها وتواترها فهي قطعاً كلام الله عز وجل، وهي من القرآن الذي نزل بأفصح اللغات العربية، فكل ما فيه لغة فصيحة وإن خالفت الأقيسة النحوية، وإن عدها بعض

1- انظر : الرسالة – الفصل الثاني – المبحث الثاني – الحكم على القراءات .

2- انظر : القرطبي – الجامع (39/7).

3- انظر : المرجع السابق (83/8 - 205/11 - 27/12).

4- انظر: المرجع السابق (323/7 -229/11 – 174/14).

علماء اللغة شاذة؛فكلامهم مردود غير مقبول إلا في غير القرآن وقراءاته الصحيحة المتواترة، التي بلغت القمة في الفصاحة والبلاغة، والذي هو الأساس والمرجع لقواعد اللغة وغيرها.

8. مع حرصه الشديد على نسبة كل قراءة لقارئها و دقته وإتقانه في هذا الأمر إلا إنه لم يكن دقيقا في بعض أمثلة معدودة حيث إنه أخطأ في نسبة بعض القراءات إلى أصحابها فقال مثلاً "قرأ ابن عامر وعاصم(قيماً)[1]" والصحيح أن ابن عامر فقط هو الذي قرأ بهذه القراءة[2]. فمثل هذا السهو يمكن أن يقع فيه أي إنسان، وهذا نادر كما ذكرنا.

9. كان الإمام القرطبي يرجح القراءة المتواترة على القراءة الشاذة، إلا أنه رجح قراءة شاذة على متواترة بوصفه القراءة الشاذة " وهو أبلغ في المعنى"[3]. فهو وصف القراءة الشاذة أنها أبلغ من القراءة المتواترة وهذا فيه نوع من ترجيح تلك القراءة[4]. وفي مثال آخر افترض القرطبي قراءة وبين أنها أحسن من المتواترة بقوله " ولو قرئ بنصب (قبس) على البيان أو الحال كان أحسن "[5]. فهذا مما يؤخذ عليه و إن كان لا يوجد غير هذين المثالين.

10. ومما يؤخذ عليه، عدم اهتمامه بذكر تواتر القراءة ليكون أحد أسباب الترجيح؛ و إنما كان يذكر اعتبارات أخرى مثل البلاغة أو الفصاحة أو قوة المعنى وغير ذلك من الاعتبارات، ويترك القول باعتبار تواتر القراءة، وكان الأحرى والأولى أن يبين أن سبب الترجيح هو تواتر القراءة ،ثم يذكر الاعتبارات الأخرى ليستأنس بها ولتزيد الترجيح قوة.

11. كان الإمام القرطبي في نسبة القراءات إلى أصحابها لا يراع ترتيبا معينا، فكان أحيانا يقدم القراء السبع وأحيانا الصحابة وأحيانا غيرهم. فلم يلتزم منهجا معينا. وكذلك الأمر بالنسبة لترتيب ذكر القراءات من حيث التواتر والشذوذ، فكان غالباً يذكر القراءات المتواترة

أولا ثم الشاذة؛ لكنه أحياناً يقدم ذكر القراءة الشاذة على ذكر القراءة المتواترة. و أخيرا يمكن القول إن ما ذكر من المآخذ على الإمام القرطبي، وما وقع له من سهو أو خطأ لا يكاد يذكر في مقابل ما أجاد به وأفاد في علم القراءات. فكل ما ذكر من ملاحظات إنما كانت أمثلة قليلة نادرة تشبه نقطة في بحر زاخر مليء باللؤلؤ والمرجان والنفائس التي لا حصر لها.

نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا و أن يزيدنا علما و أن يغفر لشيخنا الإمام القرطبي و أن يجمعه مع النبيين و الصديقين والشهداء و حسن أولئك رفيقا. آمين.

1- المائدة: (97).

2- انظر : القرطبي-الجامع (306/6 ،338 - 125/8، 303).

3- انظر : المرجع السابق(66/6).

4- انظر :(الرسالة- الفصل الثاني- المبحث الرابع الترجيح).

5- انظر: القرطبي-الجامع (168/13)

الخاتمة

أتممت بحمد الله وتوفيقه ورعايته كتابة هذا البحث المتواضع. وأسأل الله عز وجل أن يكون خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن يكون أول الطريق إلى خدمة كتابه العظيم.

وهذه خاتمة البحث تتضمن:

أولا : ملخصاً للرسالة.

وثانيا : أهم النتائج والتوصيات.

أولا : ملخص الرسالة: تلخصت رسالتي فيما يلي:

1. التمهيد: وقد اشتمل على أربعة مواضيع أساسية وهي : تعريف القراءات، ونشأة علم القراءات، و أركان القراءة الصحيحة، و أنواع القراءات.

2. الفصل الأول: تحدثت فيه عن الإمام القرطبي صاحب الكتاب، وقسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث. تحدثت في المبحث الأول عن اسم المفسر، وكنيته، ونسبه، و لقبه، ومولده، ونشأته، ووفاته. ثم تحدثت في المبحث الثاني عن حياته العلمية: رحلاته في طلب العلم، وشيوخه وتلاميذه، وآثاره العلمية. ثم تكلمت في المبحث الثالث عن عصره : من حيث الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية .

3. وفي الفصل الثاني : تحدثت عن المعالم العامة لمنهج الإمام القرطبي في القراءات، وقسمته إلى خمسة مباحث. المبحث الأول: قضايا القراءات في مقدمة تفسيره. والمبحث الثاني: تناولت فيه أنواع القراءات التي استعرضها في تفسيره، وقسمته إلى مطلبين. المطلب الأول: القراءات المتواترة. المطلب الثاني: القراءات الشاذة. أما المبحث الثالث: فتناولت فيه نسبة القراءات إلى قرائها ورواتها.وفي المبحث الرابع:تحدثت عن الترجيح والاختيار و الحكم على القراءات عند القرطبي وفي المبحث الخامس: تكلمت عن منهجه في توجيه القراءات.

4. الفصل الثالث: وقد خصصته لأثر القراءات في التفسير، و قسمته إلي ثلاثة مباحث. المبحث الأول: أثر القراءات على التفسير عموماً، والمبحث الثاني: أثر القراءات في استنباط الأحكام الفقهية، والمبحث الثالث: أثر القراءات في استنباط المعاني المختلفة.

5. الفصل الرابع: وقد خصصته للحكم على منهج القرطبي في القراءات، و قد بينت ما حسب له من ايجابيات و مميزات، و في المقابل ما حسب عليه من ملحوظات وسلبيات.

6. ثم ختمت الرسالة بخاتمة، لخصت الرسالة فيها، و أختمها بما خلصت إليه من نتائج وتوصيات.

ثـانيا : أهم النتائـج والتوصيات.

1. رغم شهرة الإمام القرطبي الكبيرة، إلا أن أغلب كتب التراجم اكتفت بذكر اسمه وكنيته ولقبه وأغلب مؤلفاتـه. أمـا تـاريخ مولـده، ونشـأته، وأسـرته ورحلاتـه وأسـماء مـن تتلمـذوا عليـه فـلا زال غامضاً لا يعرف عنه إلا شذرات.

2. عاش الإمام القرطبي نصف حياته الأول في الأندلس والنصف الثاني في مصر، فكان لذلك أثر عظيم في بناء شخصية متكاملة جمعت علوم المغرب والمشرق بين جنباتها، وقد ظهر أثر هذا العلم الوافر في مؤلفاته العديدة وخاصة كتابه التفسير.

3. إن اهتمام الإمام القرطبي بالقراءات القرآنية في تفسيره وتناوله إياها بتوسع ودقة جعل تفسيره مصدراً هاماً من مصادر القراءات القرآنية.

ومن أجل أن تتم الفائدة من هذا الكتاب وتعم، يجب العمل على استخراج كل ما ذُكر عن القراءات من هذا التفسير في كتاب مستقل، يحقق هذه القراءات، ويحكم عليها ويرجعها إلى مظانها من كتب القراءات الأساسية المتخصصة المتواتر منها والشاذ، مع ترجمة لكل من قرأ بتلك القراءات من صحابة وتابعين وغيرهم. وبهذا العمل الجليل يمكن خدمة كتاب تفسير القرطبي، وخدمة المكتبة الإسلامية –قسم القراءات– بإضافة كتاب جديد أصيل من تراثنا الإسلامي يمكن أن يسمى (القراءات في تفسير القرطبي).

وإني لأرجو من الله أن يعينني على هذا العمل حيث إنني عازم على القيام به، فقد بدأت بأول خطوة فيه، وهي جمع وحصر كل ما ذكره الإمام القرطبي عن القراءات من بداية تفسيره حتى نهايته. فأسأل الله أن يقوي عزيمتي وأن يوفقني لخدمة كتابه العزيز.

4. لقد أبدع الإمام القرطبي في توجيه القراءات والاحتجاج لها بأمور متعددة بطريقة رائعة جميلة تدل على سعة علمه وثقافته العالية.

5. وقد برع كذلك في الترجيح بين القراءات بطريقة معتدلة مقبولة، فقد كان يهدف من الترجيح إلى إبراز قيمة القراءة الراجحة، وإظهار فصاحتها وإعجازها، وفي المقابل لا يضعف أو ينقص من القراءة الأخرى لأنه كان يستخدم ألفاظاً معتدلة ليس فيها مس بالقراءة الأخرى، وكان أحياناً بعد الترجيح يقول (والقراءتان حسنتان) ليؤكد للقارئ أن الترجيح لا يعني توهين القراءة الأخرى.

6. وصف الإمام القرطبي بعض القراءات المتواترة بأوصاف غير لائقة مثل (ضعيفة الوجه، أو بعيدة من حيث العربية)، في بعض الأمثلة النادرة، لكن موقفه الأساسي في الغالب هو تقديس القراءات والدفاع عنها بكل ما أوتي من قوة.

7. إن دراسة القراءات القرآنية من أشرف الدراسات والعلوم لتعلقها بأشرف كتاب وهو القرآن الكريم. لذلك يوصي الباحث قسم التفسير بكلية أصول الدين أن يخصص مساقاً أو مساقين في

القراءات، ولا مانع أن يخصص مساق لطلبة الجامعة بصفة عامة لكي يتخرج الطالب من الجامعة الإسلامية وهو على اطلاع ولو قليل بموضوع القراءات القرآنية. وهذا يتطلب من الجامعة الإسلامية توفير مراجع في علم القراءات، فالمكتبة الجامعية وغيرها من المكتبات في بلادنا تفتقر إلى مراجع في هذا العلم الجليل. كذلك يوصي الباحث بالعمل على نشر هذا العلم بكل الإمكانات المتاحة من خلال المؤسسات التربوية والإعلامية في بلادنا.

8. إن الأحرف السبعة هي أصل للقراءات القرآنية باتفاق، وإن القراءات القرآنية العشر المتواترة جزء من الأحرف السبعة، لا هي كل الأحرف السبعة ولا هي حرف واحد منها على الرأي الراجح.

9. القراءات القرآنية سنة متبعة أساسها التلقي والرواية، فالموقف الذي يجب أن يقفه المسلم تجاه القراءة إذا ثبت تواترها، التسليم المطلق والاعتقاد أنها لغة فصيحة، لا يجوز بحال من الأحوال وصفها بالضعف أو اللحن أو الشذوذ.

10. إن القراءات القرآنية هي الحَكم على ما وضعه علماء النحو من قواعد وأقيسة، وهي الأصل وليس العكس. لذلك يوصي الباحث مجمع اللغة العربية والجامعات والمعاهد والمدارس باعتماد قواعد النحو القرآنية أي الموافقة للقراءات المتواترة، كالتي ذكرها الدكتور أحمد الأنصاري في كتابه (نظرية النحو القرآني)؛ لتتم الفائدة الحقيقية العملية من القراءات القرآنية لصالح النحو العربي، وليغلق بذلك باب شر عظيم وهو اتهام القراءات بمخالفة القواعد النحوية. ونعلِّم أبناءنا قواعد اللغة العربية الصافية النقية من الشوائب التي علقت بها، والتي كان سببها الاهتمام بالشعر وكلام العرب على حساب القرآن الكريم وقراءاته المتواترة عند تقعيد قواعد النحو، مع أن الطريق السليم لذلك هو الاعتماد على مصادر السماع الأساسية وهي:القرآن الكريم وقراءاته المتواترة،ثم السنة النبوية الصحيحة،ثم كلام العرب شعراً ونثراً.

11. وختاماً فإن تفسير الإمام القرطبي –الجامع لأحكام القرآن– هو بحق موسوعة علمية من حيث التفسير والفقه والقراءات واللغة وغير ذلك؛ فيجب على طلاب العلم الشرعي ألا يغفلوا عن اقتنائه وقراءة ما يستطيعون منه كي يتحصلوا على ما فيه من فوائد لا تحصى. لذلك يوصي الباحث كلية أصول الدين والشريعة أن تطلب من مدرسيها أن يذكِّروا طلابهم بفضل هذا الكتاب وحثهم على القراءة منه،وتكليفهم بأبحاث يكون مرجعها الأول هذا التفسير العظيم.

هذا وبالله التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخلاصة

تم بعون الله وتوفيقه إتمام هذه الرسالة والتي تناولت البحث في منهج الإمام القرطبي في عرضه للقراءات القرآنية في تفسيره، والاحتجاج لها، والاختيار منها، وتوجيهها بطريقة علمية مفيدة، ثم بيان أثر هذه القراءات على تفسيره.

وهذا موضوع لم يتناوله من قبل أحد بالدراسة والبحث، وبهذا ثبت قيمة هذا البحث إذا لم يسبق إليه أحد.

ومن خلال هذا البحث توصل الباحث إلى نتائج أهمها:

-استعراض الإمام القرطبي في تفسيره القراءات بأنواعها، مع التركيز والاهتمام على المتواتر منها تاركاً القراءات الموضوعة والشاذة شذوذاً فاحشاً، كل ذلك بدقة ووضوح.

وكان يرجح بين القراءات بطريقة مفيدة معتدلة مقبولة ليس فيها مسٌ بالقراءة الأخرى أو إضعاف لها، معتمداً في ترجيحه على اعتبارات مهمة اعتمدها العلماء من قبل مثل (النحو، والصرف، والبلاغة، وقراءة الجماعة) وغير ذلك.

-وكان تفسيره زاخراً بالاحتجاج للقراءات بشتى أنواع الحجج، من قرآن وسنة ونحو وشعر وغيره. وقد أجاد في هذا الجانب وأفاد.

-وكان يدافع عن القراءات في مواطن كثيرة مبيناً أنه لا يجوز القول بتضعيف القراءة أو وصفها باللحن والشذوذ.

لم يحكم على القراءات التي ذكرها في تفسيره إلا في مواطن نادرة، ومع ندر ة هذه المواطن إلا أنه وقع في بعض الأخطاء.

-إن اهتمام الإمام القرطبي بالقراءات في تفسيره وتناوله لها بتوسع ودقة من خلال ذكرها منسوبة إلى أصحابها وتوجيهها والترجيح بينها، وبيان معانيها المتنوعة، وبيان أثر ذلك على التفسير جعل تفسيره مصدراً هاماً من مصادر القراءا ت.

لذلك يوصي الباحث:

-العمل على استخراج كل ما ذكر عن القراءات في تفسير القرطبي في كتاب مستقل، يحقق تلك القراءات، ويحكم عليها، ويرجعها إلى مظانّها من كتب القراءات المتواتر منها والشاذ، مع ترجمة لكل من قرأ بتلك القراءات. وبهذا العمل الجليل يمكن خدمة تفسير القرطبي، وخدمة المكتبة الإسلامية -قسم القراءات- بإضافة كتاب جديد أصيل من تراثنا الإسلامي يمكن أن يسمى (القراءات في تفسير القرطبي).

والله ولي التوفيق

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية/الصفحة
الفاتحة:	
»Éú ïÈ!$ÜÖƒ ÅX Î»B¼	221،21/4
»Úú üÈGó$, $ƒÎr ‰ZèR , $ƒÎ¼	222 ،219 ،90/5
»ÑÎgøã MðèR‰ ûïŸ‰Ó$Þº ŽÂ¼	220، 97/7
البقرة:	
»ÑÎÉð™ 4?ãr ÑÎÎqè4?ã ª! $NF z¼	102/7
»Ñè•» Á ß Ü‰r äž‰Ó$Š3ƒ¼	222/20
»WB >ÎØ„ b‰ÝÉÕGóƒ Ÿ Ó$bÎ¼	86/26
»pYgø$7 ã ←r MR‰ ôãÐ™$ÐŠ$«»ƒ $Zèr¼	115/35
»ïŠï $R‰. $ÐÏ $JÞ_•ž 'ù $k‡ã ß»Üø‰$$JÞÓ'ù¼	136/36
»böãïÉ#ä ôÏ Nè6 »Y‰ÞU Ðr¼	115/49
» 7 9 `Ïs‰è` 9 4 › qß»ƒ ÔÇèÐr¼	98/55
»pƒó)‰$ÍÉ»d ‡qèž Š$$Yèr¼	145 ،142 ،128، 117/58
»‰ïºr Ñ$èÛ 4?ã ŽÉÁR `9 4 › qß»ƒ ÔÇèÐr¼	192 ،97/61
»¾ïï 6 Í»Br ª ‰‰ã b‰. `B¼	205/98
»$ZÃº ‡qèà? Ÿ ‡qÐ#ä šú ï‰Ó$g•'»ƒ¼	86/104
»$‡Ïß Ø¿2 ÏÑ $gÅ Ç‰ pƒ#ä ôÏ ¡ $B¼	118/106
»#•ƒÉRr #Ž‰Ï0 ès‰ 7 »Y™ö‰ $Rî¼	244 ،89/119
»Ä $Z-j Ø/$WB MŽ‰$Zè_ Ðr¼	119/125
»$Ð#ä #ß#/ #‹»d Ðèô_$É ‘ Ð¿Ï•Ñ A$‰ Ðr¼	120/126
» 7 9 Ï‡Jƒó ã $Zèô_$ $Z/‘¼	93/128
»‹ $’Î $YRq•_$s‰ Ðè¼	121/139

الآية	رقم الآية/الصفحة
»$ÜT™r ¤BéÑa»Yèè_ 7Ï°‹.r¼	207/143
»#Š#‰R& ‹ $Ërß `Ï äÏ, Gƒ `B Ä $Z9$šÆ Ïr¼	239 ،89/165
»ífÌYÏ, ¤Ns9r P$!$ pGÐJ¤Ñà6 ¤æ P$m $JRÎ¼	87/173
»É>ì¤J¤ ÉÎ J¤$@6‰ Ña dqã_ã{q9q²b& ¤Ñ$ §¤Ñ¼	75/177
»$ÒƒÍE NaZÏ šc ‰. `Jù ¡N°Šr¤eB $Ï$ƒ&¼	180 ،156/184
»ã#äè¤Ñ$ÏŠÜ AÌR€üÏ ‰$b$ŸÒB‘ ãÖ- ¼	115/185
»è@Ü»6¤Î Na¥•/ Na9ºq¤& {pèÜ? Ÿr¼	195/88
»M»BqèèB ÖÑ6& •ktø$¼	145/97
»$‹R‰9$Íq$s¤$’Î ¼æ@‰ 7 ÑÉèã `B Ä $Y9$`Ïr¼	89/04
»@-ã ’Î ª $ÑÑŠÏÜƒ b& ¤Î) brãÝƒ @d¼	148 ،134/10
»Z‰Ïn°r ¤Béâ $Z9$b‰.¼	174 ،74/13
»NaÏÜƒ $Ï9r pÝ f ¤$(qèz¤? b& ÒÑçÅm R&¼	143/14
»ÇJ ŠÅ J¤$Çã š• Rqèó„r¼	251/22
»Ñ¤Íš¡ Î`Ï bqæãûïŸ‰Ñ¼	268 ،102/26
»Ï¤Ï. Ï÷ m £è‰»9r& `è£ëãÑ°$Î°q¤$r¼	237 ،177/33
»ä$¡Ï9$Ñ¤Û bÎ ¤æø y$Zã_ žv¼	92/36
»‰[°r¤& brâ‹ƒr Ña6 ŸÏ šc ¤Ñ@qGãûïŸ‰$¼	208/40
»$Ÿ¡m $Ê ë‰ ©$ÚÌ ø¤ã“ Ÿ‰$#Œ `B¼	190/245
»Ÿƒä¤Ž6 Î Ó/ .`Ï Z- J¤$’‹Î •? Ñ9&¼	129/246
»Šqã¤ ¤Ñ Ñqæ$Û Ÿ Á ù $Ï-ù¼	103/249
»šV q¤ `Š¤ã#Š Ÿ F‰r ‹ $Âc ¤ÑÎ Nèqã“gù¼	116/251

الآية	رقم الآية/الصفحة
»Ëq•)¤ÓÕ¤qè ž)Î m»9Î w ª ¤	135/255
»4ÀqJ¤ÇÓs ê # ¤Ÿ2 ‘ Ïí & É ‘ Ð¿Ù°•)Î A$% ¤)r¼	104/260
»‹ $È‹î™ ’Î ÔG°q¤ bqàŸZãûï‰G$@WB¼	105/261
»Ì»%‰¤Á 9$ ‘ Îëãr (q/Ò¤ª ¤ß s ð ƒ¼	97/276
آل عمران:	
»‹ ‘ îô_r ÅMK=Ð& @à ù 8q•_ n Þî ù¼	193/20
»É »GÅ6 ¤` Þ $ŽÃR (qêréšú ï‰G$’‹) •? Ô9&¼	148/23
»’ Ì Á ãÑí$% qèr è3Í»=J¤Çè$Y ù¼	187/39
»Ø Þk@èô_$É ‘ A$%¼	101/41
»o$Ç¥9$NÑ3Ç ¤ =»GÅ¤ª ¤ç Ïsãb & @ ;Ï b%. $B¼	166/79
»p3Í»=R$(räÏ, G? b & Ñä•Ø Ÿr¼	195 ،88/80
»Ñà6 Î§ `Þ o•ÿø B 4‹) (þãÍ $™r¼	193/133
»¼æ¤Þ Ó ë% Pö)¤¡§ B ‰)ù Ó ë% Ñãó ¡ ðƒ bÎ¼	223/140
»ž•Ï. bq•Îí ¼çè B Ÿ@G»% ¤Æ `Þ ûÉ.r¼	101/146
»br Ç³ t¤ ‹ $’‹Z Ñ Ç Ï è÷& Ñ B ûÈr¼	224/158
»7 Î ð% `Þ @Ñâ >Ê ä ‰)ù 8q ç Ÿ2 bÎ ù¼	194/184
»Ø qÑ‘ ÑÍŽï] è/ ¤) ûÜŸ Ø sÑ¤’?ã ª ¤£ B ‰)9¼	182 ،86/164
»$ Cq¤ ‹ $È‹î™ ’Î (qêë ûï‰G$ù ¡ ¤ Ÿr¼	24/169
»Ñ Å ÞRX ž ö z Ñç ’ Îð ç $JR& (ÿë . ûï‰G$ù ¡ ¤ Ÿr¼	240/178
النساء:	
»/ã)÷{ “ ï‰G$ãà/‘ (qà G$â $Z9$$K S »ƒ¼	233 ،82/1
»4 K»G‹¤$’Î (qÜÅ Þê ž & ëÿÅ Þ Îr¼	102 ،100/3

الآية	رقم الآية/الصفحة
»Nà2 Ï‰»9r& þÎª! $Ð2šÏ¹ qã¼	238/11
»$Jèrê$«ù Nà6 ZÏ $gÏ»šÝÙ‚ b#%Ø$¼	220/16
»$dö. ä$¡Ï9$(qè? b& Nà9 @ït wv(qB#ä `ƒÏ%Ø$g•'»ƒ¼	270 ،222 ،209/19
»Nà6 ãJf& M3=B $B žvÎä$¡Ï9$`Ï ÀM»Y Á s 3Ø$¼	189/24
»ÏM»Y Á s 3Ø$xÅ6 Zƒ b& wöÛ Nà ZÏ ôÜG ó„ N© `Br¼	253 ،214/25
»<Ù è/ 4?ã Nà Ò è/ ¾ïÎª! $@Ò ù $B (ðY JG? Ùr¼	227/32
»È#$Îºq Ø$8•? $ÆÏ 'íºqB $Yè_ @à6 Ïr¼	176/33
»ä$¡Ï9$'?ã šc qB Ø‰ A‰`Ï Ø$¼	141/34
»ç§Æ A$)₩Ï Nîâƒ Ùv Œ$bÎ¼	127 ،112/40
»Nà¡ãR& (þèÇ Ø$È& NÍÒ ã $Yõ. $R& ðr¼	141/66
»í•Å Fš $<‰9$oqš sØšc rçƒ `ƒÏ%Ø$<$è@<Î™ 'Î@Ï»)ãü¼	103/74
»<$è@<Î™ 'Î ÓÇÒÑ #Œ)(þB#ä šú ïÏ%Ø$KS»ƒ¼	133/94
»ûüÏÏs3Ø$`Ï br‰é»)Ø$“ ÈÇó„ ÒvÏ¼	198 ،110/95
»$ZR)wÎ ¾ïÏrß `Ï šc qãÖƒ bÎ¼	96/117
»Ñ ó ÉØ$ûüÏ°Š‰(qßqä(qB#ä ûïÏ%Ø$KS»ƒ¼	224/135
»ïwà»d 4<Î w 7Ï°Œ û¥/ ûüÎ<ó<Þ¼	98/143
»í$Z9$`Ï @ÿÖ¼Ç$Bö!$'Î ûüÉÿ»Y Ø$bÎ¼	134/145
»Éö)Ø$`Ï äþ¡9$Î •ô f Ø$ª! $<ïä ÒvÏ¼	271 ،217/148
»NÎÉ»<ÜÎ ‘qÜ9$Ø‰ôù $Zè ù‘r¼	154 ،94 ،77/154
»8 qç4<Î $Zømr& $J. 7 øÎ $Zømr& $RÎ¼	238/163
»š• øã NÎ»Yø Á ‰ ‰ xÎ¼âr¼	241/164

الآية	رقم الآية/الصفحة

المائدة:

»¾ïÎ ‹ ‡Îëöï @ÜÉ‡Br ÍƒÏ¥ÏØ‡Ñz r ÆÐ!‡r ÈÇŽØ0Ñ3æ ÑBÈñ¼	130/3
»íÇ÷Á9$’‹)ÔÉÒÈ#Œ)ÆB#ä šú ï‰Ø$Ñ‡Ï¼	254/6
»ÇJ öÆ{$’Î ¦ s¤ƒ $¥#•â ª$] è7ù¼	139/31
»$JØƒï‰ƒ& ÆÆÜ‰Ø$ È‰Í$¡ 9$ äÍ$¡ 9$¼	116/138
»Ä$ ÿZ9$ § ÿZ9$b& $ŽÏ ÑÎÕã $¥Ø.r¼	149/45
»ïŠÏ ª$A“R& $JÎ È‡ŠÅÑ¥Ñ‡Ø&d& ÐÁ‹ør¼	152/47
»ÔÁZƒŠ ÆräƒB$ûï‰Ø$ÆräÏ, Ø? Ÿv ÆqŽB#ä ûï‰Ø$Ñ‡Ï¼	141/57
»‹ ‡$‰¥Ã þ/qÈB 7ï°Œ `Ï Ï³ Î NÁÂÆÉ©d È©¼	107/60
»Æq‘J ¹ r ÆqÐèù ÞZ¤Ü šc qÂ? ŸvÆÞÇÅmr¼	129،212/71
»Ä $Z-þ $¥»Š‰ P#• s‡M‡Þ‡p6è3‡ª$ ‡Ø©è_¼	80/97
»Oƒ‡B ûÁ‡Ó¤ŠÉ»ƒ šc qƒÍ#q s‡A$‰ Ø©Î¼	77،96،112/212
»8Ð$‰Ã ÑÂÎù ÑÂÉèÊbÎ¼	104/118

الأنعام:

»¼çJÏm‘ ‰)ù 7³Bö‚ ç¤Ã ŠŽÇ¸Ã`B¼	189/16
»ª$È©è Ž‰»k- Ž9Ã ÄÓ« ‘“ & Ø©¼	222/19
»bqÃqà‚ “ Ï‰Ø$ 7 ÊÂŠ‹9 ¼çÑÎ Ñ=èÑ ‰%¼	169/33
»‹ ‡$ÜÏ# ‹ Ã ÑÂ8?& Ð Î ÑÂFƒÄ‘& Ø©¼	227/40
»ûüÈÐ Ñ‡Ø$Ã@‹Ê™ ûüÎKóKÏr ÏM»ƒÑ¥$Ø©Ã_ÿç 7ï°‹ .r¼	103/55
»’ÎŠ `Ï ÞŽÉ 4?ã ’Ê Ø©¼	150،264/57
»Ì‹Š 7Ø$Ê Î‡Ø$ÏM»Ã$Ê `Ï /ÃŠÉ ŽÃ `B Ø©¼	183/63
»È‡Š Ø$Ê Š ß ÖÆ{$Ê Ï Nºq»J¡ 9$,={ ” Ï‰Ø$qÈr¼	78،95/73

الآية	رقم الآية/الصفحة
»‘–#ä ïnŠÎL{ ÐŠÏd°•ð A$‰ ðÎr¼	242/74
»ñ‰Fœ$Ñ1‰gÎù ª! $ “ ‰d ûïŸ‰Ì$ 7 Í¯9rÉ¼	174/90
»$Z3™ @Ÿœ$Ÿè_r Ç$ô¯ ÑŸ$Ï$ù¼	199/96
»ç‰Ïn°r <š ÿR¯`Ï Nä'±R& ü Ÿ‰Ì$qèr¼	197/98
»ÑÏ)÷z r £ÿœ$ä!.Žä ¬ ‹qèr¼	72/100
»MÐ™‘Š ‹qäuà‹Ür ÏM»ƒÑ¥$Ï$ÎÇ‹š• Ð°‹.r¼	72/105
»‹ $È¤rß`Ï bqãß‰ƒ šú ï‰Ì$‹q7Ý‡ Ÿwr¼	107/108
»ðƒ#ä ÑÏœä!` ûÈ ÑÏÈ¤Jƒ‰ô_ ‹ $Î ‹qß¡ ¼ær¼	196/109
»p 6 Í¯J¼$ÑÍÎÐ) $ZÐ¥R $Y¥R& ðÐr¼	214/211
»É»÷Ð™M‡ ¼ç‘ß ¹ ÷ŸŽô „¼çƒ‰ôƒ b& ª! $Š‡ã`Jù¼	225/125
»ÑÏ‰»9¬& Ÿ@F‰ šú üÅ2 Îô ß¼$Æ Ï Ð‡Ÿ 6 Ð šú ï– š• Ð°‹Ÿ2 r¼	235/137
الأعراف:	
»ôaÎ§`Ï Naäø) A‡R€$B ‹qãÎ¼$¼	99/3
»#Yqãß‰B $Ð¥râõB $k‡B ô ëz$A$‰½	78/18
»$k‡ã ‹rŽ9ßF™$ $Zä»ƒ$«Î ‹qç¬. šú ïÉ¼$Ï)Î½	99‹137/40
»ßa9 ß Á R&r ’Î‡ Ïм»™Í Ñaäk€¼	79‹223/62
»ç‰{ &r ¬Å_ö& ‹qæ$‰½	80‹175/111
»•ó 7¼$Ÿƒïä¼Žó Î Ó_Í7Î $R¬q»_r¼	73/138
»ÓÎgÍÎã ôÏ ¾ÍŸ‰è/.`Ï Ó› qãÏäq‰ ‹ƒB$¼	93‹109/148
»ÑÚƒŸ‰ƒ& Þ_ Î Ý‡ÐÍ™ $R¼	140/149
»$ZÅ& `»7ÐÎ ¾ïÏBq‰ 4‹Î Ó› qãÎ ì_‘ $Ð9r¼	100/150
»$Bq‰ bqšÊ? NŸ ÑÏåÏB ¤BÉÐM9$‰ ðÎr¼	165/164

الآية	رقم الآية/الصفحة
»É»FÅ‰Ÿ šc qaÅJąûïï¼Š¼	156/170
»PŠ#ä ÛÍ/ .`Ï 7‹' ‹ {&Ø}r¼	200/172
»ä¼.Žà ¼ç9 Ÿxè_ $[sî»¹ $JG9?#ä $Ï=ù¼	83/190
»$¼í bqà¤ðƒ®ã_ö&NG9&¼	79/195
»*#Í»Û Nå¦Ï#Ê)(ö)?$šú ï¼Šžc Î¼	110/201
»Ö‰Š'Î Når‰Ãƒ NGÇq÷zÎr¼	164/202
الأنفال:	
>$fFÐ'$i Na/‘ bqæ«ÉCó¤Ø}Î¼	154/9
»ç¼Ï ZB& ¨ $èZ9$Na Šæóã Ø}Î¼	162‹172/11
»Z¢ ¼{ Na¥Ï{qÃ-ß ûï¼Šùˆ‹Ã ê¤v ZF¼u{qà}?$¼	98/25
»{pà7™ {rã¥. ûï¼Šù¡ Ø Ÿr¼	81‹163/59
»NÍÅ¡ãR&r ÔÎÿ°qÐ'Î {r‰g»_r {rã_$dr {qZÏ#ä `ƒ¼Š}bÎ¼	138/72
التوبة:	
»¼ÎqÃ'r ‹¼ $šÆ Ï ¤°Œ&r¼	181/3
»Nüÿ‰ôã ¼è/ .`Ï NGZ»J#& {pæ3Ò Nüÿ‰ôãbÎr ¼è/ .`Ï NGZ»J#& {pæ3Ò bÎr¼	274/12
»Nà6 ƒ¼#'Î ª¼ $ÐGÉèãNèqæ»%¼	127/14
»ÔÎÎqè á¤î é÷ÜõãÃr¼	157/15
»‹¼ $‰É» ¡ B {rãÏèƒ b& ûüÏÎÔÏÜ b¼. $B¼	133‹192/17
»ÚÍÿ¥? Ÿr 'k‹ ¤$ãqà}ƒ `B NGZÏr¼	93/49
»É>#•ãÃ{ $šÆ Ï brâ}Éèã¤$ä¼`r¼	244/90
»ª¼ $š_ Éõm Ô}ù{qÇ? bÎù¼	208/129
يونس:	
»$Zømr&¼b& $6 f ã Ä $Z÷Ï b¼.&¼	106‹264/2

الآية	رقم الآية/الصفحة
»$)m «‹ $‰ãr $ëŠÏd ÙaãÅ_ëB ïø)¼	73‹92‹143/4
»#Yq•J)ø¨ ß‹Æ š [ð±9$Ÿè_ “ ¼$qè¼	74‹94‹189/5
»S±9$Ä $Y-ï ª ¡ $@Éèãq9r¼	172/11
»Mÿ-Ð¼ $B <S ÿR @ä(qæÐ 7Ï$Zè¼	260/30
»(qãn•ÿ‹ù 7Ï° ‹Îù ¾ïÏHq•Îr «‹ $È@ÒÿÎ @è¼	73‹96/58
»Á› qã A$%(q)ø $Ð=ù¼	196‹231/81
» 7Ï‰7Î 7 ŠÉÐZÇPq‹ø$¼	95‹216/92
هود:	
»$g8™ëãr $g1qÇ «‹ $ÉóÎ $kŽÙ(qÇŸ2 ö$A$%r¼	112/41
»Æ$6Éø$ 8 qB 'Î ÔÎÎ “ ìqB ‘ Ér¼	181/42
»ïøÎ bqã•qÇ¼q$q%¼qä! ` r¼	89‹242/79
»Ôq=»Jã& 7‘ Ùqå Šjqã $Ð©x ä bÎr¼	106/111
يوسف:	
»#Ïqã4?ã $ZBÙ ÿw 7 9 $B R/'»ƒ (q$%¼	228/11
»é=èÙr ô?ëf #‰ î $Yè B æÐÅÓ&¼	109/12
»$Ís dr ¾ïÎ ÙÐd ‰)9r¼	271/24
»þYƒ‰J$'Î ×qóÎ A$%r¼	218/30
»$Šå(qÝÃ=z çH(qÝ«šÕ$$Ð=ù¼	227/80
الرعد:	
»ïƒ‰ƒ Ê=/ .Ï Ð M»7éèã ¼ç9¼	200/11
»Ù6¡. $JÎ ¤S ÿR è4?ã Ó÷$% qè ôJù&¼	239/33
الحجر:	
»Ètøð vÎ p3Í»=J$ãÍ\ç$B¼	160/8
»bqãÝÿ»t: ¼ç9 $Ò Îr •ø!$$ZÿR ßtU $RÎ¼	13‹67/9

الآية	رقم الآية/الصفحة

النحل:

»äÓ« `Ï ª! $, = { $B 4‹) ƒ(r•ƒ Ô9r&¼	94‹169/48
»š c qè•Ðƒ $B –¸ š c qèøÐr¼	271/62
»žŽ9 É»èRF{ $’Î ß9 bÎr¼	74‹176/66
»È#ã§ WB ª! $ > ŽÑr¼	193/76

الإسراء:

»ßÅ¬ãRL{ ÔE¥ ¡ô& ÔE¥ ¡ô& bÎ¼	197/7
»Ç$ƒÎ W) ƒ‰ç? ÷v& 7 /‘ Ó‰r¼	98‹221/23
»¼ç>m 4ïðø$#Œ Ï#är¼	195/26
»Ëêï #ŒÎ @ø3$(qè&r¼	91/35
»$m•B ÇÚ öF{ $’Î Ä Ð? Ÿr¼	140/37
»È#äðø$# ‹ » d ’Î $Zø À ß)9r¼	188/41
»£ÍŽï `Br Ú öF{ $ ß7ç¡ 9$ Ù ºq»K¡ 9$ a ßÎ¼	92/44
» 7 Z•/ $Yè _ b#äðø$Š V ï‰ #ŒÎr¼	25/45
»Ç Ú öF{ $ `Ï š• Rr–ÝFó•9 ƒrß Ÿ2 bÎr¼	161/76
»$ êz ã `Ï M ø 7 9 bqãƒ r&¼	268/93

الكهف:

»©$ v Î š c rß6èƒ $Br ïèqß6ç ïã$ Î r¼	87/16
»Ëï Ù‹ø$Š V #Œ ðîÝô. ` ã âr°“? Mè=Û #Œ Î § ð±9$ “ •?r¼	109/17
»ZJ–$% pã$¡ 9$• ß& $Br¼	111/36
»Ëtø$–¸ è«»9qø$ 7 Ï$Zèd¼	94/44
»Z–Í$/ Ú öF{ $ “ •?r A$6gø$ÉÉ¡ èPðƒr¼	162/47
»Ç Ú öF{ $ Ï°q»J¡ 9$, z ïã‰hÐ& $B¼	139/51

الآية	رقم الآية/الصفحة
»ûüÅ» ¡ JÏ ÑMR‰3ù è¥‹ÿ¡ 9$$B&¼	104/79
»Ëœ‰¡ 9$ûü÷/ ÷=/ #Œ) ÓL m¼	172/93
»çrêgâƒ b& (þã»ÜÕ™$$Jù¼	175/97
مريم:	
»øîd ¥?ã qè š• ƒ‘ A‰ š• Ï° ‹ . A‰¼	152/9
»Ï#÷ Z9$ÆõÉ 4‹) ÚU $, J¤$$dä! ` 'ù¼	237/23
»Ï#÷ Z9$ÆõÅ¿ Ø ü Ìèr¼	180/25
»$Ÿ¤ã “ Ìr ’ÎŽõ$ ’íâù¼	269، 182/26
»$‰É? b. ` B $RŠ$öã ôÏ ß íqç ÓÉ$èZgœ$ 7 ü¼	159/63
»ç›Yø=z $R& ß» ¡ RM$êà2 õƒ ŸÜr&¼	159/67
طه:	
»é r qã$JÏ ôÜGÕ™$ 7ê=z$$R&r¼	147،153/13
» “ íœ ÿÏ Šß‰Ô$¼	81/31
»ÌŠÜ ç›óÖ? Ÿr Ìã»Yø-‘ $B Ì»6ÜÛ ` Ï ç¤à¼	149/81
»$ZÅœÙÎ 8‰ãçB $Yø=z & $B ç¤¼	167/87
الأنبياء:	
»ÇJ öÞ$ ä$J¡ 9$’Î Aö)¤$ã=èƒ ’Îr A$¼	111/4
»ÖÏsã qèr Ì» sî»Á 9$Š–Æ Ï õJèƒ ` J ù¼	99/94
»ß qã_ÙÏr ß qã_Ùƒ ÑM s Ïè#Œ) #_ Ì m¼	181/96
الحج:	
»‹ $Ïè‹î™ ` ã br‰ŸÁƒr ç›ãÿ. šú ï‰Ï$ÏbÎ¼	120،208/25
المؤمنون:	
»ä$ZŠ™ íqÊ ` Ï ß ãçB z• f ©r¼	236/20
»š c rãsóè4Tù Ïè ¬ š c qãà‹™¼	112/89

الآية	رقم الآية/الصفحة
» “ ÌøŒÉ Ñäöj ‰ ÉÚLm $ƒÌ÷, Å Ê èqß2ê3ƒB$‰¼	215/110
»ûüŽÅ Š‰ã ÇJ öF{$’Î ÓÉƒÎ9 Ñ. Ÿ»%¼	215/112
النور:	
»{qêƒ Ó9 ÑêM»Y Á ó ß2ä$bqßêƒ ûïŸ‰$¼	211/4
»ìùëêb& ª ! $bÉ& ÑqãÇ’Î¼	246/36
»ûïŸ‰$ÑãRÉäóq Šï {qŽB#ä šú ïŸ‰$g•’ƒ¼	119/58
الفرقان:	
»ø¥_ ¼ç9 ãqã? r& Î\Ÿ2 ïnøÎ #+tãr&¼	135/8
»Ê‡s ä 7 »Y¥Å_ ¥vÎ @¥JÎ 7 Rqêƒ ¥Ÿr¼	231/33
»{qèÌóçÑ9 {qàÿR& #ŒÎ ûïŸ‰$¼	136/67
»•z#ä $g»9Î <‡ $ì B šc qãß‰ƒ ¥Ÿ ûïŸ‰$¼	205/68
»ÞJ»ŠÉß ä$Pöƒ Ù#‹è ä$ã ê#è»ŸÕã¼	78/69
الشعراء:	
»brâÉ»m ìï‹Ügː $RÎr¼	215/56
»È Ñ ã Ó Í ç Ü ã “ Ÿ‰$ ÇÈ Éú üÿê„qß ù Ñ È Ì B #ŒÎr¼	191/81
»û,Îr{$'Ê É ä Ñã)={ “ Ÿ‰${qà?$¼	225/184
النمل:	
»#Y$R ÑÓqä$# þÕ ÿÜ#ê dL{ ê› qã A$‰ ßÎ¼	131/7
»‰è ß‰g ä$ “ ‘& w † í $B A$)ù Žë Ö9$‰ÿ?r¼	166/20
»A$)ù ‰‹è/ Žëî] 3Jù¼	144 ،119 ،77/22
»äé÷ , ä$ß Ì ã “ Ÿ‰$÷ {r‰ã é„ ¥v&¼	247/25
»Ä A$JÎ Çr‰Ü ê A$‰ `»Jø Ñ ä! ` $Ð=ù¼	168/36
»Ñ Ü Ì ß B þ7É ã šc ‰Ÿ2 # ø. ëä Ÿ R$ù¼	246/51
»ê‰B $kâ¡ ä B A$7ä ä$ “ •?r¼	228/88

الآية	رقم الآية/الصفحة

القصص:

»ÇJ öR{$’Î ¤Ç; `ÞJÞr¼	190/6
»Ø_R{$Ó›qã4Ó%$Þ=ù¼	203 ،122/29
»3‰GØÞä$_ `JÎ ¤=æ&þÎ4›qãA$%r¼	194/37
»šc ræ©xGƒ ¤G¯è9 Aö)Ø¤G9$Zù r ß)9r¼	188/51
»$<℀9$¤íqš s¤ß»FJù äÓ« `Þ OÇ•ÏréÞBr¼	161/60

العنكبوت:

»¤Gî%`Þ ûï‰G$$ZFù ß)9r¼	217/3
», ¤Ù¤&‰/ # øÝ2 {ræäR$Ç Ö{$ † Î{rÇÅ @e¼	220/20
»$Z‰0r& <! $Èr¤`Þ Oêã ƒB$$JR Ï A$%r¼	210/25

الروم:

»Ä $Z9$É°qÞ& þÎ{qÇ•ï $Yh `Þ O•?#ä $Br¼	118/39

لقمان:

»ûüŸÅ¬s¤ïÞZ+q‘r “ ¥Ne¼	209/3
»þã$¡¡9$¤ü¼ç‰Yã ©$bÎ¼	122/34

الأحزاب:

»šc qäÞs¤ä$’ÎçG¤7ï$Zè¼	144/11
»â•ÿ¤¤äèÿZƒ `©@e¼	212/16
»¤äï%`Þ ‰n&$/&‰Ètê b%. $Þ¼	236/40

سبأ:

»NqJ¤ïøã $ZŽÖ%$Þ=ù¼	204/14
»ƒ#ä ¤GÿÎ3ó¡B ’Î*7¡ï b%. ß)9¼	204/15
»{ræÿ. $JÎ NG»Yƒ“_ 7ï°Œ¼	122/17
»$Rí$ÿÖ%û¨/ ßê»/ $Z/‘ {q¤)ù¼	275/19
»Ètø¤ï$É›ƒ ’Î bÎ @e¼	210/48

الآية	رقم الآية/الصفحة

فاطر:

»OYg_ â¢R ÔG9 ¥rëÿ. ûïÏ‰Ø¼	191/36
»bqãß? ûïÏ‰Ø¼Ñää!.Žà Ìëæä‘& Ø¼	153/40

الصافات:

»šc qè'\ã$k}ã Ñèl ÿr Aöî $kŽÙ ÿ¼	155/47
»ËÅgø¢É$ ¹ qèl ôB ÿvÎ¼	164/163

الزمر:

»bqçÉB Nåî r MÍB 7Ñ¼	178/30
»ÿäÏ -£‰ ¹ r É‰Ã9Ø ä! ` “ Ï‰Ø¼	183/33
»¼ç‰öã >$ $3Î ª! $ § ø&¼	163 ،123/36
»$gÏöB ûüÏm § ÿRF{$’ØQGƒ ª! $¼	147/42
»ÓÉƒ#ä 7 ä! ` ‰ 4?¼	179/59
»ÔîÏ–$ÿJÎ ö)?$ûïÏ‰Ø¢ª! $ ‘ ÉZã¼	173/61
»‰çã& þÛÿëãÛ? ‹! $Žéöù& Ø¼	168/64

غافر:

»ÑG9?& ?»Üu Ø Îéöî ‹! $ÏM»ƒ#ä þî bqä‰»gã šú ï‰Ø¼	87/35

فصلت:

»$¦Ügõ& $Rä ëèp»Yè _ öÞr¼	178/44

الدخان:

»bqã7FB Nà6 Ñî ‚x ø “ Š$7éî Îó 'ù¼	112/23

الزخرف:

»Ç»Ħq$Ø$‰6Ã Ñèl ûïÏ‰Ø¢p3Í¯J¼$(qè _ r¼	187/19
»Z‰Ïmºr ZBéâ $Z9$bqã ƒ b& ÿwöÞr¼	96/33

الشورى:

» 7 Ît‰ `Ï ûïÏ‰Ø¢’‹Îr 7 ø)Î ÚÇqã 7Ÿº‹ .¼	191/3
»ßã ƒŸ‰ƒ& Ø6 ¡ . $JÎù Z‰ŠÃ B `Ï Nà6 7» ¹ & $Br¼	232/30

الآية	رقم الآية/الصفحة
»Ÿ¼Ï. `ã ß# è ƒr ‡qç¡ . $JÎ £ß¾Îqã r&¼	179/34
الأحقاف:	
»$Z» ¡ ôn) Ï ñ‡‰Ï¹qÎ ` » ¡ $YM$$Zžœ rr¼	194/15
»Í $Z9$’?ã ‡rëÿ. ûïÏ‰G$ÞÚ •è ãPöƒr¼	164/20
الطور:	
»#ŽØ™ ã$6É ¼ç•Å r¼	162/10
»?»J ƒÎ Nâ ‡ê Nãè7?$ ‡qçB#ä ûïÏ‰G$¼	190/21
القمر:	
»Ï^ #‰÷ ‡$`Ï bqã_ëø Ó èã Á ß $è±ã¼	226/7
»$ZÏ•/ .`Ï ïøãëœ!$’ ¼	206/25
الرحمن:	
»9$R `Ï @ #qè $Jãøã @™ëø¼	220/35
»ß$¡ïm Ï)ãr ŽØãz >$•ø 4?ã ûüÏÅÇß¼	183/76
الحديد:	
»ì ±ß b& ‡qçB#ä ûïÏ‰9 ÈÚƒ N9&¼	209/16
»‡qã Ê•ør ÏM»‰Ï Á 3ß ûüÏÏ Á 3ß$Ï bÎ¼	273/18
المجادلة:	
»ìÅ ƒ$ÜöØ‹ ‹ Ï šc qãÏsã$Ï‰ ‰Å ž¼	146 ،76/22
الحشر:	
»p¥Á tC “ ‘è ’Î ž) $èŠÏd Nà6 Rqè» ãŸ¼	108/14
الجمعة:	
»ìé=Á=Ï š” Šqç#Ê ‡qçB#ä ûïÏ‰G$$k$ƒ¼	269/9
الحاقة:	
»¼ß#‰ `Br ãqãÏä! ` r¼	168/9
المعارج:	
»3‘ q±=Ï ãz#“R¼	211/16

الآية	رقم الآية/الصفحة
الجن:	
»$ZÎ‘ ‰ ` 4?»è? ¼qR&r¼	132/3
المزمل:	
»W‹Î‰ ŭv) Ø@ØSÉè ÇÈ @Ï"ØSKS»ƒ¼	105/3
»$‹Ôr ‰©& ‘Ï è@ØSp¥Ï©$R Ï)¼	273 ،201/6
»W/ÈqÛ $[s ÕTM Í$]9$’Î 7 9 Ï)¼	201/7
»$BÖf LäÖÿ. Ï) bqà?Ç? # ØÙ¼	182/17
المدثر:	
»•ÿÕM& #Œ) Ëx ÖÁ 9$¼	203/34
»ÖÿÕ3 ‹M=»Hd ¼qR(.¼	92/33
النبأ:	
»#‰»gÏ Ú ÖF{$Ê è ÙÔ9&¼	102/6
النازعات:	
»Ø•ÏU $V»àã $Zä#ŒÏ&¼	113/11
التكوير:	
»&ÙÏŸÖÎ É Ø0Ø’?ã qÙ $Br¼	274 ،206/24
الانشقاق:	
»9,7Û ` ã $)7Û ûã.Ž9¼	202 ،100 ،76/19
البروج:	
»{qÄBs¬ã b& W) NÙÄB {qÙ)R $Br¼	139/8
الطارق:	
»Ø Ï‰n $kÖ¬æ $R<š ÿR @ä Ï)¼	219/4
»É Í‹Ø0Ø É ÙÁ 9$Ù#/ .Ï ß ê¢¼	108/7
الغاشية:	
»Ø Ö‹Á ÙÎ OÎÿ¬æ Mó9¼	95/22
الفجر:	
»¼ç‰ø Ïø¬ã ‘‰)ù ç9=GØ$B #Œ) $B&r¼	160/16

الآية	رقم الآية/الصفحة
الشمس:	
»$g»6øã ß$ƒ† Ÿr¼	138/15
الليل:	
»Ø\RV{ß •.%!$,={ $Br¼	54/3
الشرح:	
»ó÷ ÁR$ M•ù #Œfù¼	240/7
العلق:	
»Ø_óGÕ™$ç#ä§ b&¼	170/7
البينة:	
»þƒÎ9ø$žö{ ðã 7Í»9rÉM»s‡»Á9${qäår {qæB#ä ûï½%$žc Î¼	243/7
الزلزلة:	
»¼ç•ƒ #•øz ›S E A$)₩Ø@Jè` `J ù¼	160/7
قريش:	
»Ø øÁ9$r ä$%Gë9$'#ôní ùûÿ»9¾Î¼	167/2
المسد:	
»5÷ l; N#Œ #Y$R 4?óÁ‹™¼	163/3
الإخلاص:	
»‰m& ª! $qè @Ø¼	88/1
الناس:	
»Ä $Y9$Å‡B¼	15/2

فهرس الأحاديث

" إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش". 6، 8، 62

" أذكر أن رجلاً سمع النبي r قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف". 49

أرسل إلي ّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة". 4

" أرضعيه خمس رضعات يحرم بهن". 264

" أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر". 203

" افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس: منا أربعة". 66

" الحمى من فيح جهنم فسبخوها بالماء". 201

" اللهم اشدد وطأتك على مضر". 273،201

اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً ". 199

"إن ابن آدم لفي غفلة عما خلقه الله". 202

" أن النبي r كان عند أضاة بني غفار فأتاه جبريل". 47

" أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان". 6

" أن رجلاً سأل الرسول r عن العمرة". 262

" أن رسول الله r قبل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة". 254

" أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف". 62

"إن عبد الله يقرأ القرآن غضاً كما أنزل". 63

" أنه قيل: يا رسول الله الأمة إذا زنت ولم تحصن". 63

" إني جمعت منه على عهد النبي". 4

" إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خير منها". 262

" تخلف عنا النبي r في سفرة سافرها فأدركنا". 3، 48

" جاء جبريل إلى النبي r قال اقرأ على حرف". 3

" جمع القرآن على عهد النبي r أربعة كلهم من الأنصار". 48

" خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد". 56

" خيركم من تعلم القرآن وعلمه". 264

" دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة". 63

" سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان". 198

" قال لي رسول الله r اقرأ علي القرآ ذ". 49

" قال لي رسول الله r يا أبي أقرئت القرآن فقيل لي". 264

201

202

48

65

200

265

" ان الكتاب الأول نزل من باب واحد على وجهٍ واحد".
"كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن".
"كان ممن ختم القرآن ورسول الله حي"
" كنت إلى جنب رسول الله r فغشيته السكينة".
" كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ".
" لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان".
" لا تسبخي عنه بدعائك عليه".
"لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر".
" لقي رسول الله r جبريل فقال يا جبريل إني بعثت إلى أمة أمية".
" مات النبي r ولم يجمع القرآن غير أربعة".
" معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن".
" يحرم بالرضاعة ما يحرم بالنسب".

فهرس الشعر

وجبريل رسول الله فينا	وروح القدس ليس به خفاء	205
وألقي على قيس من النار جذوة	شديداً عليها جحيمها ولهيبها.	204
وليس عندي لازماً إذ قد أتى	في النظم والنثر الصحيح مثبتاً .	234
ألص الضروس حني ضليع	تبوع أريب نشيط أشر	206
أشرتم بلبس الخز لما لبستم	ومن قبل ما تدرون من فتح القرى.	206
يا أيه القلب اللجوج النفس	أفق عن البيض الحسان اللعس.	84
الواردون وتيم في ذوي سبأ	قد عض أعناقهم جلد الجواميس.	204
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة	والعلم أكبر شيء وهو رابعها.	42
فيا عجباً حتى كليب تسبني	كأن أياها نهشل أو مجاشع	143
وحيثما يختل ركن أثبت	شذوذه لو أنه في السبعة.	14
بأربع فاقت الأمصار قرطبة	وهن قنطرة الوادي وجامعها.	42
فيدركنا فغم داجن	سميع بصير طلوب مكر.	206
أمن أجل حبل لا أبا لك ضربته	منسأة قد جر حبلك أحبلاً .	204
إذا دببت على المنساة من كبر	فقد تباعد عنك اللهو والغزل.	204
وعود خافض لدى عطف على	ضمير خفض لازماً قد جعلا.	234
فما تمسَّك بالعهد الذي زعمت	إلا كما تمسك الماء الغرابيل.	156
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد	فيه مع النصر ميكال وجبريل.	205
لقيت المهالك في حربنا	بعد المهالك تلقى آثاماً .	206
وكان مقامنا ندعو عليهم	بأبطح ذي المجاز له آثاماً .	206
جزى الله ابن عروة حيث أمسى	عقوقاً والعقو ق له آثام.	205
شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة	مدى الدهر إلا جبرئيل أمامها.	205
من سبأ الحاضرين مأرب إذ	يبنون من دون سيلها العرما.	205
وصح إسناداً هو القرآن	فهذه الثلاثة الأركان.	14
من يفعل الحسنات الله يشكرها	والشر بالشر عند الله مثلان	232
أبا هند فلا تعجل علينا	وأنظرنا نخبرك اليقينا	86
جود بمكنون الحديث وا ِنني	سر ٌك عن سالني لظنين.	207
أما وكتاب الله لا عن شناءة	هجرت ولكن الظنين ظنين.	207، 274
فكل ما وافق وجه نحو	وكان للرسم احتمالاً يحوي.	14

فهرس الأعلام

إبراهيم بن السري بن سهل (الزجاج)	**82**
إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود (النخعي)	**100**
أبو خزيمة الأنصاري	5
أحمد بن عمار بن أبي العباس (المهدوي)	**8**
أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني (الدمياطي)	**2**
أحمد بن محمد بن إسماعيل (النحاس)	**81**
أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة (الطحاوي)	**7**
أحمد بن مكي الأنصاري	**233**
أحمد بن موسى أبو بكر بن مجاهد	**11**
حمد بن يحيى بن زيد بن سيّار الشيباني	**128**
إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (السدي الكبير)	**93**
إسماعيل بن مسلم أبو إسحق المعروف بالمكي	**108**
الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد (الحسن البصري)	**20**
الضحاك بن مزاحم الخرساني	**195**
القاسم بن سلام (أبو عبيد)	**12**
حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل أبو عمارة	**10**
خلف بن هشام بن ثعلب أبو محمد البزار	**10**
رفيع بن مهران البصري (أبو العالية)	**100**
روح بن عبد المؤمن أبو الحسن البصري	**93**
زبان بن العلاء بن عمران أبو عمرو	**10**
زر بن حبيش بن خباشة أبو مريم	**146**
زيد بن أسلم العدوي الفقيه المدني	**272**
سعيد بن مسعدة أبو الحسن (الأخفش الأوسط)	**83**
سفيان بن عيينة	**50**
سليمان بن مهران أبو محمد (الأعمش)	**20**
سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشية	**264**
شريح بن يزيد الضرمي الحمصي	**237**
شقيق بن سلمة الأزدي الكوفي (أبو وائل)	**100**
شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب	**159**

صالح بن كيسان المدني 137
طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب أبو محمد 96
عاصم بن بهدلة أبو النجود 10
عاصم بن أبي الصباح (عاصم الجحدري) 74
عامر بن شرحبيل أبو عمرو الهمذاني (الشعبي) 101
عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ابن الجوزي) 57
عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد (الداود ي) 59
عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ابن زنجلة) 186
عبد الرحمن بن هرمز أبو داود (الأعرج) 150
عبد الرحيم بن عبد الكريم أبو هوازن (القشيري) 82
عبد الله بن زيد الجرمي البصري (أبو قلابة) 206
عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم (ابن عامر) 10
عبد الله بن كثير بن المطلب (ابن كثير) 10
عبد الله بن وهب 50
عثمان بن جني الموصلي 18
عثمان بن سعيد بن عمر الأموي (أبو عمرو الداني) 12
علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن (الكسائي) 10
علي بن محمد الصفاقسي أبو الحسن النوري 17
عمران بن تيم بن ملحان أبو رجاء العطاردي 96
عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم 93
عمرو بن فايد أبو علي الأسواري 90
عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) 82
عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (القاضي عياض) 104
عيسى بن عمر الثقفي البصري النحوي 108
قتادة بن دعامة السدوسي 93
قعنب بن أبي قعنب أبو السمال 67
مالك بن دينار أبو يحيى البصري 99
مجاهد بن جبر (أبو الحجاج) 100
محمد بن أحمد بن أسيد (بن أبي صفرة) 59
محمد بن الحسن بن يعقوب (أبو بكر العطاردي) 186

محمد بن السر ي (أبو بكر السراج)	**186**
محمد بن السميفع أبو عبد الله	**95**
محمد بن الطيب (أبو بكر الباقلاني)	**7**
محمد بن المستنير بن أحمد (قطر ب)	**183**
محمد بن المتوكل أبو محمد (رويس)	**93**
محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي	**1**
محمد بن حبان البستي (أبو حاتم)	**50**
محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي	**20**
محمد بن سيرين بن أبي عمرة البصري أبو بكر	**99**
محمد بن محمد بن محمد (أبو قاسم النويري)	**17**
محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ابن الجزري)	**1**
محمد بن مسلم بن عبد الله (الزهر ي)	**50**
مروان بن الحكم	**5**
مسروق بن الأجدع أبو عائشة الهمداني	**100**
مكي بن أبي طالب	**16**
نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (أبو رويم)	**10**
هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور	**95**
يحيى بن مبارك بن المغيرة أبو محمد (اليزيدي)	**20**
يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي	**100**
يحيى بن يعمر أبو سليمان	**201**
يزيد بن القعقاع (أبو جعفر)	**10**
يعقوب بن إسحق بن زيد (أبو محمد)	**10**

فهرس المراجع

1) القرآن الكريم.
2) الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د.محيي الدين رمضان، ط:1. دمشق، دار المأمون للتراث، (1399–1979).
3) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد الدمياطي الشهير بالبنا اعتنى به أنس مهرة، ط:1، بيروت، دار الكتب العلمية(1419–1998).
4) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ط:3. بيروت(1415هـ).
5) إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل عباس، ط:1. عمان، دار الفرقان (1997م).
6) أثر القراءات في الفقه الإسلامي، د.صبري عبد الرؤوف عبد القوي، ط:1.الرياض، دار أضواء السلف(1418–1997).
7) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت،دار الفكر.
8) الاستذكار، ابن عبد البر، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي.
9) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف ابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، ط:1. بيروت، دار الجيل (1412–1992).
10) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط:2. بيروت، دار الكتب العلمية(1423–2002).
11) إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق زهير غازي زاهر، ط:3، بيروت، عالم الكتب(1409–1988).
12) الأعلام، خير الدين الزركلي، ط:8. بيروت، دار العلم للملايين(1989هـ).
13) الإقناع في القراءات السبع، ابن خلف الأنصاري، ط:1، بيروت، دار الكتب العلمية، حققه أحمد فريد الزيدي(1419–1999).
14) إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الغفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:1. القاهرة، دار الفكر العربي (1406هـ).
15) الأنساب، أبو سعد عبد الكريم السمعاني، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية(1408–1988).
16) البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1422هـ).
17) البداية والنهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، ط:1.بيروت، دار الكتب العلمية(1352هـ).
18) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، ط:1. مكة المكرمة، مكتبة أنس بن مالك(1423–2002).
19) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، اعتنى به مصطفى عبد القادر عطا، ط:1. بيروت، دار الفكر(1408–1988).
20) التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ط:5. بيروت،المكتب الإسلامي(1991م).
21) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية.

22) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ.
23) تاريخ التعليم في الأندلس، د. محمد عبد الحميد عيسى، إشراف د.لويس سواريث فرناندیث، تقديم د.عبد الغني عبود، ط:1. دار الفكر العربي(1982م).
24) تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة،ابن الجزري،ط:1.بيروت، دار الكتب العلمية(1404هـ).
25) تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي، دار الفكر العربي.
26) التذكرة، القرطبي، تحقيق خالد بن محمد بن عثمان، ط:1. القاهرة، دار البيان الحديثة(1422هـ).
27) ترتيب الأعلام على الأعوام، الزركلي، رتبه وعلق عليه زهير ظاظا، بيروت، دار الأرقم للطباعة.
28) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن، دار الفكر(1399–1979).
29) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، بيروت، دار الفكر.
30) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ط:2طهران، دار الكتب العلمية.
31) تفسير المنير، د.وهبة الزحيلي، ط:2. دمشق، دار الفكر (1418–1998).
32) التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي، ط:6. القاهرة، مكتبة وهبة (1416–1995).
33) تقريب التدمرية، محمد بن صالح بن العثيمين، ط:1؟ القاهرة، مكتبة السنة (1413–1992).
34) التكملة لكتاب الصلة، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ابن آبار) تحقيق د.عبد السلام الهراسي، بيروت، دار الفكر (1415–1995).
35) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق محمد فلاح (1400–1980).
36) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ط:1. بيروت، دار صادر (1326هـ).
37) التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، عني به أوتويرتزل، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية(1416–1996).
38) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، ط:1. بيروت، دار الفكر(1421–2001).
39) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، راجعه وعلق عليه د.محمد إبراهيم الحفناوي، ط:2. القاهرة، دار الحديث (1416–1996).
40) حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، ط:4. بيروت، مؤسسة الرسالة (1404–1984).
41) الجامع الصحيح، البخاري، اعتنى به محمود بن الجميل، ط:1. مصر، مكتبة الصفا (1423هـ).
42) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:1. دار إحياء الكتب العربية (1387–1968).
43) الدرر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر (1423–2002).
44) روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، محمد علي الصابوني، ط:1. بيروت، دار إحياء التراث العربي (1421–2001).
45) الروضتين في أخبار الدولتين، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي، بيروت، دار الجيل.

46) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، ابن قدامة المقدسي، تحقيق د.عبد الكريم النحلة، ط:5. الرياض، مكتبة الرشد (1417–1997).
47) سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، حققه محمد عبد العزيز الخولي، بيروت، دار الجيل.
48) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، بيروت، دار الفكر.
49) سلسلة الأحاديث الصحيحة،محمد ناصر الدين الألباني، ط:4.الرياض، مكتبة المعارف(1408هـ).
50) سن أبو داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق السيد محمد السيد وآخرون، القاهرة، دار الحديث(1420–1999).
51) سنن الترمذي الجامع الصحيح، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1408–1987).
52) سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، تعليق محمد شمس الحق العظيم آبادي، بيروت، عالم الكتب.
53) سنن النسائي، بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، ط:4. بيروت، دار البشائر الإسلامية (1414–1994).
54) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي،ط:7. بيروت، مؤسسة الرسالة(1410هـ).
55) الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، حققه شهاب الدين أبو عمرو، ط:1. بيروت، دار الفكر(1418–1998).
56) صحيح سنن ابن ماجة، للألباني، ط:1. الرياض، مكتبة المعارف(1417–1997).
57) صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط:1.دار ابن رجب(1422هـ).
58) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، بيروت، دار مكتبة الحياة.
59) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تقديم إحسان عباس، بيروت، دار الصادر.
60) طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1403–1983).
61) طبقات المفسرين، شمس الدين الداودي، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1403هـ).
62) طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، اعتنى به محمد تميم الزعبي، ط:2. المدينة المنورة، مكتبة دار الهدى (1421–2000).
63) علوم القرآن، د.عدنان محمد زرزور، ط:2. بيروت، المكتب الإسلامي (1404–1984).
64) علم القراءات، د.نبيل بن محمد بن إبراهيم بن آل إسماعيل،ط:1.الرياض،مكتبة التوبة،(1421هـ).
65) غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1352هـ).
66) غيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي، اعتنى به محمد عبد القادر شاهين، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1419–1999).
67) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ط:1. بيروت، المكتبة العصرية (1418–1997).
68) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل، مصر، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه.
69) الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر الإسفرائيني التميمي، بيروت، دار الكتب العلمية.

70) فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق وهبي سليمان غاوجي، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1411–1991).
71) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، ط:3. دمشق، دار الفكر (1409–1989).
72) فقه السنة، سيد سابق، ط:4. بيروت، دار الفكر (1403–1983).
73) فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد سليم، القاهرة، مكتبة ابن سينا.
74) في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، د. السيد عبد العزيز سالم، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة (1985م).
75) القراءات العشر المتواترة، محمد كريم راجح، ط:3. المدينة المنورة، دار المهاجر (1414هـ).
76) القراءات القرآنية (تاريخها.ثبوتها. حجيتها. أحكامها)، عبد الحليم محمد الهادي قابة، تقديم د. مصطفى سعيد الخن، ط:1. دار المغرب الإسلامي (1999م).
77) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية، عمرانية، اثرية في العصر الإسلامي)، د. السيد عبد العزيز سالم، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة (1984م).
78) قرطبة في العصر الإسلامي (تاريخ وحضارة)، د. احمد فكري، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة (1983م).
79) القرطبي ومنهجه في التفسير، د. القصبي محمود زلط، مصر، دار الأنصار.
80) القواعد والإشارات في أصول القراءات، احمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضى الحموي، تحقيق د. عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، ط:1. دمشق، دار القلم (1406–1986).
81) الكامل في التاريخ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، بيروت، دار الصادر (1399–1979).
82) الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، بيروت، عالم الكتب.
83) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، بيروت، دار الفكر.
84) كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي المعروف بحاجي خليفة، دار الفكر (1410–1990).
85) الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، تحقيق محيي الدين رمضان (1394–1974).
86) لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، تحقيق حامد أحمد طاهر، ط:1. القاهرة، دار الفجر للتراث (1423–2002).
87) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، ط:3. بيروت، مؤسسة التاريخ العربي و دار إحياء التراث العربي (1413–1993).
88) لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط:1. بيروت، دار الفكر (1408–1988).
89) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر المثنى التميمي، علق عليه د. محمد فؤاد سزكين، مصر، مكتبة الخانجي.

90) مجموع فتاوى أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (1418–1997).
91) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف و د. عبد الفتاح شلبي، القاهرة (1389–1969).
92) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام السلفي محمد، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1413–1993).
93) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، اعتنى به يوسف الشيخ محمد، ط:4. بيروت، المكتبة العصرية (1418–1989).
94) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه، عني بنشره برجشتراسر، دار الهجرة.
95) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1411–1990).
96) مسند أبو يعلى الموصلي، الحافظ إسماعيل التميمي، تحقيق حسين سليم أسد.
97) مسند الإمام أحمد بن حنبل، إشراف د. سمير طه المجذوب، ط:1. بيروت، المكتب الإسلامي (1413–1993).
98) معاني القرآن وا ٍعرابه، الزجاج أبي إسحق إبراهيم بن السري، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، ط:1. عالم الكتب (1408–1988).
99) معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط:3. بيروت، عالم الكتب (1403–1983).
100) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق د. محمد سعيد العريان، القاهرة (1963م).
101) معجم ألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية.
102) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، تحقيق فريد الجندي، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1410–1990).
103) معجم مفردات القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1418–1997).
104) معجم المؤلفين، عمر رضى كحالة، بيروت، دار إحياء التراث العربي ومكتبة المثنى.
105) المعجم الوسيط، تحقيق إبراهيم أنيس وآخرين، ط:2.
106) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين الذهبي، تحقيق د. طيار آلتي قولاج، ط:1. أنقرة، مطابع مديرية النشر والطباعة.
107) المغني،عبد الله بن قدامة المقدسي،بيروت،دار الكتاب العربي،بعناية جماعة من العلماء (1418هـ).
108) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، ط:2. بيروت، المكتبة العصرية (1418–1997).
109) المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر، أبو حفص عمرو بن قاسم المعروف بالنشار، تحقيق أحمد محمود الحفيان، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1422–2001).
110) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط:3. بيروت، دار الفكر.
111) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، ط:1. القاهرة، مكتبة القدسي (1416هـ).

112) منع الموانع عن جمع الجوامع، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق د. سعيد الحميري، ط:1. بيروت، دار البشائر (1420–1999).
113) منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره، د. عبد الرحمن الجمل، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الأردنية، قسم الدراسات العليا لعلوم الشريعة والحقوق والسياسة (1412–1992).
114) الموطأ برواياته الثمانية، الإمام مالك، حققه وخرج أحاديثه وشرحه سليم بن عيد الهلالي السلفي، دبي، مجموعة الفرقان التجارية (1424–2003).
115) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي الأتاباكي، تحقيق محمد حسين شمس الدين،ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1413هـ).
116) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، قدم له علي بن محمد بن الصباغ، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1418–1998).
117) نظرية النحو القرآني، د. أحمد مكي الأنصاري، ط:1. مصر، مطابع أبو الفتوح (1405–1985).
118) النكت والعيون (تفسير الماوردي)، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، ط:1. بيروت، دار الكتب العلمية (1412–1992).
119) هداية المستنير بتخريج أحاديث تفسير ابن كثير، عادل يوسف العزازي، ط:1. القاهرة، المكتبة الإسلامية (1424–2003).
120) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، اعتنى به ديدرينغ، ط:2. مؤسسة الكتب الثقافية.
121) وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين بن محمد بن خلكان، حققه إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ
التمهيد 1
الفصل الأول: القرطبي ترجمته وحياته العلمية وعصره وأثر ذلك فيه 22
المبحث الأول: ترجمته 23
المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه ولقبه 23
المطلب الثاني: مولده ونشأته 23
المطلب الثالث: وفاته 26
المبحث الثاني: حياته العلمية 27
المطلب الأول: رحلاته في طلب العلم 27
المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه 28
المطلب الثالث: آثاره العلمية 33
المبحث الثالث: عصر القرطبي 36
المطلب الأول: الحالة السياسية والاجتماعية 36
المطلب الثاني:الحالة العلمية 42
الفصل الثاني: القراءات في تفسير القرطبي 46
المبحث الأول: قضايا القراءات في مقدمة تفسيره 47
المطلب الأول: معنى نزول القرآن على سبعة أحرف 47
المطلب الثاني: صلة القراءات بالأحرف السبعة 58
المطلب الثالث: سبب كتابة عثمان المصاحف 61
المبحث الثاني: أنواع القراءات التي استعرضها القرطبي في تفسيره 70
المطلب الأول: القراءات المتواترة 70
المطلب الثاني: القراءات غير المتواترة 85
المبحث الثالث: نسبة القراءات إلى قرائها ورواتها 91
المطلب الأول: ذكره القراءة منسوبة إلى صاحبها باسمه 91
المطلب الثاني: ذكره القراءة دون نسبتها إلى أحد 101
المطلب الثالث: ذكره القراءة منسوبة إلى أهل البلد 106
المطلب الرابع: ذكره القراءة منسوبة إلى(الجماعة–الجمهور–العامة)أو غير ذلك 114
المبحث الرابع: الترجيح والاختيار في القراءات والحكم عليها عند القرطبي 124
المطلب الأول: الترجيح في القراءات عند القرطبي 126
المطلب الثاني: الاختيار في القراءات عند القرطبي 159
المطلب الثالث: الحكم على القراءة عند القرطبي 171
المبحث الخامس: منهجه في توجيه القراءات 185
المطلب الأول: توجيه القراءة بالقرآن أو بالأحاديث النبوية 187
المطلب الثاني: توجيه القراءة بالشعر أو بالنحو 203

المطلب الثالث: توجيه القراءة ببيان معناها أو بيان أصلها في اللغة 214
الفصل الثالث: أثر القراءات القرآنية في تفسير القرطبي 230
المبحث الأول: ثر القراءات على التفسير عموماً 231
المطلب الأول: أثر القراءات على اللغة 231
المطلب الثاني: ـ القراءات في إبراز العقيدة الصحيحة وا إبطال العقائد المنحرفة 239
المطلب الثالث: ثر القراءات في تأييد أو ترجيح رأي على غيره من الآراء 242
المطلب الرابع: أثر اختلاف القراءة على اختلاف سبب النزول 244
المطلب الخامس: أثر القراءات على الوقف والابتداء وعلى سجود التلاوة 246
المبحث الثاني: أثر القراءات في استنباط الأحكام الفقهية 248
المطلب الأول: موقف الفقهاء من القراءات 248
المطلب الثاني: أثر القراءات المتواترة والشاذة في استنباط الأحكام 251
المبحث الثالث: أثر القراءات في استنباط المعاني المختلفة 268
الفصل الرابع: لقراءات عند القرطبي في الميزان 278
المبحث الأول: ما يحسب للقرطبي 278
المبحث الثاني: ما يؤخذ على القرطبي 281
الخاتمة 284
الخلاصة 287
فهرس الآيات القرآنية 289
فهرس الأحاديث النبوية 305
فهرس الشعر 207
فهرس الأعلام المترجم لهم 308
فهرس المصادر والمراجع 311
فهرس الموضوعات 317

Abstract

This treatise has successfully been accomplished with assistance and support of allah. Actually, the treatise deals with the approach of Imam AL-Qurtobi regarding his presentation to the readings of the Quran which he received efficiently and successfully. Consequently, the thesis shows the influence of the different recitations on his interpretation.

Furtunately, this subject has neither been researched nor studied by anyone before. This in-deed makes it of great importance.

Throughout this research, the researcher could reach findings, and here are the most important of these:

– AL-Qurtobi presented in his explanation all kinds of (Qira'at), concentrated on the successive ones and left the fabricated and odd recitations. This has been done accurately and clearly.

– The Imam skillfully distinguished between the (Qira'at) and gave support to some of them in a way that didn't affect other (Qira'at). In his interpretation, he depended on essential considerations which were adopted by earlier scholars. These were grammer, morphology, figure of speech, metaphoric language, the collective recitations etc..

– In his interpretation, he argued a lot about the different (Qira'at) and cited examples from the Quran, the sunna, poetry, grammer and other things.

– He strongly defended the different (Qira'at) in various cases and explained that it had not been reasonable to weaken or degrade any of the (Qira'at).

– Although AL-Qurtobi seldom gave his judgement any of the (Qira'at), he made some mistakes.

– In his interpretation, AL-Qurtobi gave interest to the (Qira'at) and thus handled them accurately and extensively.

Importantly, he attributed them to their original writers, revised them and stressed some of them. The different meanings were clearely manifisted. Therefore, these factors have made his interpretation a reference of the (Qira'at).

As a result, the researcher recommends the following:

– All what has been mentioned about the (Qira'at) in AL-Qurtobi's should be written in a new book in order to examine these (Qira'at) and subsequently judge them. This book is supposed to refer the (Qira'at) to their original references showing the odd and successive ones, and to speak about the owner of each recitation. Thus, this great work can benefit the interpretation of AL-Qurtobi, the Islamic library and the (Qira'at) section as well as adding a newly original book from our Islamic heritage. It can safely be titled "Qira'at in AL-Qurtobi's Explanation".